عنادي. لكن خلصني الله العزيز منه حتى جئت اليكم يا اولادي. وهذا ما وجدناه من خبر العصفور والصياد. ولله الحمد امين

ثم قال العصفور: ويلك يا مسكين ما علمت ما قد فاتك مني. لقد خاب سعيك. وزال سعدك. واقبل فقرك. ودنى خمولك. فيا ندمك. فلو كنت في الوقت الذي اخذتني ذبحتني وشققت حوصلتي لكنت وجدت فيها جوهرة وزن أُوقية كنتُ لقطتها من خزائن الملك انوشروان. فعند ما سمع الصياد كلام العصفور لطم على وجهه ونتف لحيته وخزق ثيابه وحط التراب على رأسه ووقع مغشياً عليهِ. ثم نظر الصياد الى العصفور وقال لهُ: يا ابا جناح. يا موصوفاً بالرياح. هل لك من الرجوع اليَّ. وتكون عندي مقيماً. فاخبئك في عينيَّ. واريحك من التعب والجدّ في طلب الرزق. واطعمك السمسم المقشور واطيبه بالعنبر والعود القميري. واجيء لك بسكر نبات واطعمك الفستق وحب الصنوبر وتكون عندي في اعلى درجة. فقال لهُ العصفور: يا مسكين فات الذي قد فات انا متعجب من محالك وهوانك فسبحان الله يا مسكين ما اسرع ما نسيت الوصايا التى اوصيتك بها وما اقل عقلك. انا كلّي ما اجيء وزن عشرة دراهم فكيف يكون في حوصلتي جوهرة وزن أُوقية. ما ابعد ذهنك وما اسرع ما نسيت وصيتي. أَما قلت لك لا تصدق شيئاً حتى تراهُ بعينك. ولا تحزن على ما فات. ولا تفرح بما هو آتٍ. فنسيت الوصايا لو كنت زكياً كنت ذبحتني. ولكن الحمد لله الذي ما اذاقني من حد سكينك وشكرت ربي على خلاصي وفك اسري من اياديك

(قال) فلما سمع الصياد هذا الكلام من العصفور ندم وتحسّر وقال: يا اسفي على ما فاتني من ذبح العصفور. ووقع على الارض وجعل يقول: حزني على ما حوت عيني. بالرغم مني يا خالق البرية. لو كان لي في الغنى نصيب. ما ادركتني له حمية. وكنت اذبحه واكل من لحمه أُوقية. ثم ان العصفور ودع الصياد وطار حتى وصل الى بلاده. فجلس وحكى لهم جميع ما جرى لهُ مع الصياد وكيف مسكه وكيف هو احتال عليه وافلت منه وانشأ يقول: يا معاشرين الاوادي. لا تقربوا هذا الوادي. لان فيه رجلاً صياداً يصطادكم بالفخ والاوتادِ. اوقعني وجاء بسكين ليذبحني واشتهى

انا راجٍ يا الهي من سليمان ونسله
ان ذبحني او اكلني يفرق الرحمان شمله

ثم قال العصفور : يا صياد لو كنت تريد ان تذبحني لما كنت وصفتني بهذه الاوصاف فاني لا انفعك . لكن ان عملت معي خيرًا واطلقتني فاني اشير عليك بشيء ينفعك وينفع ذريتك من بعدك الى ولد ولدك . فقال الصياد : وما هو الذي تفعله معي . فقال له العصفور : اعلمك ثلاث كلمات من الحكمة وادلك على كنز من ذهب في هذه الارض تنتفع بهِ انت ونسلك من بعدك على الدوام . وتدعو لي بطول العمر . وادلك ايضاً على بازين شاهين كبيرين عظيمين . وهما لي صديقان وتركتهما في البستان . فقال الصياد : وما هي الثلاث كلمات التي هي من الحكمة . قال : يا صياد الاولى لا تندم على ما فات . والثانية لا تفرح بما هو آتٍ . والثالثة لا تصدق ما لا ترى عينك . واما الكنز والبازان فانك اذا اطلقتني ادلك عليهم وسوف يظهر لك صحة ما ذكرته لك . (قال) فعند ذلك طاب قلب الصياد على العصفور وفرح بالكنز والبازين وتمت حيلة العصفور فاطلقه . فطار من كف الصياد وجلس على شجرة بالقرب من الصياد وقد فرح بخلاص نفسه من الموت . ثم انه نفض ريشه وجناحيه وضحك ضحكاً حتى كاد ان يغشى عليه . وجعل يلتفت يميناً وشمالًا ويطيل الالتفات . وتتزايد عليه المسرات . فقال له الصياد : يا ابا جناح . يا موصوفاً بالرياح . اما قلت لي انك تدلني على بازين شاهين في بستان . وهما لك صاحبان . فقال العصفور : هيهات هيهات والله ما رأيت احدًا احمق منك . ولا اقل عقلًا منك . ولا اعظم جهلًا منك . ولكن في رأسك خفة . وفي عقلك قلة معرفة . ثم قال له العصفور : يا قليل العقل متى رأيت عصفورًا يصاحب بازًا ولاسيما بازين فما اقل عقلك . انا قد احتلت عليك حيلة واطلقت منك بمعرفتي ومكري . ثم انشد يقول :

تركت الرزق ان وافاك سهلًا وما نجاك من ذاك الحذارُ
ونفسك لُم ولا تلم المطايا ومُت كمدًا فليس لك اعتذارُ

اني خدعتك خداعاً عظيماً . وانت سمعت وطمعت . فقال لهُ العصفور : انا الذي اوقعتني منيتي . وغرَّني الجهل وكثرة الطمع . فصار في عنقي طوق الردى ووقعت الآن مع مَن وقع . ثم اتى الصياد ومعه السكين ليذبحه . وجعل يقول : كم عصافير قبضناها هنية . بشوقٍ من لحمها ناكل هنية . ورأسه نطبخه برز وهريسة وقلية . ومن الواجب علينا نرسل نصفه للوالدين . والجناحين اتخذوهما لاهلي الاقرباء . ليتنعموا بهما في هذه المدة . (قال) فسمع العصفور وانشد يقول : اطلقني يا صياد ان لي اماً شقية . ومن بكائها عند فقدي اصبحت عمياء عليَّ . وانا لست اشبع لك جوعاً لا ولا اغني هدية . فجد وارحم واطلقني . ودعني لك مع والدي دعوجية . ثم اغدو في صباحٍ وارجع في عشية . ثم قال العصفور : اما ترى ان لحمي نحل وبطني هزل . ثم قال العصفور ايضاً : والله يا اخي ما اشبع لك جوعاً ولا اشفي لك غلة فاتقِ الله واطلقني وانهُ يجازيك عني جزاءً كثيراً . فلم يلتفت الى كلامه بل دفعه الى ابنه وقال لهُ : يا ولدي خذ هذا العصفور وامضِ الى البيت واذبحه واطبخ لنا منه كمونية . وليمونية . وفقاعية وحصرمية . وحبرمانية وسماقية وقلية وططماجية . وشكباجية وشبرك وكشكية . ورز ولبنيـة . وعجج وشرائح مقلية . وكباباً وبندقية . وما اشبه من تلك الطعامات . واعمل مصارينه اوتاراً للقسي . ومناقيره مزاريب للسطوح . واعمل من جلده سفرة للطعام . واعمل ريشه للمخدات والمساند . فلما سمع العصفور هذا الكلام ضحك ضحكة العزاء وهو في يد الصياد وقال : ويلك يا صياد اين راح عقلك وذهنك . انت مجنون ام سكران . او نائم ام يقظان . فلو كنت العنقاء بنت الحي . او ناقة صالح . او خشب اسماعيل الذبيح . او جاموساً سميناً مليحاً . او عجل السامري الفصيح . لما صار مني الذي ذكرته . ثم ان العصفور انشد يقول :

حرم الرحمان اكلي ... واسع الفضل بفضله
وانا شبه بعير ... حمَّلوه فوق حمله
لم يرَ الصياد مثلي ... الا وهو طار عقله

لا يدخل الجنة الا فتى قد وهب الله له ما جنى
قائمٌ في ليل الدجى واقفاً وراكعاً ظهره قد انحنى
واكثر الشوق الى جنةٍ ما نالها الا بكثر العنا
طوبى لعبدٍ طاع مولاه وفاز في طاعتهِ بالمنى

فقال له العصفور: يا اخي لقد صدقت فيما نطقت وفهمت منك ما تحققت لكن ارى المسح الشعري عليك. فقال الفخ: يا اخي اما تعلم ان الشعر والصوف هما لباس العبَّاد الصالحين العابدين الزاهدين. وقد قال فيه بعض الشعراء بيت شعرٍ: تزهد قومٌ بدنياهم. تخوُّف حساب طويل عسير. لباسهم الصوف طوبى لهم غداً ينعمون بلبس الحرير. واكلهم الدهر الملح وخبز الشعير. فهم طالبون وهم راغبون. وهم ساجدون لربٍ قدير. فقال العصفور: لقد صدقت فيما نطقت لكن ما هذه العصا في كفك. فقال الفخ: اعلم يا اخي اني بقيت رجلاً شيخاً كبيراً. وفقدت قوتي فاخذت هذه العصا لكي استند عليها حتى تعينني على الصيام. فقال له العصفور: صدقت يا اخي ولكن قل لي لماذا ولاي سبب هذا الحب مبدد حولك. قال له الفخ: اعلم يا اخي ان التجار والاغنياء يأتوني بالقوت. حتى انا اتصدق به على المساكين والجياع. فقال العصفور: يا اخي انا جائع أتأمر لي بالاكل. فقال الفخ: انت صاحبي الفريد الوحيد. والواجب عليَّ ان آمرك بالاكل. ثم قال له الفخ: انزل فكل. فنزل العصفور وتقدم قليلاً قليلاً وقلبه فزع من خشية الفخ حتى وصل الى الحبة التي في فم الفخ بعد ان التقط الحب الذي حول الفخ. فلما وصل الى الحبة التي في فم الفخ نقرها نقرة واحدة. فما كان له فيها فائدة. فانقضَّ الفخ على عنق العصفور فقبضه قبضة الخوف. فصاح العصفور: زيق زيق زيق. وقعت في المضيق. وخانني الرفيق. ويا عظمي الرقيق. زيق زيق. يا عالم بحالي كن لي رفيقاً. وخلصني من هذا المضيق. وكن عليَّ شفيقاً. فقال له الفخ: انت تقول زيق زيق. وقد وقعت في المضيق. وزغت عن الطريق. يا كافر يا زنديق. ما بقي ينفعك لا اخ ولا صديق. ولا صاحب ولا رفيق. افهم واستفق.

ولا تقل ان لي اخاً وصديقاً . قلّب قلوب الناس كيف شئت . فتجدهم حيّات وعقارب وقال بعض الحكماء : الوحدة ولا قرين السوء . وقيل للبهلول : لماذا واقف بين القبور في هذا المكان المقفر وما سبب بعدك من الاهل والاقارب ومن الاخوان والاحباب . فقال لهم : ويلكم اني واقف بين قومٍ ان اقمت بينهم يوماً فلا يودوني . وان غبت عنهم فلا يذموني ولا يذكروني ولا يطلبوني . وصرت بوحدتي حتى اني لو نظرت الاهــل استوحشت منهم . ولو عاش آبائي من جديد وراموا صحبتي لفررت عنهم . فقال له العصفور : والله يا اخي قد صدقت فيما نطقت ونصحت فيما تـكلمت . ولكن اخبرني ما هذا الحبل المشدود في وسطك . وقد بذلت المجهود واستغنيتَ عن القيام والقعود . فقــال لهُ الفخ : يا اخي اعلم ان كل ليلة من الشهر اقضيها في الصلوات فاذا جاءني النوم شددت هذا الحبل في وسطي حتى لا انام واكون مستيقظاً على الصلاة . واعلم ان الله تبارك وتعالى محبٌّ لعباده الصالحين القائمين المصلّين . الذين في الليل تتجــافى جنوبهم عن مضاجعهم . ويدعون ربهم خوفاً وطمعاً ومِمّا رزقناهم ينفقون . لانه قال الله تبارك وتعالى : قليلاً من الليل يهجعون وبالاسحار هم يستغفرون فيعطيهم ربهم ما يطلبون . او ما تعلم يا اخي ما قال الشاعر : تشاغل قوم بدنياهم وقومٌ تخلّوا بمولاهم فخصَّهم لمرضاته ومن سائر الخلق اغنــاهم . يصفُّون في الليل اقدامهم وعين المهيمن ترعاهم . فطوراً يحاكون في سجودٍ . وطوراً يناجون في خطــاياهم . فلا يعرفون سوى ربهم . وهم ذاكرون لمولاهم . ثم قال لهُ العصفور : يا اخي صدقت فيما نطقت . وبلغت فيما وصفت ولكن قل لي ما لي ارى نصفك في التراب . ونصفك خارجاً عن التراب . قال لهُ الفخ : لاني اشبه بذلك للموتى واتجنب الشهوات الرديئــة . لانه قال الله تبارك وتعالى في كتابهِ العزيز : منها خلقتم وفيها نعيدكم . ومنها نخرجكم تارة اخرى . قال العصفور : والله يا اخي صدقت فيما نطقت . لكن يا اخي ما لي اراك منحدب الظهر . فقال الفخ : اعلم يا اخي ان سبب انحناء ظهري من كثرة قيامي في النهار . ووقوفي في طاعة الملك الجبار . الواحد القهار . العزيز الغفار . وقد انشد الشاعر يقول في ذلك :

بسم الاب والابن والروح القدس الاله الواحد امين

نبتدئ بعون الله ونكتب قصة العصفور وما جرى لهُ مع الصياد

حكي والله اعلم في غيبه واحكم . فيما مضى وتقدم من احاديث الزمان . انه كان في مدينة بغداد رجل صياد . وكان في صنعة الصيد ماهرًا . وانه في ذات يوم خرج للصيد . واخذ معه ما يحتاج اليه من آلة الشباك . ومضى الى بستان كثير الاشجار . عالي الاغصان . تأوي اليه جميع الاطيار . فاتى مكانًا ونصب فخه في التراب وجلس في دكان واختفى فيه . واذا بعصفور قد اقبل الي جانب الفخ وجعل يدور حوله وهو يقول : ما هذه الّا خلقة عجيبة . ثم نظر الى الفخ وهو مطمور في التراب . فسلم عليه . فردَّ عليه قائلًا : عليك السلام ورحمة الله وبركاته . ثم قال له : اهلًا وسهلًا بالاخ الصديق والصاحب الرفيق . لا يدخلنَّك الفزع ولا يعترِيَنَّك الجزع . فاني لك من الامناء والاصحاب الصادقين . فقال لهُ العصفور : بالله عليك من انت حتى لا ارتعد منك . فما اسمك وما هي كنيتك ولمن من القبائل تنسب . فقال له : اسمي ضابط وكنيتي ابو رابط . فقال لهُ العصفور : صدقت . الاسم اسمك والكنية كنيتك . وانت من اشرف القبائل ولا شك ولا شبه . فقال الفخ : من اين ترى مثلي ام بشبهي ام بعقلي . وانا رجل عابد صالح زاهد . ما لي مأوًى سوى رؤوس الجبال . وبطون الاودية العماق الطوال . ومن هذه الجهة اسمي وكنيتي . وانا للخير ضابط . وللنعيم رابط . فقال له العصفور : صدقت طوباك ما اعبدك وما ازهدك وما احسن ادبك . يا ليتني كنت شعرة في جسدك . فقال لهُ الفخ : انت اخي في الدنيا وفي الآخرة . قال لهُ العصفور : يا اخي احب ان اسألك عن اشياء خفية . قال له الفخ : اسأل عمَّا بدا لك لاني انبئك امري واكشف لك سرّي وما اكتم عنك شيئًا . فقال له العصفور : يا اخي ما لي اراك قد سكنت التراب . وتباعدت من الاهل والاصحاب والقرائب والاحباب . قال لهُ الفخ : ما علمت يا اخي ان الخلوة مقيمة والبعد من الناس غنيمة . والانفراد من العالم نعمة جسيمة . وقد قال فيها بعض الشعراء كن من الناس جانبًا . كي يحسبوك راهبًا .

حكاية

العصفور والفخ والصياد

بغلتي الى هذه العجوز ودخلت اصلي صلاة الجمعة . فاتممت الصلاة وطلبت منها البغلة . فاجابت بالانكار . فقال القاضي : ما تقولين انتِ يا حرمة . اسمعتِ ما قال زوجك الخواجا . فقالت العجوز : نعم انا ما عندي خلاف . اعلم يامولانا القاضي اطال الله بقاك . وجعل الجنة مأواك . فانا لا تأمل مني محصول دراهم او مصريات لاني انا حرمة مسكينة وفقيرة الحال وعاجزة وانت ناظر حالتي . وترلت ابيع هذه الدجاجة من ضيقتي ومن جوعي . فصادفني هذا الخواجا على باب الجامع وكانت هذه الصدقة ساعة سوداء ويريد يأخذ مني هذه الدجاجة بلاش بدون قيمتها . وله من بكرة الى هذا الوقت يخاصمني واخاصمهُ وما كان يفارقني ويعتقني حتى ابيعها لغيره . ويعش رأس مولانا القاضي . فتبصر في دعواي هذه فهل له عليَّ حق بان يأخذها مني واموت من جوعي . وكان القاضي اطرش ايضاً . فقال القاضي : يا خواجا ثبت عندي الحق عليك ووقع عليك الطلاق . وقال : هاتي يا حرمة كتابكِ حتى نأخذ لكِ المهر المؤخر من زوجك . فعند ذلك قال المحضر : هذا الذي قاله القاضي قلته لكم . انت يا خواجا ملزوم بكسوة ست سنين . ايش يا حرمة أتصبرين عليه حتى يروح يعطيكِ من البيت او نحبسه لكِ حتى يرضى خاطركِ عليه . (قال) ثم ان العجوز رمت الدجاجة في صدر الخواجا وقالت له : خذها الله لا يعوضك بركة فيها . (قال) فتقدم المحضر واخذ الدجاجة وقال : هذه موضع خدمتي . وانت يا خواجا رُح اصطلح مع زوجتك . (قال) فعند ذلك ضحك الحاضرون من هذه الحكاية مع جوقة طرشان وفتشوا على البغلة رأوها سارية فمسكوها واعطوها للخواجا . ولمّوا للعجوز مصريات جيدة واعطوها اياها وراح الجميع في حال سبيلهم . ولله الحمد

وتشبع موتاً ما اعطيك هـذه الدجاجة الّا بخمس قطع . قال الخواجا : اصبري
يا عاهرة يا مناصفة حتى اجيء لكِ بمحضر يجرّك الى الشرع . (قال) فما كمل كلامه الّا
ومحضر قد اقبل اليه . فقال الخواجا : تعال يا محضر واسحب لي هذه العجـوز الى
المحكمة . فقال المحضر : يا خواجا اصبر لعلنا نصلح بينكما ونفهم ما اصل حكايتكما .
فقال الخواجا : اني رجل مواظب على الصلاة والخمسة الاوقات وقد ادركتني الصلاة
عند هذا الجـامع فسلمت البغلة الى هذه العجوز ودخلت الى الصلاة وصليت ما
عليَّ من الفرائض وخرجت اطلب البغلة فانكرت وقالت لي : انا ما رأيت بغلة . وهذه
حكايتي والسلام . فقال المحضر للخواجا : انا فهمت كلامك لكن اصبر عليَّ حتى افهم
كلام العجوز . ثم ان المحضر قال : يا عجوز ما تقولين انتِ . قالت العجوز : يا محضر اعلم
انني حرمة عاجزة ومسكينة وضعيفة الحال وانا عريانة ما عندي شيء استتر بهِ وانا في
شدة من الجوع فرأيت عندي هذه الدجاجة وما انا في عازتها . فنزلت حتى ابيعها واستعين
بثمنها على الجوع واذا هذا الخواجا قد اقبل عليَّ ويريد يأخذ الدجاجة مني بلا شيء .
وهذه حكايتي والسلام . (قال) وكان المحضر اطرش ايضاً لا يسمع ولا يفهم . فقال
المحضر : يا خواجا هذه الحرمة تقول انها زوجتك وانت غير قائم بحقوقها وهي عريانة
وانت مكتسٍ . فقال الخواجا : والله يا اخي سلمتها البغلة في يدها ومعي عليها بينة من
المسلمين . فقال المحضر : يا عجوز هذا ما هو انصاف منكِ ليش عند ما يطلب زوجكِ شيئاً
تمانعيه وتعالجيه هذا حرام عليكِ . شرط المرأة ان تكون في طوع زوجها . فقالت العجوز :
يا اخي انا ما اعطي هذه الدجاجة الّا بخمس قطع فهل أُجبَر . ولكن اكراماً لخاطرك
اعطيه اياها باربع قطع . فقال المحضر : والله العظيم من طول عمري اقضي مصالح الناس
ومثل هذه المصلحة ما رأيت قط عسرة . كلما نحلّهـا من جنب تنعقد من جنب .
فلا حول ولا قـوة الا بالله العليّ العظيم . ولكن ما بقي يفكّ هـذه الدعوى الّا
القاضي . فما زالوا على هذا الحـال الى ان اتوا الى مولانا القاضي . فقال المحضر :
تقدم يا خواجا وادّعِ عليها . فتقدم الخواجا وقال : اعلم يا مولانا القاضي اني سلمت

يمكن ان اعطيها انقص من خمس قطع فلا بقيت تعالجني نحت قلبي . (قال) فظن الخواجا انها تقول لهُ اخذت البغلة الى بيتي وما قادرة ان احضرها لك . فقال لها : يا عجوز انا اروح الى بيتكِ وآخذ بغلتي ولا يحتاج الامر الى ان تروحي معي بل اذكري لي علامة حارتكِ وبيتكِ وانا فهيم اسأل عن بيتك واحضر بغلتي . فقالت العجوز : يا خواجا هذه الدجاجة مربّاة ومعلوفة وسمينة ومليحة جدًّا ولا يمكنني ان اعطيها باقلّ من خمس قطع . (قال) وظن الخواجا ان العجوز تقول لهُ هذه البغلة مليحة جدًّا البائن عليها انها مربّاة مثل دجاجتي هذه . فقال لها الخواجا : يا عجوز هذه البغلة لا تاكل الا شعيرًا منسوفًا مغربلًا مصولاً على قلب الطاحون وأقف انا على عشاها بنفسي ومـا آمن لاحد من الخدام ان يقرب الى هذه البغلة . الا يا عجوز يقولون في الامثال السائرة : لولا المربي ما عرفت ربّي . ومهما تحطي في الطنجرة يطلع في المغرفة . قالت العجوز : يا خواجا ان سألت عن هذه الدجاجة فانها تربَّت على يديَّ واكتافي وهذه الدجاجة انيسة ولطيفة ومدللة وانا قبل ان اتغدى اغديها . فعند ذلك قال لها الخواجا : بلا مصاحبة ولا تطويل كلام انا رجل معروف بين الناس وعليَّ مصالح كثيرة معجّلة اشتغل بها والنهار قصير ما يقف ينتظر والدنيا متعبة . قومي هاتي بغلتي حتى اروح الى اشغالي . قالت العجوز : يا خواجا الى متى تتعب قلبـك وتتعب قلبي بلا فائدة اما قلت لك اقصر عن هذا الكلام والمصاحبة التي بلا فائدة هات خمس قطع وخذ الدجاجة الله يهنيك بها . فقال لها الخواجا : بلا لعب قومي هاتي البغلة . فقالت العجوز : يا خواجا كلمة فَرْدَة ما تصير باقل من خمس قطع . قال الخواجا : بائن عليك انكِ عجوز نحس مناصحجية ولعابة مناصف قومي هاتي البغلة بسرعة لاخلّي الدنيا هذا الوقت ما تسعكِ . قالت العجوز : بحياتك يا خواجا كيف انت تاكل وتشرب على هذا الشحّ والتقريط وهذه الخسة التي فيك . ان اعجبتك بخمس قطع فخذها بخمس قطع والّا فامض في حال سبيلك واعتقني لوجه الله . قال الخواجا : يا عجوز بلا معالجة انت تسلمتِ بغلتي بيدكِ وعندي بينة من المسلمين تشهد عليك وبغلتي بمائة دينار . قالت العجوز : يا خواجا تطلّع فيَّ هنا ان كنت تموت

بسم الله الرحمن الرحيم وبهِ ثقتي امين

وايضاً نكتب حكاية جرت بين رجل خواجا وامرأة عجوز

حكي والله اعلم في غيبه واحكم فيما مضى وتقدم وسلف من احاديث الامم. انه كان في قديم الزمان. وسالف العصر والاوان. عجوز طرشاء خوتاء لا تفرق الطين من العجين. فيوماً من الايام ضاقت بها الاخلاق وضاق ما بيدها من مقام المعاش. وكان عندها دجاجة سمينة حسنة. فقالت في نفسها: والله لاقومنّ اروح ابيع هذه الدجاجة واستريح منها ومن تعبها. (قال) وكان ذلك اليوم نهار جمعة. ثم ان العجوز الطرشاء اخذت الدجاجة وسارت بها الى ان اتت باب الجامع فوقفت في باب الجامع تنتظر الى ان تخرج الناس من باب الجامع ومن صلاة الجمعة ويشتروا الدجاجة منها. فبينما هي على هذه الحالة اذا برجل خواجا قد اقبل على العجوز وهو راكب على بغلة مليحة الشمائل. فلما راى العجوز جالسة على باب الجامع قال لها: بالله عليكِ يا عجوز امسكي لي هذه البغلة الى ان اصلي صلاة الجمعة واجركِ على الله تعالى. وكان الخواجا صاحب البغلة اطرش ايضاً. ثم ان العجوز الطرشاء ما سمعت ما قال لها بل انها ظنت انه يخاطبها على الدجاجة ويقول لها: بكم هذه الدجاجة. فقالت لهُ: يا خواجا هذه الدجاجة سمينة ومليحة وما تصلح الّا لجنابك وايش ما هان عليك هات من مالك. (قال) فظن الخواجا الاطرش انها تقول لهُ ادخل وصلّ وتعال خذ البغلة. ثم ان الخواجا نزل من على البغلة ودخل الى صلاة الجمعة. فمضت البغلة الى حال سبيلها. ثم ان الخواجا صلى صلاة الجمعة وخرج يطلب البغلة من العجوز. فلما رآها ولم يرَ البغلة قال لها: يا عجوز اين البغلة هاتي البغلة. وزاغ نظره في وجهه على البغلة. فقالت له العجوز: يا خواجا أما قلت لك ايش ما هان على خاطرك هات من مالك. هذه دجاجة سمينة ومليحة جدًّا ومعلوفة وما تصلح الا لك. قال لها الخواجا: يا عجوز اين حططتِ البغلة حتى اروح اجيء بها عنكِ لانكِ حرمة وضعيفة المزاج. قالت العجوز: يا خواجا بحياة رأسك لا تعاجلني لان علاجك في هذه الدجاجة يروح بالباطل ولا

حكاية

الرجل الخواجا مع المرأة العجوز

الحرامية سابقاً الذي صار السبب في تعريفه به وبخلاصه وقال: كل من يحبني ويحب خاطري يخلع عليه . فصار اكابر الدولة يخلعون عليه بكرم زائد محبةً بالملك وابنه حتى تغلب من حمل الخلع وكثرة الاموال وولّاه الملك شرطة بلده . ثم بعد ذلك امر الملك بان ينصبوا في جانب تلك الخشبة تسع خشبات اخر على عدد العشرة الوزراء . ثم قال لولده: أما كان لك ذنب الى هؤلاء الوزراء السوء الذين كانوا يسعون في قتلك ليلاً ونهاراً على الدوام بلا فتور . فقال ابن الملك : يا ابي وحياة رأسك ما كان لي ذنبٌ سوى نصحي لك ولدولتك ولاني رفعت اياديهم عن خزائنك واموالك فغاروا مني وحسدوني وارادوا قتلي . فقال الملك: ما كان قد دنى الوقت يا ولدي والآن فما ترى من الرأي ان اصنع بهم مكافأةً لما صنعوا بك واجتهدوا الجهد الكلي حتى يشهروك في هذا الذنب الذي انت بريء منه ويصلبوك ويسقطوا حرمتي بين الخاص والعام وبين الملوك . ثم ان الملك التفت الى الوزراء وقال لهم: يا ويلكم ما اشرّكم واكذبكم واي شيء بقي لكم من العذر . فقال الوزراء: هل ابقيت لنا عذراً نعتذر به كفى السوء بفعلهِ . أردنا الى هذا الغلام الفعل الردي فانقلب علينا . ضمرنا له الشر فوجدناه . حفرنا له بئراً فسقطنا نحن فيها . وكل من يزرع الشر فلا بد ان يحصد الندامة التي بلا فائدة . وكل من يزرع الخير فلا بد يلتقيه باحسن منه . ثم قال الملك للجنود : شيلوا بهم الى تلك الاخشاب التي لهم في جانب تلك الخشبة التي نصبوها لولدي وارادوا ان يصلبوه عليها . لان الله سبحانه وتعالى هو عادل ويقضي بالعدل ويعطي للانسان على قدر نيته وفعله . وهؤلاء اختاروا السوء لولدي فاصابهم ما اختاروا . ثم اخذوهم وصلبوهم بجملتهم كل واحدٍ منهم على خشبة . ثم انه ضبط اموالهم وارزاقهم واملاكهم وجميع مقتناهم . ثم بعده احضر اعيان البلدة و بوجودهم بايع الملك لولده وألبسه التاج وملكه عوضه في حياته . فصار يرعاهم مثل ابيه الى انتهاء الاجل امين

الجبل ايقن وحقق انه ولده بتحقيق. فزل عقله من فرحه وكان قد صار في حالة المجانين من زيادة فرحه وكاد ان يفقع من غيظه. فصرخ باعلى صوته ورمى نفسه عليه وعانقه وبكى وقال: كنت اودّ ان اموت ندماً عليك. ثم حل كتافه ورمى التاج عن رأسه ووضعه على رأس ولده وصار فرح عظيم في المدينة كلها وضُربت الطبول والبوقات وكان يوم فرحٍ عظيم لم يصر مثله في العالم حتى وقع الطير في الهواء من شدة الغلبة والضجيج وزفّهُ الناس زفًّا عظيماً. ثم دخل الدار فخرجت امه والقت نفسها عليه وفرحوا الفرح العظيم الذي لا يمكن وصفه. هذا ما جرى للصبي. واما الوزراء السوء قد وقعت عليهم ريح السكتة والسهوة والخذلة. ثم جلس الملك وولده بين يديه ثم امر الملك بدخول خواصه واكابر بلده عليه فجلسوا كل واحد منهم في مقامه. فخرج السماط ودار المشروب الملوكي في كاسات الذهب فاكلوا وشربوا ولذوا وطربوا ولكن في قلب الوزراء همّ عظيم وقلق جسيم. ثم التفت ابن الملك الى الوزراء وقال لهم: علمتم يا سادتي يا مدبري الملك كيف فرج الله وفعله بتقيه وعاملي رضاه. فلم ينطقوا بكلمة الفرد قطعاً. فاجابهم ابن الملك قائلاً: لماذا لا تنطقون ولا تهرجون كما كنتم سابقاً تحدثون الملك على فضيحتي وتحثونه بكل جهدكم على ان يقتل من سبى حرمته ويستر نفسه وعرضه بقتل من لم يعمل سوءًا. فلما فرغ الغلام ابن الملك من هذا الكلام قال الملك ازادبخت: انه كفاني الله العظيم ما بقي احدٌ الّا وقد فرح حتى الطير الذي في السماء. وانتم يا ايها الوزراء قد ضاقت صدوركم فهذه اعظم عداوة لي. ولو انني كنت سمعت منكم وما تأنيت في عاقبة امر الله لكان ضاق صدري وندمت ندامة بلا فائدة الى آخر حياتي وطال حزني وعدمت الراحة ثم عدمت حياتي. فقال ابن الملك: يا ابي لولا حسن ظنك ونظرك الى عواقب الامور لما كان صار لك الفرج. ولولا رفقك وكشفك عن حقائق الامور لزاد بكَ الندم العظيم والحزن الطويل. وانما كان هذا من حسن همتك وعدلك وشفقتك. ومن طلب العجلة ندم الندامة العظيمة بلا فائدة. (قال) ثم ان الملك امر بالخلع على ذلك الرجل رأس

الى ظاهر البلد . فلما ارادوا ان يصلبوه اذا بحرامية قد اتوا عليهم بالسيوف والعدد . فتركهم الجند وهربوا في موضع وهرب المسجون في موضع آخر ومن خوفه من الصلب هرب وغاص في البرية فما احسَّ بنفسه الّا في وسط دغلة . واذا قد ظهر عليــه سبع مهول . وكان هو في وقته متكلًا على الله تعالى ان يفرج عنه . واذا قد خطفه السبع وحطه تحته . ثم اتى وعمد الى شجرة فقلعها وغطاه بها وانصرف وغاب في الدغلة في طلب اللبوة زوجته . فقــال الرجل في نفسه : ما هذا الوقوف ههنا وما هو انتظاري . ثم نهض ونثر الورق عنه ثم نظر عن يمينه فرأى من عظام بني آدم هناك شيئًا كثيرًا من اكــل السبع ونظر ايضًا الى كومة ذهب احمر ممدود طول هميان وعرضه كذلك مطروح . فتعجب الرجل وجعل يملأهُ في حجره وخرج من الدغلة هاربًا على وجهه ولم يلتفت يمينًا ولا شمالاً من خوف السبع . ولم يزل هاربًا حتى وصل الى قريته وقومه . فرمى نفسه كانه ميت الى ان طلع النهار . وحظي بالذهب وفرج الله تعالى عنه

فلما سمع الملك كلام الغلام قال : كم تخادع في الكلام فقد حان وقت صلبك . ثم امر الملك بصلبه . فاحاطت به الجنود وكتفوه وهمُّوا ان يرفعوه على الخشبة . واذا برأْس الحرامية الذي كان وجده عند الماء وربَّاه قد وصل في تلك الساعة . فسأل : ما هذا الجمع وما هذه الغلبة التي ههنــا . فاخبروه بان غلام الملك يريد الملك قتلــه وامر بصلبه وخبره كان كذا وكذا . فتقدم رأْس الحرامية الى قرب من الصبي فنظر اليــه وعرفه . ففي الحال اعتنقه وقبله في فمه وقال : والله العظيم هذا ولدي وقد وجدته تحت ذيل الجبل عند العين الفلانية وكان ملفوفًا في جبةٍ من الديباج وهي عندي الى الآن وقد ربيته وصار يقطع الطرق معنا . وفي بعض الايام نزلنا على قافلة فقدروا علينــا وهزمونا وجرحوا منَّا اناسًا واخذوا منَّا هذا الغلام ومضوا . ومن ذلك اليوم الى الآن اطوف عليه البــلدان والقرى والقصبات فلم اجد لهُ خبرًا ولا جابت اثرًا وهذا هو بعينــه . فلما سمع الملك ذلك الخبر وانه وجده ملفوفًا في جبةٍ عند عين ماء في ذيل

شكلاً . ثم قال الملك : انا ما اخرته الّا من كثرة كلامه واطالة حديثه . ولكن لا بدَّ من قتله على رؤوس الشهود واريد اليوم ان يُنصب لهُ خشبة في آخر المدينة ويخرج المنادي ينادي باعلى صوته : هذا جزاء واقلّ جزاء من قرّبهُ الملك اليه فخانه . فلما سمع الوزراء ذلك عظم فرحهم ولم يناموا تلك الليلة من فرحهم بل أتوا الى بعضهم بعض بهناءٍ وفرح . ونادوا في البلد بما امر الملك ونصبوا الخشبة . واتوا الى باب الملك ودخلوا عليه في الغد باكرًا وقالوا لهُ : ايها الملك اجتمع الناس والعالم بوجه العموم من الباب الى عند الخشبة لينظروا امرك النافذ في الغلام

اليوم الحادي عشر

فلما كان اليوم الحادي عشر امر الملك باحضار الغلام فحضر . فالتفت الوزراء اليه وقالوا لهُ : يا رديء الاصل أبقي لك طمع في الحياة بعد اليوم او ترجو الفرج . فقال لهم الغلام : اذا كان الانسان مظلوماً يأتيه الفرج من الله تعالى . وربما يرد الفرج من وسط الشدة والحياة من وسط الموت كما اتى الى الرجل الاسير الذي فرج الله عنه . فقال الملك : يا ايها الغلام يا فصيح الكلام . يا مخادع في ضرب الامثال . ومليّن القلوب في الاقوال . تكلم آخر كلامك وتودَّع من الدنيا واخبرني كيف كان حديث وقصة الرجل الاسير وكيف فرج الله عنه

حكاية الرجل الاسير

قال الغلام : ايها الملك ذكروا انه كان ملك وكان قصرهُ قريباً مشرفاً على الحبس . وكان في كل ليلة من الليالي يسمع قائلاً يقول : يا من فرجه قريب الفرج فرّج عني . فغضب الملك في ذاته وقال : هذا الاحمق يرجو الفرج مع ذنبه . فسأل الملك جماعته وقال : من في هذا الحبس محبوس . فقالوا لهُ : قوم قد وجد عليهم دم . (قال) فامر الملك باحضار ذلك الاسير بين يديه . فقال لهُ الملك : ما احمقك يا قليل العقل ترجو الخلاص من هذا السجن وذنبك عظيم . ثم انفذه مع جماعة وقال لهم : خذوه واصلبوه في ظاهر البلد . وكان الوقت ليلاً فاخذه الجند واخرجوه

اليها وهي نائمة وقعد عندها ووضع قلب الهدهد على صدرها . ثم صبر ساعة وقال لها : شاه خاتون أهكذا كان جزائي منكِ . فقالت له : وما هو الذنب . فقال : اي ذنبٍ تريدين اقوى من هذا . ارسلتِ خادمك واحضرتِ هذا الصبي لهوى قلبك حتى تقضي منه هواكِ . فقالت : ما اعرف في غلمانك الطف منه ولا اتقى منه ولا اعزّ منه . فكيف كنت اطلب هذا من العبد لاجل الهوى . فقال لها : لماذا تعلق قلبكِ في حبه وقبلته في خديه . فقالت : لانه ولدي وقطعة من كبدي فمن حبي له وحنوّي وشوقي لم اقدر ان اصبر الّا وثبت عليه وقبلته . فلما سمع الملك منها ذلك تحير واندهل من ذلك وقال : ما لكِ حجة في ذلك انه ابنكِ لان ابنكِ قد ذبحه عمه البلهوان وبعد هذا فخط عمك سليمان شاه معي بانه قد ذبحه عمه . فقالت : نعم ذبحه ولكن ما قطع الزلعوم وخيطهُ الجرائحي وطاب لان اجله ما كان دنا . فلما سمع الملك ذلك قال : قد كفاني هذه الحجة وقام من وقته وساعته في الليل واحضر الغلام والخادم وفتش حلقه بالشمعة فوجده مذبوحاً من الاذن الى الاذن وقد اندمل وبقي موضعه ممدوداً مثل الخيط . فعند ذلك خرّ الملك ساجداً لله كيف ما ذُبح وكيف خلص من الاسر ومن الوقوع من القلعة ومن الحرامية وكيف خلص من الاسر ومن السجن ومن القتل

وانت ايها الملك اعلم هل نجاه من ذلك غير الله تعالى جلّ اسمه . وكذلك عبدك ايها الملك ومملوكك فلي عمر ابلغه ومدة استوفيها لا هو بجوصي ولا بتأخيري ولا بتأخير الملك . لكن ارجو من الله ان ينصرني على هؤلاء الوزراء السوء بالحق . (قال) فلما فرغ من حديثه تعجب الملك عجباً عظيماً وقال : لا حولَ ولا قوةَ الّا بالله العليّ العظيم ردُّوه الى الحبس . فلما ردوه التفت الملك الى الوزراء وقال لهم : هذا الغلام قد ايقن بالموت ولاجل ذلك يطول لسانه عليكم . واما انا فاني عارفٌ بلا شك بشفقتكم على دولتي ونصحكم لي . فطيبوا خاطركم وقلوبكم وابشروا بقتله . فلما سمع الوزراء من الملك هذا الكلام فرحوا بقتله فرحاً عظيماً وبقي كل واحد منهم يقول

عليها قصتها من اولها الى آخرها وان الغلام هو ابنها . فعند ذلك خرّت العجوز ساجدة لها وقالت : هذا امرٌ هيّنٌ . فقالت شاه خاتون : يا امي والله العظيم انهُ اختار هلاكي وهـلاك ولدي . وان دعوته تلك الساعة ولدي لم يصدقني ويقولون : الآن دعته والدها لترد عن نفسها العار . ولا ينفعني فيه الا الصبر . فعجبت العجوز من كلامها وعقلها وقالت : يا بنتي ان الامر كما تقولين . ولكن ارجو من الله انهُ يظهر الحق وانتِ ساكتة وانا في هـذه الساعة ادخل الى الملك واسمع كلامه وآمر في ذلك امرًا ان شاء الله تعالى . فدعت لها شاه خاتون وشكرتها . ثم قامت العجوز ودخلت على الملك فرأت رأسه بين ركبتيه وهو متألم فجلست عنده مقدار ساعة ولاطفته بالكلام ثم قالت له : يا ولدي قد حرقت قلبي لان لك اياماً عديدة ما ركبت للخيـل للسيران فما ادري ما بك . فقال لها : يا امي من يد هذه الملعونة لاني قد احسنت ظني بها وفعلت ما كذا وكذا . واخبرها بالخبر من اوله الى آخره . فقالت لهُ العجوز : وهذا قلقك كله لاجل امرأة لا قدر لها . فقال لها : وكان في ظني ان اقتلهم قتلة لم يكن اعظم منها ليتوب جميع الناس . فقالت لهُ العجوز : يا ولدي اياك من العجلة فانها تورث الندامة وهذا لا يفوت . فاذا تحققت هذا الامر فافعـل بهم مهما تريد . فقال الملك : يا امي وهل يحتاج هذا الامر الى تحقيق فهي ارسلت خادمها وراءهُ وجاء به . فقالت العجوز : ههنا امر نقررها بهِ وينكشف لك كلامها وكل ما في قلبها . فقال الملك : وكيف ذلك . فقالت للملك : أُحضر لك فؤاد هدهد واجيء بهِ لك فخذهُ وادخل اليها وهي نائمة وحطه على صدرها واسألهـا عمّا تريد وتشتهي وهي تخبرك بالجميع وتظهر لك الحق . ففرح الملك وقال لها : عجلي بهذا الامر ولا يعلم به احدٌ . فقامت العجوز ودخلت الى شاه خاتون وهي متنكرة ولم يرها احدٌ وقالت لها : ابشري بالفرح قد قضيت الشغل وانه في هذه الليـلة يدخل الملك اليكِ فلا تنتبهي واظهري له نفسك كانك نائمة . وكلما سألكِ عن شيء وانتِ نائمة اجيبيه عما في خاطركِ . فشكرتهـا شاه خاتون . ومضت العجوز واحضرت قلب هدهد واعطته للملك . فما صدق حتى جنّ الليل فجاء

الملك . فخرج وهو يرجف كالقصبة . فرآه الملك وقال لهُ : ايش هو خبرك . فقال : ايها الملك واي خبرٍ يكون اعظم مما رأيته . فقال الملك : وما هو الذي رأيته . فقال : هذا الغلام الذي جاء مع الخادم انما جاء به لاجل شاه خاتون . لانني عبرت في هذه الساعة فرأيت الغـلام في باب الحجرة وهي قائمة تنظره . ثم وثبت عليه وحضنته وقبلتهُ في خده . (قال) فلما سمع الملك ذلك اطرق باهتاً . ثم استوى جالساً وقبض على لحيته وهزها وكاد ان يقلعهـا . ثم قام من وقته وساعته وقبض على الخادم والغلام وسجنهما في حبس تحت الارض ودخل على شاه خاتون وقال لها : لقد احسنتِ والله يا بنت الناس والحرائر يامن خطبوها من البلاد البعيدة لطيب ذكرها وحسن سيرتهـا وطيب الاخبار عنها . فما احسن ما بان لي جوهرك وطبعك . لكن لعن الله من كان ظاهرها بخلاف باطنها . فهذه صورتك ظاهرها مليح و باطنهـا قبيح . فلاجلك يتعجب كل من ولد من اولاد حواء . وهذا اللئيم الذي قد انفذتهِ قاصداً بحجة جئتِ بهِ ونكستِ بهِ رأسي وادخلتهِ في داري وفضحتني فسوف ترين مـا اصنع بكِ وبهِ . ثم بصق في وجهها وخرج . واما شاه خاتون فلم تتكلم بل قالت : لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم . وعرفت انها لو تـكلمت ذلك الوقت بشي . لم يصدقها احدٌ ويكون قد ضاع كلامها . ثم قالت : يا الله انت علّام الخفايا والظاهرات والباطنات وان لنا اجلًا مؤخرًا فلا يتقدم وان كان متقدماً فلا يتأخر . (قال) فمرَّ على ذلك ايام وقد وقع الملك في الحيرة وامتنع من الاكل والشرب وبقي لا يدري ما يصنع ان قتل الغلام والخادم لا يشتفي خاطره . وكان يقول : ليس لهما ذنب لانهـا هي ارسلت احضرته . وان قتلتهم جميعاً فـلا تسمح نفسي بذلك . وان عجلت في قتلها اخاف خوف النـدم واقع مريضاً . ثم ان الملـك كان لهُ داية مربية قد تربَّى في حضنهـا وهي عجوز عاقلة مشهورة بالفضل فنظرت حاله مغيرًا ولم تقدر تسأله . فدخلت على زوجته شاه خاتون وسألتها عن خاطر الملك . فقالت لها : يا امي ما اعلم . فلم تزل العجوز تلاطفها وتسألها حتى حلفتها انها تـكتم سرها . فحلفت العجوز انها تـكتم جميع ما تقوله لها . فقصَّت

رحمة منه . وشكروا الله على وصولهم الى ذلك الموضع . ثم التفت الملك الى الخادم وقال له : من هو هذا الغلام الذي معك . فقال الخادم : انهُ ابن دايةٍ كانت عندنا وامه توسلت اليَّ وقالت لي : خذه معك ليخدمك ويخدم الملك الله يحفظه . فجئت بهِ وهو غلام لبيب ذكي العقل والمعرفة . ثم سار الملك والخادم صحبته والغلام . ثم ان الملك صار يسأل الغلام عن الملك البلهوان وكيف سلوكه مع رعاياه . فقال الغلام : وحياة رأسك يا ايها الملك العزيز ان الناس في ضررٍ منه الخاص والعام لا يشتهون بقاءه ولا ساعة واحدة . ثم ان الملك ما صدق حتى دخل الى البلد وأتى سريعًا الى شاه خاتون وقال لها : ابشري بقدوم خادمكِ . وصار يحدثها بما صار . فلما وصل حديثه الى البئر وانه وجدهما مكتفين تغير وجهها وارادت ان تصيح فمسكها عقلها . فقال الملك : لماذا تغير لون وجهك أأسفًا على المال كيف ذهب او حزنًا على الخادم . فقالت : لا وحياة رأسك يا ايها الملك ما هو الا فزعًا مما حدثتني بهِ من اصعب الامور لان النساء ضعيفات القلوب . (قال) ثم ان الخادم دخل عليها وعرفها بما جرى له من الاول الى الآخر . وحكى لها عن امر ولدها وما لقيهُ من الشدائد وكيف عمه البلهوان عرضه للقتل وكيف استأسروه ورموه من اعلى القلعة ونجاه الله تعالى وحدثها بواحدة فواحدة وهي تبكي . ثم قالت له : لما رآهُ الملك وسألك عنه ماذا قلت له . فقال الخادم : قلت له انه ابن دايةٍ كانت لنا وتوسلت ان آخذه معي ليخدمني ويخدم الملك . فقالت له : لقد احسنت بكلامك جدًا . ثم وصته بخدمته . ثم ان الملك قال للخادم : توصَّ في خدمة الغلام الذي جئت بهِ معك . وكتب الى الغلام ان الذي يدخل ويخرج من الدار يكون كل شيء على يده وهو يقف في خدمة الملك . واما امه شاه خاتون فكانت تقف له في الطاقة حتى تنظره وهي تتقلَّى ولا تقدر تتكلم . فمرَّ على ذلك زمان طويل وقد غلبها الشوق . فوقفت لهُ ذات يوم في باب الحجرة وحضنته وضمته الى صدرها وقبلتهُ في خديه . فحاجب دار الملك كان خارجًا من عند الملك فنظرها وهي تعانقه فبقي باهتًا . فسأل وقال : لمن هذه الحجرة . فقالوا له : لشاه خاتون زوجة

نعم . فقال لهُ : ابن من انت من هؤلاء القاطنين بالقرية . فقال لهُ : انا رجل غريب . فلم يزل الخادم يسألهُ وهو يخبره حتى عرفهُ . فقام اليه واعتنقه وبكى رحمة لهُ ولسوء حاله . ثم عرَّفه انه آتٍ في طلبه بالسرّ من زوج امه ملك الروم . وعرَّفه ان امه تريد ان يكون طيبًا بالعافية ولا تراهُ . ثم انهما قاما ودخلا الى القرية فاشترى لهُ الخادم فرسًا وركبه وخرجا من القرية . ولم يزالا سائرين حتى وصلا الى نحو بلدهما فوقع عليهما حرامية واخذوا كل ما كان معهما وكتفوهما ورموهما في بئر في ناحية في الطريق ومضوا الى حال سبيلهم . وكان في تلك البئر خلق كثير قد فعلوا بهم كذلك مكتفين في البئر . فجعل الخادم يبكي . فقال لهُ الغلام : ما هذا البكاء وما يفيد . فقال الخادم : والله ما هو بكائي خوفًا من الموت ولكن بالأكثر اسفًا عليك من سوء هذا الحظ الذي لك ومن اجل قلب امك وما صادفت من الاهوال فيك . ثم كان موتك بعد هذه الاهوال ومقاساة كل شدة هذه الميتة الذليلة . فقال الغلام : جميع ما جرى عليَّ مكتوب ومايقدر احدٌ ان يمحاه . وان كان اجلي قد تقدم فما يقدر احدٌ ان يؤخره . ثم بقيا يومين وليلتين حتى خفتا وصارا يئنَّانِ من الشدة والجوع . فاتفق بقدرة الله ان ملك الروم وخاصته قد نظروا صيدًا فجدُّوا في طلبه ومسكوه عند تلك البئر . فنزل غلام الملك ليذبحه فجاء في اذنه عند رأس البئر حسّ انين خفيف من تلك البئر . فرجَّت يده بالسكين فقام وركب فرسه ووقف حتى اجتمع عليه جميع العسكر والملك . فاعلم بذلك الملك . فأمر الملك ان ينزلوا حتى ينظروا من في البئر . فنزلوا ورأوا الخادم والغلام على آخر نفس . فاخرجوهما وقطعوا كتافهما واسقوهما شرابًا مروقًا حتى اخذا نفسًا . فنظر الملك الى الخادم فعرفه . فقال له : يا فلان . فقال الخادم : نعم ايها الملك . وسجد بين يديهِ . فتعجب الملك عجبًا عظيمًا وقال : اذهلتني بخبرك . فقال الخادم : يا سيدي الملك يعيش رأسك الى الابد مضيت باذنك واخرجت المال وحملته الى ههنا . وههنا طلع علينا لصوص فاخذوا المال منَّا ورمونا في هذا الجب وما كان يقينهم فينا الَّا اننا نموت كما فعلوا بغيرنا . فارسل الله تعالى الملك

لي بالله وما هو. فقال الرجل: ان ابن الملكة شاه خاتون رأيته انا وجماعة من حواشي الملك البلهوان فعرَّفنا بذاته واخبرنا بخبره من الاول الى الآخر في رواحه الى بلاد الكفار وخلاصه منهم. فقال خادم شاه خاتون: الله الله سبحانه وتعالى يأتيك بالاخبار مَن لا تسأله. وفرح واحنى وجهه وسرّ قلبه وقال للرجل: الامان الامان. فقال الرجل: لك الامان ولو جئت في طلبه. فقال لهُ الخادم: الامر فيه ما كذا وكذا وان امه لا نوم لها ولا قعود ولا قرار راحة لهـا عليه. وقد ارسلتني حتى ابصر خبره وكيف حاله. فقال له الرجل: طيب قلبك انهُ في اليوم الفلاني في الشهر الفلاني كان على باب مدينة الملك البلهـوان على الماء الفلاني فكلمناه وعرفناه واعطيناه طعاماً زوادة وخرجية للطريق ودللناه على الطريق التي توصله الى بلاد الروم الى صوب بلد امه شاه خاتون وفارقناه. فدعا لهُ الغـلام وشكره ومن وقته وساعته ركب وقصد الموضع الذي ذكر الرجل له عنه. وسار على الطريق التي سار فيها الغلام. وكان كل قرية يصل اليها ويدخلها يسأل عنه ويصفه بالصفة التي وصفها لهُ الرجل. ولم يزل على ذلك حتى وصل الى القرية التي فيهـا الغلام يخدم فدخلها ونزل بها وأخذ يسأل عن ذلك. فلم يخبره احدٌ بذلك. فبقي متحـيرًا واراد الذهاب منها. فسرح فرسه وركبها وخرج وعبر في حيطان القرية فرأى بهيمة مشدودة بحبل والغلام نائم جانبها والحبل في يده. فحول وجهه اليه ولم يخطر في قلبه فكر قطعاً بسببه بل قال: ان كان الذي اطلبه اتصل حاله الى مثـل حال هذا الغلام الذي عبرت عليه وهو نائم على الطريق والتراب على وجهه فكيف اعرف هذا الشخص. فيا طول شقائي وتعبي وعنـائي كيف ادور على من لست اعرفهُ ولا اعرف شخصه ولا رأيته قط واذا رأيته بحذائي فلا اعرفه. وجعل يفكر في ذلك ويلطم على وجهه ويقول: انا من العجب في هذا الغلام انما هذا معتبر من اولاد الفلاحين. وزادت فكرته فيه. ثم رجع واتى اليه وهو نائم فنزل عن فرسه وجلس في جانبه وجعـل يتأمل في وجهه ويحدق نظره فيه ولم يزل يتنحنح ويسعل حتى انتبه الغلام واستوى جالساً. فقال له الخادم: هذه القرية هي مسكنكم. فقال:

غلام مع النــاس . ثم ان كل واحد منهم اعطاه خرجية لنفقة الدرب وقد كان معهم طعام فاعطوه اياه وساروا معه فرسخاً وابعدوه عن البلد وانصرفوا عنه . واما الغلام فانه لم يزل سائرًا ارض تشيله وارض تحطه حتى وصل الى ولاية الروم . فدخل الى قرية وسكن هناك وخدم بعض النــاس في الحرث والزرع وما يشبهه . واما امه شاه خاتون فلما عظم شوقها الى ولدها وكثر حزنها بسبب انه انقطع خبره عنها تكدر عيشها وامتنعت من النوم والقعود وهي لا تقدر ان تتكلم . وكان قد جاء معها غلام من عند عمها وكان يخدمها . فاختلت ذات يوم معه وقالت له وهي باكية : انت عندي دائمًا ههنا ولا يوم تسأل عن ولدي وانا لا اقدر اسأل عنه . وكان الغلام رجلًا عاقلًا اديبًا فقال لها : يا سيدتي هذا شيء قد كتمتوه من الاول والآن والله لو كان ولدكِ ههنا لم يمكنك ان تقرّي بهِ لانكِ تسقطين من عين الملك . ومع ذلك فانه لا يصدقكِ ان لكِ ولدًا بعد ما شاع الخــبر بان ليس لكِ ولد لاسيما عند حضرة ملك الروم زوجكِ . فقالت له : صدقت وتكلمت صوابًا وحقًا . ولكن قصدي ان تفتش عليه خفية بالسر واذا عرفت ان ولــدي حيّ فدعه يرعى الغنم في جانب هذه البــلدان واوصهِ ان لا يراني ولا اراه . فقال لها : كيف الحيلة يا سيدتي . فقالت له : هذا مالي وخزائني خذ منها كلما تحتاج اليهِ وائتني بهِ او بخبرهِ . فدبر الحيلة بينه وبينها وقال : يلزم ان تخبري زوجكِ ملك الروم بانكِ تريدين ان ترسلي خادمكِ الى بلادكِ لان لكِ مالاً كثيرًا مدفونًا لكي يجيء بهِ . ثم قالت للملك كما اوصاها غلامهـا واخذت لهُ دستورًا . فمضى في زي تاجر وذهب الى البلاد ودخلها وجعل يسأل عن الغلام ويكشف عنه الاخبار . فاخبروه انه كان مسجونًا ثم ان عمه اطلقه من السجن وارسله الى موضع الكفــار فاخذوه اسيرًا وقتلوه . فلما سمع الغلام ذلك ضاق صدره وعظم عليه الامر وما عاد يدري كيف يصنع . ثم انهُ في بعض الايام رجل من اولئــك الرجال الذين صادفوا الغلام في باب المدينــة رأى خادم شاه خاتون فعرفه وكلمه وسألهُ عن سبب مجيئه . فقال : جئت ابيع متاعًا . فقال الرجل : اذا قلت لك امرًا أتحفظه بالسرّ . فقال الغلام : قل

وبعد ذلك سألهم عن الطريق التي توصله الى البلد الذي فيه عمه ولم يعلموا انه ابن اخي الملك البلهوان لانه لم يعلمهم بذلك من الاول . فلم يزل يسير الى ان وصل الى قرب البلد وهو حافٍ عريان جوعان وقد نحل جسمه وتغير لونه . فجلس عند باب المدينة لعله يستريح قلبه واذا قد ورد جماعة من خواص الملك عمه وكانوا في الصيد . فنزلوا هم ايضاً عن خيلهم قريباً منه ليسقوها ويستريحوا هم ايضاً فجلسوا مقابله يهرجون عليه ويضحكون عليه لاجل زري الحالة . فتقدم اليهم وقال لهم : يا سادات اريد اسألكم عن شي . . فقالوا له : اسأل . فقال لهم : الملك البلهوان طيب ام لا . فقالوا : ما هو طيب . وضحكوا عليه . ثم قالوا له : يا صبي ما احمقك انت غريب وصعلوك ايش اوصلك حتى تسأل عن الملك . فقال لهم : لانه عمي . فقالوا : كانت مسألة صارت اثنتين . ثم قالوا : يا صبي انت مجنون بلا عقل نحن نعرف ان الملك ما له اقارب وانما كان له ابن اخ محبوس عنده ثم ارسله الى محاربة الكفار فاخذه الكفار وقتلوه . فقال لهم : انا هو وما قتلوني ولكن قصتي ما كذا وكذا . وحكى لهم حكايته من الاول الى الآخر . ثم انهم عرفوه فقاموا اليه وقبلوا يديه وقالوا لهُ : انت ملك وابن ملك وما نريد لك الا الخير وما نرجو لك الّا البقاء . فانظر كيف نجاك الله من هذا السجن وساله محضر الخير فاستجاب منهم واخرجوك من ذلك السجن وارسلك الى ذلك الموضع لعلمه بان كل من وصل اليه لا ينجو من الموت وقصد بذلك قتلك وهلاكك . وقد وقعت في الموت ونجاك الله منه . فكيف تريد ان تعود اليه وتقع في يد عدوك . فوالله والله ارحم نفسك وفز بروحك لعلك تكون تخدم الله على وجه الارض ولا تقع في يده فانه غير ممكن ان يعفو عنك . فشكرهم على ذلك وقال لهم : جازاكم الله عني كل خيرٍ لقد نصحتموني فاين تأمروني ان اذهب . فقالوا له : الى بلاد الروم الى امك شاه خاتون وانه ممكن ان تشهر امرك لزوجها ملك الروم . فقال لهم : ان جدي سليمان شاه لما كاتبه ملك الروم في خطبة امي اخفى امري و كتمت امي ذلك فلا يمكنني ان اكذبها . فقالوا له : صدقت ولكن نريد نفعك ولو خدمت حسب

وهذا الغلام فليس له ذنب . فقال البلهوان : لقد تكلمت حقًّا وصدقًا ولكن اخاف من مكره وشرّه وعاقبته لانه ربما يميل اكثر الناس اليه . فقال الوزير : ايها الملك ما الذي يفعله هذا وما هي قدرته . وان كنت تشاء ارسله الى بعض اطراف البلدان . فقال البلهوان : اننا نصيّره مقدمًا على الطريق الفلاني . وكان ذلك مقابل طائفة الكفار وقصده في ذلك قتله . ثم انه امر باخراجه وقربه اليه وخلع عليه باكرام وفرح الناس به فرحًا عظيمًا وغفر له زلاته وانفذه الى تلك الناحية وجمع له رجالاً . وكان كل من تولّى ذلك المكان لا يموت الَّا قتلًا او يأخذونه اسيرًا . ثم ان ملك شاه بعد ان وصل الى تلك النواحي هو وجماعته كبسهم الكفار في ليلة من الليالي وامسكوا ملك شاه وهرب جماعته واصحابه . فاخذوه ورموه بين اناس موءمنين أسراء في الجب الذي كان الكفار يرمون الموءمنين فيه . فلما رأى الأسراء الموءمنون شبابه وحسنه ضاقت صدورهم لاجله . وبقي اسيرًا سنة في اسوإ حال وفي كآبة وحزن شديد . فلما كان رأس السنة عندهم وكانت عادتهم انهم يأخذون جميع الاسراء ويرمونهم من اعلى القلعة الى اسفل فيقتلون ويهلكون وتتحطم عظامهم فأتوا في ذلك اليوم وأخذوا ملك شاه ورموه مع الرجال الذين كانوا صحبته بالجب . فجعل ينحدر على الرجال فلم تمسه الارض وكان اجله محروسًا . وكانت العادة في ذلك الحصن اذا رموا الاسراء وتقطعوا لا ينزلون في طلبهم ولا يزالون في مواضعهم في تلك الجبال حتى تأكلهم الوحوش وتمزقهم الرياح . وان الغلام من عظم الوقعة غشي عليه ذلك اليوم وتلك الليلة . فلما أفاق ورأى نفسه سليمة شكر الله تعالى واثنى عليه بالشكر . ولم يزل يمشي طول ليله ولا يدري الى اين هو رائح ولا اي طريق هو سالك وكان يأكل من ورق الشجر . واذ كان يطلع النهار كان يختفي بين الحجارة واذا جاء الليل يمشي فيه . فلم يزل على ذلك اياماً حتى وصل الى بعض قرى مدينة عمه . فرأى بعض اناس موءمنين فقعد عندهم وعرفوه وعرَّفهم بحاله بانه كان أسيرًا ورماه الكفار من القلعة وخلصه الله ونجاه . فلما سمعوا ذلك سبحوا الله وشفقوا عليه واطعموه واسقوه وبقي عندهم اياماً كثيرة .

كانوا وصفوها . فازداد محبةً لها وفضلها على جميع جواريه ونسائهِ وعظمت ايضاً محبته لعمها سليمان شاه . ولكن بقي قلب شاه خاتون معلقاً بولدها وهي لا تقدر تقول شيئاً . واما ابن سليمان شاه الذي كان عاصياً لما رأى ان شاه خاتون تزوجت ملك الروم احترقت مصارينه في لبه وضاق صدره وانقطع رجاؤُه منها . واما سليمان شاه الملك فانه ضم الصبي اليه واحسن اليه كثيرًا وقد كان سماه ملك شاه . فلما بلغ من العمر عشر سنين احضر المدبرين والاعيان وصنع لهم ضيافة حافلة وبايع لهُ الملك والناس وجعله ملكاً بعده وورثه الملك . ثم توالت الايام فتوفي سليمان شاه وجلس ملك شاه مكانه . وكان قد تعصب البلهوان بن سليمان شاه العاصي مع اناس من مملكة ابيه . فجعل البلهوان يخاطبهم ويعدهم بخيرٍ عظيم منه . فضمنوا له واعطوه قرارًا متيناً بانهم يثبون على ملك شاه ويمسكونه . وفي ذات يوم وثبوا على ملك شاه ومسكوه وادخلوا البلهوان عمه مكانه . فلما استقام الامر له واتفق الناس عليه قالوا له : قد اجبناك الى كل ما تريد ولكن نريد منك ان هذا الصبي ابن اخيك لا تقتله لان في رقبتنا ايماناً لهُ وعهدًا لجده الملك سليمان شاه فاجابهم الى ذلك وسجنه في موضع عميق . ثم وصل الخبر الى امه شاه خاتون فعظم الامر عليها ولم تقدر ان تتكلم بل سلمت امرها الى الله تعالى وصبرت ولم تقدر ان تقول ذلك الى الملك حتى لا تكذب عمها . فصبرت واتكلت على الله . واما البلهوان فانهُ بقي موضع ابيه واستقامت لهُ الامور وبقي ملك شاه في المطمورة اربع سنين فتغيرت احواله وتبدلت صورته . فلما اراد الله تعالى ان يفرج عنه ويخرجه من السجن جلس البلهوان يوماً وعنده خواصه يتحدث معهم عن حديث ابيه سليمان شاه فرمى الله في قلوبهم وقلبه محبة وحنية للصبي ملك شاه . وكان بعض وزراء الخير حاضرًا فوجد فرصةً فقال : ايها الملك ان الله اعطاك ونصرك وبلغك مرادك وجلست موضع ابيك وظفرت من الله بما طلبت . ولكن هذا الصبي ابن اخيك ما هو ذنبه لانهُ من اليوم الذي ظهر في الدنيا لم يجد فرحاً ولا راحةً . وقد تبدلت صورته وليس لهُ ذنب يستحق هذا بل كان الذنب لغيره وقد ظفرك الله بهم

سنين اركبه الخيـــل والناس يتباشرون بالفرح ويدعون لهُ بالبقاء وطول العمر ليمسك اثر ابيه وقلب جده الملك سليمان شاه . واما ابن الملك العاصي القـــاتل فمضى الى ملك الروم وجعل يخدمه بجدّ وبكل حرص لكي يستعين به على محاربة ابيه . فمال اليه ملك الروم واعطاهُ جيشاً كثيرًا . فسمع الملك سليمان شاه فارسل بعض غلمانه الى ملك الروم وقال لهُ : ايها الملك الجليل قدره لا تعن عليَّ ظالماً فهذا ولدي وقد صنع ما كذا وكذا وجاء الى اخيـــه وذبحه هو وولده في المهد . ولم يقل لهُ انه عاش ابن ولدي . فلـــما علم ملك الروم ذلك مسك ابن الملك العـــاصي وكاتب الملك سليمان شاه يقول لهُ : ان شئت ارسل لك رأسه وان اردت ارسلته اليك مقيدًا بالحياة . فوصل الخبر الى الملك سليمان شاه فارسل الى ملك الروم يقول لهُ : لا حاجة لي بهِ . وهو لا بدَّ ان يلقى فعله ان كان اليوم والَّا غدًا . ثم سمع ملك الروم بخبر الجـــارية شاه خاتون فارسل يكاتب سليمان شاه ويراوده عنها . ثم انه تعلق قلبه بها لما سمع بحسنها وجمالها الفريد وارسل يخطبها من عمها . فلم يقدر سليمان شاه ان يرد لهُ جوابًا . ثم قام ودخل على شاه خاتون وقال لهـــا : يا ابنتي قد انفذ ملك الروم اليَّ بخصوص ان يخطبكِ فماذا تقولين انتِ . فلما سمعت هذا الكلام صارت تبكي وتنتحب وقالت : ايها الملك كيف يطيب عليك وانا ما بقي لي بعد ابن عمي زواج . فقال لها : حسن قولكِ . ولكن اما تنظرين نحن من عاقبة الامر نخاف . فانني احسب حساب الموت لاني بقيت رجلًا كبيرًا وما لي خوف الَّا عليكِ وعلى ولدكِ فاني قد كاتبت ملك الروم وغيره من الملوك انه قد ذبحه عمه القاتل ولم اقل انه عائش . وقد اخفيت عنهم انه سالم طيب بالحياة . وان هذا ملك الروم بعد ما سمع بخبركِ ما هو قابل ان يسكت عنكِ ونخاف منه لاننا لا قدرة لنا عليه فتزوجيه لعلّنا ان نجعله سندًا لنا . فسكتت الجارية حصة من الزمان ثم اجابته قائلة : يا عمي ويا سيدي افعـــل ما تشاء . فقام سليمان شاه وردَّ الجواب الى ملك الروم وقال : سمعًا وطاعةً وهي اقلّ جواريك . ثم ارسلها الى ملك الروم فتزوجها . فلما دخل ملك الروم على الجارية ونظرها وجدها فوق الوصف الذي

نائمة على باب الحجرة والمهد بين يديها والولد نائم فيه . فوقف عليه وجعل يتأمل في وجهه وكان شعاع وجهه يضيء مثل شعاع القمر . فصوَّر له الشيطان فكرًا في ذاته يقول : لم لا يكون هذا الولد ولدك فكنت انا احق من اخي وهذا الحسن كله من حسن امه . ثم غلبه الفكر في ذلك واعقبه الغضب الى ان اخرج من جنبه سكيناً ووضعها على حلق الطفل وذبحه . فلما انقطع الزلعوم خلاه على حاله مذبوحاً ودخل الى الحجرة فرأى الجارية نائمة واخاه نائماً معها . فهمَّ انه يذبحها ايضاً . ثم قال : اترك الجارية لتكون لي زوجة . ثم اتى الى اخيه واحنى رأسه على الوسادة وذبحه من الاذن الى الاذن وخرج كالمرعوش مذهولاً موهولاً وبقي حائرًا مما فعل وضاقت الارض به وهان عليه القتل . فطلب مكان ابيه سليمان شاه ليقتله فلم يقدر وما امكن ان يصير اليه وصول . فخرج من الدار هارباً واختفى في المدينة الى الغد . وفي الغد مضى مبتكرًا الى بعض الحصون الذي لابيه فدخلهُ وتحصن بهِ . هذا ما جرى لهُ . واما الطفل الذي ذبحه فانتبهت القابلة وجلست لترضعه كالعادة فرأت المهد قد طفح جميعه دماً من الصبي . فارتعبت وجزعت ونهضت على قدميها لتنظر ما جرى وكيف صار . فنظرت الى حجرة ابيه فرأته ايضاً مذبوحاً ميتاً . فطار عقلها من رأسها وصرخت بصوت شديد . فانتبه الملك من نومهِ واتى الى المهد فنظر الدم طافحًا وابنه مذبوحاً ميتاً في حجرتهِ . فافتقدوا الطفل ودسوه فرأوا فيه روح وزلعومه سالم . فدعوا جراحيًا فخيط جرحه ووضع لهُ ادوية . ثم طلب الملك ابنه الكبير فلم يجد لهُ خبرًا فعرف انه هو فعل هذه النكبة . فعظم ذلك على الملك وعلى الجارية شاه خاتون وعلى اهل المملكة كلها . ثم صنعوا العزاء العظيم لابن الملك . والطفل سلم واندمل جرحه وتربى باحسن تربية . واما ابن الملك الذي هرب فلما حصن نفسه في بعض الحصون قويت شوكته ولم يبق لهُ شغل ألا محاربة ابيه . واما الملك سليمان شاه فكان قد رمى همته وحنيته على الطفل وجعل يربيه في حجرتهِ وعلى ركبتيه باحسن تربية ويترجى من الله ان يعيش ويسلم الامر اليه ويكون موضع ابيه . فلما بلغ الصبي من العمر خمس

منه الى ان بلغ اجله واستوفى مدته . فقال الملك : يا ويلك ما اعظم مكرك بكلامك . اخبرني كيف كان حديثهم

حكاية سليمان شاه

قال الغلام : اعلم ايها الملك انه كان ملك من الملوك وكان اسمه سليمان شاه وكان حسن السيرة والرأي . وكان لهُ اخ قد مات وخلف لهُ ابنة . فرباها الملك سليمان شاه باحسن تربية والطف سيرة . وكانت البنت ذات عقلٍ وكمال ولم يكن في زمانها احسن منها . وكان للملك سليمان شاه ابنان . وكان احدهما قد افتكر ابوه في نفسه ان يزوجهُ بها والآخر قد افتكر في نفسه انه يأخذها . فلما استحقت الزواج وكان اسمها شاه خاتون جاء الملك اليها وقبل رأسها وقال لها : انتِ ابنتي واعزّ من ولدي وهذا كله لاجل محبة المرحوم اخي واني اريد ازوجك باحد اولادي فقد عرفتها وتربيتِ معهما . فمن منهما ارتضيتِ به ووقع في قلبكِ وخاطرك فانا ازوجكِ بهِ واجعله وليّ عهدي من بعدي . فقامت الجارية وقبلت يديه وقالت : انا امتك وانت الحاكم عليَّ فالذي ترضاهُ انت فهو رضايٍ . لان رأيك هو اسمى واجلّ من رأيي ومها رضيت لي فهو فضل ولا يخالفك احدٌ ولا ينازعك منازع . وان جعلتني ان اخدمك هكذا فواجب عليَّ . فاستحسن الملك كلامها ووهب لها مالاً كثيرًا وقال : كذلك احب لكِ . ثم انه وقع اجتهاده على ولده الصغير فزوجه بالجارية وجعله وليّ عهده وبايع لهُ الناس في حياتهِ . فلما رأى الاخ الاكبر ذلك انه قد فضل اخاه الصغير عليه قال : ان زواج هذه الجارية هو امرٌ عظيم . وضاق صدره وتداخله الحسد والحقد . فكتم ذلك واخفاهُ والنار تلعب في قلبه لاجل الجارية ولاجل الغضب . واما الجارية شاه خاتون فانهُ دخل عليها ابن الملك فحملت منه فاستقامت الى اوان الوضع وولدت طفلًا كانه القمر المنير . فلما رأى ابن الملك انه قد صار لاخيه ولد غلبت عليه الغيرة على ما كان في الاول بزيادةٍ وامتلأ بغضًا وحسدًا . فبينما هو ذات ليلةٍ عابر في دار ابيه مرَّ على مقصورة اخيه فرأى الداية

جميعهم للوزراء : سمعاً وطاعة . فلما دخل النـــاس وسجدوا للملك وهنأوه ورفع الملك منزلتهم كجاري العادة وكانت عادة الناس انهم يسلمون ويخرجون فلما جلسوا علم الملك ان لهم حاجةً فالتفت اليهم الملك وقال لهم : اسألوا ان كان لكم حاجة . فقـــالوا للملك جميع ما علمهم الوزراء وتكلموا بهِ معهم . فقال الملك : يا قوم اعلموا ان قولكم هذا لا شك فيه انه محبة لي ونصيحة . وانتم تعلمون اني لو اردت قتل نصف هذا الخلق لقتلتهم ولم يعسر عليَّ ذلك . فكيف لا اقدر على قتل هذا الغـــلام وهو في حبسي وتحت قبضة يدي وقد بان ذنبه واستوجب القتل . وانما اؤخر ذلك ليعظم الذنب . فاذا فعلت ذلك معه وقد طـــالت مدتهُ وقويت حجتي عليه فاكثر ذلك ليشتفي فؤادي وفؤاد رعيتي فيـــه . وان لم اقتله اليوم فلا يفوته غداً قتله . ثم امر باحضاره . فلما حضر الغـــلام بين يديه سجد للملك ودعا لهُ بالعز والبقاء . فقال له الملك : ويلك يا غلام الى متى يعنفني الناس فيك ويلومونني على تأخير قتلك حتى ان اهل بلدي يلومونني بسببك حتى صرت هزؤاً بينهم وقد توسلوا اليَّ بقتلك وعدم تأخير اجلك . فالى كم اؤخر قتلك . اليوم اريد ان اسفك دمك واريح الناس واستريح من كلامهم . فقال الغلام : ايها الملك قد صار لك تعب عظيم بسببي . فوالله ثم والله ان الذي جعلك حديثاً بين الناس هم هؤلاء الوزراء السوء الذين يتحدثون مع الناس ويذكرون لهم القبائح ويحرضونهم على التــكلم بها بين اياديكم . لكن ارجو من الله ان يرد كيدهم في نحرهم . واما تهديد الملك لي بالقتل فاني في قبضة يده . فلا يشغل الملك خاطره بقتلي لاني انا كشبه عصفور في يد الصيـــاد ان شاء ذبحه وان شاء اطلقه وهو الحاكم عليه . واما تأخير الملك لقتلي فما هو من الملك بل من الذي احياني واجلي في يده . ولقوله تعالى : لا يؤخر الله نفساً اذا جاء اجلها . فوالله يا ايها الملك العزيز لو اراد الله قتلي فما كنت تقدر ان تؤخر اجلي ساعةً واحدة . ولكن انما اجلي مؤخر وحيـــاتي معدودة . وكما انه لم ينفع ابن الملك سليمان شاه حرصه وهمته على بلوغ غرضه من الطفل المولود وكيف كانت آخرة اجله بهذا الموت مراراً ونجاهُ الله

القضاء والقدر حفرت لك بئرًا في اعالي جبل شاهق ووضعتك فيها وما نفع الحذر من القضاء والقدر . ثم اخذ تاج الملك ووضعه على رأسه وبايع له الناس واوصاه بالعدل في الرعية ثم ودعه . وبقي الملك تلك الليلة ومات . وتملك ولده بعده

وكذلك انا ايها الملك ان كان قد قضى عليَّ ربي بشيء وقدَّره فلا بد ان اصل اليه ولا ينفعني كلامي للملك وضربي له الامثال مع قضاء الله تعالى وقدرته . وكذلك هؤلاء الوزراء مع حرصهم واجتهادهم على قتلي وهلاكي فلا ينفعهم ذلك ان كان الله ينجيني منهم وينصرني عليهم . (قال) فلما سمع الملك ذلك بقي متحيرًا ومدهوشًا وتشوش عقله من هذه الالفاظ التي سمعها من الغلام ولم يكن ينطق بكلمة واحدة بل اطرق رأسه واحناه مقدار ساعة زمانية والغلام واقف مكتف امامه لينظر ما ينطق به وما يأمر في امره . ثم رفع الملك رأسه وقال : خذوه وانطلقوا به الى الحبس الى الغد انظر في امره من غير تأخير واعمل معه بموجب الحق والصواب واقتله قتلة مشهورة بين الناس . لان بعد هذه الخداعات لم يبقَ خداع . وبعد هذا اليوم ما بقيت اعفو عنه لكن نهار غد افعل معه ما يستحق ويستوجب والله تعالى يظهر الحق لاخلص من هذا الردي

اليوم العاشر في السعاية والوشاية

فلما كان اليوم العاشر وكان ذلك اليوم يسمى المهرجان وكان يوم دخول الناس الخاص والعام الى حضرة الملك يهنؤنه ويسلمون عليه ويخرجون الى التفرج خارج المدينة لاجل التنزه والانشراح لانه مفرد في السنة فاتفق رأي الوزراء على ان يتكلموا مع جماعة من اهل المدينة اكابرها ومشائخها وقالوا لهم : اذا دخلتم اليوم الى الملك وسلمتم عليه قولوا له : ايها الملك انك بحمد الله محمود السيرة والسياسة وعادل في الرعية . ولكن هذا الغلام الذي احسنت اليه ورجع الى اصله الردي وقد ظهر منه هذا الامر القبيح فما الذي تشاء في ابقائه وقد سجنته في دارك وكل يوم تسمع كلامه وتتركه وما تعلم ما يتكلم الناس فاقتله واسترح منه . فقال

يده . وبعد ذلك تناسى الملك ذلك ومرَّت الايام عليه وبقي الغلام في تلك القرية وقد اتفق مع جماعةٍ منهم بقطع الطرق . فلما اراد الله انفاذ امره الذي لا يرده الاجتهاد والحذر اشتكى الناس للملك ابي الغلام واخبروه بالحرامية . فامرهم ان يخرجوا اليهم وخرج الملك هو ايضاً معهم فصادفوهم واحاطوا بهم . فاخرج الغلام سهماً ورمى به فاصاب الملك في مقتله وجرحه . فحملوه الى داره من بعد ما علقوا في الغلام والحرامية ومسكوهم واحضروهم الى الملك وقالوا لهُ : ماذا تأمر ان نصنع بهم . فقال : انا الآن في شغل حالي فأحضروا لي المنجمين فقط . فاحضروهم بين يديه . فقال لهم : انتم قلتم لي ان موتك يكون على يد ابنك فكيف وقع هذا القتل من الحرامية . فتعجب المنجمون وقالوا لهُ : ايها الملك ربما يكون الذي ضربك هو ابنك . فلما سمع الملك كلام المنجمين قال : احضروا لي الحرامية . فاحضروهم . فقال لهم الملك : اصدقوني من منكم ضرب هذا السهم . فقالوا لهُ : هذا الغلام الذي معنا . فجعل الملك ينظر اليه ثم قال لهُ : يا غلام اخبرني عن حالك ومن اين اصلك ومن اي بلدٍ انت ومن هو ابوك ولك مني الامان . فقال الغلام : يا ملك الزمان وحياة رأسك العزيز ما اعرف لي ابا قطعاً . ولكن انا اعرف اني كنت في جبٍ مع داية تربيني وانه نزل علينا سبع في الجب وعض كتفي وقطع منها قطعة بفمه وراح عني واشتغل في الداية وافترسها عوضي . ثم حصل له قوم فقتلوه واخرجوني من الجب . ثم حدثهُ بكافة ما جرى لهُ من الاول الى الآخر . فلما سمع الملك ذلك صاح : والله العظيم انك انت ولدي . ثم قال لهُ : اكشف عن كتفك . فكشف الغلام عن كتفه واذا قد بان فيها آثار الجرح . عند ذلك جمع الملك المنجمين وكافة خاصته وقال لهم : اعلموا ان الله تعالى ما قضاؤُه الا قدرة والمقدر كائنٌ سعادة كان او شقاوة . ولا يقدر احد ان يحيد عن قضاء ربه والمقدر عليه . والذي قضاهُ على ولدي قاساه وما قدّر عليَّ رأيته . ثم قال لهم : احمدوا الله تعالى واشكروه الذي جعل قتلي على يد ولدي ولم يتولَّ ملكي غيره . ثم ضمه الى صدره وقال : اعلم يا ولدي ان حديثك كان كذا وكذا ومن حرصي عليك من

وصل الى قعر البئر ومعهُ شمعة مشعولة . فنظر الغلام في صدر البئر فرأى مالاً عظيماً فدلى الرجل الزنبيل وجعل الغلام يملئه وذلك الرجل يسحبه الى فوق حتى اخذ كفايته ثم حمــل على الدواب التي معه وبقي الغلام ينتظر حتى يدلي الحبل ويخرجه . اما الرجل فحينما انهى شغله طبق الحجر الطابق على باب البئر وداسه بالتراب وتركه وترك الشاب ومضى . واما الغلام فلما رأى ما فعله معه الرجل اتكل على الله تعالى . ثم انه ايقن بالموت وبقي متحيرًا وقال : ما امرُّها ميتة . وجعل يبكي ويقول : خلصت من الجب والحراميــة وكان موتي في هذا المكان اموت صبرًا . وبقي باهتاً ينتظر الموت . وفيما هو كذلك اذ سمع بجريان ماء . فأعطى اذنه فسمع قوة الجريان فقال في نفسه : ان الموت لا بدَّ منه ان كان هذه الساعة او ساعة اخرى . فاريد ارمي نفسي في هذا الماء واموت فيه ولا اموت في الجب صبرًا . ثم انهُ قوى قلبه وجمع عقله ورمى نفسه في ذلك الماء الشديد . فلما صار في الماء حملهُ المــاء الشديد بشدة قوتهِ حتى جرى به تحت الارض . ولم يزل يأخذه المــاء بجريانه الى ان اخرجه الى وسط وادٍ عميق والماء يجري فيه وهو نهر كبير يخرج من تحت الارض الى ذلك الوادي . فلما رأى الغلام نفسه في الدنيا بقي مغشياً عليهِ طول يومه . ولما افاق قام يتمشى في ذلك الوادي حتى خرج منه ووصل الى قريةٍ عظيمة من قرى بلاد ابيه فدخل اليها . فسألهُ اناس من اهل القرية عن حاله فحدثهم بقصته . فتعجبوا منه كيف نجــاه الله تعالى ثم سكن عندهم واحبوه . هذا ما جرى للغلام . فلنعد الى ما كنا فيه من امر الملك ابيه . فلما تم الشهر جاء ابوه حتى ينظر ولده مثل العادة فلم يجبه احدٌ . فضاق صدره ودلى رجلًا الى وسط الجب لينظر الحــال فرأى الداية والسبع مقتولين ولم يرَ الغــلام فاخبر الملك بذلك . فلما سمع الملك بذلك حزن حزناً عظيماً ولطم على رأسه وبكى بكاءً شديدًا . ثم رجع وجمع جميع المنجمين واخبرهم بصدق قولهم . فقــال لهُ المنجمون : ايهــا الملك ان كان اكله الاسد فقد جرى القضاء عليه وخلصت انت من امره . وان كان قد نجا فاننا نخــاف والله العظيم عليك منه ان تكون منيّتك على

ثم طلب خزانة الجب فرأى الداية قد ماتت والصبي مجروحاً. ورأى عندهما من الأكل والشرب والقماش وغيره شيئاً كثيراً . فجعل ينقله وارفاقه يسحبون الى فوق وقد اشتد تعجبهم من ذلك الشيء . ثم رفعوا الغلام ورأوا جرحه وحملوه معهم وداووا جروحه وتربّى الصبي معهم ونشأ. وانهم لم يسألوه عن والديه وهو لم يعلمهم انه ابن الملك لانه لم يعلم ايضاً ابن من هو . لكن يقول لهم : انهم دلوني في الجب وانا طفل . والآن انا لا اعرف غير انه بكل شهر يجيء يستقبلني رجل من الجب ويقبلني ثم يردني الى الجب . فازداد اولئك القوم عجباً من كلام الغلام واحبوه محبةً عظيمة واخذه واحد منهم وبقي يتربّى معه ويقوم يتصيد وعلموه ركب الخيل حتى بلغ من العمر اثنتي عشرة سنة وبقي شاباً تاماً وصار يخرج مع القوم الى الصيد وقطع الطريق . فاتفق بالقضاء والقدر انهم خرجوا ذات يوم الى الطريق فرأوا قافلة في الليل فهجموا عليها . وكان رجال القافلة مستعدين للقتال فتضاربوا معهم وغلبوهم وقتلوا الحرامية كلهم ووقع الغلام مجروحاً في مكانه الى ثاني يوم . فلما كان الصباح فتح عينيه فرأى رفقاءه مقتولين فحمل نفسه وقام يتمشى . وفيما هو ماضٍ في الطريق رآه رجل مطالبي يطالع مطالب . فرأى الغلام واستحسن وجهه وسألهُ عن حاله وقال لهُ : من انت يا فتى . فقال الغلام : انا حكايتي كذا وكذا . فتعجب منه وسألهُ عن حاله ايضاً . فاخبره اكيد الامر بالتفصيل وقال لهُ : انه وقع عليهم قوم وجرحوه وقتلوا رفقاءهُ . فقال له ذلك الرجل : طيب قلبك قد اتاك الله بالفرج والسعادة وانا رجل ولي مطلب وفيه مال كثير . فامضِ معي وساعدني وانا اعطيك مالاً يكفيك طول عمرك . ثم اخذه معه الى منزله وداوى جروحه وبقي اياماً الى ان طاب . ثم انه اخذه واخذ معه كلما يحتاج اليه من دواب وغيرها وسارا اياماً الى ان وصلا الى جبل شاهق . فاخرج كتابه وبدأ يقرأ وحفر في رأس الجبل خمسة اذرع فبانت صخرة فقلعها واذا هي طابقة على رأس جب . فنظرا واذا بحالٍ عظيم فاستراحا مقدار ساعة حتى اخذا نفساً ودخل الهواء الى تلك الجورة وبردت . ثم انه كان معه حبل فشده في وسط الغلام ودلاهُ الى ان

اصعب منه واشد . فقال الملك : وما يكون . فقال المنجمون اذا امنا الملك نقول له . فقال لهم الملك : أمنكم الله . فقالوا : يا ملك الزمان اذا نجا من السبع يكون قتلك على يده . ثم انه تغير لون وجه الملك لما سمع ذلك وضاق صدره وقال في نفسه : انا احترس عليه ولا اخلّي لا سبعاً ولا شيئاً من هوامّ الارض يصل الى ولدي ولا يقدر يقتلني فان المنجمين كذبهم كثير . ثم انه رباه مع داية وهو مع ذلك مفكر في قول المنجمين وقد تكدر عيشه . ثم انه عمد الى رأس جبل عالٍ وحفر بئرًا عميقةً وعمل فيها خزائن وملأها طعاماً وكل ما يحتاج اليه واطرق الى وسطها عين ماء من الجبل ونزل اليها ولده مع داية تربيه ومعها كلما تحتاج اليه . وان الملك بقي في كل رأس شهر يجيء ويقف على رأس البئر ويدلي حبلًا وفيه زنبيل ويستلقي الولد اليه ويضمه الى صدره ويقبله ساعةً زمانية . ثم يدليه الى الجب ويرجع . وبقي على ذلك اياماً كثيرة وشهوراً عديدة حتى صار عمره سبع سنين . وجاء الوقت المقدر والقضاء المكتوب وقد بقي للغلام عشرون يوماً حتى يبلغ سبع سنين من عمره وهو في البئر . واذا بحكمةٍ من الله اتى الى قريب من الجبل صيادون يصيدون وحوشاً فعاينوا سبعاً فطلبهُ اولئك الصيادون بالحربات والصقور مع الكلاب فهرب السبع الى الجبل الذي فيه الجبّ الذي فيهِ الصبي . فرأته الداية فهربت منه الى زاويةٍ من زوايا البئر . فطلب الطفل فعلق في كتفه فجرحه ووقع من فم السبع . فطلب الطفل الخزانة التي فيها الداية فتبعه السبع . فرأى الداية فتعلق بها وقتلها وافترسها . وبقي الصبي مطروحاً مغشياً عليهِ من الم . واما الصيادون فانه لما وقع السبع في الجب وقفوا على رأس الجب فسمعوا حس الصبي وصوت الجارية . فتعجبوا من ذلك عجباً عظيماً وقالوا : لعلّ فيهِ سكاناً . ثم احدقوا بنظرهم الى اسفل البئر واذا بالحس قد انقطع فعلموا ان السبع قد اهلك من في البئر . وفيما هم ينظرون واذا بالسبع يهمهم في الجب قصده الخروج الى فوق رأس الجب . فلم يزل الصيادون يرمونه بالحجارة حتى صرعوه . ثم تدلّى واحد منهم بحبل الى وسط الجب وكمل قتل السبع .

عارك اما تخشى انت من العـار فما هذا الفعل وانت غافل . ما هي هكذا حشمة الملوك ان تكون غيرتهم على حريمهم هكذا . وانت غافل وكل البلد في حديثـك مشتغلون الرجال والنساء . فاقتله حتى ينقطع الكلام عنّا ام اقتلني انا اذا لم تسخَ بقتـله . فان بقي على هذا الحال طيباً لا يبقى لنا راحة . فعند ذلك اشتدّ غضب الملك وقال لها : والله العظيم ما بقي لي في ابقائهِ حاجة فلا بد لي من قتله ان كان اليـوم او غدًا . فطيبي قلبك وخاطركِ فاني اليوم اقتلـه واما انتِ فارجعي الى موضعك . ثم أمر باحضاره فاحضروه بين يديه . فقال لهُ الوزراء : يا ردي الاصـل يا ويلك قد دنا اجلك واشتـاقت الارض الى جسدك حتى تمزقه . فالى كم من الزمان تطمع في البقاء . فقال لهم : والله العظيم ما هو الموت بقولكم ولا بحسدكم وانما هو قضاء من الله مقـدر لا ينفع منه الحذر . فانه اذا جاء القدر بطل الحذر . فان كان الله قد كتب لي شيئاً لا بد ان اصل اليه ولا ينفعني منه لا حذر ولا احتراس ولا اخلص منه . مثل ما جرى للملك ابراهيم وولده . قال الملك : وكيف كان حديث الملك ابراهيم وولده

حكاية الملك ابراهيم وولده

قال الغلام : انه كان ملك من الملوك وكان قد دانت لهُ الملوك وطاعت لامره ولم يكن لهُ ولدٌ . وكان دائماً ضيق الصدر بسبب انهُ ما كان لهُ ولد وخاف على خروج الملك من يده . فلم يزل يحترص ويجتهد ويشتري جواري حتى حملت واحدة منهنّ . ففرح الملك فرحاً عظيماً واعطـاها خاماً وذهباً كثيرًا . فلما كملت شهور المرأة ودنا وقت ولادتها احضر الملك المنجمين ورصدوا الساعة التي تلد الولد فيها . فولدت ابناً ذكرًا فتباشر النـاس فيه وفرح الملك بهِ فرحاً عظيماً . ثم حسب المنجمون حسابهم وحققوا في امره فتغيرت الوانهم . فقال لهم الملك : اخبروني عن مولده ولا تخافوا مني شيئاً . فقالوا : ايها الملك قد ولد هذا النجـل السعيد في ساعةٍ دليلها عليه انهُ عند بلوغه سبع سنين من عمره يفترسه سبع . فان نجـا من الاسد يكون امر

من الله. ثم امر بضرب اعناقهم فضربت بين يديه. وجاء الى زوجته واخبرها بما فعل بحق ابي تمام فناحت وبكت عليه. ولم يزالا نادمين عليه بقية عمرهما. ثم اخرجا ابا تمام من البئر وبنيا له في وسط دارهما قبرًا جديدًا وقبراه فيه

وهكذا انت ايها الملك السعيد انظر ماذا يفعل الحسد والظلم وكيف رد الله شرّ وزراء السوء في رأسهم. وانا ارجو من الله ان يظفرني على من يحسدني على قربي من الملك ويظهر الله الحق الى الملك. وانا لا اخاف على روحي من القتل بل اخاف لعزم الملك على قتلي لانه يندم وانا لا ذنب لي ولو علمت ان ليَ ذنبًا لكان كرسي لساني قد خرس وعمي بصري من ذنبي وكنت اعلم ان ذنبي يهلكني. فلما سمع الملك كلام الغلام سها واطرق برأسه الى الارض ونسي كلام الوزراء الذي قالوه وما سخي بقتله. ثم قال: ردوه الى الحبس وفي الغد ننظر في امره

اليوم التاسع في القضاء والقدر

فلما كان اليوم التاسع قال الوزراء: لقد اعيانا هذا الغلام ومن امره كلنا وانه كلما اراد الملك ان يقتله يخدعه بسحره وكلامه فما الذي ترون مناسبًا في تعجيل قتله وخلوص امره حتى نستريح منه. فاتفق انهم اتوا الى زوجة الملك واجتمعوا بها وقالوا لها: انتِ غافلة عن الامور التي انتِ بها وما ينفعكِ هذا الملك الذي انتِ فيه ونساء البلد يضربن بالدفوف ويغنين عليكم ويقلنَ: ان زوجة الملك عاشقة الغلام وهي لا تترك الملك حتى يقتله. وكلما دام هذا بالحياة يزيد الكلام ولا ينقص. فقالت الملكة: هيجتموني والله العظيم على قتله. ولكن ما الذي اصنعه دبروني على قتله. فقالوا لها: قومي ادخلي على الملك وابكي وقولي له: ان النساء يدخلنَ الي ويعرفنني بهتيكتي في البلد. فايش لك رجاء في ابقاء هذا الغلام فان تقتله كان بها والّا اقتلني انا حتى اخلص من ألسن الناس فلا بدّ من قتل واحد منّا حتى ينقطع الكلام من بين الناس عنّا. (قال) عند ذلك قامت الملكة وشقت ثيابها ودخلت الى الملك والوزراء حضور. فرمت روحها على الملك وقالت لهُ: ايها الملك اليس عاري من

من لا يحفظ حرمة صاحبه وصديقه ما الذي يجب عليه . فقال له : يجب عليه بان لا تحفظ حرمته . ثم قال له ايضاً : وكل من يدخل الى داره ويخونه فما الذي يجب عليه . فقال له ابو تمام : لا يترك حياً . (قال) فبصق حينئذٍ الملك في وجهه وقال له : انت الذي فعلت هذين الامرين معاً . ثم سحب الملك الخنجر وضربه في بطانه شقه فمات من ساعته . فجروه ورموه في بئر كانت في دار الملك . ثم انهُ بعد قتل ابي تمام وقع الملك في الندم وعظم الحزن عليه والقلق وكل من يسأله لا يعرّفه بسبب حزنه . ومن محبته لزوجته لم يعرّفها بذلك . فجعلت تسألهُ ولم يقل لها شيئاً عن سبب حزنه . واما الوزراء السوء لما علموا بقتل ابي تمام فرحوا الفرح العظيم وعلموا ان حزن الملك ندماً عليه . واما الملك فبقي بعد ذلك يجيء في كل ليلة يقف على باب حجرة الغلامين حتى يسمع لعلهما يقولان شيئاً في حق حرمته . فوقف في بعض الليالي فرآهما قد بسطا الذهب بين ايديهما وهما يلعبان به ويقول احدهما للآخر : يا ويلنا ايش ينفعنا هذا الذهب فلا نقدر ان نشتري بهِ شيئاً ولا نقدر نبلغ غرضنا بهِ ولا نقدر ننفقه . فقال الاخر : ما ربحنا فيه شيئاً الا دخلنا في خطيئة دم ابي تمام واهلكناه بلا ذنبٍ البتة . فقال رفيقه : لو علمنا انهُ يعجل في قتله لما فعلنا هكذا ولكن الذنب اكثره في رقبة الوزراء . (قال) فلما سمع الملك ذلك لم يقدر يصبر روحه بل هجم عليهما وقال لهما : يا ويلكما ما الذي فعلتما خبراني الصحيح . فقالا لهُ : يا ملك الزمان الامان . فقال : امّنكما الله وعليكما بالصدق فما بقي ينجيكما مني الّا الصدق . ثم سجدا له وقالا : ايها الملك والله العظيم ان الوزراء اعطونا هذا الذهب وعلمونا ان نكذب على ابي تمام ونقول عنه ما قلناه في حقه وان كان ذلك كذباً او صدقاً فلا نعلم وهو بعلم الوزراء . فعند ذلك قبض الملك لحيته وهزها وكاد ان يقلعها وندم حد الندم كيف انه ما تهدأ قليلاً على روحه وكيف عجل على قتل ابي تمام . ثم ان الملك احضر الوزراء وقال لهم : يا وزراء السوء ظننتم ان الله يغفل عن فعلكم فاذا فعلتم الشرّ فانه ينقلب عليكم بما عملتم . لان كل من يحفر لاخيه بئرًا هو يقع فيها فخذوا الآن مني عقوبة الدنيا والعذاب في الآخرة

برجوعه وقضاء شغلــه وقرأ كتاباً مضمونه : ان هذا الذي فعلته كرامة لرسولك . فلما رجع ابو تمــام فرح الملك ايلان شاه برجوعه وقضاء شغله وقرأ كتاب ابي الجارية وفرح فرحاً عظيماً . وازداد ابو تمام عند الملك كرامةً وعزاً ووقع له في قلبه محبة عظيمة . ثم بعد ذلك ارسل ملك الترك ابنته الى الملك ايلان شاه . فدخلت عليه وفرح بها فرحاً عظيماً . واما الوزراء فلما رأوا ذلك عظم عليهم جداً وقالوا : ان لم ندبر لنا امراً مع هذا الرجل والا نهلك غيظاً . ثم افتكروا في حيــلة وأتوا الى غلامين كانا برسم الملك لا ينام الا على ركبتهما وهما ينامان عند رأس الملك وهما عنده في خلوته واعطوا لكل واحد منهما الف دينار ذهباً وقالوا لهما : نريد منكما ان تقضيا لنا مصلحة واحدة وتأخذا هذا الذهب ويكون لكما سنداً وذخيرة لحوائجكما . فقال الغلامان : وما هي حاجتكم عندنا حتى نقضيها لكم . فقالوا لهما : ان هذا ابا تمام قد افسد علينا امورنا عند الملك فانكما اذا خلوتما مع الملك واتكأ كانهُ نائم فليقل احدكما للآخر ان ابا تمام قرّبهُ الملك وقدمه اليه ورفع منزلته عنده وبالحقيقة هو رديء ملعون . فيقول الآخر : وما سبب رداءته للملك . فيقول : انه يهتك حرمتــه ويقول ان ملك الترك كان كل من يمضي اليه ويطلب ابنته يقتله وانا ابقــاني لاجل ان ابنته رغبت فيَّ ولاجل ذلك جئت وما رغبت في الملك الّا رغبةً فيَّ . فيقول الآخر : وهل علمت ذلك بتحقيق . فيقول : والله ان هذا الكلام اشتهر فيما بين الناس وان الناس لا يخاطبون الملك بذلك خوفاً منه . وكلما غاب الملك في الصيــد والسفر يأتي اليها ويخلو بها . فقال الصبيان للوزراء : نحن نقول ذلك . فلما كان في بعض الليــالي اجتمعــا بالملك في خلوةٍ واتكأ الملك كانه نائم . فتحدثا بما قال لهما الوزراء والملــك يسمع . (قال) فغضب الملك واغتاظ غيظاً شديداً وقال في نفسه : ان هذين الصبيين صغيران دون البلوغ وما لهما غرض مع احد ولا احدٍ له معهما غرض . ولولا انهما سمعا هذا الكلام من احدٍ لما قالاه وتحدثا به . فلما كان الصباح غلب الغيظ على الملك حتى انهُ ما اصطبر ولا تأنى بل استدعى بابي تمام وقال له في مكان خلوةٍ : كل

تطلب بنته . فقال : ايها الملك السمع والطاعة . (قال) فجهزوا امره وانفذه بعد ما خلع عليه خلعة ثمينة . (قال) فسار ابو تمام حتى وصل الى مدينة الترك . فلما علم به الملك انفذ له خلعة وانزله منزلة لائقة واضافه واكرمه ثلاثة ايام . فلما كان بعد الثلاثة الايام استدعاه الملك . فدخل اليه وسلم عليه سلاماً اديباً وسلم اليه الكتاب والهدايا . فقرأ الكتاب وقال : نقضي ما يجب ولكن تمضي الى ابنتي وتبصرها وتبصرك وتسمع كلامك . ثم انفذ ابا تمام الى ابنته وكانت ابنته قد جعلت عليها وحولها من كل الزينة وآلات الذهب والفضة وما يشاكل ذلك من الالوان وجلست على سرير من الذهب . (قال) فلما دخل ابو تمام تفكر في نفسه وقال : لقد قالت الحكماء : كل من يكف بصره لا يلحقه سوء . وكل من يحفظ لسانه لا يسمع قبيحاً وكل من يحفظ يده تطول ولا تقصر . (قال) فدخل وجلس واطرق الى الارض وجمع اطرافه فقالت له ابنة الملك : ارفع رأسك وانظر اليَّ وتكلم . وهو لم ينطق ولم يرفع رأسه . فقالت له : انما ارسلوك اليَّ لتنظرني وتكلمني . وهو لم يتكلم . فقالت له : خذ هذه الآلات التي حولك من الذهب والفضة . فلم يأخذ شيئاً . فلما رأت الجارية ذلك حردت وقالت : انفذوا اليَّ رسولاً اعمى اخرس اطرش . وارسلت تعرّف ابوها بذلك . فاستدعاه الملك وقال له : انك انما جئت لتنظر ابنتي فكيف لم ترها . فقال : رأيت كل شيء . فقال له الملك : لِمَ لم تأخذ آنية الذهب والفضة التي رأيتها لانها لك محفوظة . فقال : انا ما آخذ شيئاً . فلما سمع الملك كلامه اعطاه خلعة ثمينة وقال له : تعال وانظر في هذه البئر . فجاء ابو تمام ونظر فيها واذا هي مملوءة رؤوساً من الناس . فقال له الملك : هذه رؤوس الرسل الذين قتلتهم وكنت اراهم ان ليس لهم وفاء ولا مع اصحابهم . وكنت اذا رأيت رسولاً بلا ادب اقول : ان الذي ارسله اقلّ ادباً منه لان الرسول لسان الذي يرسله وادبه من ادب الذي يرسله . وكنت اذا رأيت من هو كذلك فلا يصلح ان يكون لي صهراً ولا ابنتي تكون له زوجة فلاجل هذا كنت اقتلهم . واما انت فقد غلبتنا وقهرت ابنتي من ادبك فطيب قلبك فاني لاجلك اعطيه ابنتي . ثم انه انفذ معه التحف والهدايا وجواباً طيباً الى الملك ايلان شاه

احوالهِ فاضـلًا اديبًا وكان لهُ مالٌ كثير . وكان في بلده ملك ظالم جائر . وانه خاف على ماله من ذلك الملـك وقال : ما لي تصرف في مالي ههنا لكن اريد انتقـل من ههنا الى موضع آخر لا اخاف فيه . (قال) فقصد مدينة ايلان شاه وسكن هناك وعمل لهُ هناك قصرًا ونقل ماله اليه وسكنه . فوصل خبره الى الملـك ايلان شاه فاستدعاه وكلمه وقال لهُ : قد علمنا بقصدك الينـا ودخولك تحت طاعتنا فالبلد بلدك واتكل بحكمك وحاجتك عندنا مقضية ويجب ان تـكون قريبًا منَّا ومن مجلسنا . فقال ابو تمام : ايها الملك انا اخدمكَ بمالي وروحي واعفني من القرب اليك فانني لا آمن من حسد الاعداء . فقال له الملك : لا بأس عليك من الحساد ولا من الاعداء وغيرهم . (قال) فجعـل ابو تمام يخدم الملك بالهدايا والاكرام . فرآه الملك عاقلًا اديبًا مدبرًا فعلق قلبه بهِ وسلم اليه امر منزله وتدبيره وصار العقد والحلّ بيده . وكان لايلان شاه ثلثة وزراء وكانت لوازم الامور بايديهم وكانوا لا يفارقون الملك لا ليلًا ولا نهارًا فانقطعوا عنه بسبب ابي تمام واشتغل الملك بابي تمام عنهم . فقالوا في ذواتهم : اما ترون هذا الملك كيف فضل هذا الغريب علينا واشتغل به عنًا وضاعت خدمتنا في مدة هذه السنين كلها فلا نرضى هذا من الملك فتعالوا حتى ندبر لنا امرًا وحيـلة نبعده بها عن الملك . وكان كل واحد منهم يقول شيئًا . فقال واحد منهم : ان ملك الترك له بنت ليس في الدنيا مثلها وكل رسول يجيئه في سبب خطبتها يقتله ابوها وملكنا ليس له بذلك علم تعالوا نجتمع عنده ونجيء بحديثها . فاذا تعلق قلبه بها وقال : من نرسل يخطبهـا . فنقول له : ارسل ابا تمام يخطب لك اياها . فاذا ارسله الملك ليخطبها له فيقتله ملك الترك ويكفينا شره . ثم بعده اجتمعوا ذات يوم عند الملك وكان ابو تمام حاضرًا بينهم فذكروا الجـارية بنت ملك الترك وزادوا في وصف محاسنها . فلما سمع الملك ذلك قال : نريد نرسل نخطبها فمن ننفذه اليها يكون رسولاً . فقال لهُ الوزراء : ما لهذا الشغل المهمّ غير ابي تمام لكثرة عقله وادبه . فقال الملك : كما قلتم فلا يصلح لهذه المصلحة سواه . ثم التفت الملك الى ابي تمام وقال لهُ : اما تمضي برسالتي الى ملك الترك

اليوم الثامن في الحسد

فلما كان اليوم الثامن اجتمع الوزراء جميعهم وتحدثوا فيما بينهم وقالوا : ماذا نصنع بهذا الغلام الذي قد قهرنا بكثرة كلامه للملك . ونحن نخاف ان ينجو هو ونقع نحن في البلاء . فادخلوا اليوم جميعكم على الملك واظفروا بهِ قبل ان يخرج هو بلا ذنب ويظفر بنا . واننا اليوم ان لم نهيج الملك عليه حتى يقتله والّا نخاف على انفسنا منه . (قال) فدخلوا على الملك وسجدوا له وقالوا لهُ : ايها الملك اياك ثم اياك ان يخدعك هذا الغلام بسحره ويقلقك بمكره . فلو سمعت ايها الملك ما نسمعه نحن لما ابقيته ساعةً واحدة . فلا تلتفت الى كلامه ايها الملك ونحن وزراؤك وان لم تسمع كلامنا فكلام من تسمع . ونحن عشرة وزراء شهود على هذا الغلام انه مذنب وما دخل الى حجرة الملك الّا بنيةٍ رديئة ليفضح الملك ويهتك حريمه . وان كنت ما تريد قتله انفهِ من مملكتك حتى يقصر كلام الناس عنك . (قال) فلما سمع الملك كلام الوزراء غضب غضباً شديداً وامر باحضار الغلام . فلما احضروه صرخ الوزراء جميعهم بصوت واحد وقالوا : يا بلا مروءة تريد تخلص نفسك بالحيلة والمكر من القتل وتخدع الملك بحديثك . وانك ترجو العفو عن مثل هذا الذنب العظيم الذي اذنبته . (قال) فامر الملك السياف بان يضرب عنقه . فقال كل واحد من الوزراء : انا انا اقتله . ووثبوا عليه . فقال الغلام : انظر ايها الملك وتفكر واعلم في حرص هؤلاء الوزراء على قتلي فكل ذلك حسد لانهم يريدون ان يفرقوا بيني وبينك حتى ينهبوا ويأخذوا من خزائنك مثل الاول . فقال الملك : لاجل شهادتهم عليك تقول هذا . قال الغلام : وكيف هم شهود عليَّ بشيءٍ . ما ابصروه وانما ذلك حسداً منهم . وانا اقول لك : اذا قتلتني تندم عليَّ . وانا ان لم امت اليوم والّا غداً اموت وانا اخاف ان ينالك من الندم ما نال ايلان شاه من حسد وزرائهِ . قال الملك : وكيف كان حديث ايلان شاه مع وزرائهِ

حكاية ايلان شاه

قال الغلام : ايها الملك كان رجل اسمه ابو تمام وكان رجلًا عاقلًا صادقًا في

فأتى في الليل قاصدًا باب المدينة . فرآه مسكرًا . فاقام هناك عند مقبرة حتى اصبح الصباح . ودخل الناس الى المدينة فوجدوا في جانبها قتيلًا قد قُتل في تلك الليلة . فعلق الناس بالملك بهكرد الغريق فمسكوه وآتوا به الى قدام الملك وقالوا لهُ : هذا الرجل قد قتل قتيلًا في هذه الليلة . فامر الملك بحبسه . فجعل وهو في الحبس يفتكر في امره وما قد جرى عليه فصار يقول في نفسه : كل هذا الذي جرى عليَّ من كثرة الذنوب التي تقدمت مني وقد قتلت كثيرين ظلمًا فما جزاني كذلك الَّا ان أُقتل وهذا الذي فعلتهُ قد جاء قدامي . (قال) فبينما هو في ذلك الفكر واذا طير قد اتى وجلس على قرنة الحبس . فواحد وهو شاطر في صناعة الصيد اخذ حجرًا ورماه فخرج الحجر عابرًا فما اصاب الطير بل كان ابن الملك يلعب في الميدان بالأكرة والجوكان فوقع الحجر على اذنه فرماها ووقع على الارض مغشيًا عليهِ . وانهم صاروا يستخبرون من رمى الحجر . فاخبرهم واحد ان الذي في الحبس رماه . فامرهم ابن الملك ان يمضوا اليهِ ويحضروه فمضوا اليه واحضروه . فامر ابن الملك بقتله فنزعوا عمامته عن رأسه وارادوا ان يعصبوا عينيه . فنظر اليه ابن الملك فرآه بلا اذن فقال لهُ : لولا فسادك لما قطعوا اذنك . فقال : لا والله العظيم ولكن حديثي ما كذا وكذا وانه كان عندي غلام ورمى سهمًا فقطع اذني فأمرت بقتله فطلب مني العفو فعفوت عنه . فنظر حينئذٍ ابن الملك الى وجهه فعرفه فقال له : انت الملك بهكرد . فقال : نعم انا هو . فقال لهُ الغلام : وما هو الذي رماك ههنا . فحدثه بقصته . فتعجب الناس وسبحوا الله . ثم قال ابن الملك لابيه : ان هذا الملك انا الذي رميت اذنه وقد عفا عني وهو ايضًا قد استحق العفو كعفوه عني . ثم قال ابن الملك لبهكرد الملك : اما قلت لك ان العفو ذخيرة . ثم انهم احسنوا اليهِ الاحسان الذي يليق بهِ وحملوه مكرمًا الى مكانه

ثم قال الغلام : وانا هكذا اقول لك ايها الملك الاجلّ انه لم يكن شيء احسن من العفو . وكل ما تفعله من العفو تجده امامك مذخرًا ذخيرة لك . فأمر الملك برده الى الحبس وسكن غضب الملك ذلك اليوم

يعفو لمن مثلي ولو كان ذنبي ملء الدنيا فكيف اذا كان في علم الله انهُ لا ذنب لي وان الله قد امرنا بالعفو ولا عفو اعظم من العفو عن القتل لان عفوك عمن تريد قتله كحياة الميت . وكل من يعمل الشرّ يجده بين يديه مثلما وجد الملك بهكرد . قال الملك : من هو بهكرد وكيف كان حديثه

حكاية الملك بهكرد

قال الغلام : ايها الملك انه كان ملك اسمه بهكرد وكان لهُ مال كثير وعسكر عظيم وكانت افعاله رديئة وكان يعاقب المذنبين بسرعةٍ ولا يعفو عن ذنب احدٍ قط . وانه خرج ذات يوم الى الصيد فرمى واحد من غلمانه سهماً فنزل السهم في اذن الملك فرماها . فقال الملك : انظروا من رمى هذا السهم فاحضروه عاجلاً . فمضوا يحضروه . فسمع الغلام وكان اسمه تيروا فمن خوفه وقع على الارض مغشياً عليه . فحملوه بين ايادي الملك . فقال لهم الملك : اقتلوه . فقال له تيروا : ايها الملك ان الذي جرى لم يكن بعلمي ولا باختياري فاعفُ عني عند قدرتك عليَّ لان العفو من احسن الافعال والاعمال وربما كان ذخيرة حسنة ووقاية في الدنيا وكنزاً عند الله في الآخرة . فاعفُ عني وادفع عنيّ هذا الشرّ فان الله يدفع عنك شرًّا اعظم منه . فلما سمع الملك ذلك منه استحسن كلامه وعفا عنه وما كان قد عفا عن احدٍ من قبله قط . وكان هذا الغلام من اولاد الملوك وكان قد هرب من ابيه لذنبٍ جرى منه . ثم انه وصل الى ولاية بهكرد وخدم عنده ولم يكن يعرفه احد . فاتفق ان رجلاً عرفه فمضى دعرّف اباهُ به وبخبره . فانفذ ابوه اليه كتاباً وطيب خاطره وقلبه بهِ بانه يقوم ويأتي اليه ولا يخاف . فقام ومضى الى ابيه واستقامت احواله مع ابيه . فاتفق ذات يوم من الايام ان الملك بهكرد ركب في مركب ودخل في البحر حتى يتصيد فهبّت عليهِ الريح في البحر فانكسر المركب وغرق وبقي الملك على لوح واحد ولم يعلم بهِ احدٌ . ثم قذفه موج البحر الى ساحل جزيرة فخرج الملك عرياناً . واتفق انه وصل الى البلد الذي فيه ذلك الغلام وابوه ولم يعرف حاله احدٌ انه الملك .

معك وما انت مستحقه فطيب قلبك فانا نساعدك باموالنا وارواحنا ونحن اقرب عند الملك عدوك من كل خواصه ونحن نأخذك معنا ونتابع لك الناس لان الناس يميلون كلهم اليك. فقال لهم بخت زمان: افعلوا معي ما يقدركم الله تعالى عليه وانا مستعين به. (قال) فاخفوه بينهم وادخلوه الى المدينة واضافوه حق الضيافة وهو لا يخاف منهم لثقته بالله تعالى. وان القوم اتفقوا بينهم وتحدثوا مع جماعةٍ من خواص الملك واخذوا مع بخت زمان يدًا وعهدًا ووثبوا على عدوه فقتلوه ونصبوا بخت زمان مكانه فاستقامت اموره واصطلح حاله وردَّ الله نعمته اليه فاظهر في الرعية العدل واقام على طاعة الله تعالى .

وكذلك ايها الملك كل من يكون متكلًا على الله ونيته صافية لهُ فلا يلقى الا خيرًا . وانا فليس لي معين الّا الله وحده وانا راضٍ بقضاه وهو يعلم باني بريءٌ من الذنب بالكلية. فعندما سمع الملك هذه الالفاظ حار عقله واندهش لبه وبقي مبهوتًا من غرائب الامور وهو يقول: ويحك يا غلام السوء من اين لك هذه الحكايات والامور التي ما سمعناها قط ولا الاولون اخبرونا عنها. فعلى حسب ظني انك خبر دار الدنيـا باجمعها . ثم زعق على السجان قائلًا خذه وامضِ بهِ الى السجن ايضًا الى ان ننظر في امره

اليوم السابع في العفو

فلما كان اليوم السابع جاء الوزير السابع وكان اسمه بهكمال فدخل على الملك وسجد بين يديه وقال: ايها الملك صبرك على هذا الغلام ايش لك فيه فائدة والناس يتحدثون بك وما هي النتيجة في تأخيرك قتله. فقتله ثواب ام عقاب او خطية حتى لا تقتله. (قال) فغضب الملك من كلام الوزير وقال: احضروا لي الغلام. فاحضروه . فقال له الملك : يا ويلك مني بعد هذا اليوم ما بقي لك مني خلاص وقد هتكت عرضي وهل تحسب انهُ بقي لك مني عفوٌ. فقال الغلام: ايها الملك وهل يحسن العفو العظيم الا للذنب الكبير وكلما عظم الذنب زاد حسن العفو. ولو انك عفوت عني لكان ذلك قبيحًا بمثلك من

على يد هذا الزاهد . فعند ذلك قال لي الزاهد : لو خرجت بهذه الرجال الذين معك الى عدوك فان كانت قد تغيرت نياتهم وجعلوا في انفسهم العجب وقالوا انهم قد ملكوا مواضعك بقوتهم فانك تقهرهم ولو كنت وحدك . وان كانت نياتهم باقية انهم ملكوا بقوة الله فلا تقدر عليهم . فلما سمعت كلام الزاهد قمت وجعلت كل اتكالي على الله وحده انا والرجال الذين كانوا معي وقصدت العدوَّ على غفلة بالليل ورميت عليهم الاصوات وهم غافلون . فظنوا اننــا كثيرون فهربوا . فملكت بلادي ومكاني بقوة الله تعــالى ومن ذلك الوقت الى الآن لا اقاتل الّا بقوة الله تعالى ومعونته . (قال) فلما سمع بخت زمان ذلك استيقظ من غفلته وقال : سبحان الله العظيم ايها الملك والله انا هكذا حديثي وقصتي لا تزيد ولا تنقص وانا هو بخت زمان الملك وقد جرى لي هذا كله والآن انا اقصد باب الله واتوب اليه . (قال) فخرج بخت زمان وصعد الى بعض الجبال يعبد الله مدة من الزمان . فبينما هو ذات ليلة نائم اذا هو قد رأى شخصاً في نومه يقول لهُ : لقد قبل الله توبتك والآن فهو يعينك على عدوك . (قال) فلما تيقن ذلك من الرؤيا قام واتى قاصداً بلده . فلما قرب منهــا رأى جماعة من حاشية الملك عدوه في الصيد فرافقهم وتحدث معهم . فقالوا لهُ : من انت فاننا نراك غريبــاً ونخاف عليك من هذا الملك لان كل غريب يدخل بلده يهلكه من خوفه من الملك بخت زمان . فقال لهم : هل يضر او ينفع غير الله تعالى . فقالوا لهُ : ان هذا هو الظن الحسن والاعتقاد بالله . فطاب قلب الملك بخت زمان وقال في نفسه : ان اعتقادي كله بالله وحده وعدوي يخاف من المخلوقين فاريد ان اعرّف هؤلاء بنفسي . ثم قال لهم : اما تعرفوني من انا . فقالوا : لا والله ما نعرفك من انت . فقال لهم : انا هو الملك بخت زمان . فلما قال لهم ذلك عرفوه وارتجوا منه وخافوه واستهابوه وقالوا له : ايها الملك كيف خاطرت بنفسك . فقال لهم : قد هانت عليَّ روحي وانا متكل على الله تعالى فهو ثقتي وانا مستجير بهِ . فقالوا له : يكفيك نصره وهو ينصرك لانك مظلوم ومتكل على الله فهو يعينك وعدوك متكل على رجاله . ثم انهم تحدثوا معه وقالوا : اننا نعمل ما نحن اهله

خبره الى الملك انه رجل فارس وقد طلب الخدمة عند الملك . فارسل وراءهُ الملك وضمه اليه واكرمه وجعله من بعض حواشيه . واما بخت زمان فبقي قلبه معلقاً بوطنه وبلده . فاتفق انه قصد ذلك الملك عدوًا لهُ فاخرج الملك اليه عسكرًا وجعل بخت زمان مقدم العسكر . ثم خرج حديدان الملك وصفّ العسكر واخذ الرمشة بيده وتقدم بنفسه وقاتل قتالاً عظيماً فكسر ذلك الملك وانتصر عليه . فهرب ذلك الملك وعسكره خازين ذليلين . فلما رجع الملك وجماعته منصورين فقال له بخت زمان : بالله تخبرني ايها الملك لاني قد رأيت منك عجباً عظيماً في هذا العسكر الكثير وانت تباشر الحرب بنفسك وتخاطر بروحك . فقال حديدان للملك : تدّعي انك فارس الحرب واعتقادك ان النصر هو بكثرة الرجال والعدد الكثير . فقال لهُ الملك بخت زمان : والله ان اعتقادي هكذا هو . فقال لهُ الملك : والله لقد اخطأْت الخطأ العظيم باعتقادك هذا . فالويل ثم الويل لمن كان اعتقاده بغير الله . وهذا العسكر انما جعل لاجل الزينة والخدمة وانما الاتكال فهو على الله تعالى . ثم قال له : يا بخت زمان وانا لقد كان اعتقادي هكذا ان النصر هو بكثرة الرجال . ثم قال لهُ : انه كان قصدني في بعض الايام عدوٌ وكان معه ثمانمائة رجل وانا كان معي ثمانمائة الف رجل . وان عدوي اتكل على الله تعالى وانا اتكلت على الرجال فهزمني وقهرني . فانهزمت منه هزيمة شنيعة واختفيت في بعض الجبال انا وخمسون نفرًا معي . فصادفت في ذلك الجبل زاهدًا منقطعاً فملت اليه وحكيت لهُ عن حالي جميعه وقلت لهُ ايضاً : اعلم يا ايها الزاهد انه خرج عليَّ عدوٌ بثمانمائة رجل وانا كنت بثمانمائة الف رجل مقاتل فهزمني وانتصر عليَّ مرتين فما ادري لاي سبب ذلك . فقال لي الزاهد : اما تدري لاي سبب ذلك . قلت : لا والله . فقال لي : لانك اتكلت على كثرة عسكرك وجمعك وما اتكلت على الله تعالى . فلو جعلت اتكالك على الله تعالى وثقتك به وقلت في نفسك انه هو الذي ينصرك ويقهر عدوك فما كان يقدر العدوُّ على مقاومتك . ثم قال لي الزاهد : ارجع الى الله تعالى وتُب عن فعلك هذا . فرجعت الى نفسي وتبت

من الغلام وخافوا على انفسهم من الملك فدخل ثلاثة منهم على الملك وسجدوا له وقالوا: ايها الملك اننا نحن نصحاء لك ولدولتك وشفقاء عليك وانت قد طولت في ابقاء هذا الغلام فاخبرنا ما فائدتك فيه فان كل يوم يأتي عليه وهو في الحياة في كثرة حديثه فاقتله حتى ينقطع الكلام عنك. فلما سمع الملك كلام الوزراء قال: والله لقد صدقتم وقلتم الحق. عند ذلك امر باحضار الغلام. فلما حضر قال له الملك: الى متى انظر في امرك وما اجد لك معيناً وأرى كلهم عطاشاً لدمك. فقال الغلام: ايها الملك انما انا ارجو المعونة من الله لا من المخلوقين. فانه اذا كان الله معيني لا يقدر احد على مضرتي واذا كان الله معي وفي عوني لاجل الحق فمن هو الذي اخافه لاجل الباطل فقد جعلت نيتي مع الله تعالى نية صادقة وقطعت طمعي من مساعدة المخلوقين وكل من يطلب المعونة من الله يجد ما وجد بخت زمان الملك من مراده. قال الملك: ومن هو بخت زمان الملك وكيف كان حديثه

حكاية الملك بخت زمان

قال الغلام. ايها الملك كان ملك من بعض الملوك وكان اسمه بخت زمان وكان كثير الأكل والشرب والمعاشرة. فظهرت له الاعداء من نواحي بلده وطمعوا فيه. فقال له بعض اصدقائه: استعن بالله ايها الملك فهو يعينك خيراً من عدد رجالك ومالك. فتغافل عن قول الناصحين له. فقصده العدو وحاربه وانتصر عليه وما نفعه ثقته بغير الله تعالى. فهرب من بين يديه وقصد بعض الملوك فحضر بين يديه وقال له: قد قصدتك وتعلقت باذيالك واحتميت بك لتنصرني على عدو لي. فاعطاه مالاً وعسكراً كثيراً. ففرح وقال في نفسه: اني قد تقويت بهذا العسكر ولا بد لي ان اغلب عدوي وسار الى بلده وحارب عدوه. فانكسر وغُلب وانهزم على وجهه وتفرق العسكر عنه وذهب المال منه وتبعه العدو. فطلب البحر وعبر الى الجانب الآخر فرأى مدينة كبيرة ولها قلعة عظيمة. فسأل ما اسم هذه المدينة ولمن تكون من الملوك. فقالوا له: هي للملك خديدان. فسار بخت زمان حتى وصل الى دار الملك. فوصل

المحال . (قال) فلما سمع الوزير كلام اروى وعرفها علم انهُ لا ينجيه الكذب ولا ينفعه الَّا الصدق . عند ذلك اطرق الى الارض وبكى وقال : ان الذي يفعل الشر شراً يلقى ولو طـالت مدته . والله انا الذي اذنبت واخطأت ولي كان الذنب والخطأ وما حملني على ذلك الَّا الخوف وغلبة الهوى والشقـاء المكتوب على جبيني وان هذه المرأة هي زكية طاهرة برية من كل شيء . (قال) فلما سمع دادبين الملك ذلك لطم على رأسه وقال للوزير : قاتلك الله انت الذي فرَّقت بيني وبين زوجتي بكذبك وبظلمك ظلمتني . فقال الملك كسرى : لا بد ان يقتلك الله انت الذي عجلت وما نظرت في امرك ولا عرفت المذنب من غيره ولولا تعجل لبـسان لك الخطأ من الصواب وهذا الوزير السوء اراد هلاكك فانت اين كان نظرك وفكرك . ثم قال الملـك كسرى لاروى : ما الذي تريدين ان تصنع بهم . قالت : اقض فيهم ايها الملك بحكم الله تعالى . القـاتل يُقتل والمعتدي يُعتدى عليه كما اعتدى علينا والمحسن يحسن اليه . ثم امرت بدادبين الملك ان يضربوا رأسه بدبوس ويقتلوه وقالت : هذا بدل قتله ابي انا استوفي دمه . واما الوزير فامرت بان يحملوه على دابة الى البرية التي حملوها اليها وقالت له : ان كنت مذنباً ستلقى ذنبك وتهلـك في ذنبك في تلك البرية جوعاً وعطشاً . وان كان ما لك ذنب فتخلص كما خلصت انا . واما الحاجب فخلعت عليه خلعة ثمينة وقالت له : مثلك ينبغي للملوك ان يقربوه اليهم لانك محضر خير ولقد نطقت حقاً وقلت خيرًا . ثم ولَّاه الملك كسرى ناحية بلدة وكوفي المرء بفعلهِ

فاعلم ايها الملك ان من يفعل الخير سيلقى فعله . ومن لا ذنب له ولا خطـأ فلا يخاف من عاقبة امره . وانا يا ايها الملك لا ذنب لي فارجو من الله ان يظهر الحق للملك السعيد ويظفرني بالاعداء والحسَّاد . (قال) فأمر الملك بان يردوه الى الحبس وقال : قد انقضى اليوم وغداً ننظر في امره

اليوم السـادس في العفو وحسن النية بالله

فلما كان اليوم السـادس اشتد غضب الوزراء كيف انهم ما بلغـوا مرادهم

اخبره بخبر الجارية ووصف له حسنها وجمالها فتعلق قلب الملك بها . ثم تخفى بنفسه مع نفر قليل وركب واتى الى ذلك الموضع فوجد الجارية فاندهش منها لانه رآها فوق الوصف الذي وصفها له الجمال . فقال لها : يا خادمة الله انا كسرى الملك كبير الملوك فهل تريدين ان اتزوج بكِ . فقالت : وما تصنع بي ايها الملك وانا امرأة منقطعة في هذه البرية . فقال لها : لا بدَّ من ذلك وان لم تطيعيني فانا اسكن ههنا في هذه البرية وادخل تحت طاعة الله وطاعتكِ واعبد الله معكِ . ثم امر الملك خدامه بان ينصبوا له خيمة ولها ايضاً خيمة مقابلها حتى يعبد الله معها وجعل يرسل لها طعاماً . فقالت في نفسها : هذا ملك فلا يجوز لي ان اخليه ينقطع عن رعيته وملكهِ بسببي . ثم قالت للخادمة التي كانت تجيء لها بالطعام : قولي للملك حتى يرجع الى تخته ونسائه فانا لا حاجة لي في الملك واريد الازم هذا الموضع واعبد الله فيهِ . فحكت الخادمة للملك كلما قالت . فارسل يقول لها : وانا اعبد الله في هذه البرية . فلما رأت منهُ الجد اطاعته وقالت : اكون لك زوجة . ولكن بشرط ان تحضر لي دادبين الملك ووزيره كاردان والحاجب الذي له الى مجلسك حتى اكلمهم كلاماً في وجود حضرتكم لتكون رغبة الملك فيَّ اكثر . فقال لها الملك كسرى : وما هي حاجتكِ الى ذلك . فاخبرته بخبرها من اوله الى آخره وما لفظ الوزير في حقها وانها هي زوجة دادبين الملك . فلما سمع كسرى بذلك ازداد رغبة ومحبة وقال لها : افعلي ما تريدين . ثم احضر لها قبة كسروية وحملها فيها الى منزله ورفع منزلتها وانفذ عسكراً عظيماً الى دادبين الملك واحضره هو ووزيره وحاجبه بين يديه وادخلهم اليه وهم لا يعرفون ما هو قصده منهم . واما هي فكان قد نصب لها تلك القبة الكسروية في ارض دار الملك كسرى ودخلت الى القبة واسبلت عليها الستار . ولما اتى دادبين ووزيره وحاجبه ونصبوا مجالسهم رفعت الستر وقالت للوزير يا كاردان . ما هو الذي حملك على ان تكذب على الملك دادبين حتى اخرجتني من بيتي ومن يد زوجي وتسببت بذلك على ابي رجل مؤمن وقتلته . بحق الذي اوقفك هذا الوقوف الذليل ان تقرَّ بالصحيح فما ههنا مكان يمكنك الكذب فيهِ ولا يصلح لك فيه

وقال : ما هو الخبر . قال : انهُ لما كان بعد سفرك بايامٍ جاء اليَّ شخص وقال لي : ايها الوزير تعال واسمع . فأتيت الى باب حجرتها واذا هي جالسة وعندها ابو الخير غلام ابيها الذي قربته اليك وفعلت معه ما فعلت . وهذه صورة ما سمعته ورأيته . فعند ذلك استشاط الملك غيظاً وغضباً وقال لبعض الخدام : امضِ اقتلها في حجرتها . فلما رأى الخادم انه قد امره في قتلها قال للملك : ادام الله بقاءك ارجو من فضلك ايها الملك ان يصير قتلها على هذا الوجه . وهو ان تأمر بعض الخدام ان يحملها على جمل ويمضي بها الى بعض البراري المنقطعة ويرميها هناك فان كان لها ذنبٌ فان الله يهلكها وان كانت بريئة فان الله ينجيها وانت تكون بريئاً من دمها وخطيئتها لان هذه الجارية عزيزة عليك وقد قتلت اباها لاجل محبتك لها . فقال الملك : والله لقد حكمت حكماً مستقيماً . ثم امر الملك بعض الخدام بان يحملها على جمل ويأخذها الى بعض البراري المنقطعة ويتركها وينصرف فانه اطول عذاب لها . (قال) فأخذها الخادم ومضى بها الى البرية وتركها بلا زاد ولا ماء ورجع . فعمدت الجارية الى بعض الروابي وصفت حجارة قدامها ووقفت تصلي وتعبد الله تعالى وتشكره . فاتفق ان رجلاً جمالاً كان لكسرى الملك وكان قد ضلت لهُ جمال وقد تهدده الملك بالقتل ان لم يجدها . فمضى الجمال وغاص في البرية الى المواضع التي كانت فيها الجارية . فرآها قائمة تصلي وحدها . فصبر حتى فرغت من صلاتها فتقدم اليها وسلم عليها وقال لها : من تكونين انتِ . فقالت لهُ : انا امة الله تعالى . فقال لها : وما تصنعين ههنا في هذا المكان المنقطع . قالت : اعبد الله الواحد . فرأى حسنها وجمالها شيء لا يوصف فافتتن بها وقال لها : أتتزوجين بي واكون لكِ شفوقاً رحوماً واعيش على طاعة الله معكِ . فقالت له : لا حاجة لي في الزواج ولكن اريد ان اخلو بربي وبعبادتهِ . وان كنت تريد ترحمني وتعينني على طاعة الله فخذني الى موضع يكون فيه ماء فتكون قد احسنت اليَّ . فاخذها الى موضع فيه ماء جارٍ وانزلها في تلك الارض وتركها ومضى متعجباً منها وقد وجد جماله ببركة دعائها . ثم ان الجمال لما رجع سألهُ الملك كسرى عن الجمال كيف وجدها . فاخبره ومن الجملة

الوزير الى الملك وحدثه بما قالت ابنته . (قال) فازداد الملك بها عشقاً وشوقاً ومحبة ثم قال لوزيره : ان لم تزوجني بها طوعاً والّا آخذها قهرا وظلماً . فعاد الوزير الى ابنته واخبرها بما قال الملك . فقالت : انا ما اريد زواجاً . فرجع الوزير الى الملك واخبره انها ما تريد زواجاً . فغضب الملك وتهدد الوزير بالقتل . فجاء الوزير الى ابنته فاخذها وهرب . فلما سمع الملك ذلك انفذ في طلبه الاجناد فمسكوا عليه الطرق وخرج الملك ايضاً في طلبه فعلق به فضربه بدبوس في رأسه فقتله واخذ ابنته قهراً ورجع الى منزله ودخل عليها . فصبرت وهي معبسة وسلمت امرها الى الله تعالى وكانت تعبد الله ليلها ونهارها احق العبادة في دار الملك . ثم انه عرض للملك سفر فقال لكاردان الوزير : ان اعظم حاجة لي عندك الوصية على حفظ هذه الجارية التي ما عندي في الدنيا شيء اعزّ منها . فقال كاردان في نفسه : لقد شرفني الملك بهذه الجارية شرفاً عظيماً واريد انظرها . فمن بعد ما سافر الملك اختفى ذات يوم فنظرها فرآها فوق الوصف فاندهش منها وحار عقله فيها فغلبت المحبة عليه حتى انه راسلها وقال لها : ارحميني لقد هلكت في هواكِ . فقالت لهُ : ايها الوزير انت موضوع الامانة والثقة فلا تضيع امانتك وليكن باطنك مثل ظاهرك واكتف بزوجتك وحلالك فهذه الشهوة كلها طعام واحد وان لم تنتهِ من هذا الكلام والّا جعلتك فضيحة بين الانام . فلما سمع الوزير هذا الكلام عرف انها عفيفة وندم الندم العظيم وخاف على نفسه من الملك . ثم قال في نفسه : اريد ادبر لي حيلة اهلكها بها والّا تفضحني . (قال) فلما جاء الملك من سفره سأله عن امور دولته . فقال : الحمد لله كلها جيدة ايها الملك ولكن انما ههنا امر اطلعت عليه فان قلته استحي اقابل بهِ الملك وان سكت عنه اخاف ان يظهر لك من غيري فاكون قد خنت الملك في نصحي وامانتي . فقال له الملك : قل ما انت عندي الّا صادق وامين ناصح في كل ما تقوله غير متهم في شيء من غير سبب . فقال له : ايها الملك ان هذه المرأة التي تعلق قلبك بحبها وفضلتها على نسائك وتتحدث بدينها وصومها وصلاتها فان ذلك كله مكر وخديعة . فانزعج الملك

اليوم الخامس في العاقبة وحسن اليقين بالله

فلما كان اليوم الخامس اتى الوزير الخامس وكان اسمه جوهر بواز فدخل الى الملك وسجد له وقال : ايها الملك لو رأيت او سمعت ان احدًا نظر الى دارك كان يجب عليك ان تقلع عينيه فكيف لما رأيت في وسط دارك وعلى سريرك وفراشك من ليس هو من اصلك ولا من نسبك . فاطفئ هذه النار عنك بقتله فاننا لا نخوضك على هذا الامر الّا لاتقان دولتك وحرصًا على نصيحتك ومحبتك . فكيف يجوز ان يعيش هذا الغلام ساعة واحدة . (قال) فامتلأ الملك غيظًا وغضبًا وقال : احضروه في هذه الساعة . فلحين احضروه . فقال له الملك : يا ويلك لقد اذنبت ذنبًا عظيمًا وقد طالت مدة حياتك ولا بد من قتلك ولا راحة لنا في التأني اكثر من هذا . فقال لهُ الغلام . ايها الملك والله انا بلا ذنب فلاجل ذلك ارجو الحياة لان الذي ليس لهُ ذنب لا يجزع من عقوبةٍ ولا يعظم غمه وحزنه ومن لهُ ذنب فلا بدَّ لهُ ان يُطالب بذنبه ويموت ولو طالت حياته ويصيبه كما اصاب دادبين الملك ووزيره . فقال الملك : وكيف كان حديث دادبين الملك ووزيره

حكاية دادبين الملك ووزيره

قال الغلام : ادام الله دولتك ايها الملك زعموا انه كان ملك من الملوك في ارض طبرستان وكان اسمه دادبين وكان له وزيران اسم الواحد زوركان والآخر كاردان وكان لزوركان ابنة لم يكن في زمانها احسن منها ولا اعفَّ منها ولا ادين منها وكانت صائمة ومصلية وعابدة لله وكان اسمها اروى . فسمع الملك بها فعلق قلبه بحبها فاستدعى اباها وقال لهُ : اريد منك ان تزوجني بابنتك . فقال لهُ الوزير : ايها الملك ائذن لي حتى اكلمها فان اذنت زوجتك بها . فقال له الملك : عجل بذلك . فجاء ابوها اليها وقال لها : ان الملك يريد ان يتزوج بكِ . فقالت : يا ابي ما اريد زواجًا وان زوجتني فلا تزوجني الّا برجل يكون دوني واكون اشرف منه حتى لا يلتفت الى غيري . ولا تزوجني لمن يكون اشرف مني فاكون عنده كالجارية الخادمة . فرجع

حقيقة حاله والعجلة ندامة . ثم انه حبسه عنده وبعد ذلك شاع الخبر ان بهزاد قد عدم . فانفذ ابوه الكتب في طلبه . فلما وصل الكتاب الى الملك الذي بهزاد عنده حمد الله تعالى وشكره على انه ما استعجل في امر قتله . ثم احضره بين يديه وقال له : كيف كنت تريد تهلك نفسك . قال : خوفاً من العار . قال له الملك : لو خفت من العار ما كنت استعملت العجلة اما علمت ان ثمرة العجلة ندامة ولو عجلت انا ايضاً مثلك لكنت ندمت . ثم انه خلع عليه وضمن له كمالة النقد وانفذ الى ابيه يبشره بسلامة ولده ويطيب خاطره . ثم قال الملك لبهزاد : قم يا ولدي وامضِ الى ابيك . فقال الغلام : ايها الملك تمم لي احسانك بدخولي على زوجتي فاني اذا مضيت الى ابي يعدني حتى ينفذ اليكم رسولاً فتطول المدة . فضحك الملك وتعجب منه وقال : اني اخاف عليك يا ولدي من هذه العجلة ان ما تعود تبلغ مرادك . ثم ان ابا الغلام ارسل مالاً جزيلاً وكتب كتاب وصية بابنه الى ابي الجارية وانفذه اليه . فلما وصل التقاه الملك واهل مملكته ورتب لبهزاد مجلساً حسناً وجهز امره على حسب العادة وامر بان يعجلوا بدخول ابنته عليه . فاخذوا في امر الصبية . فلما كان يوم الدخلة فمن عجلته وقلة صبره اتى الى الحائط الذي بينه وبينهم وكان فيه ثقب فنظر منه حتى يبصر زوجته من عجلته . فرأته ام العروس فصعب عليها ذلك . فاخذت بعض الخدام واحمت سيخين من حديد وادخلوهما في جانب الثقب وهو يتطلع فضربته في عينيه فقلعتهما وغاص السيخان فيهما . فصاح الغلام ووقع مغشياً عليهِ وانقلب الفرح وصار حزناً وغماً

وهكذا يا ايها الملك المعظم عاقبة العجلة . فعدم التأني من الغلام وعجلته هي التي اورثته الندم الطويل وبدلت فرحه الى حزنٍ . وكذلك المرأة التي عجلت بقلع عينيه وما تأنت . وكل هذا فعل العجلة . وكذلك ينبغي لك ايها الملك بان لا تعجل في قتلي بل تتأنى لاني تحت قبضة يدك فاي وقت تريد قتلي لا يفوتك . فلما سمع الملك ذلك قال : ردوه الى الحبس الى غد ننظر في امره

من افعال اللئام والصبر من افعال الكرام واذا قتلتني تندم وان اردت ان تحييني فلا تقدر وكل من عجل في القتل يصيبه الندم كما اصاب بهزاد ابن الملك في عجلته. فقال الملك : وكيف كان حديث بهزاد ابن الملك في العجلة

حكاية بهزاد ابن الملك

قال الغلام: ايها الملك كان في القديم ملك وكان لهُ ولد ولم يكن في زمانه احسن منه وكان اسمه بهزاد وكان يحب عشرة الناس ومجالسة التجار والمنادمة معهم. فبينما هو ذات يوم من الايام قاعد في مجلس لهُ بين جمع من الناس سمعهم يتحدثون في حسنه وجماله وقالوا: ما في زمانه احسن منه. فقال واحد من الجماعة : ان بنت فلان احسن منه. فلما سمع بهزاد ذلك طار عقله وقلبه ودعا بالرجل وقال لهُ: اخبرني ما الذي قلته واصدقني عن التي ذكرتها انها احسن مني ابنة من هي. فقال لهُ : انها ابنة الملك الفلاني وانها احسن منك لان ما لها نظير. فعلق قلبه بها وتغير لونه ووصل الخبر الى ابيه. فقال لهُ ابوه: يا ولدي ان هذه الجارية التي تعلق قلبك بها هي في حكمك ونحن قادرون عليها . فاصبر حتى اخطبها لك . فقال : ليس لي صبر. فارسل ابوه عاجلًا ليخطبها لهُ. فطلب ابو الجارية ان يكون نقد ابنته مائة الف دينار. فاجاب الملك ابو الغلام الى ذلك وانقد ما في خزانته فتبقى عليه شيء من نقدها فقال له : يا ولدي اصبر حتى اجمع مالاً واتمم نقدها وارسل اجيء بها لك لانه قد تم املاكها لك بالرضى وقد بقيت رهينة على تمام النقد . فغضب الغلام وقال : لا اقدر اصبر . ثم اخذ سيفه ورمحه وركب فرسه وخرج يقطع الطرق فوقع يومًا على جماعة فتكاثروا عليه ومسكوه وكتفوه واتوا بهِ الى الملك الذي كان يقطع الطرق في ولايته وقالوا لهُ : هذا كان قاطع الطرق في ولايتك. فلما رأى الملك صورة جماله انكر عليه وقال : ما هذه صورة حرامي . ثم التفت الملك الى الغلام وقال لهُ : اصدقني الآن يا فتى. فاستحى بهزاد ان يخبره بحاله واختار القتل لنفسه وقال: ما انا الّا حرامي. فقال الملك: ما يجب ان نعجل في قتل هذا الغلام حتى نستخبر

على الحرمة واخذتها منه فهذه هي حرمتي فاستأمرها بنوع الخطف والجور فردها الله عليَّ وجميع ما فعلته بحقٍ وعدلٍ وانصاف . وانتم بظاهر الامر ظننتم انه ظلم . فلما سمع القوم كلامه تحيروا وتعجبوا منه وخروا له ساجدين وزادوا فيه رغبةً ومحبةً واعتذروا اليه وتعجبوا مما صنع الله معه وكيف بصبره اعطاه الملك وكيف احتمل هذه الشدائد من غزير عقله ونال مرتبة الملك وصعد من اسفل الجب الى كرسي الملك وانزل الملك من الكرسي الى اسفل الجب . ثم انطلق الجمع عنه ومضى الوزراء والقواد الى منازلهم متعجبين من امر هذا الملك ابي صابر . ثم اجتمع ابو صابر مع زوجته وقال لها : ايتها المرأة أرأيت ثمرة الصبر وحلاوتها وثمرة العجلة ومرارتها . وايش ما يعمله العبد من خيرٍ ومن شرٍّ فانه يلقاه

ثم قال الغلام : فها قد اخبرتك ايها الملك على مناقب الصبر ومحموداته . فكذلك ينبغي لك ان تستعمل الصبر مهما امكنك . فان الصبر من شيم الكرام وهو اجلّ ما يتعاهدونه ولاسيما الملوك . (قال) فلما سمع الملك ذلك من الغلام اندهل من غرائب كلامه وتحير من حسن الفاظه واندهش من حسن نطقه وقال : ويحك يا غلام السوء ما هذا الكلام الذي تكلمت بهِ كانه راوند على القلوب الملتهبة . فلما سكن غيظ الملك قال : ردوه الى الحبس الى الغد فننظر في امره . فمضوا به الى الحبس وانصرف الجمع في ذلك اليوم

اليوم الرابع في الرفق والتأني

فلما كان اليوم الرابع اتى الوزير الرابع وكان اسمه زوشاد فدخل الى الملك وسجد بين يديه وقال له : ايها الملك ان حديث هذا الغلام ليس هو شيء . وانه طال ما هو بالحياة فكلام الرعية يزيد وقلبك لا يهدأ . فقال الملك : والله لقد تكلمت حقًا واريد اليوم احضره واقتله بين يديَّ . ثم ارسل واحضره وقال له : يا ويلك تظن انك تطمن قلبي بحديثك وتقضي الايام بالكلام . فانني اريد اليوم اقتلك واتخلص منك . فقال الغلام : ايها الملك العزيز قتلي بين يديك اي وقت شئت لكن لا تعجل فان العجلة

الحرامية جميعهم. فلما رأى العسكر ذلك قالوا: هذا هو ظالم عظيم وظلمه اعظم من ظلم اخيه. كيف قوم الحرامية اتوا وطلبوا منه التوبة وقدموا له غلامين فاخذ الغلامين واخذ اموالهم وقتلهم. فهذا هو الظلم الذي لا يطاق. ثم بعد ذلك اتى الفارس الذي اخذ زوجته يشتكي منها بانها لا تمكنه من نفسها. فامر باحضارهـا بين يديه ليحكم بينهما ويسمع كلامها. فاتى بها الرجل الى بين يدي الملك. فلما نظرها الملك ابو صابر عرفها انها حرمته فاخذها منه وأمر بقتله. فلما رأى ذلك وزراؤه وعظماء دولته تعجبوا من هذا الفعـل الشنيع وقالوا في ذواتهم: ما رأينا ولا نقل اباؤنا واجدادنا مثـل هذه الافعـال. فيا هل ترى ماذا يجري منه ايضاً. فلما رآهم ابو صابر الملك متعجبين مدمدمين ومتقمقمين التفت اليهم والى من حضر وقال: افهموا انتم يا وزراء وانتم يا من حضرتم هـذه الحكومة. فمن البين انكم انزعجتم جداً وتظنون اني جائر في حكمي هذا ومعتدٍ على هؤلاء القوم. فحاشا لي من ذلك ان اركب طريق الجوز والعدوان والظلم ولا ينبغي لي ذلك. لكن جميع ما رأيتم من هذه الحكومة فبعدل وحق وانصاف فعلت ذلك. لكن استمعوا لي ما اقول لكم. فان سألتم عني فما انا اخو الملك الذي تملكت بعده لكن الملك حبسني في الجب من مدة اول بنيان هذه العمارة من اجل كلمة كان سمعها مني وفي كل يوم كان الملك يأتي الى فم الجب ويقاولني فيه وانتم ظننتم اني اخوه. ولكن انا ابو صابر واعطاني الله هـذا الملك بصبري. واما من خصوص الملك الذي اتى الى هذا البلد واستجار بي ولم اجرهُ ونهبته ونفيته فهو سابقاً عاداني ظلماً ومن غير اساءة فعلتهـا نهبني واخرجني من بلدتي ونفاني من وطني. وقابلته بما قابلني قصاصاً كما قيل: من اعتدى فاعتدِي عليه. واما الحرامية الذين اتوا اليَّ واستجاروا بي وارادوا ان يتوبوا على يدي فما كان لهم عندي توبة لانهم رأوني آتياً في الطريق فنهبوا الذي كان تبقى معي وعروني واخذوا مني ولدَيَّ هما هذان اللذان ظننتم انهما مماليك واخذتهما من الحرامية فانهما ولداي وقطعـة من لحمي فجازيتهم بما فعـلوا وقابلتهم بحق وانصاف. واما الفارس الذي ورد الي بنوع الشكوى

يا ابا صابر يا ناقص العقل لماذا اراك لم تخرج من الجب الى كرسي الملك . وكان كل يوم يرمي له رغيفين خبزًا وابو صابر صامت لا يتكلم صابر على ما اصابه . وكان للملك اخ قد حبسهُ ومات في الحبس ولم يعرف بهِ احد انه مات . فلما رأى حاشية الملك قساوته على اخيه وما فعل معه في حبسه الطويل تحدثوا بذلك وشاع الخبر ان الملك ظالم كثيرًا . فوثبوا عليهِ ذات يوم وقتلوه واخرجوا ابا صابر من الجب ظانين انه اخو الملك فاجلسوه ملكًا وقالوا له : انت موضع اخيك تكون ملكًا وخذ مكانه فقد قتلناه . فسكت ابو صابر ولم يتكلم وعرف ان ذلك صار له من عاقبة صبره . فقام وجلس على سرير الملك ولبس ثياب الملك والتاج واظهر العدل . فاستقامت لهُ الامور وطاعت لهُ الخلق ومالت اليه والعدالة كثرت وكثرت عساكره . هذا ما جرى لابي صابر . واما الملك الذي كان ابو صابر ساكنًا في قريته ونفاه واخذ ماله واخرجه من مكانه كان لهُ عدوٌ فركب وسار اليهِ وغلبه واخذ مدينته . فانهزم واتى الى المدينة التي ابو صابر ملكها مستجيرًا به . فدخل اليهِ وسجد له وشكره واخبره بما جرى عليه . فقال لهُ ابو صابر : هذه عاقبة امور الصبر ومنافعه وقد اظفرني الله تعالى بك . ثم امر جنده بان ينهبوه هو وجماعته . فنهبوهم وعروهم ثيابهم ثم اخرجهم الجنود من البلد هاربين . فلما رأى عسكر ابي صابر ذلك تعجبوا وقالوا : ما هذا الفعل . ياتي اليه ملك مظلوم ليستجير بهِ فينهبه . فما هذا من شيم الملوك . ولكن لم يجسروا ان يكلموه في شيء من ذلك الامر . ثم ان ابا صابر سمع بخبر حرامية في بلده . فلم يزل يطلبهم حتى وجدهم ومسكهم واذا هم الحرامية الذين اخذوا ولديه في الطريق . فامر باحضارهم اليه فاحضروهم بين يديه . فسألهم وقال لهم : اين الصبيان اللذان اخذتموهما في الوقت الفلاني في الطريق . فقالوا لهُ : هما عندنا ونحن نقدمهما الى سيدنا الملك مملوكين يخدمانه ونعطيه مالاً كثيرًا قد جمعناه ونخرج عن جميع ما عملناه ونتوب من الحرام ونقاتل بين يديك . فلم يلتفت اليهم بل اخذ جميع اموالهم كلها وجاؤوا له بالولدين ولم يعلموا انهما ولداه . وان ابا صابر لما رأى ولديه فرح بهما فرحًا عظيمًا وامر بقتل

الصبر عاقبة محمودة . ثم سارا حتى وصلا الى قرب قريةٍ وعندها نهر ماء فقال لزوجته : كوني ههنا حتى ادخل الى هذه القرية وانظر مكان نسكنه . فتركها ودخل الى تلك القرية . واذا بفارس اتى في طلب الماء ليسقي فرسه فنظر الى المرأة والى حسنها والى جلوسها في تلك البرية فحليت في عينه . فقال لها : ماذا جالسة تفعلين ههنا ايتها المرأة ولماذا وقوفكِ في هذا الموضع من غير ان يكون معك رجل . تعالي اركبي معي لاتزوجكِ واحسن اليكِ . فقالت لهُ : ابقاك الله فان لي زوجاً . فسلَّ سيفه وقال لها : ان لم تطيعيني والَّا ضربتك قتلتك . فلما رأت منه هذا الغضب وهذه الحالة كتبت على الارض باصبعها تقول : يا ابا صابر ما زالت تصبر حتى ذهب مالك وولداك وزوجتك التي كانت عندك اعز من كل شي . ومن كل مالك وبقيت وحدك حزيناً . ولكن اريد انظر ماذا ينفعك صبرك . ثم بعد ذلك اخذها الفارس وركَّبها وراءه ومضى . واما ابو صابر فانه لما رجع لم يرَ زوجته فقرأ ما على الارض مكتوب . فبكى ولطم على وجهه كالمجنون وجلس حزيناً وقال : يا ابا صابر ينبغي لك ان تصبر فلعلَّهُ كان امرٌ اصعب من هذا واشدّ . ثم انه رأى قوماً فعلة فمضى اليهم فرآهم يعملون في قصر الملك ويبنون سخرةً . فلما رآهُ غلمان الملك مسكوه وقالوا لهُ : اعمل مثل هؤلاء القوم في قصر الملك والَّا نحبسك في حبس مؤبَّد . فجعل يعمل معهم بالفاعل وكل يوم يعطونه رغيف خبز لا غير . فعمل معهم مقدار شهر . وفي ذلك الشغل صعد بعض الفعلة في سلم فوقع من علوه وانكسرت رجله فصاح وبكى . فقال له ابو صابر : اصبر ولا تبكِ فانك في صبرك تجد راحة . فقال الرجل : الى كم اصبر . فقال له ابو صابر : اصبر واستقم في الصبر فان الصبر يخرج الرجل من قاع الجب ويجلسه على كرسي الملك . وكان الملك جالساً في الشباك يسمع قول ابي صابر فغضب الملك من كلام ابي صابر وامر باحضاره فأحضروه لوقته . وكان في دار الملك جب عميق وفيه مطمورة عميقة فانزله فيها وقال لهُ : يا ناقص العقل فلنبصر الآن كيف تخرج من الجب الى كرسي الملك . وبقي الملك يجي . كل يوم يقف على فم الجب ويقول :

ماشية كثيرة . وكان له زوجة حسنة ولهُ منهـا ولدان . وكانوا ساكنين في قرية وكان يأتي الى تلك القرية سبع ويفترس من دوابّ ابي صـابر فأفنى اكثرها . فقالت لهُ زوجتهُ ذات يوم : يا ابا صابر ان هذا الاسد افنى اكثر دوابنا فاركب انت بنفسك وخذ معك جماعتك واقصد قتـل هذا الاسد فتقتله ونستريح منه . فقـال لها ابو صابر : اصبري ايتها المرأة فان الصبر عاقبته محمودة . لان هذا السبع هو باغٍ علينا . وان البـاغي لا بد ان يهلكه الله وصبرنا هو الذي يقتله وان الذي يفعـل الشرّ ينقلب عليه . ثم انهُ في بعض الايام خرج الملك فالتقى السبع فامر عسكره بان يلحقوه ويقتلوه فلحقوه وقتلوه . فقـال ابو صابر لزوجته : أما قلت لكِ ايتهـا المرأة ان الذي يفعـل الشر ينقلب عليه . فلو خرجت انا بنفسي قاصدًا لهُ فربما ما كنت اقدر عليه وهذه عاقبة الصابر . فاتفق انه بعد ذلك نهب السلطان تلك القرية بسبب قتيل قُتل بها ونهبوا مال ابي صابر معهم . وان امرأته قالت له : يا رجل انت كل حواشي الملـك يعرفونك فاعلمهم ليرفعوا خبرك للملك حتى يردّ لك دوابك . فقال : ايتهـا المرأة اما قلت لكِ من يفعـل الشر شرًا يلق وان كان الملك فعل الشر فيلقى فعله . وكل من اخذ اموال الناس لا بدَّ ان يؤخذ ماله . ولا تنظري الى اخذ مالي بل انظري الى يوم آخذ مالهُ . فسمع رجل من جيرانه كلامه وكان عدوًا له فمضى واخبر الملك بذلك . فارسل الملك ونهب جميع ما تبقى من ماله واخرجه هو وامرأته من تلك القرية فمضوا في البرية . فقالت له امرأته : ان هذا الذي صار علينا كله من توانيك في الامور وعجزك . فقال لها : اصبري فان الصبر عاقبته الى خيرٍ . ثم انهم مشوا قليلًا فابصرهم لصوص فنهبوا جميع ما تبقى معهم وشلحوهم ثيابهم واخذوا ولدين لهما منهما ومضوا . فبكت المرأة وقالت : يا رجل خلِّ عنـك هذا الجهل وقم حتى نتبعهم عسى ان يرحمونا ويردوا الولدين علينا . فقـال ابو صابر : اصبري ايتهـا المرأة فان الذي يعمل الشرّ شرا يجد وعاقبة الشرِ وشره ينقلب عليه . ولو انا اتبعناهم فربما واحد منهم سحب سيفه وضربني فيقتلني . ولكن الصبر اولى لنا لان في

كسيه وعانق اباه وقال له : والله انت ابي وانا ابنك وهذا اخي وهذه زوجتك والدتي . حينئذٍ أخبر الناس بذلك وقال : أرأيتم كيف نظري في عاقبة الامور . ثم قال لابيه : لو انك تنظر في امرك وتتأنى لما ندمت طول هذه المدة . ولو اني انا عجلت في هذه الامور لحلَّ بي من الغم ما كان الموت اهون منه . والذي اتعبك انت في هذه المدة الطويلة كان لاجل تعجيلك في الامور . ولو انك نظرت في عاقبة امرك وتأنيت لما فاتك منفعته . ثم انه احضر امه وعانقها وعانقته وفرحوا بعضهم مع بعض وعاشوا في فرح وسرور كافة ايام حياتهم

فاي شي يكون اصعب من عدم النظر في عواقب الامور وما يؤدي اليه من الغم والندم . (قال) فلما سمع الملك ذلك قال : ردوه الى الحبس حتى غداً ننظر في امره . والنظر الى عاقبة الامور في كل حالٍ اولى وقتله لا يفوت

اليوم الثالث في الصبر

فلما كان اليوم الثالث اتى الوزير الثالث ودخل على الملك وسجد بين يديه وقال : أيها الملك لا تهمل امر هذا الغلام لان فعله قد اوقعنا في افواه الناس . وينبغي ان نقتله عاجلاً لينقطع الكلام عنك ولا يقال ان الملك رأى في داره على سريره شخصاً مع زوجته وعفا عنه ولم نرَه قط عفا عن احدٍ . فاغتاظ الملك من هذا الكلام وامر باحضار الغلام . فاحضروه بقيوده الى الملك . فلما رآهُ الملك هاج غيظه عليه من اجل كلام الوزير وانزعج وقال له : يا ردي الاصل قد فضحتنا واسأت لذكرنا . فلا بدّ لي ان اذهب روحك من الدنيا . فقال له الغلام : ايها الملك استعمل الصبر في افعالك تبلغ مرادك . فان الله تعالى جعل عاقبة الصبر الى خير كثير . وفي الصبر صعد الرجل الذي كان اسمه ابا صابر من الجب الى سرير الملك . قال الملك وكيف كان ابو صابر وما هو حديثه

حكاية لابي صابر

قال الغلام : ايها الملك انه كان رجل دهقان وكان اسمه ابا صابر وكان له

واراد الوثوب عليك ليقتلك . فلما سمع الملك ذلك تغيرت الوانه وقال لهم : هل لكم بذلك شهود . قالوا له : اي شهود تريد نظهر لك . انت في هذه الليلة ارصده فتنظر بعينك كما ذكرنا لك . ثم مضوا الى التاجر اخي الملك وشكروه وقالوا له : لا تقصر عن حراسة الملك فانه شكرك على ذلك ويريد يزيد في احسانك على فعلك الذي فعلته . فلما كان في الليلة الثانية بقي الملك ساهرًا قلقًا ينظر الغلام . واما الغلام فانه اتى الى باب المضرب الذي فيه الملك وسلَّ سيفه وقام في الباب . فلما رآهُ الملك عظم قلقه وامر بمسكه وقال له : هذا جزاني منك بدل محبتي اليك وقد قربتك اليَّ اكثر من كل احدٍ وانت تريد تفعل معي هذا الفعل . ثم قام اثنان من غلمان الملك وقالا له : نضرب عنقه ايها الملك بامرك . فقال لهما : العجلة في القتل امر هين وهو امرٌ كبير . وان الحيَّ نقدر نقتله اما المقتول فلا نقدر نحييه . ولا بدَّ من النظر في عاقبة الامور وسنةٌ تؤدي الى خير كثير وساعة تؤدي الى ندمٍ طويل . وهذا ان قُتل والا فهو يموت . ثم امر بردّه الى الحبس . واما الملك فانه قضى اشغاله وخرج الى الصيد ورجع الى المدينة وقد نسي الغلام . فدخل عليه الوزراء وقالوا له : ايها الملك الاحسن أن تعجل على قتل هذا الغلام الذي اراد قتلك ولا تبقيهُ لئلَّا تطمع باقي الغلمان بك وقد تحدَّث الناس بذلك . عند ذلك غضب الملك وقال : احضروه الى ههنا فاحضروه . فأمر السياف ان يضرب عنقه . فشدوا عينيه ثم قال السياف للملك : هل اضرب عنقه يا سيدي . فقال الملك : توقف حتى انظر في عواقب الامور ولا بدَّ من قتله وقتلهُ لا يفوت . (قال) فلما اراد الملك قتله وصل الخبر الى ابيه وامه . فأخذ ابوه ورقة يقول فيها هكذا : ارحمني ايها الملك ليرحمك الله ولا تعجل في القتل لاني انا عجلت فندمت . وكان له اخ فرميتهُ هو واخاه في البحر . فاني ابصرته هو ولم ابصر اخاه . والى اليوم انا وامه في حسرة اخيه ولم يبقَ لنا غيره . وان كنت تريد تقتله فاقتلني انا عوضه لاني قتلت له اخًا في البحر . فلما وقف بين يديه سجد له وبكى . فقال له الملك : اخبرني ما هي قصتك . فحدثه بجميع ما جرى عليه . فلما سمع الملك كلامه عرف انه ابوه فرمى نفسه من على

من جزائر البحر . فذهب ابوهما يوماً من ذات الايام الى السوق فوجد دلالاً وفي يده صبي يبيعهُ . فقال : اشتري هذا الصبي حتى اتسلَّى به عن ولدي . فاشتراه واتى بهِ الى منزلهِ . فلما نظرته زوجته صاحت وقالت : والله هذا ولدي . ففرح بهِ ابوه وامه فرحاً عظيماً وسألاه عن اخيه . فقال : ان البحر فرَّق بيننا ولا اعلم ايش صار بهِ . (قال) فتسلَّى ابوه وامه به . ثم مضى على ذلك مدة من الزمان وكانوا قد سكنوا في مدينة من بعض المدن التي ولدهما ملكها . واما الصبي فانه كبر واعطاه ابوه بضاعة حتى يتاجر بها فسافر ودخل الى المدينة التي اخوهُ ملكها فوصل خبره الى الملك بان تاجرًا قد قدم بمتاعٍ يصلح للملك فارسل استدعاهُ . فاتى ودخل عنده وجلس بين يديه ولم يكونا يعرفان بعضهما بعضاً . فتحرك الملك دمه على اخيه وأحبه وقال له : اريد منك انك تكون عندي وارفع منزلتك واعطيك كلما تريده . فبقي عنده اياماً لا يفارقه . فلما رأى انهُ لا يتركه يمضي من عنده ارسل اخبر اباه وامَّهُ وامرهما بالمجيء اليه . فقاما وسارا اليهِ الى تلك المدينة . فرأيا ان ابنهما قد ارتفع قدره وحرمته عند الملك ولا يعرف انه اخوه . فاتفق ليلة من بعض الليالي ان الملك خرج الى ظاهر المدينة وشرب وسكر وغلبه السكر . فمن خوف الغلام عليه قال : اريد هذه الليلة احرس الملك بنفسي لانه يستحق ذلك مني بدل الجميل الذي صنعه معي . ثم نهض من ساعتهِ وسلَّ سيفه ووقف على باب مضرب الملك في الموضع الذي كان نائماً فيهِ . فنظره بعض غلمان الملك وكان يحسده على قربهِ من الملك فرآه قائماً وسيفه مسلول في يده فقال له : ماذا تصنع ههنا في هذا الموضع في هذا الوقت . فقال : احرس الملك في هذه الليلة بنفسي مكافاةً لاحساناته التي فعلها معي . فسكت الغلام عند ذلك . فلما كان الصباح اخبر بذلك جماعة من غلمان الملك . فقالوا : قد وجدنا عليه فرصةً تعالوا نجتمع ونخبر الملك بذلك حتى يسقط من عينه ويصرفه من عنده ونستريح منه . فاجتمعوا واتوا الى الملك وقالوا له : نريد ان ننصحك نصيحة مما رأينا باعيننا . فقال : وما هي نصيحتكم . فقالوا له : ان هذا الغلام التاجر الذي قربته اليك ورفعته على خواص اهل دولتك رأيناه البارحة قد سلَّ سيفه

الصبيان انزعج التاجر وقام ليصيح ويعيط عليهما فوقع الكيس منه بين الاحمال فطلبه فلم يجده . فلطم على رأسه ومسك الصبيين وقال لهما : ما اخذ الكيس سواكما في لعبكما هذه الساعة حول الاحمال حتى تسرقا شيئاً وما ههنا احد سواكما . واخذ عصاهُ وبدأ يضرب الصبيين وهما يبكيان واجتمع حولهم سائر الملاحين قائلين : كل صبيان هذه الجزيرة لصوص سراقون . فالتاجر من غيظه حلف ان لم يخرجا الدراهم انهُ يغرقهما في البحر . فلما وقعت عليه اليمين اخذ الصبيين وشدهما على باقة قصب ورماهما في وسط البحر . فلما ابطأا كثيرًا على والدتهما مضت في طلبهما حتى وصلت الى المركب وجعلت تقول : من رأى صبيين صفتهما ما كذا وكذا وعمرهما كذا وكذا . فسمع الملاحون كلامها فقالوا لها : هذه صفة الصبيين اللذين غرقهما التاجر في هذه الساعة في البحر . فصاحت امهما وصارت تناديهما وتقول : يا حسرتي على عزكما يا ولدَي اين عينا ابيكما اليوم حتى تراكما . فسألها واحد من الملاحين وقال لها : انت زوجة من . فقالت : انا زوجة فلان التاجر قصدت ان اروح اليهِ فجرى لي هذه المصيبة في هذا الموضع . فلما سمع التاجر كلامها عرف انها زوجته فنهض قائماً ومزق ثيابهُ ولطم على رأسهِ وقال لزوجتهِ : والله انا اهلكت ولديَّ بيدي وهذا جزاء من لا ينظر في عواقب الامور ولا يتأنى . وجعل ينوح ويبكي هو وزوجته على ولديه وقال : والله ما اتهنأُ بشيء . من الذي في هذا المركب حتى اطلع على خبر ولديَّ . فجعل يطوف البحر عليهما فلم يجدهما . هذا ما جرى للرجل واما الصبيان فانه هبت عليهما ريح فالقتهما على ساحل البحر . واما احدهما فصادفه قوم من جماعة الملك الذي كان في تلك الناحية فقدموه اليه . فلما رآهُ تعجب منه عجباً عظيماً واتخذه له ابناً واظهر للناس انه ولده وانهُ كان مخفياً عنده . ففرح الناس لفرح الملك . ومضى على ذلك مدة ايام وسنين فمات الملك . فاقاموه موضعه ملكاً وجلس على سرير ملكه واستقام حاله وانتظم امره . واما امه وابوه فكانا يطوفان عليه وعلى اخيه جزائر البحر ظانين ان البحر قد قذفهما . فلما لم يجدا لهما خبرًا يئسا منهما وسكنا في جزيرة

اليوم الثاني في النظر في عواقب الامور

فلما كان اليوم الثاني حضر الوزير الثاني من وزراء الملك وكان اسمه بهرون وقال : اعزّ الله الملك مولانا ان الذي فعله هذا الغلام امر عظيم وفضيحة شنيعة على دار الملك مولانا . فلما سمع الملك كلام الوزير امر باحضار الغلام . فلما حضر قال له الملك : يا ويلك يا غلام السوء اريد اليوم اقتلك شرّ قتلة لانك اذنبت ذنباً عظيماً واجعلك عبرة للناس . فقال الغلام : ايها الملك لا تعجل فان النظر في عاقبة الامور عمود الملك ودوام المملكة . فمن لم ينظر في عواقب الامور يلحقه ما لحق التاجر . ومن ينظر في عاقبة الامور يلحقهُ من الفرح ما لحق ابن التاجر . قال الملك : وكيف كان حديث التاجر وابنه اخبرني

حكاية التاجر وولديه

قال الغلام : ايها الملك كان رجل تاجر وكان له مالٌ كثير وكان لهُ زوجة وكانت حاملة . فاراد ان يسافر في تجارته فقال لزوجته : اني اسافر ويكون رجوعي قبل الولادة ان شاء الله تعالى . فودعتهُ زوجته وسافر . ولم يزل سائرًا من بلد الى بلد حتى وصل الى بعض البلدان ودخل الى الملك واجتمع بهِ . وكان الملك محتاجاً الى من يدبر اموره وامور دولته فرآهُ عاقلًا اديباً فالزمه بالمقام عنده واحسن اليه . ومن بعد ايامٍ طلب منهُ دستورًا ان يمضي الى بيته فما اعطاه اجازة . فقال له : ايها الملك ائذن لي لامضي وانظر اولادي واعود . فأعطاه دستورًا وضمن له العودة واعطاه كيس خرجية فيهِ الف دينار . فخرج التاجر من عند الملك وركب في المركب وسافر قاصداً بلده . هذا ما جرى للرجل . اما ما صار لزوجته فورد لها خبر بان زوجها خدم عند الملك . فقامت اخذت اولادها وقصدت تلك الناحية . فاتفق انهم وصلوا الى جزيرة وقد وصل زوجها اليها تلك الليلة . فقالت لولديها : يا ولدَيَّ قد جاء مركب من البلد الذي فيه ابوكما فامضيا الى جانب البحر واسألا عنه . فمضيا الى جانب البحر وبدأا يلعبان واشتغلا في اللعب فامسى المساء عليهما والتاجر ابوهما نايم . فمن صياح

في السوق قد فقد له عشر حبات مثل تلك الحبات ولما رأى الحبتين في يد الدلال سأله لمن هذه الحبات فقال: لهذا الرجل. فرآه ضعيفاً صعلوكاً فقير الحال فقال له: اين باقي الحب الثمانية الاخر. فقال قد سرقها مني اللصوص. فلما سمع الجوهري قوله ايقن انه هو سرقها. ثم قام اليه واخذه عند الوالي وقال: هذا سرق من عندي عشر حبات من الجوهر وقد وجدت معهُ اثنتين واعترف بالثمانية الاخر. وكان الوالي علم بسرقة حب الجوهري فامر بحبس التاجر. فجلدوه وحبسوه وبقي في الحبس سنة كاملة. فاتفق بقدرة الله تعالى ان الوالي مسك واحداً من الغواصين وحبسه في الحبس الذي فيه التاجر. فلما رآه الغواص عرفه وسأله عن حاله. فحدثه بجميع ما جرى له. فتعجب الغواص من سوء حظه. ولما خرج الغواص من الحبس اخبر السلطان انهُ هو الذي وهبه الحب الجوهر. فأمر السلطان باخراجه من الحبس وسألهُ عن قضيته. فاخبره بجميع ما صار له. فرحمه السلطان واعطاه منزلاً في جانب داره وعين لهُ جامكية. فبينما هو ذات يوم جالس فرحان وهو يقول في نفسه: قد اقبلت سعادتي فأعيش في ظل هذا السلطان باقي عمري. وكان في داره باب مسدود بطين وحجارة فقلع منه حجراً لينظر ما وراءهُ واذا هو واصل الى دار نساء السلطان. فاتى السلطان فوجد الحجارة مقلوعة فغضب. فلما رأى التاجر ذلك خاف وفزع وقام عاجلاً وجاء بحجارة ليسدها. فعاينه بعض الخدام فانكر عليه ودخل الى السلطان وعرفه بذلك. فاتى السلطان اليه وقال له: هذا جزاني منك انك تكشف على حريمي. فعند ذلك امر بقلع عينيه. فقلعوهما واخذ التاجر عينيه بيده وقال: الى متى طالعي منحوس وكان بالمال فصار بالروح. عند ذلك بدأ يعزّي نفسه ويقول: ما بقي نفع للحركة مع عدم الحظ الّا بمعونة الرحمن والحركة اذاً حرمان. وكذلك ايها الملك انا لما كانت سعادتي تحمي جيدة فكل شيء اعمله كان يجيء جيداً فاذ قد انقلبت السعادة فكل شيء انقلب عليّ بالعكس. (قال) فلما فرغ الغلام من حديثه سكن غضب الملك قليلاً وقال: ردّوه الى الحبس لقد انقضى النهار وغداً ننظر في امره ونعاقبه على فعله

نفسه : ما اظن ان صاحب هذه الغلة يعطيني حقي فالصواب ان آخذ من هذه الغلة مقدار مالي فان هو اوفاني حقي رديت لهُ ما اخذته منه . فقام واخذ التاجر من الغلة مقدار ما يقع لهُ واخفاه في مكان ثم نقل الباقي الى الشيخ وكاله عليه . فقال لهُ الشيخ : تعال خذ اجرتك التي شارطتك عليها واشترِ لك فيها ثيابًا وكسوة وغير ذلك . ثم قال لهُ : لو مكثت عندي عشر سنين فلك هذه الاجرة اوصلها لك في كل سنةٍ . فقال التاجر في نفسه : لقد عملت عملًا قبيحًا حين اخذت من الغلة بغير علمه . ثم مضى التاجر ليطلب ما اخفاه من الغلة فلم يجده فعاد حائرًا في ذاته . فقال له الشيخ : ما بالك حزينًا . فقال له : حسبت في ذاتي انك ما توفيني حقي فاخذت من الغلة مقدار اجرتي وقلت في نفسي : ان ما اوفاني حقي فاكون قد اخذت اجرتي والآن قد اوفيتني حقي فمضيت لكي اعيد ما اخفيته منك فلم اجده فيكون قد اخذهُ من صادفه هناك . فغضب الشيخ وقال : ليس مع سوء الحظ حيلة ثم قال له : كنت قد اعطيتك هذا ولكن سوء الحظ معك . ثم قال له : ايا ظالم النفس ظننت اني لم اوفك اجرتك فوالله ما عدت اعطيك شيئًا وطرده عنهُ . فمضى حزينًا باكيًا على تعب سنته . فمرَّ على قومٍ غواصين يغوصون في البحر فرأوه حزينًا باكيًا فقالوا له : ما شأنك وما الذي يبكيك فاخبرهم بحديثه وما جرى لهُ من الاول الى الآخر . فعرفهُ الغواصون وقالوا لهُ : اما انت ابن فلان . فقال : نعم . فتوجعوا له ورثوا لحاله وقالوا لهُ : أقم ههنا حتى نغوص على نصيبك هذه المرة والذي يحصل يكون بيننا وبينك . ثم غاصوا فاخرجوا عشر صدفات في كل واحدة حبتان . فتعجبوا وفرحوا وقالوا : والله لقد اقبلت دولتك وسعادتك واستوى طالعك . ثم اعطوه عشر حبات وقالوا لهُ : بع منها حبتين واعمله رأس مال بين يديك واخفِ الباقي لوقت الحاجة . فأخذها وهو فرحان مسرور وحطها في جبته وخيط عليها وترك منها حبتين في فمه . فعاينه لص فمضى واخبر رفقاءه . فاجتمعوا عليه واخذوا جبته وانصرفوا عنه . فلما مضوا عنه قام وقال : يكفني هاتان الحبتان ثم قصد المدينة واخرج الحبتين واعطاهما للدلال ليبيعهما . فاتفق القضاء ان جوهريًا

استقامت عندي عشر سنين فلا ابيعها الّا بربح كثير . ثم سدّ عليها الباب بالطين من غيظه منها . فقدر الله تعالى انه جاء مطر عظيم ونزل من اعلى السطح الذي فيه الحنطة وغرقها واشتغلت فيها قملة الحنطة فأكلت قلبها فقضيت وهلكت كلها . وفي بعض الايام اتى التاجر صاحبها وفتح الباب ليشرف على الحنطة فوجدها بقيت قشورًا واللب أُكل . فقام واعطى خمسمائة درهم للحمالين حتى نقلوها ورموها في المزبلة . فقال لهُ ذلك الصديق : كم مرة قلت لك ليس لك بهذه دولة ولا بخت فما سمعت قولي والآن يجب عليك ان تذهب الى المنجمين وتسألهم عن طالعك . فلما ذهب الى المنجمين قال لهُ المنجم : ان طالعك ردي لا تمد يدك الى عملٍ فلا تفلح بهِ . فلم يلتفت التاجر الى كلام المنجم بل قال في نفسه : اذا عملت شغلًا فلا اخاف من شيء . ثم عمد الى نصف ماله الآخر الذي تبقَّى لهُ من ماله بعد ما أنفق منهُ ثلاث سنين وعمل له مركبًا وحمل فيه ما يختار وجميع ما كان لهُ وركب في البحر وسافر . فقضى لهُ الله تعالى انه تأخرت بهِ الايام حتى صح لهُ ما يريده وعند الموسم قال : اريد ارسل اسأل التجار عن جنس بضاعةٍ يكون مكسبها كثيرًا حتى آخذها معي الى البلاد التي اريد اروح اليها . فلما سأل التجار دلُّوه على بعض بضاعة لكي يأخذها الى بلد بعيدة لانه يربح كل درهم مائة درهم . فلما سافر المركب وجاز في البحر هبت عليهم رياح عاصفة فغرق المركب وخلص التاجر على لوحٍ من الالواح ورمت بهِ الريح الى ساحل البحر قريب من بلد كان هناك وهو عريان فحمد الله وشكره على سلامتهِ . ثم رأى من قريب صومعة فقصدها . ولما دخل اليها رأى فيها شيخًا كبيرًا جالسًا في قرنة . فتقدم اليه وخبره بقصته . فاغتمّ عليه ذلك الشيخ غمًا شديدًا لما سمع حديثه ثم احضر لهُ طعامًا فاكل فقال لهُ ذلك الشيخ : كن عندي ههنا حتى اجعلك امينًا وعاملًا عندي على عمل ههنا وانا اعطيك كل يوم خمسة دراهم . فقال التاجر : احسن الله جزاءك . ثم أقام في ذلك المكان الى ان زرع وحصد ودرس وذرّى وصار بيدرًا صافيًا ولم يجعل عليه وكيلًا ولا مشرفًا بل اعتمد عليه وامنه . فحسب التاجر حسابه وقال في

يديه لحضر لحال امامه . ثم احضر السياف واحدق الناس بالغلام لينظروا اليه ومـا يفعلون به . فزعق الملك على السياف قائلًا : ارمِ رقبته . وكان كلام الملك بالغضب وكلام الغلام بالادب . ثم قال الملك للغلام : يا قليل الحياء اذا امتنـتك على مالي وابصرت منك الامانة واخترتك على جميع غلماني وجعلتك حافظ خزانتي فلماذا هتكت حرمتي ودخلت الى داري وخنتني ولم ترَ ما صنعته معك من الجميل . فقال الغلام : ايها الملك ما فعلت ذلك بامري واختياري ولم يكن لي شغلٌ بحصولي هناك الّا بعدم حالي الذي ارماني . ولكن اذا البخت قد انعكس والسعـادة قد عدمت رمت الرجال على مثل هذا الامر وغيره ويتحدث اللسان بما عليه وله . وقد جعل مجلس الشخص مفـاتيح الوجه وقد اجتهدت كل الاجتهاد على ان ما يظهر مني خطأ ولكن سوء الحظ يا طويل العمر لا يقدر عليه احد ولا على مقاومته ولا ينفع الاجتهاد مع عدم الدولة مثل التاجر الذي بلي بسوء الحال والحظ فلم ينفعه اجتهاده مع سوء بخته . قال الملك وكيف كان ذلك

حكاية التاجر

قال الغلام : اطال الله بقاء الملك زعموا انهُ كان رجل تاجر وكان لهُ دولة في التجارة وكان درهمه يكسب مائة درهم . فانقلبت عليه دولته ولم يعلم . فقال ذات يوم في ذاته : اكدُّ كثيرًا واتعب كثيرًا واشتقى شقاءً غزيرًا واتعنى وادور من بلد الى بلد وما لي فائدة فالصواب ان افتح لي دكانًا واقيم ببلدي واستريح في بيتي من هذا العذاب والشقاء وابيع واشتري . فقام وعمد الى نصف ماله وبضاعته واشترى قمحًا في الصيف وقال : اذا جاء الشتـاء ابيعه بربح كثير . فلما جاء الشتاء صار بنصف ما اشتراه فاغتمّ لذلك غمًا شديدًا . ثم تركه الى سنـة اخرى فما قام بنصف الثمن الاول من العام الذي مضى . فأتى اليه احد اصدقائهِ وقـال لهُ : اعلم يا اخي ان ليس في هذه الحنطة دولة فالصواب انك تبيعها بكيف ما كان . فقال لهُ : يا صاحبي هل يجوز لي ان ابيعها في هذا الثمن الوجيز فلا يمكنني ان ابيعها الّا بثمن طيب ولو

الحرامية. فقال الوزير: ما فعل. فقال الملك: انه دخل الى داري ونام على سريري واخاف ان تكون الامرأة لها معهُ غرض واتفاق فماذا تقول انت في هذا الامر. قل لي يا وزير الخير. فقال الوزير: اطال الله بقاء الملك ايش ابصرت في هذا الغلام من الحسن اليس هو ردي الاصل ابن الحرامية. لان ردي الاصل ما يُرى منه الَّا كل ردي وفعله دائمًا ردي. ولكن يا طويل العمر انا اظن ان الامرأة لا ذنب لها لانها الى الآن لم يظهر منها شيء قبيح وما ظهر منها الَّا كل شيء مليح وهو العفة والصلاح والدين. ولكن ايها الملك ان اذنت لي حتى امضي اليها واسألها فانني احقق ذلك الخبر عنها ان كان لها علم ام لا. فاذن له الملك في ذلك. فمضى الوزير اليها وقال لها: لقد اتيت اليكِ في سؤال فالمقصود ان تخبريني كيف دخل هذا الغلام الى الحجرة وكيف جرى هذا الامر. فبكت الامرأة وقالت لهُ: وحق خالق الخلق ان هذا الغلام ما رأيته قط في دار الملك وما لي عنه علم كيف دخل الحجرة. فعند ذلك عرف الوزير ان الامرأة خالية منه وليس لها ذنب ولا علم ولا خبر. عند ذلك قال لها الوزير: انا اعلمكِ حيلة تخلصين بها ويبيضّ وجهكِ مع الملك. قالت: وما هي الحيلة فقال لها: اذا استدعاكِ الملك غدًا وسألكِ عن ذلك قولي لهُ: هذا الغلام ابصرني في المقصورة فانفذ يقول لي: اني اعطيكِ مائة حبة من الجوهر وكل حبة ما لها ثمن واجتمع بكِ. فانا زعقت في الذي انفذه اليَّ ففرّ وانهزم. ثم ارسل مرَّة ثانية يقول لي: ان لم توافقيني والَّا اجي في بعض الليالي اليكِ سكران الى الحجرة فينظرني الملك هناك فيسودّ وجهكِ وتنهتكين عنده وربما يقتلكِ. فهكذا تتكلمين قدام الملك فتخلصين من العيب والعار. فقالت الامرأة: جزاك الله كل خير كمثل ما رسمت يكون. ثم ان الوزير اتى الى حضرة الملك وقال لهُ: لقد استحق العقوبة اكثر من الرحمة وكل بذر يكون مرًّا فلا يمكن ان يخرج منه ثمر حلو. وقد صح عندي وتحققت ان الامرأة لا ذنب لها. وقال للملك كافة الكلام الذي علمهُ للامرأة. فلما سمع الملك هذا الكلام من الوزير احتدّ بالغضب وكاد ان يمزّق ثيابهُ وأمر بالغلام ان يحضر بين

وعقلًا ومعرفة عجيبة. فسلم الملك اليه جميع خزائنه وامره ان لا يخرج منها حبة الخردل الا بأمره. فقصرت يد الوزراء عن مخالطة مال الملك واقام على ذلك مدة سنين ولم يرَ الملك منه الّا نصحًا وحفظًا وحرصًا على ماله. وحين كانت الخزانة في يد الوزراء كانوا يفعلون مهما شاؤوا ولما حصلت في يد الغلام خرجت من يدهم وصار الغلام عند الملك اعزّ من ولده وهو ولده. فلما ابصر الوزراء اكرام الغلام والعز والوقار الحاصل لهُ من الملك صعب عليهم جدًّا ووقع الحسد في افكارهم وارادوا ان يحتالوا عليه بحيلة سوء ليسقطوه من عين الملك فلم يجدوا لهم سبيلًا الى ذلك. فاتفق انه في بعض الليالي حصل للغلام انبساط كثير في دار الملك فشرب من المدام حتى بقي لا يعي وانشرح وانبسط وخرج يدور في دار الملك. فنزل القضاء فمرّ على دار النساء وكان هناك حجرة ينام فيها الملك مع زوجته فجاء الى تلك الحجرة وهو لا يعلم ودخل اليها وكان فيها تخت منصوب للملك وعليه فرشٌ منامه مفروش. فالقى الغلام نفسه على التخت ونظر الى الحجرة ونقشها فتعجب منها وكان هناك شمعتان موضوعتان مشعولتان تلتهبان فبهت ممَّا رأى وغفل ونام وثقل في نومه. ثم بعده اتت الجارية وعملت جميع ما جرت بهِ العادة حول السرير من النقل والمشروب وغيره ووضعت مجمرة البخور والطيب وماء الورد وكل هذا صنعت والغلام نائم والجارية تظن انه الملك نائم. ثم انها خرجت وردّت الباب ومضت. هذا ما كان من الغلام والجارية. واما الملك فانهُ قام من مجلس الاكل والشرب ومضى عند زوجته بهرجوهر واخذها ومضى بها الى الحجرة ففتح الباب ودخل واذا بالغلام نائم على التخت. فنظر الى زوجته مغضبًا وشزرًا وقال لها: ما هذا الصنيع وما يفعل هذا الغلام ههنا لان هذا ما جاء الى ههنا الّا بمرادكِ. فاجابته الامرأة قائلة: والله العظيم ما لي منهُ خبر ولا علم. ثم انتبه الغلام ونظر الملك فنهض قائمًا وسجد بين يدي الملك. فقال له الملك: يا رديّ الافعال ايش اوقعك في دار حريمي. ثم انه امر ان يجعلوه في موضع والامرأة في موضع الى الصبح. وجلس الملك على سريره وانفذ واحضر وزيره الكبير الذي هو وزير الوزراء وقال له: أما تسألني ما فعل ولد

ملك فارس وكان اسم الملك كسرى . فلما قدم عليه اكرمه غاية الاكرام وانزله بافخر المنازل واعطاهُ عساكر واموالاً كثيرة . واقام عنده اياماً كثيرة . بعد ذلك رجع الى منزله وتحارب مع اسفهند فكسره وقتله واخذ الملك من يده وملك البلاد . ولما تملك ازادبخت البلاد انفذ اناساً الى ذلك الجبل ليأتوه بولده . فمضوا ولم يجدوا احداً لا غلاماً ولا غيره . فرجع القصاد الى الملك واعلموه بانهم لم يروا شيئاً من اثر الصبي ولا من خبره . ثم مضى على ذلك مدة سنين فتربَّى ابن الملك مع الحرامية وبدأ يقطع الطرق معهم وتعلم اللصوصية . واذ كانوا يمضون في طريق لحرام كانوا يأخذونهُ معهم . فطلعوا ذات يوم على قافلة في بلد سبستان . وكان في القافلة اناس شجعان . فتقاتلوا معهم قتالاً شديداً . ثم انتصر اهل القافلة على الحرامية فقتلوا بعضهم وهرب بعضهم ومسكوا الصبي الذي هو ابن الملك بالحياة . فلما رأوه صبياً جميلاً مليح الشمائل وهو كالبدر سألوه قائلين: من اين انت يا فتى ومن هو ابوك وكيف حصلت مع هؤلاء اللصوص . فقال: انا ابن قعيد لحرامية . فأخذوه وأتوا به الى مدينة الملك ابيه لان اهل القافلة كانوا قاصدين تلك المدينة ليبيعوا متاعهم وقماشهم . فلما وصلوا الى المدينة ونزَّلوا مراحلهم في لخانات ظهر الخبر في شوارع البلد بان قفلاً عظيماً دخل البلدة . فبلغ الخبر للملك فأمر الملك وكيله ان يمضي ويشتري لهُ من القفل ما يصلح للملوك . فمضى وكيل الملك الى اهل القافلة فأبصر الغلام فأعجبه حسنه وشباقته ولطافته وظرافته واندهش من حسن الفاظه . فرجع الوكيل الى الملك وقال لهُ: اني ابصرت معهم غلاماً لم أرَ مثله قط . فأمر الملك في الحين باحضاره اليه . فلما حضر امامه سأل رئيس القفل عنه وقال: من اين لكم هذا الغلام اراهُ على غير هيئتكم وليس هو صفتكم ولا يشبهكم . فقال الرجل: ايها الملك هذا الشاب ابن قعيد الحرامية وقد وقع في يدنا ومسكناه وانهزم الحرامية . فقال الملك: اريده منكم . فقالوا جميعهم: انا وهبناك اياه . وكان دم ابيه يتحرك عليه وهو لا يعلم انه ولده . فبقي الغلام في دار الملك سنين يخدمه ولا يعرفه قطعاً . ثم رأى من الغلام ادباً وحشمة

جرى عليه من الملك وكيف اخذ ابنته بالسبي واسقط حرمته . وان تهاونتم انتم ايضاً يفعل بكم اكثر من ذلك وانما كلامي الى محبتكم انما هو بنوع النصح . فالرأي انكم تقومون باجمعكم وتجيئون عندي لنتشاور في مصالحنا وندبر لنا امراً يكون فيه الرأي الاصوب . فلما وصلت الكتب الى اطراف البلاد اجابوه الى ذلك واجتمعوا عليه جميعهم بعساكرهم . فاخبرهم اسفهند مشافهةً بما جرى عليه من امر ابنته . فاتفقوا بان يقصدوا الملك ويحاربوه . ثم جهزوا امورهم الى الغاية وتوجهوا نحوهُ . فما احسَّ الملك الَّا الصوت قد وقع وكبسوا البلد بالعساكر . فقال الملك لزوجته : كيف نصنع . فقالت : انت اعلم وانا بحكمك . فقام الملك واحضر فرسين جيدين فركب على واحد وركبت امرأته على واحد وخرجا هاربين الى البرية وملك اسفهند البلاد . واما بهرجوهر امرأة الملك بنت اسفهند لما قام الملك وهرب كانت حاملًا فاخذها الطلق في الدرب عند الجبل . فنزلوا في جانب الجبل عند عين ماء فولدت ابنًا ذكرًا كأَنه القمر . وخلعت الامرأة جبتها ولفته بها وكانت الجبة من الديباج . ولما لفت الولد فيها قامت ترضعه الى الصباح . فقال لها الملك : ايتها الامرأة نحن في شغل هذا الولد ولا يمكننا القيام ههنا ولا نقدر على حمله . فالصواب ان نتركه ههنا فان الله يقدّر لهُ رزقًا ونصيبًا فيساق اليه ويجيء اليه مَن يأخذه ويربيه لاننا ملتزمان ان نفوز بانفسنا . فبكت الامرأة بكاء شديدًا وتركاه على جانب العين ملفوفًا في الجبة وركبا فرسيهما وسافرا . فاتفق في تدبير الله تعالى ان جماعة من الحرامية قد وقعوا في قافلة في البرية ونهبوا ما كان معهم من المتاع وأتوا الى تلك العين ليقسموا ما قد كسبوهُ من القافلة . فنظروا الى اسفل الجبل الذي في ناحية العين فرأوا جبة ملوكية تلمع فنظروا اليها فوجدوا الصبي ملفوفًا فيها وهو كالقمر يضيء . فقالوا : سبحان الله تعالى باي ظلمٍ حصل هذا الصبي ههنا . ثم اخذه كبير الحرامية ورحمه وقال : هذا اريد اربيه مثل ولدي . وجعل يسقيه حليبًا ويطعمه تمرًا من البرية الى ان وصل الى بيته فاقام لهُ مرضعة تربيه وترضعه . اما ما كان من الملك ازادبخت وزوجته فانهما لم يزالا سائرين الى ان وصلا الى

فقال له الملك : ان اباها اسفهند هو مملوكي وعبد من عبيدي فلا ابالي ان سخط او رضي . ثم ردَّ عنان البغلة واخذها الى داره وتزوج بها . وكان اسم الجارية بهرجوهر ثم ان الخادم مضى هو والفرسان الذين كانوا معه الى ابيها وقالوا لهُ : يعيش رأس الامير الى الدهر . لك في خدمة هذا الملك سنين كثيرة وما خنته يوماً من الايام وليس لك عنده قيمة ولا حرمة . فقال لهم الامير : من اين لكم الدليل على هذا . فقالوا له : لانه اخذ بنتك بغير امرك . ثم قصَّ الذي كان آخذها على الوزير كافة ما جرى له مع الملك من الاول الى الآخر . فلما سمع ابو البنت من الخادم هذا الكلام اغتاظ غيظاً شديداً وجمع عسكره وقال لهم : حيث ان الملك مشغول بنسائهِ ليس لنا همٌّ منه والآن قد مدَّ يده الى حريمنا فالصواب ان نقصد لنا موضعاً يكون لنا فيهِ حرمة . ثم عاد وكتب الى الملك ازادبخت يقول لهُ : انا مملوكك وانا عبد من عبيدك وبنتي في خدمتك والله تعالى يديم ايامك في الدنيا بلذةٍ وسرور . وقد كنت مشدود الوسط بحفظ ولايتك ودفع الاعداء عنها وانا اليوم اكثر حرصاً على مواظبة خدمتك لاني اتولَّى ذلك بنفسي اذ صارت بنتي زوجتك . والسلام . ثم انه انفذ رسولاً ومعه هدايا ثمينة جميلة المنظر وانطلق الرسول الى الملك ازادبخت فوقف قدامه وقدم لهُ الكتاب والهدايا . فلما قرأ الملك الكتاب ونظر الهدايا فرح فرحاً عظيماً وانشرح غاية الانشراح والسرور . ثم انه اشتغل في الاكل والشرب ساعة زمانية . ثم احضر الوزير الاكبر الذي هو اكبر الوزراء واعطاه مكتوب اسفهند الامير . فقرأه الوزير . وبعد ان قرأه وفهم معناه قال للملك : ايها الملك ان سألت عن اسفهند فليس لك عدوٌّ مجرد اكبر منه . لانه هو الآن اكبر اعدائك لانهُ صار عنده غيظ كثير بما فعلته بحقه . وهذه الرسالة التي ارسلها لك لا تغترَّ بها ولا تركن الى خدمته فيها . ولكن فليكن نظرك الى قبيح فعلها ولا تسمع من حديثه . وان الملك سمع كلام الوزير من اذن وصرفه من اذن وتهاون في كلامه ونبذه الى ورائهِ وداوم ما كان عليهِ من الاكل والشرب واللذة والطرب . ثم ان اسفهند كتب الى كافة الامراء وعرفهم بجميع ما

بسم الله الرحمن الرحيم وبهِ ثقتي

نبتدئ بعون الله وحسن توفيقهِ ونكتب خبر الملك ازادبخت مع العشرة الوزراء وابن الملك بخبر بالبيان

قيل انهُ كان في قديم الزمان ملك وكان اسمه ازادبخت . وكان سلطاناً عظيماً في سلطنته وكان اصله يعرف من مدينة نيروز . وكان سرير ملكه بمدينة سيسار وحدّ مملكته من هندستان الى جواً البحر . وكان لهُ عشر وزراء يدبرون مملكته وكان للملك عساكر كثيرة ودويدارية . واذ خرج ذات يوم من الايام الى الصيد رأى في البرية خادماً راكباً على فرس وبيده عنان بغلة وهو يقودها . وعلى البغلة قبة من الذهب المنسوج والديباج وعليها منطقة مرصعة بالدر والجوهر وجماعة من الفرسان محدقون بها . واما الملك فقد كان انفرد عن اصحابه فعند ذلك رأى الجماعة فقصدهم . ثم سأل الخادم المذكور قائلاً : يا فتى لمن هذه القبة ومن داخلها اعلمني . فاجابه الخادم ولم يعرف انه الملك وقال : هذه القبة لسفهند وزير الملك ازادبخت وفيها ابنته وقد حملها الى زادشاه الملك لانه يريد يزوجها بهِ . وفيما الخادم يكلمه رفعت البنت طرف القبة ونظرت الى الملك . فرآها الملك شخصاً ما يرى احد احسن منها فعلق قلبه بها وبحبها . وحين رآها قال للخادم : ردّ رأس البغلة ومَن عليها فانا هو الملك ازادبخت لاتزوج بها فان اسفهند والدها يفرح بها وبهذا الامر ولا يصعب عليه . فقال لهُ الخادم : بجاه الله عليك وبدولتك اصبر حتى اعرّف سيدي اباها وتأخذها انت على احسن من هذا الوجه . لانه لا يليق لك هذا الامر ولا يجيء على خاطر سيدي ابيها لانه اهانة له اذا اخذتها بغير علمه ولا يحمدك الناس على ذلك . فقال الملك : لا صبر لي على ذلك حتى تمضي ولا عار على ابيها اذا كنت انا اريد اتزوج بنته . فقال له الخادم : كل امر يلي عاجلاً فلا تطول مدته ولا يفرح بهِ احدٌ وكل امر يصير عاجلاً فآخره ندامة . فلا ينبغي ان تأخذها على هذا الوجه القبيح والكل حاصل لك وهو بين يديك فلا فائدة لك بالعجلة وانا اؤكد لجنابكم ان اباها يضيق صدره في هذا الفعل .

خبر

الملك ازاد بخت مع العشرة الوزراء

وابن الملك

جهنم وبئس المصير . كما قيل في الكتب : ان الذي يحفر لاخيه حفرة يقع فيها . والذي ينصب فخًا لغيره يقع فيه . وهذا ما وجدناه من خبر حيقار الحكيم . تمت

يا بني انا مأكولاً جيدًا اطعمتك وانت خبزًا حافًا ما اطعمتني انا السكر والشراب الجيد اسقيتك وانت من ماء البحر ما اسقيتني . انا علمتك وربيتك احسن تربية وانشأتك مثل ارز لبنان وانت جدبتني واعكفتني من اسانك . يا بني انا كان املي انك تبتني لي برجًا حصينًا لاستتر فيه من اعدائي وانت صرت لي كالدافن في بطن الارض لكن الرب رحمني . يا بني انا اردت لك الخير وانت جازيتني شرًا وقبيحًا والآن اريد اقلع عينيك واجعلك ماكلًا للذئاب واقطع لسانك وفي حدّ السيف آخذ رأسك واجازيك عوض افعالك الشنيعة . فاجاب نادان وقال لحيقار خاله : اصنع معي مثل معروفك واغفر لي آثامي لان مثلي من يخطي ومثلك من يغفر واقبلني الآن ان اخدم في بيتك واسوس خيلك واكنس زبلها وارعى خنازيرك . لاني انا الشرير وانت الصالح . انا المذنب وانت المسامح . فقال له حيقار : يا بني انت مثل الشجرة التي كانت على جانب الماء عديمة الثمر . فاراد صاحبها يقطعها فقالت لهُ : حولني الى مكانٍ آخر فان لم اثمر اقطعني . فقال لها صاحبها : انتِ على جانب الماء ولم تثمري فكيف تثمرين وانتِ في غير مكان . يا بني شيخوخة النسر خير من شبوبية الغراب . يا بني قالوا للذئب : ابعد عن الغنم لئلّا يؤذيك غبارها . فقال لهم . ان غبارها نافع لعينيَّ . يا ولدي ادخلوا الذئب للكتَّاب حتى يتعلم القراءة فقالوا لهُ : قل الف باء تاء ثاء . فقال : خروف عنز جدي كما في بطني . يا بني وضعوا رأس الحمار على المائدة فوقع وبدأ يتمرغ في التراب . فقال : دعوهُ يتمرَّغ لان طبعه لا يتغير . يا بني قد ثبت القول لمن قال : اذا ولدت ولدًا ادعهُ ابنك واذا ربَّيت ولدًا ادعهُ عبدًا . يا بني الذي يعمل الخير خيرًا يلقى والذي يصنع الشر شرًا يلقى لان الرب يجازي الانسان على قدر عمله . يا بني ايش اقول لك اكثر من هذا الكلام لان الله عالم الخفايا ويعرف السرائر والضمائر فهو يحكم بيني وبينك ويجازيك ويكافئك بما تستحق . فلما سمع نادان هذا الكلام من خاله حيقار انتفخ لوقته وبقي مثل الزق المنفوخ وورمت اعضاؤه وساقاهُ ورجلاهُ وجنباهُ وتمزق وانشق وتبددت مصارينه وهلك ومات وصارت آخرتهُ الهلاك ومضى الى

ولكن اريد منك ان تهبني دمه وتحللني فيهِ . فقـال لهُ سنحاريب: خذه قد وهبتك اياه . فاخذه حيقار وربط يديه ورجليه واخذه الى منزله وجعل في رجليه قيد حديدٍ ثقيـلًا وضربه ضربًا شديدًا موجعًا على رجليه وظهره وبطنه وآباط سيقـانه وبعد الضرب القاهُ في مكان مظلم بجانب الكنيف وجعل عليه بنوحال حارسًا وامره ان يعطيه كل يوم رغيف خبز وماء قليلًا. وكان حيقار كلما يدخل ويخرج يعاقب نادان ويقول لهُ بحكمة: يا بني عملت معك كل خير واحسـان وانت باديتني عوضه بالقبيح والردى والقتل. يا بني قيل بالامثال: من لا يسمع من اذنيه من قفا رقبته يسمعونه. فقال لهُ نادان : يا خالي لاي سبب انت غضبان عليَّ . قال له حيقار : لاجل اني وقرتك واكرمتك وعظمتك وربيتك احسن تربية وعلمتك حتى تـكون وريثي في العالم والحكمة والمال فباديتني بالقتل ورمت هلاكي لكن الرب علم اني مظـلوم فخلصني من شرك. لان الرب يجبر القلوب المنكسرة ويرذل الحسودين المتكبرين. يا بني صرت مثل العقرب الذي اذا ضرب ذناباهُ في النحاس ثقبه . يا بني انت صرت لي مثل الحجلة المربوطة في الشبكة فلا تقدر تخلص روحها ونفسها بل تدعو الحجـل لترميهم معها. يا بني انت صرت مثل الكلب الذي برد فدخل الى بيت الفخار ليدفأ فلما دفئ بدأ ينبح عليهم فطردوه وطردوه لئلَّا يعضهم. يا بني انت صرت مثل الخنزير الذي دخل الى الحمام مع الاكابر فلما خرج نظر جورة سياق نتنة فنزل تمرَّغ فيها . يا بني انت صرت مثـل التيس الذي يدخل ويُدخل ارفاقه الى الذبح ولا يقـدر يخلص روحه ونفسه . يا بني يد لم تتعب وتفلح وتكون حريصة شاطرة تقطع من ابطها. يا بني انت صرتَ مثل الشجرة التي قطعوها وفروعها معهم. فقالت لهم: لولا ما في يدكم مني لما قدرتم على قطعي. يا بني انت صرت مثل السنورة التي قالوا لها بطلي السرقة حتى نصنع لكِ قلاند من ذهب ونطعمكِ سكرًا ولوزًا. فقـالت لهم: انا صنعة ابي وجدّي ما أُعدّي عنها. يا بني انت صرت مثل ثعبانٍ راكبٍ على عوسجة وهما في وسط النهر فنظـرهما ذئب فقال: شرٌ على شرٍ والذي اشرّ منهما يدبرهما اثنيهما .

فنظر حيقار فوجد هناك حجرًا آخر . فقال لفرعون : يا سيدي انا ههنا رجل غريب وليس معي آلة الخياطة لكن اريد منك ان تأمر لاصدقائك الاساكفه يقدّون لي من هذا الحجر مخارز ومخيطة وكازًا حتى اخيط لكم هذا الحجر الرحى . فضحك فرعون لان حيقــار قد ردَّ عليهِ جوابه . فلما نظر فرعون الملك وكل اكابره قالوا : تبارك الله الذي وهبك هذا الذكاء والمعرفة . ثم امر فرعون الملـك اكابره ان يجمعوا الكسيم عن ثلاث سنوات ويقدموه لحيقــار مع الدين الذي كتبه حيقار . وخلع عليه وعلى عسكره وغلمانه واعطاه خرجية الدرب وقال لهُ : امضِ بالسلام يا عزّ سيده وفخر استاذه . مثلك من يكون مدبر ملوك وسلاطين . واقرأ سلامي على سيدك سنحاريب الملك وقل لهُ : لا يؤاخذنا بما اهديناه لان الملوك تقتنع بالقليـــل . فقبل حيقار ذلك منهُ . ثم انهُ قبّل الارض امامه وقال لهُ : اريد منك يا سيدي ان تأمر ان لا يبقى احد في ارض مصر من اثور ونينوى حتى يمضي مع حيقار . فارسل فرعون مناديًا ونادى كما قال لهُ حيقار . فعند ذلك مضى حيقار وودع فرعون وصار طالبًا ارض اثور ونينوى ومعهُ من الخزائن والاموال شيء كثير . فلما بلغ الخبر سنحــاريب الملك خرج الى لقاء حيقار وفرح بهِ فرحًا عظيمًا وقبله وقال لهُ : اهلًا وسهلًا ومرحبًا في ابي وعزّ دولتي وفخر ملكي اطلب مني ما تشتهي وتختار ولو اردت نصف ملكي ومقتناي . فقال لهُ حيقار : يعيش رأس سيدي الملك الى الابد ان كنت تريد تنعم علي انعم على ابي سميك السياف لانهُ بموافقتهِ مع ارادة الله تعالى كانت حياتي ثانيًا . فقال : كرامةً لك يا عزيزي انا اكرم عليـه . ثم انه بدأ يسأله عمّا جرى له مع فرعون من الامثال والرموز وكيف قدّم لهُ الاموال والهدايا والكسيم والخلع . فحكى لهُ جميع ما جرى له . ففرح سنحاريب الملك فرحًا عظيمًا . ومن بعد الكلام قال لهُ الملك : يا حيقار خذ ما تشتهي وتحب من هذا جميعه فهو في قبضة يدك . فقال حيقار : يعيش الملك الى الابد انا ما اريد الّا سلامتك ودوام دولتك . ايش اعمل انا في المال وغيره . لكن ان كنت تريد تنعم عليَّ بشيءٍ . فانعم عليَّ في ابن اختي نادان حتى اجازيه بما فعل معي .

الملك يبنى قصرًا في الجوّ . لكن لو كان سيدي الملك سنحاريب ههنا لكان يبني مقصورتين في يوم واحد . فقال لهُ فرعون : امضِ يا حيقار الى منزلك واسترح اليوم لاننا قد عدلنا عن بنيان القصر . وفي الغد تعال اليَّ . فمضى حيقار الى منزله وفي الغد حضر قدام فرعون . فقال لهُ فرعون : يا حيقار كيف خبر حصان سيدك لانه اذا صهل في بلاد اثور ونينوى تسمع خيلنا صوته فتطرح . فتركه حيقار ومضى اخذ سنورة وربطها وبدأ يجلدها جلدًا شديدًا حتى سمع المصريون حسها . فمضوا واعلموا الملك بذلك . فارسل احضره وقال لهُ : يا حيقار لاي سبب تجلد هذه السنورة وتضربها هذا الضرب هذه ما هي حيوان اخرس . فقال له حيقار : يا سيدي الملك قد فعلت معي فعلًا قبيحًا فاستوجبت هذا الضرب والجلد . فقال فرعون : وما هو هذا الفعل الذي فعلتهُ معك . فقال حيقار : قد كان سيدي سنحاريب الملك وهبني ديكًا مليحًا وكان لهُ صوت عظيم صحيح وكان يعرف ساعات الليل . فمضت هذه السنورة المفسدة في هذه الليلة قطعت رأسه واتت . فلاجل هذا الامر اديتها بهذا الضرب والجلد . فقال لهُ فرعون : يا حيقار اراك كلما تكبر تخرف لان بين مصر ونينوى ثمانية وستين فرسخًا فكيف مضت هذه السنورة في هذه الليلة وقطعت رأس الديك واتت الى ههنا . فقال لهُ حيقار : يا سيدى اذا كان بين مصر ونينوى هذه المسافة كيف اذا صهل حصان سيدي الملك تسمع خيلكم فتطرح . وكيف يصل حس الحصان الى مصر . فلما سمع ذلك فرعون من حيقار علم انهُ ردَّ جوابه عليه فقال لهُ : يا حيقار اريد ان تعمل لي حبلين من رمل البحر . فقال لهُ حيقار : ارسم ان يخرجوا لي من الخزانة حبلًا حتى اصنع مثله . فاخرجوا لهُ حبلًا ثم ان حيقار مضى الى قفا البيت وثقب ثقبين على غلظ الحبل واخذ حفنةً من رمل البحر فلما طلعت الشمس ودخلت في الانخاش بذر الرمل في الشمس حتى بقي مثل الحبل وقال لفرعون : مُر عبيدك ان يأخذوا هذه الحبال وكلما تريد افتل لك مثلها . فقال فرعون : يا حيقار لنا ههنا حجر رحىً قد انكسرت اريد منك ان تخيطها .

حق . ولكن نحن سمعنا ان حيقار قد مات وها انت طيب بالحياة . فقال لهُ : نعم كان ذلك ولكن الحمد لله عالم الخفايا لان سيدي الملك امر بقتلي واعتقد قول المفسدين . ولكن الرب نجاني فالطوبى لمن اتكل عليهِ . فقال لهُ فرعون : امضِ وفي الغد تعال الى ههنا وقل لي كلمةً ما احد سمعها لا اكابري ولا من اهل دولتي . فمضى حيقار الى منزلهِ وكتب رسالةً يقول فيها هكذا : من سنحاريب ملك اثور ونينوى الى فرعون ملك مصر سلامٌ عليك يا اخي . والذي نعلمك بهِ ان الاخ يحتاج الى اخيه والملوك تحتاج الى بعضها بعض والمرجو منك ان تقرضني تسعمائة قنطار ذهباً لاني احتجت الى علوفة بعض العسكر حتى انفق عليهم . ثم طوى الرسالة وفي الغد احضرها قدام فرعون . فلما قرأها تحير وقال : بحقٍ اني لم اسمع مثل هذه الكلمة قط ولا تفوَّه بها احدٌ . فقال لهُ حيقار : بحقٍ انهُ بقي هذا عندك لسيدي الملك . فقبل فرعون ذلك وقال : يا حيقار مثلك من يصلح لخدمة الملوك . تبارك الله الذي كملك بالحكمة وزينك بالفلسفة والمعرفة . والآن بقي مرادنا منك ان تبني لنا المقصورة بين السماء والارض . فقال حيقار : السمع والطاعة ان شاء الله ابني لك مقصورة كما تريد ايضاً وتختار . ولكن هيِّئ لي الكلس والحجارة والطين والفعالة . وانا عندي معلمون وبناؤون فيبنون لك كل ما تريد . فهيأ الملك فرعون جميع ذلك ومضوا الى مكان واسع ومضى حيقار وغلمانه واخذ النسورة والصبيان ومضى الملك واكابره وجميع اهل مملكته وعساكره باسرها حتى ينظروا ما يصنع حيقار . فعند ذلك اخرج حيقار النسورة من الصناديق وربط الصبيان على ظهور النسورة وربط الشرائط بارجلهم واطلقهم الى الجوّ فارتفعوا حتى بقوا بين السماء والارض وبدأوا يصرخون ويقولون : اوصلوا لنا حجراً وطيناً لان الفعالة بطالون . فعند ذلك بهت جميع الحاضرين وتعجبوا وتحيروا وتعجب الملك واكابره . وبقي حيقار وغلمانه يضربون الفعالة ويصرخون على جند الملك ويقولون لهم : قدموا للمعلمين ما يريدون ولا تعوقوهم عن شغلهم . فقال فرعون : يا حيقار انت مجنون من يقدر يوصل لهذا البعد شيئاً . فقال حيقار لفرعون الملك : لكن كيف يا سيدي

يا ابيقام لمن اشبه انا واكابري لمن يشبهون. فقال ابيقام : يا سيدي انت تشبه الشمس وخدامك يشبهون الشعاع. فقال لهُ فرعون: امضِ الى منزلك وفي الغد تعال الى ههنا. فمضى وفي الغد امر فرعون الملك واوصى اكابره انهم يلبسون ابيض صافياً ولبس هو ايضاً كذلك وجلس على كرسيه وامر باحضار ابيقام. فدخل وسجد امامه ووقف. فقال له فرعون: لمن اشبه انا واكابري لمن يشبهون. فقال لهُ: يا سيدي انت تشبه القمر وخدامك وجنودك يشبهون الكواكب والنجوم. فقال لهُ : امضِ وفي الغد تعال الى ههنـــا . ثم امر فرعون لعظمائهِ ان يلبسوا ثياباً ملونة مختلفة الالوان ولبس هو ثوباً مكملًا احمر وجلس على كرسيه وامر باحضار ابيقام. فدخل اليه وسجد امامه ووقف. فقـــال له : يا ابيقام انا لمن اشبه وجنودي لمن يشبهون فقال : يا سيدي انت تشبه شهر نيسان وجنودك واكابرك يشبهون بيبونه وزهره . فلما سمع فرعون ذلك فرح فرحاً عظيماً وقال: يا ابيقام اول مرةٍ شبهتني لبيل الصنم وثاني مرة شبهتني للشمس وثالث مرة شبهتني للقمر ورابع مرة شبهتني لشهر نيسان واكابري لبيبونه وزهره. لكن قل الآن سيدك سنحاريب الملك لمن يشبه واكابره لمن يشبهون. فصرخ حيقار وقال : حاشا لي ان اذكر سيـــدي الملك وانت جالس على كرسيك . لكن قم على رجليك حتى اقول لك سيدي لمن يشبه واكابره لمن يشبهون . فتحير فرعون من جراءة لســـانه وشجاعته في كلامه. ثم انهُ قام عن كرسيه ووقف نصب حيقار وقال: قل لي الآن حتى انظر سيدك لمن يشبه واكابره لمن يشبهون. فقال لهُ : سيدي يشبه الاه السماء واكابره يشبهون البرق والرعد. فان اراد هبت الرياح ونزل المطر. وان امر الرعد فيبرق ويرعد ويأمر الشمس فلا تعطي ضوءها. والقمر والكواكب فلا يسيرون ويأمر العواصف فتهب وتنزل الامطار. ويخبط نيسان وينـــثره ولزهره وبيبونه. فلما سمع فرعون هذا الكلام حار حيرة عظيمة واغتاظ غيظاً شديداً وقال لهُ: يا رجل قل لي الصحيح وعرفني من انت حقاً. فقال لهُ: انا حيقار الكاتب اكبر خواص الملك سنحاريب وانا وزيره ومدبر دولته وكاتم سره. فقال لهُ فرعون: صدقت يا حكيم في هذا القول. وهذا الكلام

عسكره وجنوده واخذ الاطفال والنسورة ومضى قاصدًا ديار مصر . فلما وصل توجه الى بلاط الملك . فلما علم اهـل مصر ان سنحـاريب قد ارسل من خواصه رجلًا حتى يتكلم مع فرعون الملك مضوا واعلموا الملـك . فأرسل جماعة من خواصـه ليحضروه بين يديه . فأتى ودخل الى قدام فرعون وسجد امامه كما يليق للملوك وقال لهُ : سيدي سنحاريب الملك يهديك جزيل السلام وقد ارسلني انا وحدي من عبيده حتى اردّ لك جوابك واقضي لك جميع ما اردت وانا مأمور بكل ما تحتاج اقضيه . لانك ارسلت تطلب من سيدي الملك رجلًا يبني لك مقصورة بين السماء والارض . فانا بعون الله تعالى و بهمتكم الشريفة ابني لك مقصورة كما تشتهي وتريد . لكن على العهد الذي قرّيت فيـه عن كسيم مصر ثلاث سنين لان قرار الملوك دين تامّ . فان غلبتني وقصرت يدي عن ذلك ولسـاني عن جوابك فيرسل لك سيدي الكسيم الذي ذكرت . وان اجبتك عمَّا تريد ارسـل الى سيدي الكسيم الذي ذكرتهُ وامرت بهِ . فلما سمع فرعون هذا الكلام تعجب وتحيّر من انطلاق كلامه وحلاوة لسانه فقال : يا رجل ما اسمك . فقال لهُ : عبدك ابيقام وانا نملة من نمل سنحاريب الملك . فقال لهُ فرعون : اما كان عند سيدك ارفع شأنًا منك حتى ارسل لي نملة تجاوبني وتتكلم معي . فقال لهُ حيقار : ارجو من الله تعالى اني اتمّ ما في خاطرك يا سيدي لان الله مع الضعيف ليتعجب القوي . فعند ذلك امر فرعون ان يهيّئوا منازل لابيقام وجنودهِ ومن معه ويجعلوا لهم العلوفة والاكل والشرب وجميع ما يختص بهم بغاية ما يكون . فلما كان بعـد ثلاثة ايام لبس فرعون الارجوان الاحمر وجلس على كرسيه وكل عظمائه ووزرائه واقفون مكتفي الايادي جاملي الرجلين . فارسل احضر اليهِ حيقـار الذي صار اسمهُ ابيقام . فقال له فرعون : يا ابيقام لمن اشبه انا واكابري ووزرائي لمن يشبهون . فقال لهُ ابيقام : يا سيد انت تشبه لبيل الصنم واكابرك يشبهون لخادميه . فقال لهُ : امضِ وفي الغد تعال الى ههنا . فسجد ابيقام امـام فرعون الملك ومضى كما أمره فرعون . وفي الغد اتى الى قدام فرعون وسجد لهُ ووقف بين يديه . وكان فرعون قد لبس احمر ملونًا وعظماؤُهُ قد لبسوا ابيض . فقال لهُ فرعون :

اكثر اهل بلادنا الى مصر من خوف الكسيم الذي يطلبونهُ منا. فاخذ حيقار الرسالة وقرأها وفهم جميع ما فيها. ثم انهُ قال حيقار للملك: لا تغتظ يا سيدي انا امضي الى مصر وارد الجـواب لفرعون واشرح لهُ هذه المسألة واجيء لك منهُ با لكسيم وارد كل الذين هربوا واخزي اعداءك بعون الله تعالى وبسعادة دولتك. فلما سمع الملك هذا الكلام فرح وانسرَّ خاطره وانعم عليـه ووهب للسياف مالاً كثيرًا. ثم قال حيقار للملك: امهلني اربعين يومًا لكي افتكر في هذه المسألة وادبرها. فاذن لهُ الملك بذلك. فمضى حيقار الى منزله وأمر الصيادين ان يصيدوا لهُ فرخين نسورة. فاصطادوهما وأتوا بهما اليهِ. ثم امر الذين يفتلون الحبال ان يفتلوا لهُ شريطـين من قطن طول كل واحد الفا ذراع. ثم احضر النجارين وامرهم ان يصنعوا صندوقين كبيرين ففعلوا ذلك. ثم انهُ اخذ صبيان صغار اثنين اسم الواحد بنوحال واسم الآخر طبشاليم وبقي كل يوم يذبح خروفين ويطعمها للنسورة والصبيان ويركب الاولاد على ظهور النسورة ويربطهم عليهم ويربط الشرائط في رجلي النسورة ويطلقهم الى فوق قليلاً قليلاً كل يوم مقدار عشرة اذرع حتى تطبعوا وتعلموا في مدة يسيرة وكانوا يرتفعون الى طول الشرائط حتى يصلوا الى الفضاء والاولاد على ظهورهم. ثم انهُ يسحبهم اليه. فلما رأى حيقار انهُ قد تمت ارادته علم الاولاد انهم اذا ارتفعوا الى الفضاء يصرخون ويقولون: اوصلوا لنا حجارة وطينًا وكلسًا حتى نبني قصر الملك فرعون لاننا واقفون بطالين. وما زال حيقار يطبعهم ويدرّسهم حتى انهم بقوا على غاية ما يكون. فتركهم ومضى الى الملك وقال لهُ: يا سيدي قد تمَّ العمل كما تريد لكن قم تعال معي حتى اريك العجب. فمضى الملك وجلساؤهُ مع حيقار. فمضى الى مكان واسع وارسل احضر النسورة والصبيـان وربطهم واطلقهم الى الجوّ على طول الحبال. فبدأ الصبيان يصرخون كما علمهم حيقار. ثم جذبهم اليهِ ووضعهم مكانهم. فتعجب الملك ومن معهُ عجبًا عظيمًا. ثم قام الملك وقبل حيقار بين عينيه وخلع عليهِ وقال لهُ: امضِ بالسلام يا عزيزي وفخر دولتي الى مصر وردَّ مسائل فرعون واغلبهُ بقوة الله تعالى. ثم ودعهُ. واخذ حيقار

وقبل ابا سميك وكاد ان يُغشى عليهِ من شدة الفرح وأمره الملك باحضاره وقال للسياف : يا لك عبداً صالحاً ان كلامك هذا هو صدق واريد ان اغنيك وارفع منزلتك عند كل حواشيّ . فأمر السياف باحضاره . فمضى السياف وهو فرحان حتى وصل الى بيت حيقار وفتح المطمورة ونزل الى حيقار فوجدهُ جالساً يحمد الله ويشكره . فصرخ وقال لهُ : يا حيقار قد اتاك الفرج افرح وسرّ وابتهج . فقال لهُ حيقار: ما الخبر. فحكى لهُ جميع ما جرى من رسالة فرعون من الاول الى الآخر. ثم انهُ اخذه ومضى الى الملك وهو في حال العدم . وكان قد طال شعره مثل الوحوش واظافيره صارت كاظافير النسر وجسده نحل من الزمان وطوله وكان التراب عبله وغير لونه و بلي وبقي مثل الرماد . فلما رآه سنحاريب الملك حزن عليهِ وقام اليه واعتنقه وقبله وبكى عليه وقال لهُ : الحمد لله الذي ردّك عليّ بعد الموت . ثم انهُ اخذ في خاطره وسلّاه واعتذر اليهِ وخلع على السياف وانعم عليهِ ووهبه مالاً جزيلاً واخذ الملك في مداراة حيقار وراحته . فقال حيقار للملك : يعيش سيدي الملك الى الابد وان هذه الافعال هي افعال اولاد الزناء . انا ربيته لي نخلة حتى اتكي عليها فمالت ورمتني . لكن يا سيدي بعد ان حضرت امامك فلا يغيظنَّك امر ولا يهمنك . فقال له الملك : تبارك الله الذي رحمك ونظر اليّ بك وعرف انك مظلوم فخلصك ونجاك من القتل . ولكن امض الى الحمام واحلق رأسك وقصّ اظافرك وغيّر ثيابك وتنعم مدة اربعين يوماً حتى تطيب نفسك ويصلح حالك ويردّ لون وجهك وبعد ذلك تعال اليّ . ثم انهُ خلع عليهِ خلعة سنية . فشكر حيقار للملك وانصرف الى منزله فرحان مسروراً وهو يسبح الله تعالى . ففرح بهِ اهل بيته واحباؤه وكل من سمع به انه بالحياة . وفعل كما امره الملك واخذ راحة اربعين يوماً . ثم انهُ لبس الفخر ملبوسه وركب وأتى الى الملك وعبيده خلفه وقدامه فرحين مسرورين . واما نادان فانهُ لما نظر ما جرى اخذه الرعب والفزع وبقي حائراً لا يدري ما يصنع . فلما دخل حيقار الى عند الملك سلم عليه . فاجلسه بجانبه وقال له : يا عزيزي حيقار انظر هذه الرسالة التي ارسلها الينا ملك مصر بعد ان سمع بقتلك وقد غلبونا وقهرونا وهرب

يا سيدنا الملك اعلم انهُ ليس احد كان يعرف يفك هذه المشكلات سوى حيقار وزيرك وكاتبك والآن ما احد يردّ جوابه غيرِ نادان ابن اخته لانه علمهُ جميع حكمتهِ وعلمهِ ومعرفتهِ . فادعه اليك لعلــه يقدر يحلّ هذه العقدة العسرة . فعند ذلك دعا الملك لنادان وقال لهُ : انظر هذه الرسالة وافهم ما فيها . فلما قرأها نادان قال للملك : يا سيدي الملك اترك الناس لانهم يهذون بالمحال . من يقدر يبني مقصورة بين السماء والارض . فلما سمع الملك كلام نادان صرخ صرخة عظيمة شديدة ونزل عن كرسيه وجلس على الرماد وبدأ يبكي وينوح على حيقار ويقول : يا اسفي عليك يا حيقار يا عارف السرائر والمسائل . ويلي عليك يا حيقار يا معلم بلدي ومدبر ملكي . اين اجد مثلك يا حيقار واين ادور عليك . ويلي عليك كيف اهلكتك وعدمتك بكلام صبي احمق جاهل بلا معرفة ولا دين ولا مروءة آه على من كان يهبك لي او من كان يبشرني ان حيقار طيب بالحياة لكنت اعطيه نصف مالي ونصف مملكتي . لكن من اين ذلك . آه يا حيقار على من كان ينظرك في الحياة حتى كان يشبع من رؤيتك وكان يعتذر اليك . يا اسفي عليك طول الزمان يا حيف عليك كيف قتلتك ولم اتمهل عليك حتى كنت انظر عاقبة الامر . وبقي الملك يبكي وينوح ليلًا ونهارًا . فلما سمع السياف غيظ الملك وحزنه على حيقار تقدم وسجد امامه وقال : يا سيدي مر غلمانك ان يقطعوا رأسي . فقال له الملك : ويحك يا ابا سميك ما هو ذنبك . فقال لهُ ابو سميك : يا مولاي كل عبدٍ يخالف كلام مولاه يُقتل وانا قد خالفت امرك . فقال لهُ الملك : ما ذنبك في اي شيء خالفتني . فقال ابو سميك : يا سيدي انت امرتني ان اقتل حيقار المعظم فعلمت انا انك ستندم عليهِ وانهُ مظلوم فمضيت اخفيته في مكان ما احد يعرفهُ وكنت قتلت واحدًا من عبيده مستحقًا القتل عوض حيقار وهو الآن طيب في الحياة . فان امرتني فانا آتيك به . وان اردت اقتلني وان اردت اطلقني . فقال الملك : ويحك يا ابا سميك انت الآن تهزأ بي وانا سيدك . فقال لهُ : لا وحياتك وحياة رأسك يا سيدي . لكن حيقار طيب بالحياة . فلما سمع الملك ذلك الكلام من السياف وتحققه منهُ زاغ من فرحه فقــام

وكانت كل جمعة تنزّل له شيئاً يكفيه الى الجمعة الآتيه ولا يعلم بهِ احد . فشاع الخبر وذاع وانتشر في اثور ونينوى ان حيقـار الحكيم قتل ومات . وناح عليهِ اهـل تلك البلاد جميعها وبكوا وقولوا : يا حيف عليك يا حيقار وعلى علمك وادبك . يا اسفاه عليك وعلى معرفتك . اين بقي يوجد مثلك واين يكون فهيم عارف مدبر يشبهـك ويقوم موضعك . واما الملك فانه ندم على حيقـار حيث لم ينفعه الندم فدعا نادان وقال لهُ : امض وخذ معك احباءك واعمل مناحة وبكاء لخالك حيقار ونُح عليـهِ كجاري العادة اكراماً لخاطره . فلما مضى نادان الاحمق الجاهل القاسي القلب الى بيت خاله حتى يبكي عليـه لم يحزن ولا بكى ولا ناح بل جمع لهُ اناساً فاسقين زناة واخذوا في الاكل والشرب وبدأ نادان يمسك الجواري والعبيد الذين لحيقار ويجلدهم ويعذبهم ويضربهم ضرباً موجعاً وما يستحي من امرأة خاله التي ربتهُ مثل ولدها بل طلب منها ان يقع معها في الخطيئة . واما حيقار فكان ملقىً في المطمورة وهو يسمع بكاء عبيده وجواريهِ ويحمد الله الرحوم ويشكره . وكان يصلي الى الله تعالى ويتضرع اليهِ . وكان في كل مدةٍ يأتي السياف يشرف عليه ويأخذ بخاطره ويعزيه ويدعو لهُ بالخلاص ويمضي في حال سبيله . فلما شاع الخبر الى سائر الاقطار ان حيقار الحكيم قد قُتل فرحت الملوك جميعها شماتة بالملك سنحاريب وتأسفوا على حيقـار وللوقت نهض ملك مصر وكتب رسالة الى سنحاريب الملك يذكر فيها هكذا : السلام التام والتحية والاكرام يُخص بها اخي وعزيزي سنحاريب الملك . واني قد اشتهيت ان ابني لي مقصورة بين السماء والارض . واريد منك ان ترسل لي من عندك رجلاً حكيماً ماهراً حتى يبني لي اياها واريده يردّ لي جميع سؤالاتي ويكون لك عندي كسيم اثور ونينوى ثلاثة سنين . ثم انهُ ختم الرسالة وارسلها اليه . فلما وصلته الرسالة اخذها وقرأها هو ووزراؤه واكابر دولته فتحيروا وبهتوا . فاغتاظ الملك غيظاً شديداً وبقي محتاراً كيف يعمل ويفعل . ثم انهُ جمع المشائخ والعلماء والحكماء والفلاسفة والعزامين والمنجمين وجميع من في بلاده وقرأ الرسالة قدامهم وقال لهم : من فيكم يمضي الى فرعون ملك مصر ويردّ له جوابه . فقالوا :

ذلك خرَّ حيقار امام الملك وقال : يعيش سيدي الملك الى الابد . فان كنت انت تريد قتلي فباختيارك . وانا اعلم ان ليس لي ذنب ولكن يُطالب الردي برداه . لكن ارجو منك يا مولاي ومن صدقاتك ان تأذن للسياف ان يعطي جسدي لعبيدي حتى يدفنوني . ويكون عبدك فداك . فأمر الملك للسياف ان يفعل به كما يريد . فأخذوا حيقار غلمان الملك والسياف ومضوا بهِ وهو عريان ليقتلوه . فلما تيقَّن حيقار بقتله ارسل الى زوجته يقول لها وكان اسمها اشغفني : اخرجي للقائي ومعكِ الف بنت بكر والبسيهنَّ ثياب الارجوان والحرير حتى يبكينَ عليَّ قبل موتي . وضعي للسياف مائدة لهُ ولغلمانه وامزجي خمرًا كثيرًا حتى يشربوا . ففعلت حرمة حيقار كما امرها زوجها وكانت ايضًا هي حكيمة عاقلة ماهرة قد حوت الادب والمعرفة . فلما وصل الجند والسياف والغلمان وجدوا المائدة موضوعة والخمر والمأكولات الفاخرة فابتدأُوا بالاكل والشرب حتى انهم شبعوا وسكروا . فاخذ حيقار السياف في عزلةٍ على جنب وقال لهُ : يا ابا سميك اما تعلم انهُ لما اراد سرحادوم الملك ابو سنحاريب الملك ان يقتلك أخذتك واخفيتك في مكان ما احد يعلم بهِ حتى طلبك الملك . وانا كل يوم كنت ابرّد خلقه حتى طلبك . فلما احضرتك قدامه فرح فيك . والآن اذكر الجميل الذي صنعته معك . وانا اعرف ان الملك يندم عليَّ ويغتاظ غيظًا عظيمًا لقتلي لانهُ ليس لي ذنب فتكون اذا احضرتني قدامه في منزلةٍ عظيمة . واعلم ان نادان ابن اختي قد غشني وصنع معي هذا الصنيع الردي ولكن سيندم الملك على قتلي . واعلم ان لي سردابًا في عتبة بيتي ولا يعلم بهِ احد فاخفني هناك بعلم زوجتي اشغفني . وان لي في السجن عبدًا مستوجب القتل اخرجهُ والبسه ثيابي وأمر الغلمان وهم سكارى ان يقتلوه دون ان يعرفوا لمن قتلوا وأمرهم ان يبعدوا رأسه عن جثته مائة ذراع واعطِ جثته لعبيدي حتى يدفنوه وتكون قد ذخرت عندي هذه الذخيرة . فعند ذلك فعل السياف كما امره حيقار ومضوا الى الملك وقالوا لهُ : يعيش رأسك يا ملك الى الابد . ثم ان اشغفني امرأة حيقار كانت تحضر لزوجها الاكل والشرب الى المطمورة .

اعدائي هذه مكافأتي من حيقـار عوض احساني اليه . فقال لهُ نادان : لا تغتمّ ايها الملك ولا تحزن ولا تغتظ بل اننا نمضي الى بقعة نسرين وننظر الخـبر ان صحيحًا ام لا . ولما اتى يوم الخميس قام نادان واخذ الملك والوزراء والعساكر وانطلقوا الى الصحراء الى بقعة نسرين . فلما وصلوا نظر الملك الى حيقار والعسكر مصفوفين . فلما نظر حيقار ان الملك قد اقبـل أمر العسكر ان يهيجوا للحرب و يضربوا مصافّة مع الملـك كما وجد في الرسالة وهو لا يعلم ايما بئر حفر لهُ نادان . فقال نادان : انظر يا سيدي ما فعـل هذا اللئيم . ولكن لا تغتـظ ولا تغتمّ ولا تتألم بل امضِ الى بيتك وانا اجيء لك بحيقار مكتفًا مقيَّدًا بالسلاسل واطرد عدوك عنك بلا تعب . فرجع الملك الى بيته وهو مقهور ممَّا فعـل بهِ حيقار واخذه القلق والدهش والحيرة مما رأى من وزيره وكاتم سرّه وصديقه الوحيد الفريد حيقار . واما نادان فانهُ مضى الى حيقار وقال لهُ : والله لقد فرح الملك اليوم فرحًا عظيماً وشكرك حيث صنعت ما امرك به . والآن قد ارسلني حتى تطلق العسكر في حال سبيله وتمضي انت اليه مكتفًا مقيدًا لينظر رسل فرعون ذلك لكي يبقى الملك مهـابًا عندهم وعند ملكهم . فاجاب حيقار بالسمع والطـاعة وكتف يديه وقيد رجليه . واخذه نادان ومضى بهِ الى الملك . وكان الملك قد نظر الرسالة الاخرى ايضاً . فلما دخل حيقار على الملك سجد امامه الى الارض على وجهه . فقال لهُ الملك : يا حيقار كاتبي ووليّ امري وكاتم سرّي ومدبر دولتي قل لي ما صنعت معك من القبيح حتى انت تجازيني بهذه الافعال القبيحة . ثم اراه الاوراق بختمه وخطه . فلما نظر حيقـار ذلك رجفت اعضاؤُهُ وانعقد لسانه للوقت وما بقي يقدر يتكلم كلمة واحدة من حكمته ومعرفتهِ . بل انه اطرق برأسه الى الارض وسكت . فلما نظر الملك ذلك امر ان يقتلوا حيقار و يضربوا عنقه بالسيف خارج المدينة . فصرخ نادان وقال : يا حيقار يا اسود الوجه ايش نفعك مكرك وغدرك حتى تفعل هذا الفعل مع الملك . (قال) وكان اسم السياف ابا سميك مسكين . فامره الملك وقال له : امضِ واقطع عنق حيقار في باب بيته وابعد رأسه عن جثته مائة ذراع . فعند

جميعه. وبقي لا يدخل ولا يخرج اليهِ ولا يسلم عليه. عند ذلك ندم حيقار على تعبه على نادان وبقي حزيناً جداً. وكان لنادان اخ اصغر يسمَّى بنوذردان فاخذه حيقار اليهِ عوض نادان ورباه واكرمه غاية الاكرام وسلم اليهِ جميع ما يقتني وجعله مدبر بيته وأمرهِ. فلما نظر نادان ما قد صار اخذه الحسد والغيرة وبدأ يشتكي لكل من يسألهُ ويهزأ بخاله ويقول: ان خالي قد طردني من بيته وقدم اخي عليَّ. ولكن ان قدَّرني الله تعالى لارمينَّهُ في محنة القتل. وبقي نادان يتفكر في عثرةٍ لخاله حيقار. ومن بعد مدةٍ طويلة في يوم من الايام مضى نادان وكتب رسالة الى اخيش ابن شاه حكيم ملك الفرس والعجم يقول فيها: هذا سلام تام وتحيات واكرام من سنحاريب ملك اثور ونينوى ومن وزيره وكاتبه حيقار اليك ايها الملك الجليل سلامٌ بيني وبينك. وانهُ في حال وصول هذه الرسالة اليك تقوم تجيء عاجلًا. والوعد الى بقعة نسرين واثور ونينوى حتى اسلم اليك المملكة بلا حرب ولا مصافَّة. وكتب ايضاً رسالة اخرى باسم حيقار الى فرعون ملك مصر: سلامٌ بيني وبينك ايها الملك المعظم. وانهُ في حال وصول الرسالة اليك تقوم تجيء الى اثور ونينوى الى بقعة نسرين حتى اسلم اليك المملكة بلا حرب ولا قتال. وكان خط نادان يشبه خط خاله حيقار. ثم انهُ طوى الرسالتين وختمهما بخاتم خاله حيقار ورماهما في دار الملك. ثم مضى ايضاً وكتب رسالة على لسان الملك الى حيقار: السلام التام على وزيري وكاتبي وكاتم سرّي حيقار. في حين وصول الرسالة اليك اجمع العسكر الذي عندك كلهم ويكونون كاملي الكسوة والعدد وائتني يوم الخميس الى بقعة نسرين. وحين تراني اتيت اليك اجعل العسكر يهيج مقابلي مثل عدوٍ يقاتلني لان عندي رسل فرعون ملك مصر حتى ينظروا قوة عساكرنا ويخافوا منَّا لانهم اعداؤنا ومبغضينا. ثم ختم الرسالة وارسلها الى حيقار مع واحد من غلمان الملك واخذ الرسالة الواحدة التي كتبها وعرضها على الملك وقرأها عليهِ وأراه الختم. فلما سمع الملك ما في الرسالة حار حيرة عظيمة واغتاظ وغضب غضباً شديداً وقال: ايش فعلت انا مع حيقار حتى كتب هذه الرسالة الى

اقتنِ لك الروح الطويلة والاحتمال والمشيَّة الصالحة لانهُ ليس شيء افضل منهما . يا بني لا تفرح في موت عدوك لانك بعد قليل تكون جاره ومن هزلك وقره واكرمه واسبق عليهِ بالسلام . يا بني ان كان الماء يقف في المجرى وتطير العصافير في السماء . والغراب الاسود يبيضّ والمرّ يحلو كالعسل فالجاهل والاحمق يفهمان ويتحكمان . يا بني ان اردت ان تكون حكيماً اضبط لسانك من الكذب ويدك من السرقة وعينيك من نظر السوء عند ذلك تدعى حكيماً . يا بني دع يضربك الحكيم بعصاهُ ولا يدهنك الجاهل بدهن طيب . يا بني كن متواضعاً في شبوبيتك فتكرم في شيخوختك . يا بني لا تقم مقابل رجل يكون في رئاستهِ ولا النهر في زيادته ولا تسعَ في زواج لانهُ ان كان فيهِ خير لا يحمدوك وان شرّ شتموك ولعنوك . يا بني صاحب لمن تكون يده شبعانة ممتلئة ولا تصاحب لمن يده منقبضة جائعة . يا بني اربعة لا يثبت فيها ملك ولا عسكر . عسر الوزير . وسوء التدبير . وخبث النية . وظلم الرعية . واربعة لا تختفي . العاقل . والاحمق . والغني . والفقير . فلما اتمَّ حيقار الوصايا والامثال لنادان ابن اخته ظنَّ في باله انهُ قد حفظ جميع ما اوصاهُ وما علم انه يريد يبادنه بضد ذلك . وبعد هذا جلس حيقار في بيتهِ وسلم الى نادان كل ماله والعبيد والجواري والخيل والمواشي وغير ذلك من جميع ما يقتني وبقي الامر والنهي في يده وتقدم عند الملك مثل خاله حيقار واكثر . وبقي حيقار في بيته مستريحاً وما عاد يمضي الى الملك الا في كل مدة مرة يمضي يسلم عليهِ ويعود الى بيته . فلما علم نادان ان الامر بقي في يده هزل خاله حيقار وتشامخ عليهِ وبدأ يذمّهُ اين ما حضر ويقول : ان حيقار قد بقي كبيراً وخرفان وما بقي يعرف شيئاً . وبدأ يضرب العبيد والجواري ويبيع الخيل والجمال وتصرَّف في كل ما يملكه خاله . فلما نظر حيقار ان نادان ليس لهُ شفقة على عبيده وبيته طرده من بيته وبعث اخبر الملك بهِ انهُ عمال يبدد مقتناه ورزقه . فدعا الملك نادان وقال لهُ : ما دام حيقار بالحياة فلا يتسلط احدٌ على رزقه ومقتناه ولا على بيته . فارتفعت يد نادان عن حيقار وعن ماله

مثل شجرة التوت التي تطعم قبل كل الاشجار وآخر الكل تورق . يا بني احنِ رأسك الى اسفل ولين صوتك وكن متأدباً واسلك في سبل الصلاح ولا تكن سفيهاً ولا ترفع صوتك اذا ضحكت او تكلمت لانهُ لو كان بالصوت العالي يُبنى بيت كان الحمار يبني كل يوم بيوتاً كثيرة . يا بني نقل الحجارة مع رجل حليم خير من شرب الخمر مع رجل لئيم . يا بني اسكب خمرك على قبور الصالحين ولا تشربهُ مع اناس لئام وقحين . يا بني التصق في اناس حكماء يتقون الله وكن مثلهم ولا تقرب لجاهل لئلا تصير مثله وتتعلم طرائقه . يا بني اذا اقتنيت صديقاً او صاحباً جرّبه وبعد ذلك صاحبه وبغير تجربة لا تحمده ولا تفسر كلامك مع رجل غير حكيم . يا بني ما دام في رجلك خفّ امشِ به على الشوك واعمل طريقاً لبنيك وبني بنيك وعدّل سفينتك قبل ان يهيج البحر وامواجه وتغرق ولا تقدر ان تخلص . يا بني الغني اذا اكل الحيّة يقولون من حكمته واذا اكلها رجل فقير يقول الناس من جوعه . يا بني يقنعك رزقك ومالك ولا ترغب في شيء لغيرك . يا بني لا تجاور الاحمق ولا تأكل معهُ خبزاً ولا تفرح في مساءة جيرانك واذا اساء اليك عدوك بادهِ انت بالاحسان . يا بني رجل يخاف الله خف انت منهُ واكرمه . يا بني الجاهل يقع ويعثر والحكيم ولو عثر ما يتزعزع ولا يقع . وان وقع يقوم عاجلاً واذا مرض يقدر يعالج نفسهُ . واما الجاهل الاحمق ليس لدائه دواء . يا بني اذا استقبلك رجل اقلّ منك استقبله انت قائماً فان لم يكافئك فربُّه عوضه يكافئك . يا بني لا تعفُ عن ضرب ابنك فان ضرب الولد مثل زبل البستان ومثل ربط فم الكيس ومثل رباط البهيمة وغلق الباب . يا بني اضبط ابنك عن الشرور وادبهُ قبل ان يكبر ويتمرَّد عليك ويهينك بين اصحابك ويحني رأسك في الشوارع والمحافل وتعاب في اعماله الرديئة . يا بني لا تخرج الكلمة من فمك حتى تشاور قلبك ولا تقم بين المخاصمين لان من كلمة الشر تكون الخصومة ومن الخصومة تكون الحرب ومن الحرب يكون القتال فتلزمك الشهادة . لكن انت فرّ من هناك واسترح . يا بني لا تقم مقابل من هو اقوى منك بل

ووفاتك فقل لي من يقوم في خدمتي بعدك . فقال لهُ حيقار: يا سيدي الملك يعيش رأسك الى الابد هذا نادان ابن اختي قد اتخذتهُ لي ولدًا وربيته وعلمتـه حكمتي ومعرفتي كلها . فقال لهُ الملك : يا حيقار احضره قدامي لانظره فان وجدته لائقـاً فاقيه عوضك وانت اطلق سبيلك لتمضي وتستريح وتنيح شيخوختك وتعيش باقي عمرك بكرامة حسنة . فحينئذٍ مضى حيقار واحضر نادان ابن اخته الى الملك . فسجد لهُ بالادب والوقار والحشمة والحكمة والمعرفة . فنظر الملك الى نادان وتأملهُ فاعجبهُ غاية العجب وفرح فيهِ . عند ذلك قال الملك لحيقار: هذا ابنك يا حيقار اطلب من الله ان يحفظه وكما انت خدمتني وخدمت ابي سرحادوم قبلي كذلك يكون هـذا ولدك يخدمني ويقضي مصالحي وحوائجي واشغالي حتى اكرمهُ واعزهُ لاجل خاطرك . فسجد حيقار الوزير وقال لهُ: يعيش رأسك يا سيدي الى الابد اريد منك ان تطيل روحك عليهِ لانهُ ولدي وايضاً تبقى تسامح غلطاته حتى يخدمك كما ينبغي . فعند ذلك حلف لهُ الملك ان يجعلهُ اكبر محبيه واعزّ اصدقائهِ ويكون عنده في كل كرامة ووقار . فقبل اياديه ودعا لهُ واخـذ نادان ابن اخته معهُ واجلسهُ في خلوة وبدأ يعلمـهُ في الليل والنهار حتى اشبعه حكمة ومعرفة اكثر من الخبز والماء وهكذا كان يعلمهُ ويقول له: يا بني اسمع كلامي واتبع رأيي واذكر قولي . يا بني ان سمعت كلمة دعها تموت في قلبك ولا تكشفها لغيرك لئلا تصير جمرة وتحرق لسانك وتجعل في جسدك الالم وتكسبك العار وتخزى من الله ومن الناس . يا بني اذا سمعت خبرًا لا تفشهِ واذا نظرت شيئاً لا تحكه . يا بني سهل خطابك للسامع ولا تبادر بردّ الجواب . يا بني لا تشته حسناً برّانياً لانهُ يزول ويعبر والذكر الصالح يدوم الى الابد . يا بني لا تخدعك امرأة سفيهة بكلامها لئلا تموت بأشأم ميتة وتعرقلك في المصيدة وفي الفخ تصاد . يا بني لا تشته امرأة مزخرفة بالثيـاب والادهان وهي في نفسها وقحة سفيهة واياك ان تطيعها وتعطيها شيئاً يكون لك او تسلمها ما في يدك فتلبسك الخطيئة ويغضب الله عليك . يا بني لا تكن مثل شجرة اللوز لانها تورق قبل كل شجرة وآخر الكل تطعم . بل كن

بسم الاب والابن والروح القدس الاله الواحد امين

نبتدي بعون الله وحسن توفيقه وارشادهِ ونكتب خبر حيقار الحكيم الفيلسوف وزير سنحاريب الملك ونادان ابن اخته

ذكروا انهُ كان في ايام الملك سنحاريب ملك اثور ونينوى رجل حكيم يقال لهُ حيقار. وكان وزير الملك سنحاريب وكان كاتبه وكان ذا مالٍ جزيلٍ ورزقٍ كثيرٍ. وكان ماهرًا حكيماً فيلسوفاً ذا معرفة ورأي وتدبير. وكان قد تزوَّج ستين امرأة وبنى لكل امرأة منهنَّ مقصورة. ومع هذا كله لم يكن لهُ ولد يربيه وكان كثير الهمّ لاجل ذلك. وانهُ كان في ذات يوم جمع المنجمين والعرافين والسحرة وحكى لهم وشكى لهم حاله بامر عقوريته. فقالوا لهُ: ادخل اذبح للآلهة واستخبرهم ليرزقوك ولدًا. ففعل كما قالوا لهُ وقدم القرابين للاصنام واستغاث بها وتضرع اليها بالطلبة والدعاء فلم تجبهُ بكلمة واحدة. فخرج وهو حزين كئيب وانصرف وهو متألم القلب. فرجع بالتضرُّع الى الله تعالى وآمن واستغاث بهِ بحرقة قلبٍ وقال بصوت عالٍ: يا الاه السماء والارض يا خالق الخلائق كلها اطلب اليك ان تهبني ولدًا حتى اتعزى بهِ ويحضر موتي ويرثني ويغمض عينيَّ ويدفني. فعند ذلك اتاه صوت يقول لهُ: حيث انك اتكلت اولاً على الاصنام والمنحوتات وقدمت لها القرابين كذلك تبقى بلا ولد ولا بنين ولا بنات. بل قم خذ نادان ابن اختك واجعله لك ولدًا وعلمهُ علمك وادبك وحكمتك وهو يرثك بعد موتك. فعند ذلك اخذ نادان ابن اخته وكان صغيرًا يرضع. فسلمه الى ثمان نساء مرضعات لترضعهُ وتربيه. فربَّينهُ بالاكل الطيب والتربية اللطيفة والبسنهُ الحرير والارجوان والقرمز. وكان جلوسه على الطنافس والحرير. فلما كبر نادان ومشى ونمى مثل الارز العالي علمهُ الادب والكتابة والقراءة والفلسفة وجميع العلوم. وفي بعض الايام نظر سنحاريب الملك الى حيقار فرآه قد بقي شيخًا كبيرًا فقال لهُ: ايها الصاحب المجيد المكرم الماهر المدبر الحكيم وكاتبي ووزيري وكاتم سري ومدبر دولتي هوذا انت قد كبرت وطعنت في السن وقرب موتك

خبر

حيقار الحكيم وزير سنحاريب الملك

ونادان ابن اخته

طرائف فكاهات

في

اربع حكايات

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

صفحة

فهرس

الجزء الخامس من كتاب الف ليلة وليلة

صفحة

الملاعب . واجزل لهم الملك العطايا والمواهب . وتصدق على الفقراء والمساكين وعمّ باكرامه سائر رعيتــه وأهل مملكته . ثم ان الملك شهريار احضر المؤرخين والنسّاخ وامرهم ان يكتبوا جميع ما جرى لهُ مع زوجتــه من اوله الى آخره . فكتبوا ذلك وسمّوها سيرة الف ليلة وليلة . فجاءت ثلاثون مجلدًا فوضعها في خزانته . واقام الملك مع دولتــه في الذّ عيش واهناه وقد بدل الله حزنهم فرحًا . واقاموا على ذلك حتى اخذهم هادم اللذات . ومفرّق الجماعات . ومخلي الدور . ومعمر القبور . فانتقلوا الى رحمة الله تعالى وخربت دورهم وهدمت قصورهم وتوارث الملوك اموالهم . ثم ملك من بعــدهم ملك عاقل لبيب اديب محبّ للاخبــار خصوصًا سير الملوك والسلاطين . فوجد هذه السيرة العجيبة المطربة الغريبة وهي ثلاثون مجلدًا فقرأ فيهــا اول كتاب وثاني كتاب والثالث الى آخرها . فصار كل كتاب يعجبهُ اكثر من الاول الى ان انتهى الى آخرها . فتعجب مما سمعــهُ من حديث وحكايات ونوادر ومواعظ وآثار وتذكار . فامر الناس ان يكتبوها وينشروها في جميع البلاد والاقاليم . وشاع ذكرها وسمّوها عجائب وغرائب الف ليلة وليلة . وهذا ما انتهى الينا من هــذا الكتاب . والله اعلم

تمّ الكتاب بعون الملك الوهّاب

وميتم البنين والبنات . فسبحان الحيّ الذي لا يموت . وبيده مقاليد الملك والملكوت

وكانت شهرزاد في هذه المدة قد خلفت من الملك ثلاثة اولاد ذكور . فلما فرغت من هذه الحكاية قامت على قدميها وقبلت الارض بين يدي الملك وقالت لهُ : يا ملك الزمان . وفريد العصر والاوان . اني انا جاريتك ولي الف ليلة وليلة وانا احدثك بحديث السابقين ومواعظ المتقدمين . فهل لي في جنابك من طمع حتى اتمنّى عليك أمنية . فقال لها الملك : تمنّي تُعطي يا شهرزاد . فصاحت على الدادات والطواشية وقالت لهم : هاتوا اولادي . فجاؤُوا لها بهم مسرعين وهم ثلاثة اولاد ذكور واحد منهم يمشي وواحد يحبو وواحد يرضع . فلما جاؤُوا بهم اخذتهم ووضعتهم قدام الملك وقبلت الارض وقالت : يا ملك الزمان هؤُلاء اولادك وقد تمنّيت عليك ان تعتقني من القتل اكراماً لهؤُلاء الاطفال فانك ان قتلتني يصير هؤُلاء الاطفال من غير امّ ولا يجدون من يحسن تربيتهم من النساء . فعند ذلك بكى الملك وضمَّ اولاده الى صدره وقال : يا شهرزاد والله اني قد عفوت عنكِ من قبل مجيء هؤُلاء الاولاد لكوني رأيتك عفيفة نقية حرَّة تقية . بارك الله فيكِ وفي ابيكِ وامكِ واصلكِ وفرعكِ . واشهد الله عليَّ اني قد عفوت عنكِ من كل شيء تضرُّكِ . فقبلت يديه وقدميه وفرحت فرحاً زائداً وقالت لهُ : اطال الله عمرك وزادك هيبةً ووقاراً . وشاع السرور في سراية الملك حتى انتشر في المدينة . وكانت ليلة لا تعدّ من الاعمار . ولونها ابيض من وجه النهار . واصبح الملك مسروراً . وبالخير مغموراً . فارسل الى جميع العسكر فحضروا . وخلع على وزيره ابي شهرزاد خلعة سنية جليلة وقال لهُ : سترك الله حيث زوَّجتني بنتك الكريمة التي كانت سبباً لتوبتي عن قتل بنات الناس . وقد رأيتها حرَّة نقية عفيفة زكية ورزقني الله منها بثلاثة اولاد ذكور . والحمد لله على هذه النعمة الجزيلة . ثم خلع على كامل الوزراء والامراء وارباب الدولة . وامر بزينة المدينة ثلاثين يوماً ولم يكلف احداً من اهل المدينة شيئاً من ماله بل كامل الكلفة والمصاريف من خزانة الملك . فزيّنوا المدينة زينة عظيمة لم يسبق مثلها . ودقَّت الطبول وزمرت الزمور ولعبت كامل ارباب

فانتبه معروف فرأى زوجتهُ مرمية ودمها سائل وابنه شاهر السيف في يده . فقال لهُ : ما هذا يا ولدي . قال : يا ابي كم مرّة وانت تقول لي : ان سيفك عظيم ولكنك ما نزلت بهِ حرباً ولا قطعتَ بهِ رأساً . وانا اقول لك : لا بدّ ان اقطع بهِ عنقاً مستحقاً للقطع . فها انا قد قطعت لك بهِ عنقاً مستحقاً للقطع . واخبره بخبرها . ثم انهُ فتش على الخاتم فلم يرهُ . ولم يزل يفتش في اعضائها حتى رأى يدها منطبقة عليهِ . فاخذهُ من يدها ثم قال لهُ : انت ولدي بلا شكّ ولا ريب اراحك الله في الدنيا والآخرة كما ارحتني من هذه الخبيثة ولم يكن سعيها الَّا لهلاكها . ولله درّ من قال :

اذا كان عون الله للمرء مسعفاً ... تأتّى لهُ من كل امر مرادهُ
وان لم يكن عونٌ من الله للفتى ... فاوّل ما يجني عليهِ اجتهادهُ

ثم ان الملك معروفاً زعق على بعض اتباعه فأتوهُ مسرعين . فاخبرهم بما فعلت زوجتهُ فاطمة العرّة وامرهم ان يأخذوها ويحطوها في مكان الى الصباح . ففعلوا كما امرهم . ثم وكّل بها جماعة من الخدام فغسلوها وكفنوها وعملوا لها مشهداً ودفنوها . وما كان مجيئها من مصر الَّا لترابها . ولله درّ من قال :

مشيناها خطىً كتبت علينا ... ومن كتبت عليهِ خطىً مشاها
ومن كانت منيتهُ بارض ... فليس يموت في ارضٍ سواها

وما احسن قول الشاعر :

وما ادري اذا يممتُ ارضاً ... أُريد الخير أيُّهما يليني
هل الخير الذي انا ابتغيهِ ... ام الشرّ الذي هو يبتغيني

ثم ان الملك معروفاً ارسل يطلب الرجل الحرّاث الذي كان ضيفهُ وهو هارب . فلما حضر جعلهُ وزير ميمنتــه وصاحب مشورته . ثم علم ان لهُ بنتاً بديعة الحسن والجمال . كريمة الخصال . شريفة النسب . رفيعة الحسب . فتزوّج بها . وبعد مدة من الزمان زوّج ابنه . واقاموا مدّة في ارغد عيش وصفتْ لهم الاوقات . وطابت لهم المسرات . الى ان اتاهم هادم اللذات . ومفرّق الجماعات . ومخرّب الديار العامرات .

واتفق بالامر المقدَّر والقضاء المسطر ان معروفاً كان راقداً. ومن حسن تقواه كان يقلع الخاتم من اصبعه اذا اراد ان ينام احتراماً للاسماء الشريفة التي هي مكتوبة عليهِ فلا يلبسهُ الّا على طهارة. وكانت زوجته فاطمة العرة لم تخرج من موضعها الّا بعد ان احاطة علماً بانه يقلع الخاتم عند نومهِ ويجعلهُ على المخدة حتى يتطهر. وكان من عادته انهُ متى نام يأمر المحظية ان تذهب من عنده خوفاً على الخاتم. واذا دخل الحمام يقفل باب القصر حتى يرجع من الحمام ويأخذ الخاتم ويلبسهُ وبعد ذلك كل من دخل القصر لا حرج عليه. وكانت تعرف هذا الامر كله. فخرجت بالليل لاجل ان تدخل عليهِ في القصر وهو مستغرق في النوم وتسرق هذا الخاتم بحيث لا يراها. فلما خرجت كان ابن الملك في هـذه الساعة قد دخل بيت الراحة ليقضي حاجة من غير نور. فقعد في الظلام على ملاقي بيت الراحة وترك البـاب مفتوحاً عليهِ. فلما خرجت من قصرها رآها مجتهدة في المشي الى جهة قصر ابيهِ فقال في نفسه: يا هل ترى لاي شيء خرجت هذه الكاهنة من قصرها في جنح الظلام وأراها متوجهة الى قصر ابي. فهذا الامر لا بدَّ لهُ من سبب. ثم انهُ خرج وراءها وتبع اثرها من حيث لا تراهُ. وكان لهُ سيف قصير من الجوهر وكان لا يخرج الى ديوان ابيهِ الّا متقلـداً بذلك السيف لكونه مستعزًّا بهِ. فاذا رآهُ ابوهُ يضحك عليهِ ويقول: ما شاء الله ان سيفك عظيم يا ولدي ولكن مـا نزلتَ بهِ حرباً ولا قطعت بهِ رأساً. فيقـول لهُ: لا بدَّ ان اقطع بهِ عنقاً يكون مستحقاً للقطع. فيضحك من كلامه. ولما مشى وراء زوجة ابيـهِ سحب السيف من غلافه وتبعها حتى دخلت قصر ابيهِ. فوقف لها على باب القصر وصار ينظر اليها فرآها وهي تفتش وتقول: اين وضع الخاتم. ففهم انها دائرة على الخاتم. فلم يزل صابراً عليهـا حتى لقيتهُ فقالت: ها هو. والتقطتهُ وارادت ان تخرج. فاختفى خلف الباب. فلما خرجت من الباب نظرت الى الخـاتم وقلبتهُ في يدها وارادت ان تدعكـهُ. فرفع يده بالسيف وضربها على عنقها. فزعقت زعقة واحدة ثم وقعت مقتولة

لا مزيد عليها . وصاحب المثل يقول : الاساءة تقطع اصل المطلوب . وتزرع البغضاء في ارض القلوب . ولله درّ القائل :

احرص على فرط القلوب من الاذى   فرجوعها بعد التنافر يعسرُ
ان القلوب اذا تنافر ودّها   مثل الزجاجة كسرها لا يجبرُ

ثم ان معروفًا لم يأوها لخصلة حميدة فيها وانما عمل معها هذا الاكرام ابتغاء مرضات الله تعالى

ثم ان دنيازاد قالت لاختها شهرزاد : ما اطيب هذه الالفاظ . التي هي اشدّ اخذًا بالقلوب من سواحر الالحاظ . وما احسن هذه الكتب الغريبة والنوادر العجيبة . فقالت شهرزاد : واين هذا مما احدثكم بهِ الليلة القابلة ان عشت وابقاني الملك

فلما اصبح الصباح واضاء بنوره ولاح اصبح الملك منشرح الصدر ومنتظرًا لبقية الحكاية وقال في نفسه : والله لا اقتلها حتى اسمع بقية حديثها . ثم خرج الى محل حكمه . وطلع الوزير على عادته بالكفن تحت ابطه . فمكث الملك في الحكم بين الناس طول نهاره . وبعد ذلك ذهب الى حريمه ودخل على زوجته شهرزاد بنت الوزير على جري عادته . وادرك شهرزاد الصباح . فسكتت عن الكلام المباح

فلما كانت الليلة الحادية بعد الالف وهي آخر الكتاب ذهب الملك الى حريمه ودخل على زوجته بنت الوزير . فقالت لها اختها دنيازاد : اتمي لنا حكاية معروف . قالت : حبًا وكرامةً ان اذن لي الملك بالحديث . فقال لها الملك : قد اذنت لكِ بالحديث لانني متشوق الى سماع بقيته

قالت : بلغني ايها الملك ان الملك معروفًا صار لا يعتني بزوجته وانما كان يطعمها احتسابًا لوجه الله تعالى . فلما رأتهُ ممتنعًا عن وصالها ومشتغلًا بغيرها بغضتهُ وغلبت عليها الغيرة ووسوس لها ابليس انها تأخذ الخاتم منهُ وتقتلهُ وتعمل ملكة مكانه . ثم انها خرجت ذات ليلة من الليالي ومشت من قصرها متوجهة الى القصر الذي فيهِ زوجها الملك معروف

الى هذا القصر وقال: ادخلي في هذه الحجرة تري زوجكِ نائماً على السرير. فدخلت فرأيتك في هذه السيادة. وانا ما كان في املي انك تفوتني وانا رفيقتك. والحمد لله الذي جمعني عليك. فقال لها: هل انا فتُّكِ او انت التي فتني وانتِ تشتكينني من قاضٍ الى قاضٍ. وختمتِ ذلك بشكايتي الى الباب العالي حتى نزَّلتِ عليَّ ابا طبق من القلعة فهربت قهراً عني. وصار يحكي لها على ما جرى لهُ الى ان صار سلطاناً وتزوَّج بنت الملك واخبرها بانها ماتت وخلَّف منها ولداً صار عمره سبع سنين. فقالت لهُ: الذي جرى مقدَّر من الله تعالى وقد تبتُ وانا في عِرضك انك لا تفوتني ودعني آكل عندك العيش على سبيل الصدقة. ولم تزل تتواضع لهُ حتى رقَّ قلبه لها وقال لها: توبي عن الشرّ واقعدي عندي وليس لكِ الّا ما يسرّكِ. فان عملتِ شيئاً من الشرّ اقتلكِ ولا اخاف من احد. فلا يخطر ببالكِ انكِ تشكينني الى الباب العالي وينزل لي ابو طبق من القلعة فاني صرت سلطاناً والناس تخاف مني وانا لا اخاف الّا من الله تعالى. فان معي خاتم استخدام متى دعكتهُ يظهر لي خادم الخاتم واسمهُ ابو السعادات ومهما طلبتهُ منهُ يجيئني بهِ. فان كنتِ تريدين الذهاب الى بلدكِ اعطيكِ ما يكفيكِ طول عمركِ وارسلكِ الى بلادكِ بسرعة. وان كنتِ تريدين القعود عندي فاني اخلي لكِ قصراً وافرشهُ لكِ من خاص الحرير واجعل لكِ عشرين جارية تخدمكِ وارتب لكِ المآكل الطيبة والملابس الفاخرة وتصيرين ملكة وتقيمين في نعيم زائد حتى تموتي او اموت انا. فما تقولين في هذا الكلام. قالت: انا اريد الاقامة عندك. ثم قبلت يده وتابت عن الشرّ. فأفرد لها قصراً وحدها وانعم عليها بجوارٍ وطواشية وصارت ملكة

ثم ان الولد صار يذهب عندها وعند ابيهِ فكرهت الولد لكونه ما هو ابنها. فلما رأى الولد منها عين الغضب والكراهة نفر منها وكرهها. ثم ان معروفاً اشتغل بحبّ الجواري الحسان ولم يفكر في زوجته فاطمة العرة لانها صارت عجوزاً شمطاء. بصورة شوهاء. وسحنة معطاء. اقبح من الحية الرقطاء. خصوصاً وقد اساءتهُ اساءة

بدنه النوم واضطجع . فصارت تكبس اقدامه حتى غلب عليهِ النوم . فخرجت من عنده وراحت الى مرقدها ونامت . هذا ما كان من امرها

واما ما كان من امر الملك معروف فانهُ كان نائماً فلم يشعر الّا وشيء يتحرَّك بجانبه فانتبه مرعوباً وقال : اعوذ بالله من الشيطان الرجيم . ثم فتح عينيهِ فرأى في جانبه امرأة قبيحة المنظر فقال لها : من انتِ . قالت : لا تخف انا زوجتك فاطمة العرّة . فنظر في وجهها فعرفها بمسخة صورتها وطول انيابها وقال : من اين دخلتِ عليَّ ومن جاء بكِ الى هذه البلاد . فقالت لهُ : في اي البلاد انت في هذه الساعة . قال : في مدينة خيتان الختن . وانتِ متى فارقتِ مصر . قالت : في هذه الساعة . قال لها : وكيف ذلك . قالت : اعلم اني لما تشاجرتُ معك وقد اغراني الشيطان على ضررك واشتكيتك الى الحكام ففتشوا عليك فما وجدوك وسأل القضاة عنك فما رأوك . وبعد ان مضى يومان لحقتني الندامة وعلمت ان العيب عندي وصار الندم لا ينفعني وقعدت مدة ايام وانا ابكي على فراقك وقلَّ ما في يدي واحتجت الى السؤال لاجل القوت فصرت اسأل كل مغبوط وممقوت . ومن حين فارقتني وانا آكل من ذلّ السؤال . وصرت في اسوإ الاحوال . وكل ليلة اقعد ابكي على فراقك . وعلى ما قاسيت بعد غيابك . من الذلّ والهوان . والتعاسة والخسران . وصارت تحدثهُ بما جرى وهو باهت فيها الى ان قالت : وفي امس درتُ طول النهار اسأل فلم يعطني احد شيئاً . وصرت كلما اقبل على احد واسألهُ كسرة يشتمني ولا يعطيني شيئاً . فلما اقبل الليل بتُّ من غير عشاء . فاحرقني الجوع وصعب عليَّ ما قاسيت وقعدت ابكي . واذا بشخص تصوَّر قدامي وقال لي : يا امرأة لاي شيء تبكين . فقلت لهُ : كان لي زوج يصرف عليَّ ويقضي اغراضي وقد فقد مني ولم اعرف اين راح وقد قاسيت الغلب من بعده . فقال : ما اسم زوجكِ . قلت : اسمهُ معروف . قال : انا اعرفهُ . اعلمي ان زوجكِ الآن سلطان في مدينة . وان شئتِ ان اوصلك اليهِ أفعل ذلك . فقلت لهُ : انا في عرضك ان توصلني اليهِ . فحملني وطار بي بين السماء والارض حتى اوصلني

مالكاً للخاتم وانا وانتم لا يخرج من ايدينا في حقه شيء . فالله تعالى يجازيه بفعله واسكتوا انتم لئلاً يقتلكم . فبينما العساكر مجتمعون في الديوان يتحدثون في هذا الكلام واذا بالملك داخل عليهم في الديوان ومعهُ نسيبه معروف

(الليلة الموفية للالف) . فلما رأتهُ العساكر فرحوا بقدومه وقاموا لهُ على الاقدام وقبلوا الارض بين يديه . ثم جلس على الكرسي واخبرهم بالقصة . فزالت عنهم تلك الغصة . وامر بزينة المدينة واحضر الوزير من الحبس . فلما مرَّ بالعساكر صاروا يلعنونهُ ويشتمونهُ ويوبخونهُ حتى وصل الى الملك . فلما تمثل بين يديه امر بقتله اشنع قتلة . فقتلوهُ ثم حرقوهُ وراح الى سقر في اسوإ الاحوال . واجاد فيهِ من قال :

فلا رحم الرحمن تربة عظمهِ ولا زال فيها منكرٌ ونكيرُ

ثم ان الملك جعل معروفاً وزير ميمنة عنده وطابت لهم الاوقات وصفت لهم المسرَّات واستمرُّوا على ذلك خمس سنوات . وفي السنة السادسة مات الملك فجعلتهُ بنت الملك سلطاناً مكان ابيها ولم تعطهِ الخاتم . وكانت في هذه المدة حملت ووضعت غلاماً بديع الجمال . بارع الحسن والكمال . ولم يزل في حجر الدادات حتى بلغ من العمر خمس سنوات فمرضت امهُ مرض الموت فاحضرت معروفاً وقالت لهُ : انا مريضة . قال لها : سلامتكِ يا حبيبة قلبي . قالت لهُ : ربما اموت فلا تحتاج الى اني اوصيك على ولدك . وانما اوصيك بحفظ الخاتم خوفاً عليك وعلى هذا الغلام . فقال : ما على من يحفظهُ الله بأس . فقلعت الخاتم واعطتهُ لهُ . وفي ثاني يوم توفيت الى رحمة الله تعالى . واقام معروف ملكاً وصار يتعاطى الاحكام . فاتفق لهُ في بعض الايام انهُ نفض المنديل فانفضَّت العساكر من قدامه الى اماكنهم ودخل هو قاعة الجلوس وجلس فيها الى ان مضى النهار واقبل الليل بالاعتكار . فدخل عليهِ ارباب منادمته من الاكابر على عادتهم وسهروا عندهُ من اجل البسط والانشراح الى نصف الليل . ثم طلبوا الاجازة بالانصراف فأذن لهم وخرجوا من عنده الى بيوتهم . وبعد ذلك دخلت عليهِ جارية كانت مقيَّدة بخدمة فراشه ففرشت لهُ المرتبة وقلعتهُ البدلة وألبستهُ

فقلعه وحطهُ على المخدة ودنا منها. فرفصتهُ برجلها في قلبه فانقلب على قفاه مغشيًا عليهِ وزعقت على اتباعها فاتوها بسرعة فقالت: امسكوه. فقبضت عليهِ اربعون جارية وعجلت باخذ الخاتم من فوق المخدة ودعكتهُ واذا بأبي السعادات اقبل يقول: لبيكِ يا سيدتي. فقالت: احمل هذا الكافر وضعهُ في السجن وثقل قيوده. فاخذه وسجنه في سجن الغضب ورجع وقال لها: قد سجنتهُ. فقالت لهُ: اين ذهبت بأبي وزوجي. قال: رميتهما في الربع الخراب. قالت: امرتك ان تأْتيني بهما في هذه الساعة. فقال: سمعًا وطاعةً. ثم طار من قدامها ولم يزل طائرًا الى ان وصل الى الربع الخراب ونزل عليهما فرآهما قاعدين يبكيان ويشكوان لبعضهما فقال لهما: لا تخافا قد اتاكما الفرج. واخبرهما بما فعل الوزير وقال لهما: اني قد سجنته بيدي طاعةً لها. ثم امرتني بارجاعكما. ففرحا بخبره. ثم حملهما وطار بهما. فما كان غير ساعة حتى دخل بهما على بنت الملك فقامت وسلمت على ابيها وزوجها واجلستهما وقدمت لهما الطعام والحلوى وباتا بقية الليلة. وفي ثاني يوم البست اباها بدلة فاخرة والبست زوجها بدلة فاخرة وقالت: يا ابتِ اقعد انت على كرسيك ملكًا على ما كنت عليهِ اولاً واجعل زوجي وزير ميمنة عندك واخبر عسكرك بما جرى. وهات الوزير من السجن واقتله ثم احرقه فانهُ كافر وشهد على نفسه انهُ كافر وليس لهُ دين يتدين بهِ. واستوصِ بنسيبك الذي جعلتهُ وزير ميمنة عندك. فقال لها: سمعًا وطاعةً يا بنتي ولكن اعطيني الخاتم او اعطيه لزوجكِ. فقالت: انهُ لا يصلح لك ولا لهُ وانما الخاتم يكون عندي وربما احميه اكثر منكما ومهما اردتماه فاطلباه مني وانا اطلب لكما من خادم الخاتم ولا تخشيا بأْسًا ما دمت انا طيبة وبعد موتي فشأْنكما والخاتم. فقال ابوها: هذا هو الرأْي الصواب يا بنتي. ثم اخذ نسيبه وطلع الى الديوان. وكان العسكر قد باتوا في كرب عظيم بسبب بنت الملك وما فعل معها الوزير واساء الملك ونسيبه وخافوا ان تنهتك شريعة الاسلام لانهُ بان لهم انهُ كافر. ثم اجتمعوا في الديوان وصاروا يعنفون شيخ الاسلام ويقولون لهُ: لماذا ما منعتهُ من الدخول على الملكة. فقال لهم: يا ناس ان الرجل كافر وصار

يقول لها: حضري نفسكِ فاني داخل عليكِ في هذه الليلة لاني مشتاق اليكِ . فبكت وصعب عليها ابوها وزوجها. ثم انها ارسلت تقول لهُ: امهلني حتى تنقضي العدة ثم اكتب كتابي وادخل عليَّ في الحلال. فارسل يقول لها: انا لا اعرف عدة ولا طول مدة ولا احتاج الى كتاب ولا اعرف حلالاً من حرام ولا بدَّ من دخولي عليكِ في هذه الليلة. فارسلت تقول لهُ: مرحباً بك ولا بأس بذلك. وكان ذلك مكرًا منها. فلما رجع لهُ الجواب فرح وانشرح صدرهُ لانهُ كان مغرماً بحبها. ثم انهُ امر بوضع الاطعمة بين جميع الناس وقال: كلوا هذا الطعام فانهُ وليمة الفرح فاني اريد الدخول على الملكة في هذه الليلة. فقال لهُ شيخ الاسلام: لا يحلّ لك الدخول عليها حتى تنقضي عدّتها وتكتب كتابك عليها. فقال لهُ: انا لا اعرف عدة ولا مدة فلا تكثر عليَّ كلاماً. فسكت شيخ الاسلام وخاف من شرّه وقال للعسكر: ان هذا كافر ولا دين لهُ ولا مذهب لهُ. فلما جاء المساء دخل عليها فرآها لابسة افخر ما عندها من الثياب ومزينة باحسن الزينة. فلما رأتهُ قابلتهُ وهي ضاحكة وقالت لهُ: ليلة مباركة ولو كنت قتلت ابي وزوجي لكان احسن عندي. فقال لها: لا بدَّ اني اقتلهما. فاجلستهُ وصارت تمازحه وتظهر لهُ الوداد. فلما لاطفتهُ وتبسمت في وجهه طار عقله. وانما خادعتهُ بالملاطفة حتى تظفر بالخاتم وتبدل فرحه بالنكد على امّ ناصيته. وما فعلت معهُ هذه الفعال الّا على رأي من قال:

ولقد بلغت بحيلتي ما ليس يبلغ بالسيوفْ
ثم انثنيت بغنمٍ حلو المجاني والقطوفْ

فلما رأى الملاطفة والابتسام طار من الفرح. اما هي فبكت وقالت: يا سيدي اما تنظر للرجل الناظر الينا بالله عليك ان تسترني عن عينه. فكيف تدع الرجال ينظرون اليَّ. فاغتاظ وقال: اين الرجل. قالت: ها هو في فص الخاتم يطلع رأسه وينظر الينا. فظنَّ ان خادم الخاتم ينظر اليهما فضحك وقال: لا تخافي ان هذا خادم الخاتم وهو تحت طاعتي. قالت انا اخاف من العفاريت فاقلعه وارمهِ بعيدًا عني .

السعادات الى اين انت رائح بي . فقال لهُ: انا رائح ارميك في الربع الخراب يا قليل الادب من عِلك رصدًا مثل هذا ويعطيهِ للناس يتفرجون عليهِ . لكن تستاهل ما حلَّ بكَ . ولولا اني اخاف الله لرميتك من مسافة الف قامة فلا تصل الى الارض حتى تمزقك الرياح . فسكت وصار لا يخاطبه حتى وصل بهِ الى الربع الخراب ورماه هناك ورجع وخلَّاه في الارض الموحشة . هذا ما كان من امره

(الليلة التاسعة والتسعون بعد التسعمائة) . واما ما كان من امر الوزير فانهُ لما ملك الخاتم قال للملك : كيف رأيت أما قلت لك ان هذا كذاب نصاب فما كنت تصدقني . فقال لهُ : الحق معك يا وزيري الله يعطيك العافية هات هذا الخاتم حتى اتفرَّج عليه . فالتفت اليهِ الوزير بالغضب وبصق في وجهه وقال لهُ :يا قليل العقل كيف اعطيهِ لك وابقى خدامك بعد ان صرت سيدك . ولكن انا ما بقيت ابقيك . ثم دعك الخاتم فحضر الخادم . فقال لهُ : احمل هذا القليل الادب وارمهِ في المكان الذي رميت فيهِ نسيبه النصاب . فحمله وطار بهِ . فقال لهُ الملك : يا مخلوق ربّي اي شيء ذنبي . قال لهُ الخادم : لا ادري وانما امرني سيدي بذلك وانا لا اقدر اخالف من ملك خاتم هذا الرصد . ولم يزل طائرًا بهِ حتى رماه في المكان الذي فيهِ معروف . ثم رجع وتركه هناك . فسمع معروفًا يبكي فاتى لهُ واخبره وقعدا يبكيان على ما اصابهما ولم يجدا اكلًا ولا شربًا . هذا ما كان من امرهما

واما ما كان من امر الوزير فانهُ بعد ما شتت معروفًا والملك قام وخرج من البستان وارسل الى جميع العسكر وعمل ديوانًا واخبرهم بما فعل مع معروف والملك واخبرهم بقصة الخاتم وقال لهم : ان لم تجعلوني عليكم سلطانًا امرت خادم الخاتم ان يحملكم جميعًا ويرميكم في الربع الخراب فتموتوا جوعًا وعطشًا . فقالوا لهُ : لا تفعل معنا ضررًا فانا قد رضينا بك علينا سلطانًا ولا نعصي لك امرًا . ثم انهم اتفقوا على سلطنته عليهم قهرًا عنهم وخلع عليهم الخلع وصار يطلب من ابي السعادات كلما اراده فيحضره بين يديه في الحال . ثم انهُ جلس على الكرسي واطاعه العسكر وارسل الى بنت الملك

ثقلت زجاجـاتٌ اتينا فرَّغـاً حتى اذا ملئت بصرف الراحِ
خفَّت فكادت ان تطير مع الهوا وكذا الجسوم تخف بالارواحِ

وقول الآخر :

وللكأسِ والصهباء حقٌّ معظمٌ ومن حقها ان لا تضيع حقوقهـا
اذا متُّ فادفنّي الى جنب كرمةٍ تروّي عظامي بعد موتي عروقهـا
ولا تدفنّني في الفلاة فانني اخاف اذا ما متُّ ان لا اذوقهـا

وما زال يرغبه في الشراب . ويذكر لهُ من محاسنه ما استطاب . وينشده ما ورد فيهِ من الاشعار . ولطائف الاخبار . حتى مال الى ارتشـاف ثغر القدح . ولم يبقَ لهُ غيرها مقترح . وما زال يملأ لهُ وهو يشرب . ويستلذ ويطرب . حتى غاب عن صوابه . ولم يميز خطأهُ من صوابه . فلما علم ان السكر بلغ بهِ الغاية . وتجاوز النهـاية . قال لهُ : يا تاجر معروف والله اني متعجب من اين وصلت اليـك هذه الجواهر التي لا يوجد مثلها عند الملوك الاكاسرة . وعمرنا ما رأينا تاجرًا حاز اموالاً مثلك ولا اكرم منك فان افعالك افعال ملوك وليست افعال تجار . فبالله عليك ان تخبرني حتى اعرف قدرك ومقامك . وصار يمارسه ويخادعهُ وهو غائب العقل . فقال لهُ معروف : انا لست تاجرًا ولا من الملوك . واخبره بحكايته من اولها الى آخرها . فقال لهُ : بالله عليك يا سيدي معروف انك تفرجنا على هذا الخاتم حتى ننظر كيف صنعته . فقلع الخـاتم وهو في حال سكره وقال : خذوا تفرجوا عليهِ . فاخذهُ الوزير وقلبه وقال : هل اذا دعكته يحضر الخادم . قال : نعم ادعكه يحضر لك وتفرَّج عليهِ . فدعكه واذا بقائل يقول : لبيـك يا سيدي اطلب تعطَ هل تخرب مدينة او تعمر مدينة او تقتل ملكًا . فمهما طلبتهُ فاني افعله لك من غير خلاف . فاشار الوزير الى معروف وقال للخادم : احمـل هذا الخاسر ثم ارمهِ في اوحش الاراضي الخراب حتى لا يجد فيها ما ياكل ولا ما يشرب فيهلك من الجوع ويموت كمدًا ولم يدرِ بهِ احد . فخطفهُ الخادم وطـار بهِ بين السماء والارض . فلما رأى معروف ذلك ايقن بالهلاك وسوء الارتباك فبكى وقال : يا ابا

رقّت فكادت من لطيف مزاجها تجري كمجرى الروح في الاعضاء

وما احسن قول الشاعر :

تمشّت في مفاصلهم تمشّي البرء في السقمِ

وقول الآخر :

عجبت لعاصريها كيف ماتوا وقد تركوا لنا ماء الحياةِ

واحسن من ذلك قول ابي نواس :

دع عنك لومي فان اللوم اغراء وداوني بالتي كانت هي الداء
صفراء لا تنزل الاحزان ساحتها لو مسها حجرٌ مسته سرّاء
قامت بابريقها والليل معتكرٌ فلاح من ضوءها في البيت لألاء
طافت على فتيةٍ ذلَّ الزمان لهم فلا تصيبهم الّا بما شاؤوا
فقل لمن يدَّعي في العلم معرفةً حفظت شيئًا وغابت عنك اشياء

واحسن من الجميع قول ابن المعتزّ :

سقى الجزيرة ذات الظل والشجرِ ودير عبدون هطالٌ من المطر
فطالما نبهتني للصبوح بها في غرَّة الفجر والعصفور لم يطرِ
اصوات رهبان ديرٍ في صلاتهم سود المدارع نعابين في السحرِ

ولله درّ القائل :

اصبحت من اغنى الورى مستبشرًا بالفرحِ
عندي نضارٌ ذائبٌ اكتاله بالقدحِ

وما احسن قول الشاعر :

تالله ما الكيميا في غيرها وجدت وكلُّ ما قيل في ابوابها كذبُ
قيراط خمرٍ على القنطار من حزنٍ يعود في الحين افراحًا وينقلبُ

وقول الآخر :

فتعجب الملك من ذلك لانهُ ظن ان الاعوان كانوا خيلًا وبغالاً ومماليك ولم يعلم انهم كانوا اعوان خادم الرصد. فقال لهم: يا ملاعين الف دابة وخمسمائة مملوك وغيرهم من الخدام كيف هربوا ولم تشعروا بهم. فقالوا: ما عرفنا كيف جرى لنا حتى هربوا. فقال: انصرفوا حتى يخرج سيدكم من الحريم واخبروه بالخبر. فانصرفوا من قدام الملك وجلسوا متحيرين في هذا الامر. فبينما هم جالسون على تلك الحالة واذا بمعروف قد خرج من الحريم فرآهم مغتمّين فقال لهم: ما الخبر. فاخبروه بما حصل. فقال: وما قيمتهم حتى تغتموا عليهم امضوا الى حال سبيلكم. وقعد يضحك ولم يغتظ ولم يغتمّ من هذا الامر. فظلّ الملك في وجه الوزير وقال: اي شيء. هذا الرجل الذي ليس للمال عنده قيمة فلا بدَّ لذلك من سبب. ثم انهم تحدثوا معهُ ساعة وقال الملك: يا نسيبي خاطري ان اروح انا وانت والوزير بستاناً لاجل النزهة فما تقول. قال: لا بأس. ثم انهم ذهبوا وتوجهوا الى بستان فيهِ من كل فاكهة زوجان انهاره دافقة واشجاره باسقة واطياره ناطقة. ودخلوا فيهِ قصرًا يزيل عن القلوب الحزن وجلسوا يتحدثون والوزير يحكي غريب الحكايات ويأتي بالنكت المضحكات والالفاظ المطربات ومعروف مصغٍ الى الحديث حتى طلع الغداء. وحطوا سفرة الطعام وباطية المدام. وبعد ان اكلوا وغسلوا ايديهم ملأ الوزير الكأس واعطاه للملك فشربه. وملأ الثاني وقال لمعروف: هاك كأس الشراب الذي تخضع لهيبته اعناق الالباب. فقال معروف: ما هذا يا وزير. قال الوزير: هذه البكر الشمطاء. والعانس العذراء. ومهدية السرور الى السرائر. التي قال فيها الشاعر:

كانت لها ارجل الاعلاج دائرةً ... بالدوس فانتصفت من ارؤسِ العربِ
يسقيكها من بني الكفّار بدر دجىً ... ألحاظهُ للمعاصي اوكد السببِ

ولله درّ القائل:

فكأنها وكأن حامل كأسها ... اذ قام يجلوها على الندماء
شمس الضحى رقصت فنقط وجهها ... بدر الدجى بكواكب الجوزاء

وصارت الملكة بينهنَّ مثل القمر بين النجوم. ثم ان بعض الجواري اخبر الملك بذلك فدخل الملك على ابنته فرآها تدهش من رآها هي وجواريها فتعجب من ذلك غاية العجب. ثم خرج واحضر وزيره وقال لهُ: يا وزير انهُ حصل كذا وكذا فما تقول في هذا الامر. قال: يا ملك الزمان ان هذه الحالة لا تقع من التجار لان التاجر تقعد عنده القطع الكتان سنين ولا يبيعها الّا بمكسب. فمن اين للتجار كرم مثل هذا الكرم ومن اين لهم ان يحوزوا مثل هذه الاموال والجواهر التي لا يوجد مثلها عند الملوك الّا قليل فكيف يوجد عند التجار منها احمال فهذا لا بدَّ لهُ من سبب. ولكن ان طاوعتني ابين لك حقيقة الامر. فقال لهُ: اطاوعك يا وزير. فقال لهُ: اجتمع عليهِ وواددهُ وتحدث معهُ وقل لهُ: يا نسيبي في خاطري ان اروح انا وانت والوزير من غير زيادة بستاناً لاجل النزهة. فاذا خرجنا الى بستان نحطّ سفرة المدام وأغصب عليهِ واسقيهِ. ومتى شرب المدام ضاع عقله وغاب رشده فنسألهُ عن حقيقة امره فانهُ يخبرنا باسراره. والمدام فضّاحٍ ولله درّ من قال:

ولما شربناها ودبّ دبيبها الى موضع الاسرار قلت لها قفي

مخافة ان يسطو عليَّ شعاعها فتظهر ندماني على سرّي الخفي

ومتى اخبرنا بحقيقة الامر فاننا نطلع على حاله ونفعل بهِ ما نحب ونختار فان هذه الحالة التي هو فيها اخشى عليك من عواقبها فربما تطمع نفسه في الملك فيشمل العسكر بالكرم وبذل المال ويعزلك ويأخذ الملك منك. فقال لهُ الملك: صدقت. وباتا متفقين على هذا الامر

(الليلة الثامنة والتسعون بعد التسعمائة). فلما اصبح الصباح خرج الملك الى المقعد وجلس. واذا بالخدامين والسياس دخلوا عليهِ مكروبين. فقال لهم: ما الذي اصابكم. قالوا: يا ملك الزمان ان السياس تمّروا الخيل وعلقوا عليها وعلى البغال التي جاءت بالحملة. فلما اصبحنا وجدنا المماليك سرقوا الخيل والبغال. وفتشنا الاصطبلات فما رأينا خيلًا ولا بغالاً. ودخلنا محل المماليك فلم نرَ فيهِ احدًا ولم نعرف كيف هربوا.

وكذب حتى ملك هذه الخزائن كلها فانها لو كانت من عند بنت الملك ما كان يفرقها على الفقراء. ولكن ما احسن قول من قال:

مَلكُ الملوك اذا وَهَبْ   لا تسألنَّ عن السببْ
الله يعطي من يشاء م   فكن على حدّ الادبْ

هذا ما كان من امره. واما ما كان من امر الملك فانهُ تعجب غاية العجب مما رأى من معروف ومن كرمه وسخائهِ ببذل المال. ثم بعد ذلك دخل معروف على زوجته فقابلتهُ وهي متبسمة ضاحكة فرحانة وقبلت يده وقالت: هل كنت تسخر بي او كنت تجرّبني بقولك انا فقير وهارب من زوجتي. والحمد لله حيث لم يقع مني في حقك تقصير وانت حبيبي وما عندي اعزّ منك سواء كنت غنيًا او فقيرًا. واريد ان تخبرني ما قصدت بهذا الكلام. قال: اردت تجريبكِ حتى انظر هل محبتكِ خالصة او على شأن المال وطمع الدنيا. فظهر لي ان محبتكِ خالصة. وحيث كنتِ صادقة في المحبة فمرحبًا بكِ وقد عرفت قيمتكِ. ثم انهُ اختلى في مكان وحده ودعك الخاتم. فحضر لهُ ابو السعادات وقال لهُ: لبيك فاطلب ما تريد. قال: اريد منك بدلة كنوزية لزوجتي وحليًا كنوزيًا مشتملًا على عقد فيهِ اربعون جوهرة يتيمة. قال: سمعًا وطاعةً. ثم احضر لهُ ما امرهُ بهِ. فحمل البدلة والحلي بعد ان صرف الخادم ثم دخل على زوجته ووضعهما بين يديها وقال لها: خذي والبسي فمرحبًا بكِ. فلما نظرت الى ذلك طار عقلها من فرحتها ورأت من جملة الحلي خلخالين من الذهب مرصعين بالجواهر صنعة الكهنة واساور وحلقًا وحزامًا لا يتقوم بثمنها اموال. فلبست البدلة والحلي ثم قالت: يا سيدي مرادي ان ادّخرها للمواسم والاعياد. قال: البسيها دائمًا فان عندي غيرها كثير. فلما لبستها ونظرها الجواري فرحن وقبلنَ يديه. فتركهنَّ واختلى بنفسه ثم دعك الخاتم فحضر لهُ الخادم. فقال لهُ: هات لي مائة بدلة بمصاغها. فقال: سمعًا وطاعةً. ثم احضر لهُ البدلات وكل بدلة مصاغها في قلبها. فاخذها وزعق على الجواري فاتينَ اليهِ فاعطى كل واحدة بدلة فلبسنَ البدلات وصرنَ مثل الحور العين.

وكان ابو السعــادات قد رجع الى معروف واخبره بانهُ بلغ الرسالة . فقال معروف : احملوا . ولبس البدلة الكنوزية وركب في التختروان وصار اعظم واهيب من الملك بألف مرة . ومشى الى نصف الطريق واذا بالملك قابله بالعسكر فلما وصل اليهِ رآه لابساً تلك البدلة وراكباً في التختروان فرمى روحه عليهِ وسلم عليه وحيّاه بالســلام وجميع اكابر الدولة سلموا عليهِ وبان ان معروفاً صادق ولا كذب عنده . ودخل المدينة بموكب يفقع مرارة الاسد وسعت اليهِ التجار وقبلوا الارض بين يديه . ثم ان التاجر عليّ قال لهُ : قد عملت هذه العملة وطلعت بيدك يا شيخ النصابين . ولكن تستاهل فالله تعالى يزيدك من فضله . فضحك معروف . ولما دخل السراية قعد على الكرسي وقال : أدخلوا احمال الذهب في خزانة عمي الملك وهاتوا احمال الاقمشة . فقدموها لهُ وصاروا يفتحونها حملًا بعد حمل ويخرجون ما فيها حتى فتحوا السبعمائة حملًا . فنقى اطيبها وقال : ادخلوه للملكة لتفرقه على جواريها وخذوا هذا الصندوق والجواهر وادخلوه لهـا لتفرقه على الجواري والخدم . وصار يعطي التجار الذين لهم عليهِ دين من الاقمشة في نظير ديونهم والذي لهُ الف يعطيهِ قماشاً يساوي الفين او اكثر . وبعد ذلك صار يفرّق على الفقراء والمساكين والملك ينظر بعينه ولا يقدر ان يعترض عليه . ولم يزل يعطي ويهب حتى فرّق السبعمائة حملًا . ثم التفت الى العسكر وجعل يفرّق عليهم معادن وزمرداً ويواقيت ولؤلؤاً ومرجاناً وغير ذلك وصار لا يعطي الجواهر الّا بالقبضات من غير عدد . فقال لهُ الملك : يا ولدي يكفي هذا العطاء لانهُ لم يبقَ من الحملة الّا القليل . فقال لهُ : عندي كثير . واشتهر صدقه وما بقي احد يقدر ان يكذبه وصار لا يبالي بالعطاء لان الخادم يحضر لهُ مهما طلب . ثم ان الخازندار اتى الى الملك وقال : يا ملك ان الخزنة امتلأت وصارت لا تسع بقية الاحمال . وما بقي من الذهب والمعادن اين نضعه . فاشار لهُ الى مكان آخر . ولما رأت زوجته هذه الحالة ازداد فرحها وصارت متعجبة وتقول في نفسها : يا هل ترى من اين جاء لهُ كل هذا الخير . وكذلك التجار فرحوا بمـا اعطاهم ودعوا لهُ . واما التاجر عليّ فانهُ صار متعجبا ويقول في نفسه : يا ترى كيف نصب

وذهب بهِ حتى دخل على الملك. فرآه يقول: يا وزير ان قلبي على نسيبي واخاف ان تقتله العرب. يا ليتني كنت اعرف اين ذهب حتى كنت اتبعه بالعسكر ويا ليتهُ كان اخبرني بذلك قبل الذهاب. فقال لهُ الوزير: الله يلطف بك على هذه الغفلة التي انت فيها. وحياة رأسك ان الرجل عرف اننا انتبهنا لهُ فخاف من الفضيحة وهرب وما هو الَّا كذاب نصاب. واذا بالساعي داخل فقبّل الارض بين يادي الملك ودعا لهُ بدوام العزّ والنعم والبقاء. فقال لهُ الملك: من انت وما حاجتك. فقال لهُ: انا ساعٍ ارسلني اليك نسيبك وهو مقبل بالحملة وقد ارسل اليك معي كتابًا وها هو. فاخذه وقرأهُ فرأى فيهِ: بعد مزيد السلام على عمنا الملك العزيز فاني جئت بالحملة فاطلع وقابلني بالعسكر. فقال الملك: سود الله وجهك يا وزير كم تقدح عرض نسيبي وتجعله كذابًا نصابًا وقد اتى بالحملة فما انت الَّا خائن. فاطرق الوزير برأسهِ الى الارض حياء وخجلًا وقال: يا ملك الزمان انا ما قلت لك هذا الكلام الَّا لطول غياب الحملة وكنت خائفًا على ضياع المال الذي صرفه. فقال: يا خائن اي شيء. اموالنا حيثما اتت حملته فانهُ يعطيني عوضًا عنها شيئًا كثيرًا. ثم امر الملك بزينة المدينة ودخل على بنتهِ وقال لها: لكِ البشارة ان زوجكِ عن قريب يجيء بحملته وقد ارسل اليَّ مكتوبًا بذلك وها انا طالع لملاقاته. فتعجبت البنت من هذه الحالة وقالت في نفسها: ان هذا شيء عجيب هل كان يهزأُ بي ويتمسخر عليَّ او كان يختبرني حين اخبرني بانهُ فقير. ولكن الحمد لله حيث لم يقع مني تقصير في حقه. هذا ما كان من امره

واما ما كان من امر التاجر عليّ المصري فانهُ لما رأى الزينة سأل عن سبب ذلك. فقالوا لهُ: ان التاجر معروف نسيب الملك قد اتت حملته. فقال: الله اكبر ما هذه الداهية انهُ قد اتاني هاربًا من زوجته وكان فقيرًا فمن اين جاءت لهُ حملة. ولكن لعلّ بنت الملك دبّرت لهُ حيلة خوفًا من الفضيحة والملوك لا تعجز عن شيء. فالله تعالى يستره ولا يفضحه. وسائر التجار فرحوا وانسرّوا لاجل اخذ اموالهم

(الليلة السابعة والتسعون بعد التسعمائة). ثم ان الملك جمع العسكر وطلع.

نفسه : يا ليتني كنت ذبحت فرختين وحمرتهما بالسمن البقري من شأن السلطان . واراد ان يرجع ليذبح فرختين يضيف بهما السلطان فرآه معروف فزعق عليهِ وقال للمماليك: هاتوه . فحملوه هو والقصعة العدس واتوا بهما قدامه . فقال لهُ : ما هذا . قال: هذا غداؤك وعليق حصانك فلا تؤاخذني فاني ما كنت اظن ان السلطان يأتي الى هذا المكان ولو علمت ذلك كنت ذبحت لهُ فرختين وضيفته ضيافة مليحة . فقال معروف : ان السلطان لم يجئْ وانما انا نسيبه وكنت مغبوناً منهُ وقد ارسل اليَّ مماليكه فصالحوني وانا الآن اريد ان ارجع الى المدينة . وانت قد عملت لي هذه الضيافة على غير معرفة وضيافتك مقبولة ولو كانت عدساً فانا ما آكل الَّا من ضيافتك . ثم امره بوضع القصعة في وسط السماط واكل منها حتى اكتفى . واما الفلاح فانهُ ملأ بطنهُ من تلك الالوان الفاخرة . ثم ان معروفاً غسل يديه وأذن للمماليك في الاكل فنزلوا على بقية السماط واكلوا . ولما فرغت القصعة ملأها لهُ ذهباً وقال لهُ: اوصلها الى منزلك وتعال عندي في المدينة وانا اكرمك . فاخذ القصعة ملآنة ذهباً وساق الثيران وراح الى بلده وهو يظن انهُ نسيب الملك . وبات معروف تلك الليلة في انس وصفاء وجاؤوا لهُ ببنات من عرائس الكنوز فدقوا الآلات ورقصوا قدامه وقضى ليلته وكانت لا تعدّ من الاعمار . فلما اصبح الصباح لم يشعر الَّا والغبار قد علا وطار وانكشف عن بغال حاملة احمالًا وهي سبعمائة بغل حاملة اقمشة وحولها غلمان مكارية وعكامة وضوية وابو السعادات راكب على بغلة وهو في صورة مقدم الحملة وقدامه تختروان لهُ اربع عساكر من الذهب الاحمر الوهاج مرصعة بالجواهر . فلما وصل الى الخيمة نزل من فوق ظهر البغلة وقبل الارض وقال: يا سيدي ان الحاجة قضيت بالتمام والكمال . وهذا التختروان فيهِ بدلة كنوزية لا مثل لها من ملابس الملوك فالبسها واركب في التختروان وأمرنا بما تريد . فقال لهُ: يا ابا السعادات مرادي ان اكتب لك كتاباً تروح بهِ الى مدينة خيتان الختن وتدخل على عمي الملك ولا تدخل عليهِ الَّا في صورة ساعٍ انيس . فقال لهُ: سمعاً وطاعةً . فكتب كتاباً وختمه . فاخذه ابو السعادات

واولادي قضوا حاجتك وتشرفوا بخدمتك . فاطلب ما تريد غير هذا . قال لهُ: هل تقدر ان تجيء لي ببغال وصناديق وتحط هذه الاموال في الصناديق وتحمل الصناديق على البغال . قال: هذا اسهل ما يكون . ثم انهُ زعق زعقة عظيمة فحضرت اولاده بين يديه فكانوا ثمانمائة فقال لهم: لينقلب بعضكم في صورة البغال وبعضكم بصورة المماليك الحسان الذين اقلّ من فيهم لا يوجد مثله عند ملك من الملوك وبعضكم في صورة المكارية وبعضكم في صورة الخدامين . ففعلوا كما امرهم وانقلبوا سبعمائة بغالاً للحملة والمائة الباقي في صورة الخدام . ثم صاح على الاعوان فحضروا بين يديه . فامرهم ان ينقلب بعضهم في صورة الخيل المسرجة بسروج الذهب المرصع بالجواهر . فلما رأى معروف ذلك قال: اين الصناديق . فاحضروها بين يديه . قال: عبُّوا الذهب والمعادن كل صنف وحده . فعبوها وحملوها على ثلثمائة بغل . فقال معروف : يا ابا السعادات هل تقدر ان تجيء لي باحمال من نفيس القماش . قال: أتريد قماشاً مصرياً او شامياً او عجمياً او هندياً او رومياً . قال: هات من قماش كل بلد مائة حمل على مائة بغل . قال: يا سيدي اعطني مهلة حتى ارتّب اعواني لذلك وآمر كل طائفة ان تروح الى بلد لتجيء بمائة حمل من قماشها وينقلب الاعوان في صورة البغال ويأتون حاملين البضائع . قال: ما قدر زمان المهلة . قال: مدة سواد الليل فلا يطلع النهار الّا وعندك جميع ما تريد . قال: امهلتك هذه المدة . ثم انهُ امرهم ان ينصبوا لهُ خيمة فنصبوها وجلس وجاؤوا لهُ بسماط وقال لهُ ابو السعادات: يا سيدي اجلس في الخيمة وهؤلاء اولادي بين يديك يحرسونك ولا تخشَ من شيء وانا رائح اجمع اعواني وابعثهم ليقضوا حاجتك . ثم ذهب ابو السعادات الى حال سبيله وجلس معروف في الخيمة والسماط قدامه واولاد ابو السعادات بين يديه في صورة المماليك والخدم والحشم . فبينما هو جالس على تلك الحالة واذا بالرجل الفلاح قد اقبل وهو حامل قصعة عدس كبيرة ومخلاة ممتلئة شعيرًا فرأى الخيمة منصوبة والمماليك واقفة وايديهم على صدورهم فظنَّ ان السلطان اتى ونزل في ذلك المكان . فوقف باهتاً وقال في

تعمر بلدًا او تخرب مدينة او تقتل ملكًا او تحفر نهرًا او نحو ذلك. فمهما طلبتهُ فانهُ قد صار باذن الملك الجبار خالق الليل والنهار. فقال لهُ: يا مخلوق ربي مَن انت وما تكون. قال: انا خادم هذا الخاتم القائم بخدمة مالكه فمهما طلبه من الاغراض قضيتهُ لهُ ولا عذر لي فيما يامرني بهِ فاني سلطان على اعوان من الجان وعدة عسكري اثنان وسبعون قبيلة كل قبيلة عدتها اثنان وسبعون الفًا وكل واحد من الالف يحكم على الف مارد وكل مارد يحكم على الف عون وكل عون يحكم على الف شيطان وكل شيطان يحكم على الف جني. وكلهم من تحت طاعتي ولا يقدرون على مخالفتي. وانا مرصود لهذا الخاتم لا اقدر على مخالفة من ملكهُ. وها انت قد ملكته وصرت انا خادمك فاطلب ما شئت فاني سميع لقولك مطيع لامرك. واذا احتجت اليَّ في اي وقت في البرّ او في البحر فادعك الخاتم تجدني عندك. واياك ان تدعكهُ مرتين متواليتين فتحرقني بنار الاسماء وتعدمني وتندم عليَّ بعد ذلك. وقد عرفتك بحالي والسلام

(الليلة السادسة والتسعون بعد التسعمائة). فقال لهُ معروف: ما اسمك. قال: اسمي ابو السعادات. فقال لهُ: يا ابا السعادات ما هذا المكان ومن ارصدك في هذه العلبة. قال لهُ: يا سيدي هذا المكان كنز يقال لهُ كنز شداد بن عاد الذي عمر ارم ذات العماد التي لم يُخلق مثلها في البلاد. وانا كنت خادمه في حياته وهذا خاتمه وقد وضعه في كنزه ولكنهُ نصيبك. فقال لهُ معروف: هل تقدر ان تخرج ما في هذا الكنز على وجه الارض. قال: نعم اسهل ما يكون. قال: أَخرج جميع ما فيهِ ولا تبقِ منهُ شيئًا. فاشار بيده الى الارض فانشقت. ثم نزل وغاب مدة لطيفة واذا بغلمان صغار ظراف بوجوه حسان قد خرجوا وهم حاملون مشنات من الذهب وتلك المشنات ممتلئة ذهبًا وفرَّغوها ثم راحوا وجاؤوا بغيرها. وما زالوا ينقلون من الذهب والجواهر. فلم تمض ساعة حتى قالوا: ما بقي في الكنز شيء. ثم طلع لهُ ابو السعادات وقال لهُ: يا سيدي قد رأَيت ان جميع ما في الكنز قد نقلناهُ. فقال لهُ: ما هذه الاولاد الحسان. قال: هؤلاء اولادي لان هذه الشغلة لا تستحق ان اجمع لها الاعوان

وكان قد اشتدَّ بهِ الجوع فقصد الحرَّاث وقال لهُ: السلام عليكم. فردَّ عليهِ السلام وقال: مرحباً بك يا سيدي هل انت من مماليك السلطان. قال: نعم. قال: انزل عندي للضيافة. فعرف انهُ من الاجاويد فقال لهُ: يا اخي ما انا ناظر عندك شيء حتى تطعمني اياه فكيف تعزم عليَّ. فقال الحراث: يا سيدي الخير موجود انزل انت وها هي البلد قريبة فاروح واجي، لك بغداء وعليق لحصانك. قال: حيث كانت البلد قريبة فانا اصل اليها في مقدار ما تصل انت اليها واشتري مرادي من السوق وآكل. فقال لهُ: يا سيدي ان البلد كفر صغير وليس فيها سوق ولا بيع ولا شراء. سألتك بالله ان تنزل عندي وتجبر بخاطري وانا اذهب اليها وارجع اليك بسرعة. فنزل. ثم ان الفلاح تركه وراح البلد ليجيء لهُ بالغداء فقعد معروف ينتظره. ثم قال في نفسه: انَّا شغلنا هذا الرجل المسكين عن شغله. ولكن انا اقوم واحرث عوضاً عنهُ حتى ياتي في نظير ما عوقته عن شغله. ثم اخذ المحراث وساق الثيران فحرث قليلاً وعثر المحراث في شيء فوقفت البهائم. فساقها فلم تقدر على المشي. فنظر الى المحراث فرآه مشبوكاً في حلقة من الذهب. فكشف عنها التراب فوجد تلك الحلقة في وسط حجر من المرمر قدر قاعدة الطاحون فعالج فيهِ حتى قلعه من مكانه فبان من تحته طابق بسلالم فنزل في تلك السلالم فرأى مكاناً مثل الحمام باربعة لواوين الليوان الاول ملآن من الارض الى السقف بالذهب. والليوان الثاني ملآن زمرداً ولؤلؤاً ومرجاناً من الارض الى السقف. والليوان الثالث ملآن ياقوتاً وبلخشاً وفيروزجاً. والليوان الرابع ملآن بالالماس ونفيس المعادن من سائر اصناف الجواهر. وفي صدر ذلك المكان صندوق من البلور الصافي ملآن بالجواهر اليتيمة التي كل جوهرة منها قدر الجوزة. وفوق ذلك الصندوق علبة صغيرة قدر الليمونة وهي من الذهب. فلما رأى ذلك تعجب وفرح فرحاً شديداً وقال: يا هل ترى اي شيء في هذه العلبة. ثم انهُ فتحها فرأى فيها خاتماً من الذهب مكتوباً عليهِ اسماء وطلاسم مثل دبيب النمل. فدعك الخاتم واذا بقائل يقول: لبيك لبيك يا سيدي فاطلب تعطَ. هل تريد ان

الفي دينار وليس عند ابي مملوك يشبه واحدًا منهم ·ثم توجه مع المماليك الذين جاؤوا له بالمكتوب ليجيء بجملته · والحمد لله الذي منعني ان اذكر له شيئاً من الكلام الذي امرتني بهِ فانهُ كان يستهزئ بي وبك · وربما كان يراني بعين النقص ويبغضني · ولكن العيب كله من وزيرك الذي يتكلم في حق زوجي كلاماً لا يليق بهِ · فقال الملك : يا بنتي ان مال زوجكِ كثير ولا يفكر في ذلك · ومن يوم دخل بلادنا وهو يتصدق على الفقراء · وان شاء الله عن قريب ياتي بالحملة ويحصل لنا منهُ خير كثير · وصار ياخذ بخاطرها ويوبخ الوزير · وانطلت عليهِ الحيلة · هذا ما كان من امر الملك

واما ما كان من امر التاجر معروف فانهُ ركب الجواد وسار في البرّ الاقفر وهو متحير لا يدري الى اي البلاد يروح · وصار من الم الفراق ينوح · وقاسى الوجد واللوعات · وانشد هذه الابيات :

غدر الزمان بشملنا فتفرّقا والقلب ذاب من الجفا وتحرّقا
والعين تقطر من فراق احبتي هذا الفراق متى يكون الملتقى
يا طلعة البدر المنير انا الذي في حبكم ترك الفؤاد ممزّقا
يا ليتني لم اجتمع بك ساعةً من بعد طيب وصالكم ذقت الشقا
ما زال معروفٌ بدنيا مغرماً ان كان مات صبابةً فلها البقا
يا بهجة الشمس المنيرة ادركي قلباً لمعروف المحبة محرقا
يا هل ترى الايام تجمع شملنا ونفوز منها بالمسرّة واللقا
يا طلعة البدر المنيرة شمسهُ ما زال وجهك بالمحاسن مشرقا
اني لراضٍ بالغرام وهمّهِ حيث السعادة في الهوى عين الشقا

فلما فرغ من شعره بكى بكاءً شديدًا وقد انسدت الطرقات في وجهه واختار المات على الحياة · ثم انهُ مشى كالسكران من شدة حيرته · ولم يزل سائرًا الى وقت الظهر حتى اقبل على بلد صغيرة فرأى رجلًا حرّاثاً قريباً منها يحرث على ثورين ·

يطلع النهار عليك وتحتار ويحيط بك الدمار. فقال لها: يا سيدتي انا في عرضكِ. ثم لبس بدلة مملوك وامر السياس ان يشدوا لهُ جوادًا من الخيل الجياد. فشدوا لهُ جوادًا. ثم ودعها وخرج من المدينة في آخر الليل وسار. فصار كل من رآه يظن انهُ مملوك من مماليك السلطان مسافر في قضاء حاجة. فلما اصبح الصباح جاء ابوها هو والوزير الى قاعة الجلوس وارسل اليها ابوها فأتت خلف الستارة. فقال لها ابوها: يا بنتي ما تقولين. قالت: اقول سوّد الله وجه وزيرك فانهُ كان مرادهُ ان يسوّد وجهي مع زوجي. قال: وكيف ذلك. قالت: انهُ دخل عليَّ امس قبل ان اذكر لهُ هذا الكلام واذا بفرج الطواشي دخل عليَّ وبيده كتاب وقال: ان عشرة مماليك واقفون تحت شباك القصر واعطوني هذا الكتاب وقالوا لي: قبّل لنا ايادي سيدي معروف التاجر واعطهِ هذا الكتاب فاننا من مماليكه الذين مع الحملة. وقد بلغنا انهُ تزوج بنت الملك فاتينا لهُ لنخبره بما حلَّ بنا في الطريق. فأخذت الكتاب وقرأتهُ فرأيت فيهِ: من المماليك الخمسمائة الى حضرة سيدنا التاجر معروف. وبعدُ فالذي نعلمك بهِ انك بعد ما فتَّنا خرج العرب علينا وحاربونا وهم قدر الفين من الفرسان ونحن خمسمائة مملوك ووقع بيننا وبين العرب حرب عظيم ومنعونا عن الطريق ومضى لنا ثلثون يومًا ونحن نحاربهم وهذا سبب تأخيرنا عنك وقد اخذوا منَّا مائتي حمل قماش من الحملة وقتلوا منا خمسين مملوكًا

(الليلة الخامسة والتسعون بعد التسعمائة). فلما بلغهُ الخبر قال: خيبهم الله كيف يتحاربون مع العرب لاجل مائتي حمل بضاعة. وما مقدار مائتي حمل. فما كان ينبغي لهم ان يتأخروا من اجل ذلك فان قيمة المائتي الحمل سبعة آلاف دينار. ولكن ينبغي اني اروح اليهم واستعجلهم والذي اخذه العرب لا تنقص بهِ الحملة ولا يؤثر عندي شيئًا واقدّر اني تصدقت بهِ عليهم. ثم نزل من عندي ضاحكًا ولم يغتمّ على ما ضاع من ماله ولا على قتل مماليكه. ولما نزل نظرت من شباك القصر فرأيت العشرة مماليك الذين اتوا لهُ بالكتاب كانهم الاقمار كل واحد منهم لابس بدلة تساوي

الله. فقال لها: يا سيدتي انا اخبرك بالصحيح ومهما اردتِ فافعلي. فقالت: قل وعليك بالصدق فان الصدق سفينة النجاة واياك والكذب فانهُ يفضح صاحبه ولله درّ من قال:

عليك بالصدق ولو انهُ احرقك الصدق بنار الوعيدْ
وابغ رضى المولى فاغبى الورى من أسخط المولى وارضى العبيدْ

فقال: يا سيدتي اعلمي اني لست تاجرًا ولا لي حملة ولا لي كبة حامية. وانما كنت في بلادي رجلًا اسكافيًا ولي زوجة اسمها فاطمة العرّة وجرى لي معها كذا وكذا. واخبرها بالحكاية من اولها الى آخرها. فضحكت وقالت: انك ماهر في صناعة الكذب والنصب. فقال: يا سيدتي الله تعالى يبقيكِ لستر العيوب وفكّ الكروب. فقالت: اعلم انك نصبت على ابي وغررتهُ بكثرة فشرك حتى زوجني بك من طمعه ثم اتلفت ماله. والوزير منكر ذلك عليك. وكم مرة يتكلم فيك عند ابي ويقول لهُ: انهُ نصّاب كذاب. ولكن ابي لم يطعه فيما يقول بسبب انهُ كان خطبني وانا لم ارضَ بهِ ان يكون لي بعلًا واكون لهُ اهلًا. ثم ان المدة طالت وقد تضايق ابي وقال لي: قرّريه. وقد قرّرتك وانكشف المغطى وابي مصرّ لك على الضرر بهذا السبب ولكنك صرت زوجي وانا لا افرّط فيك. فان اخبرت ابي بهذا الخبر ثبت عنده انك نصّاب كذاب وقد نصبت على بنات الملوك واذهبت اموالهم فذنبك عندهُ لا يغفر ويقتلك بلا محالة ويشيع بين الناس اني تزوجت برجل نصّاب كذاب وتكون فضيحة في حقي. واذا قتلك ابي ربما يحتاج الى ان يزوجني الى آخر وهذا شيء لا اقبله ولو متّ. ولكن قم الآن والبس بدلة مملوك وخذ معك خمسين الف دينار من مالي واركب على جواد وسافر الى بلاد يكون حكم ابي لا ينفذ فيها واعمل تاجرًا هناك واكتب لي كتابًا وارسله مع ساعٍ يأتيني بهِ خفية لاعلم في اي بلاد انت حتى ارسل اليك كلما طالتهُ يدي ويكثر مالك. فان مات ابي ارسلت اليك فتجي باعزاز واكرام. واذا متّ انت او متّ انا الى رحمة الله تعالى فالقيامة تجمعنا. وهذا هو الصواب. وما دمت طيبًا وانا طيبة لا اقطع عنك المراسلة والاموال. ثم قبل ان

عن حقيقة حاله لاجل ان تختبره وتطلعنا على حاله . فقال : لا بأس بذلك وحياة رأسي ان ثبت انهُ نصاب كذاب لاقتلنـهُ اشأم قتلة . ثم انهُ اخذ الوزير ودخل بهِ الى قاعة الجلوس وارسل الى بنته فاتت خلف الستارة وكان ذلك في غياب زوجها . فلما اتت قالت: يا ابي ما تريد . قال : كلمي الوزير . قالت : ايها الوزير ما بالك . قال : يا سيدتي اعلمي ان زوجكِ اتلف مال ابيكِ وقد تزوج بكِ بلا مهر وهو لم يزل يعدنا ويخلف الميعاد ولم يبن لحملته خبر وبالجملة نريد ان تخبرينا عنهُ . فقالت : ان كلامه كثير وهو في كل وقت يجيء ويعدني بالجواهر والذخائر والقماشات الثمينة ولم ارَ شيئاً . فقال : يا سيدتي هل تقدرين في هذه الليلة ان تأخذي وتعطي معهُ في الكلام وتقولي لهُ : اخبرني بالصحيح ولا تخفِ من شيء . فانك صرت زوجي ولا افرط فيك فاخبرني بحقيقة الامر وانا ادبر لك تدبيرًا ترتاح بهِ . ثم قربي وبعدي لهُ في الكلام وأريه المحبة وقرريه . ثم بعد ذلك اخبرينا بحقيقة امره . فقالت : يا ابتِ انا اعرف كيف اختبره . ثم انها ذهبت وبعد العشاء دخل عليها زوجها معروف على جري عادته . فقامت لهُ وخادعتهُ خداعاً زائدًا وناهيك بمخادعة النساء اذا كان لهن عند الرجال حاجة يردنَ قضاءها . وما زالت تخادعه وتلاطفه بكلام احلى من العسل حتى سرقت عقله . فلما رأتهُ مال اليها بكليته قالت لهُ : يا حبيبي يا قرة عيني يا ثمرة فؤادي لا اوحش الله منك ولا فرَّق الزمان بيني وبينك فان محبتك سكنت فؤادي ونار غرامك احرقت اكبادي وليس فيك تفريط ابدًا . ولكن مرادي ان تخبرني بالصحيح لان حيل الكذب غير نافعة ولا تنطلي في كل الاوقات . والى متى انت تنصب وتكذب على ابي وانا خائفة ان يفتضح امرك عنده قبل ان ندبر لهُ حيلة فيبطش بك . فاخبرني بالصحيح وما لك الَّا ما يسرُّك ومتى اخبرتني بحقيقة الامر لا تخشَ من شيء يضرك . فكم تدَّعي انك تاجر وصاحب اموال ولك حملة . وقد مضت لك مدة طويلة وانت تقول : حملتي حملتي . ولم يبن عن حملتك خبر ويلوح على وجهك الهم بهذا السبب فان كلامك ليس لهُ صحة . فاخبرني وانا ادبر لك تدبيرًا تخلص بهِ ان شاء

حرق الزرع الاخضر . قالت : وما عمل معك ابي قل لي . قال : ادخلني عليكِ قبل ان تأتي حملتي وكان مرادي اقلّ ما يكون مائة جوهرة افرّقها على جواريكِ لكل واحدة جوهرة تفرح بها وتقول: ان سيدي اعطاني جوهرة في ليلة دخلته على سيدتي . وهذه الخصلة كانت تعظيماً لمقامكِ وزيادة في شرفكِ فاني لا اقصر ببذل الجواهر لان عندي منها كثيراً . فقالت لهُ : لا تهتمّ بذلك ولا تغمّ نفسك بهذا السبب اما انا فما عليك مني لاني اصبر عليك حتى تجيء الحملة . واما الجواري فما عليك منهنّ ومتى جاءت الحملة فاننا لاحقون على تلك الجواهر وغيرها

(الليلة الرابعة والتسعون بعد التسعمائة) . ثم انهُ ثاني يوم العرس دخل الحمام ولبس بدلة من ملابس الملوك وطلع من الحمام ودخل ديوان الملك . فقام لهُ من فيهِ على الاقدام وقابلوهُ باعزاز واكرام وهنّأوه وباركوا لهُ . وجلس بجانب الملك وقال : اين الخازندار . فقالوا : ها هو حاضر بين يديك . قال : هات الخلع وألبس جميع الوزراء والامراء وارباب المناصب . فجاء لهُ بجميع ما طلب . وجلس يعطي كل من اتى لهُ ويهب لكل انسان على قدر مقامه . واستمر على هذه الحالة مدة عشرين يوماً ولم يظهر لهُ حملة ولا غيرها . ثم ان الخازندار تضايق منهُ غاية الضيق ودخل على الملك في غياب معروف . وكان الملك جالساً هو والوزير لا غير . فقبل الارض بين يديه وقال : يا ملك الزمان انا اخبرك بشيء . لانك ربما تلومني على عدم الاخبار بهِ . اعلم ان الخزنة فرغت ولم يبقَ فيها شيء من المال الّا القليل وبعد عشرة ايام نقفلها على الفارغ . فقال الملك : يا وزير ان حملة نسيبي تأخرت ولم يبن عنها خبر . فضحك الوزير وقال لهُ : الله يلطف بك يا ملك الزمان ما انت الّا مغفل عن فعل هذا النصاب الكذاب . وحياة رأسك انهُ لا حملة لهُ ولا كبة تريحنا منهُ . وانما هو لم يزل ينصب عليك حتى اتلف اموالك وتزوج بنتك بلا شيء . والى متى وانت غافل عن هذا الكذاب . فقال لهُ : يا وزير كيف العمل حتى نعرف حقيقة حاله . فقال : يا ملك الزمان لا يطلع على سرّ الرجل الّا زوجته فارسل الى بنتك لتأتي خلف الستارة حتى اسألها

اليه اصطفل . فراح اليه الوزير وقال له . تعال كلم الملك . فقال له : سمعاً وطاعةً . ثم جاء اليه . فقال له الملك : لا تعتذر بهذه الاعذار فان خزنتي ملآنة فخذ المفاتيح عندك وانفق جميع ما تحتاج اليه واعطِ ما تشاء واكسُ الفقراء وافعل ما تريد وما عليك من البنت والجواري . واذا جاءت حملتك فاعمل مع زوجتك ما تشاء من الاكرام ونحن نصبر عليك بصداقها حتى تجيء الحملة وليس بيني وبينك فرق ابداً . ثم امر شيخ الاسلام ان يكتب الكتاب . فكتب كتاب بنت الملك على التاجر معروف وشرع في عمل الفرح وامر بزينة المدينة ودقت الطبول ومدّت الاطعمة من سائر الالوان واقبلت ارباب الملاعب . وصار التاجر معروف يجلس على كرسي في مقعد وتأتي قدامه ارباب الملاعب والشطار والجنك وارباب الحركات الغريبة والملاهي العجيبة وصار يأمر الخازندار ويقول له : هات الذهب والفضة . فيأتيه بالذهب والفضة . وصار يدور على المتفرجين ويعطي كل من لعب بالقبضة ويحسن الى الفقراء والمساكين ويكسو العريانين وصار فرحاً عجاجاً . وما بقي الخازندار يلحق ان يجيء بالاموال من الخزنة وكاد قلب الوزير ان ينفقع من الغيظ ولم يقدر ان يتكلم . وصار التاجر عليّ يتعجب من بذل هذه الاموال ويقول للتاجر معروف : الله والرجال على صدغك اما كفاك ان اضعت مال التجار حتى تضيع مال الملك . فقال له التاجر معروف : لا علاقة لك واذا جاءت الحملة اعوض ذلك على الملك باضعافه . وصار يبدد في الاموال ويقول في نفسه : كبة حامية فالذي يجري يجري والقدَر ما منهُ مفرّ . ولم يزل الفرح مدة اربعين يوماً . وفي اليوم الحادي والاربعين عملوا الزفّة للعروسة ومشى قدامها جميع الامراء والعساكر . ولما دخلوا بها صار ينثر الذهب على رؤوس الخلائق وعملوا لها زفّة عظيمة وصرف اموالاً لها مقدار عظيم وادخلوه على الملكة . فقعد على المرتبة العالية وخبط يداً على يد وقعد حزيناً مدة وهو يضرب كفاً على كف ويقول : لا حول ولا قوة الا بالله العليّ العظيم . فقالت له الملكة : يا سيدي سلامتك ما لك مغموماً . فقال : كيف لا اكون مغموماً وابوكِ قد شوّش عليّ وعمل معي عملة مثل

عنده. فقال الوزير: يا ملك الزمان ان حال هذا الرجل لم يعجبني واظنّ انهُ نصاب وكذاب فاترك هذا الكلام لئلّا تضيع بنتك بلا شيء. وكان الوزير سابقًا ساق على الملك ان يزوجه البنت واراد زواجها له فلما بلغها ذلك لم ترضَ. ثم ان الملك قال لهُ: يا خائن انت لا تريد لي خيرًا لكونك خطبت بنتي سابقًا ولم ترضَ ان تتزوج بك فصرت الآن تقطع طريق زواجها ومرادك ان بنتي تبور حتى تأخذها انت. فاسمع مني هذه الكلمة ليس لك علاقة بهذا الكلام. كيف يكون نصابًا كذابًا مع انهُ عرف ثمن الجوهرة مثل ما اشتريتها بهِ وكسرها لكونها لم تعجبه. وعنده جواهر كثيرة فمتى دخل على ابنتي يراها جميلة فتأخذ عقله ويحبها ويعطيها جواهر وذخائر. وانت مرادك ان تحرم ابنتي وتحرمني من هذه الخيرات. فسكت الوزير وخاف من غضب الملك عليهِ وقال في نفسه: اغرِ الكلاب على البقر. ثم مال على التاجر معروف وقال لهُ: ان حضرة الملك أحبك ولهُ بنت ذات حسن وجمال يريد ان يزوجها لك فما تقول. فقال لهُ: لا بأس ولكن يصبر حتى تأتي حملتي فان مهر بنات الملوك واسع ومقامهنّ ان لا يمهرنَ الّا بمهر يناسب حالهنّ. وفي هذه الساعة ما عندي مال فليصبر عليَّ حتى تجيء الحملة فالخير عندي كثير ولا بد ان ادفع صداقها خمسة آلاف كيس واحتاج الى الف كيس افرّقها على الفقراء والمساكين ليلة الدخلة والف كيس اعطيها للذين يمشون في الزفّة والف كيس اعمل بها الاطعمة للعساكر وغيرهم. واحتاج الى مائة جوهرة اعطيها للملكة صبيحة العرس ومائة جوهرة افرّقها على الجواري والخدم فاعطي كل واحدة جوهرة تعظيماً لمقام العروسة. واحتاج الى ان اكسو الف عريان من الفقراء. ولا بد من صدقات. وهذا شيء لا يمكن الّا اذا جاءت الحملة فان عندي شيئًا كثيرًا واذا جاءت الحملة لا ابالي بهذا المصروف كله. فراح الوزير واخبر الملك بما قاله. فقال الملك: حيث كان مراده ذلك كيف تقول عنهُ انهُ نصاب كذاب. قال الوزير: ولم ازل اقول ذلك. فقزع فيهِ الملك ووبخه وقال لهُ: وحياة رأسي ان لم تترك هذا الكلام لاقتلنّك فارجع اليهِ وهاته عندي وانا مني

واعطيهِ الجوهرة . فان عرفها وعرف ثمنها يكون صاحب خير ونعم . وان لم يعرفها فهو نصَّاب محدث فاقتله اقبح قتلة . ثم ان الملك ارسل اليهِ واحضره . فلما دخل عليهِ سلم عليهِ . فردَّ عليهِ السلام واجلسه الى جانبه وقال لهُ : هل انت التاجر معروف قال : نعم . قال لهُ : ان التجار يزعمون ان لهم عندك ستين الف دينار فهل ما يقولونه حقٌّ . قال : نعم . قال لهُ : لِمَ لم تعطهم اموالهم . قال : يصبرون حتى تجيء حملتي واعطيهم المثل مثلين . وان ارادوا ذهبًا اعطيهم وان ارادوا فضةً اعطيهم وان ارادوا بضاعة اعطيهم . والذي لهُ الف اعطيه الفين في نظير ما ستر بهِ وجهي مع الفقراء . فان عندي شيئًا كثيرًا . ثم ان الملك قال لهُ : يا تاجر خذ هذه وانظر ما جنسها وما قيمتها . واعطاه جوهرة قدر البندقة كان الملك اشتراها بالف دينار ولم يكن عنده غيرها وكان مستعزًا بها . فاخذها معروف بيده وقرط عليها بالابهام والشاهد فكسرها لان الجوهر رقيق لا يتحمل . فقال لهُ الملك : لاي شيء كسرت الجوهرة . فضحك وقال : يا ملك الزمان ما هذه جوهرة هذه قطعة معدن تساوي الف دينار كيف تقول عليها انها جوهرة ان الجوهرة يكون ثمنها سبعين الف دينار وانما يقال على هذه قطعة معدن والجوهرة ما لم تكن قدر الجوزة لا قيمة لها عندي ولا اعتني بها . كيف تكون ملكًا وتقول على هذه جوهرة وهي قطعة معدن قيمتها الف دينار . ولكن انتم معذورون لكونكم فقراء وليس عندكم ذخائر لها قيمة . فقال لهُ الملك : يا تاجر هل عندك جواهر من الذي تخبر بهِ . قال : كثير . فغلب الطمع على الملك فقال لهُ : هل تعطيني جواهر صحاحًا . قال لهُ : حتى تجيء الحملة اعطيك كثيرًا . ومهما طلبته فعندي منهُ كثير واعطيك من غير ثمن . ففرح الملك وقال للتجار : روحوا الى حال سبيلكم واصبروا عليهِ حتى تجيء الحملة ثم تعالوا خذوا مالكم مني . فراحوا . هذا ما كان من امر معروف والتجار

واما ما كان من امر الملك فانهُ اقبل على الوزير وقال لهُ : لاطف التاجر معروف وخذ واعطِ معهُ في الكلام واذكر لهُ ابنتي حتى يتزوج بها ونغتنم هذه الخيرات التي

يا قليل الادب لا بدَّ ان اريك كيف تكذب عليَّ ولا تستحي. فقال له: الذي يخرج من يدك افعله ويصبرون حتى تجيء حملتي ويأخذون متاعهم بزيادة . فتركه وراح وقال في نفسه: انا شكرتهُ سابقًا وان ذممتهُ الآن صرت كاذبًا وادخل في قول من قال: مَن شكر وذمَّ كذب مرَّتين. وصار متحيرًا في امره. ثم ان التجار اتوه وقالوا: يا تاجر عليّ هل كلمته . قال لهم: يا ناس انا استحي منهُ ولي الف دينار ولم اقدر ان اكلمه عليها وانتم لما اعطيتموه ما شاورتموني وليس لكم عليَّ كلام من طرفه فطالبوه وان لم يعطكم فاشكوه الى ملك المدينة وقولوا له: انهُ نصَّاب نصب علينا فان الملك يخلصكم منهُ . فراحوا الى الملك واخبروه بما وقع وقالوا : يا ملك الزمان اننا تحيرنا في امرنا مع هذا التاجر الذي كرمه زائد فانهُ يفعل كذا وكذا وكل شيء اخذه يفرقه على الفقراء بالقبضة. فلو كان مقلًا ما كانت تسمح نفسه انهُ يقبض الذهب ويعطيه للفقراء. ولو كان من اصحاب النعم كان صدقه ظهر لنا بمجيء حملته. ونحن لا نرى له حملة مع انهُ يدعي ان له حملة وقد سبقها. وكلما ذكرنا له صنفًا من اصناف القماش يقول: عندي منهُ كثير. وقد مضت مدة ولم يبن عن حملته خبر وقد صار لنا عنده ستون الف دينار وكل ذلك فرَّقه على الفقراء. وصاروا يشكرونه ويمدحون كرمه. وكان ذلك الملك طماعًا اطمع من الشعب. فلما سمع بكرمه وسخائه غلب عليهِ الطمع وقال لوزيره: لو لم يكن هذا التاجر عندهُ اموال كثيرة ما كان يقع منهُ هذا الكرم كله ولا بدَّ ان تأتي حملته ويجتمع هؤلاء التجار عنده ويبعثر عليهم اموالًا كثيرة فانا احقّ منهم بهذا المال. فمرادي ان اعاشره واتودد اليه حتى تأتي حملته والذي يأخذه منهُ هؤلاء التجار آخذه انا وازوجه ابنتي واضمّ ماله الى مالي . فقال له الوزير : يا ملك الزمان ما اظنهُ الَّا نصَّابًا والنصاب قد اخرب بيت الطماع

(الليلة الثالثة والتسعون بعد التسعمائة) . قال له الملك: يا وزير انا امتحنه واعرف هل هو نصاب او صادق وهل هو تربية نعمة او لا . قال الوزير: بماذا تمتحنه. قال الملك: ان عندي جوهرة فانا ابعث اليهِ واحضره عندي واذا جلس اكرمه

يعطي كل من مرَّ بهِ من الفقراء حتى اذَّن الظهر . فدخلوا الجامع وصلّوا الظهر والذي بقي معهُ من الالف الدينار نثرهُ على رؤوس المصلّين . فانتبه لهُ الناس وصاروا يدعون لهُ وصارت التجار تتعجب من كثرة كرمه وسخائه . ثم انهُ مال على تاجر آخر واخذ منهُ الف دينار وفرَّقها . وصار التاجر عليّ ينظر فعله ولا يقدر ان يتكلم . ولم يزل على هذه الحالة حتى اذَّن العصر فدخل المسجد وصلّى وفرَّق الباقي . فما قفلوا باب السوق حتى اخذ خمسة آلاف دينار وفرَّقها . وكل من اخذ منهُ شيئاً يقول لهُ : حتى تجيء الحملة ان اردت ذهباً اعطيك وان اردت قماشاً اعطيك فان عندي شيئاً كثيراً . وعند المساء عزمه التاجر عليّ وعزم معهُ التجار جميعاً واجلسه في الصدر وصار لا يتكلم الّا بالقماشات والجواهر وكلما ذكروا لهُ شيئاً يقول : عندي منهُ كثير . وثاني يوم توجه الى السوق وصار يميل على التجار ويأخذ منهم الاموال ويفرقها على الفقراء . ولم يزل على هذه الحالة مدة عشرين يوماً حتى اخذ من الناس ستين الف دينار ولم تأتهِ حملة ولا كبة حامية . فضجت الناس على اموالهم وقالوا : ما اتت حملة التاجر معروف والى متى وهو يأخذ اموال الناس ويعطيها للفقراء . فقال واحد منهم : الرأي ان نتكلم مع بلديه التاجر عليّ . فأتوه وقالوا لهُ : يا تاجر عليّ ان حملة التاجر معروف لم تأتِ . فقال لهم : اصبروا فانها لا بدَّ ان تأتي عن قريب . ثم انهُ اختلى بهِ وقال لهُ : يا معروف ما هذه الفعال هل انا قلت لك قمّر الخبز او احرقه . ان التجار ضجوا على اموالهم واخبروني انهُ صار لهم عليك ستون الف دينار اخذتها وفرقتها على الفقراء . ومن اين تسدّ دين الناس وانت لا تبيع ولا تشتري . فقال لهُ : اي شيء يجري وما مقدار ستين الف دينار . لما تجيء الحملة اعطيهم ان شاؤوا قماشاً وان شاؤوا ذهباً وفضةً . قال لهُ التاجر عليّ : الله اكبر وهل انت لك حملة . قال : كثير . قال لهُ : الله والرجال عليك وعلى سماجتك هل انا علّمتك هذا الكلام حتى تقولهُ لي فانا أُخبر بك الناس . فقال لهُ : رح بلا كثرة كلام هل انا فقير ان حملتي فيها شيء كثير . فاذا جاءت يأخذون متاعهم المثل مثلين انا غير محتاج اليهم . فعند ذلك اغتاظ التاجر عليّ وقال لهُ :

من اجل الربح والمكاسب لان عنده اموالاً لا تأكلها النيران وانا من بعض خدمه. ولم يزل يشكره حتى جعلوه فوق رؤوسهم وصاروا يخبرون بعضهم بصفاته. ثم اجتمعوا عنده وصاروا يهادونه بالفطورات والشربات. حتى شاه بندر التجار اتى لهُ وسلم عليهِ. وصار يقول لهُ التاجر عليّ بحضرة التجار: يا سيدي لعلَّك جئت معك بشيء من القماش الفلاني. فيقول لهُ: كثير. وكان في ذلك اليوم فرَّجهُ على اصناف القماش الثمنة وعرَّفهُ اسامي الاقمشة الغالي والرخيص. فقال لهُ تاجر من التجار: يا سيدي هل جئت معك بجوخ اصفر. قال: كثير. قال: واحمر دم الغزال. قال: كثير. وصار كلما سألهُ عن شيء. يقول لهُ: كثير. فعند ذلك قال: يا تاجر عليّ ان بلديَّك لو اراد ان يحمل الف حمل من القماشات الثمنة يحملها. فقال لهُ: يحملها من حاصل من جملة حواصلهِ ولا ينقص منهم شيء. فبينما هم قاعدون واذا برجل سائل دار على التجار فمنهم من اعطاه نصف فضة ومنهم من اعطاه جديدًا وغالبهم لم يعطهِ شيئًا. حتى وصل الى معروف فقبض لهُ قبضة ذهب واعطاه اياها. فدعا لهُ وراح. فتعجب التجار من ذلك وقالوا: ان هذه عطايا ملوك فانهُ اعطى السائل ذهبًا من غير عدد ولولا انهُ من اصحاب النعم الجزيلة وعندهُ شيء كثير ما كان اعطى السائل قبضة ذهب. وبعد حصة اتتهُ امرأة فقيرة فقبض واعطاها وذهبت تدعو لهُ وحكت للفقراء فاقبلوا عليهِ واحدًا بعد واحد. وصار كل من اتى لهُ يقبض ويعطيهِ حتى انفق الالف الدينار. وبعد ذلك ضرب كفًا على كف وقال: حسبنا الله ونعم الوكيل. فقال لهُ شاه بندر التجار: ما لك يا تاجر معروف. قال: كأن غالب اهل هذه المدينة فقراء ومساكين ولو كنت اعرف انهم كذلك كنت جئت معي في الخرج بجانب من المال واحسنُ بهِ الى الفقراء. وانا خائف ان تطول غربتي ومن طبعي اني لا اردّ السائل ولم يبقَ معي ذهب فاذا اتاني فقير ماذا اقول لهُ. قال لهُ: قل لهُ الله يرزقك. قال: ما هي عادتي وقد ركبني الهمُّ بهذا السبب وكان مرادي الف دينار انصدق بها حتى تجيء حملتي. فقال: لا بأس. وارسل بعض اتباعه فجاء لهُ بالف دينار فاعطاه اياها. فصار

لكونهم يعرفون اني من مصر . قال : وكيف اصنع . قال : انا اعلِمك كيف تصنع . ان شاء الله تعالى في غد اعطيك الف دينار وبغلة تركبها وعبدًا يمشي قدامك حتى يوصلك الى باب سوق التجار فادخل عليهم . واكون انا قاعدًا بين التجار فمتى رأيتك اقوم لك واسلم عليك واقبل يدك واعظم قدرك . وكلما سألتك عن صنف من القماش وقلت لك : هل جئت معك بشيء من الصنف الفلاني . فقل : كثير . وان سألوني عنك اشكرك واعظمك في اعينهم . ثم اني اقول لهم : خذوا له حاصلًا ودكانًا . واصفك بكثرة المال والكرم . واذا اتاك سائل فاعطهِ ما تيسر . فيثقوا بكلامي ويعتقدوا عظمتك وكرمك ويحبُّوك . وبعد ذلك اعزمك واعزم جميع التجار من شأنك واجمع بينك وبينهم حتى يعرفوك جميعهم وتعرفهم لاجل ان تبيع وتشتري وتأخذ وتعطي معهم . فما تمضي عليك مدة حتى تصير صاحب مال

(الليلة الثانية والتسعون بعد التسعمائة) . فلما اصبح الصباح اعطاه الف دينار والبسهُ بدلة واركبه بغلة واعطاه عبدًا وقال : ابرأ الله ذمتك من الجميع لانك رفيقي فواجبٌ عليَّ اكرامك ولا تحمل همًّا ودع عنك سيرة زوجتك ولا تذكرها لاحد . فقال لهُ : جزاك الله خيرًا . ثم انهُ ركب البغلة ومشى قدامه العبد الى ان اوصله الى باب سوق التجار وكانوا جميعًا قاعدين والتاجر عليّ قاعد بينهم . فلما رآه قام ورمى روحه عليهِ وقال لهُ : نهار مبارك يا تاجر معروف يا صاحب الخيرات والمعروف . ثم قبَّل يده قدام التجار وقال : يا اخواننا آنسكم التاجر معروف . فسلموا عليهِ وصار يشير لهم بتعظيمه فعظم في اعينهم . ثم انهُ انزلهُ من فوق ظهر البغلة وسلموا عليهِ وصار يختلي بواحد بعد واحد منهم ويشكره عنده . فقالوا لهُ : هل هذا تاجر . فقال لهم : نعم بل هو اكبر التجار ولا يوجد واحد اكثر مالاً منهُ لان اموالهُ واموال ابيهِ واجداده مشهورة عند تجار مصر ولهُ شركاء في الهند والسند واليمن وهو في الكرم على قدم عظيم فاعرفوا قدره وارفعوا مقامه واخدموه . واعلموا ان مجيئهُ الى هذه المدينة ليس من اجل التجارة وما مقصده الّا الفرجة على بلاد الناس لانهُ غير محتاج الى التغرُّب

لهُ: هو انا عليّ ابن الشيخ احمد العطار وانت رفيقي يا معروف. وسلّما على بعضهما. وبعد السلام قال لهُ: يا معروف اخبرني بسبب مجيئك من مصر الى هذه المدينة. فاخبره بخبر زوجته فاطمة العرة وما فعلت معهُ وقال لهُ: انهُ لما اشتدّ عليَّ اذاها هربت منها في جهة باب النصر ونزل عليَّ المطر فدخلت في حاصل خرب في العادلية وقعدت ابكي فخرج لي عامر المكان وهو عفريت من الجنّ وسألني فاخبرتهُ بحالي فاركبني على ظهره وطار بي طول الليل بين السماء والارض ثم حطني على الجبل واخبرني بالمدينة فنزلت من الجبل ودخلت المدينة والتمّ الناس عليَّ وسألوني. فقلت لهم: اني طلعت البارحة من مصر. فلم يصدقوني فجئت انت ومنعت عني الناس وجئت بي الى هذه الدار وهذا سبب خروجي من مصر. وانت ما سبب مجيئك الى هنا. قال لهُ: غلب عليَّ الطيش وعمري سبع سنين فمن ذلك الوقت وانا دائر من بلد الى بلد ومن مدينة الى مدينة حتى دخلت هذه المدينة واسمها اختيان الختن فرأيت اهلها ناساً كراماً وعندهم الشفقة ورأيتهم يأتمنون الفقير ويداينونه وكلما قالهُ يصدقونهُ فيهِ فقلت لهم: انا تاجر وقد سبقتُ الحملة ومرادي مكان أُنزل فيهِ حملتي. فصدقوني واخلولي مكاناً. ثم اني قلت لهم: هل فيكم من يداينني الف دينار حتى تجيء حملتي واردّ لهُ ما آخذه منهُ فاني محتاج الى بعض مصالح قبل دخول الحملة. فاعطوني ما اردت وتوجهت الى سوق التجار فرأيت شيئاً من البضاعة فاشتريتهُ وفي ثاني يوم بعته فربحت فيهِ خمسين ديناراً واشتريت غيره. وصرت اعاشر الناس واكرمهم فأحبُّوني وصرت ابيع واشتري فكثر مالي. واعلم يا اخي ان صاحب المثل يقول: الدنيا فشر وحيلة. والبلاد التي لا يعرفك احد فيها مهما شئت فافعل فيها. وانت اذا قلت لكلّ من سألك: انا صنعتي اسكافي وفقير وهربت من زوجتي والبارحة طلعت من مصر. فلا يصدقونك وتصير عندهم مسخرة مدة اقامتك في هذه المدينة. وان قلت: حملني عفريت. نفروا منك ولا يقرب منك احد ويقولون: هذا رجل معفرت وكل من تقرّب منهُ يحصل لهُ ضرر. وتبقى هذه الاشاعة قبيحة في حقي وحقك

وصارت لهُ شهرة في تلك المدينة ومنهم ناس يصدّقون وناس يكذّبون ويهزأُون بهِ. فبينما هم في تلك الحالة واذا بتاجر اقبل عليهم وهو راكب بغلة وخلفهُ عبدان ففرّق الناس وقال: يا ناس أما تستحون وانتم ملتمون على هذا الرجل الغريب وتسخرون منهُ وتضحكون عليه. ما علاقتكم بهِ. ولم يزل يسبّهم حتى طردهم عنهُ ولم يقدر احد ان يردّ عليهِ جوابًا. وقال لهُ: تعال يا اخي ما عليك بأْس من هؤلاء انهم لا حياء عندهم. ثم اخذه وسار به الى ان ادخله دارًا واسعة مزخرفة واجلسه في مقعد ملوكي. وامر العبيد ففتحوا لهُ صندوقًا واخرجوا لهُ بدلة تاجر الفي والبسه اياها. وكان معروف وجيهًا فصار كانهُ شاه بندر التجار. ثم ان ذلك التاجر طلب السفرة فوضعوا قدامهما سفرة فيها جميع الاطعمة الفاخرة من سائر الالوان فأكلا وشربا. وبعد ذلك قال لهُ: يا اخي ما اسمك. قال: اسمي معروف وصنعتي اسكافي ارقع الزرابين القديمة. قال لهُ: من اي البلاد انت. قال: من مصر. قال: من اي الحارات. قال لهُ: هل انت تعرف مصر. قال لهُ: انا من اولادها. فقال لهُ: انا من الدرب الاحمر. قال لهُ: من تعرف من الدرب الاحمر. قال لهُ: فلان وفلان. وعدَّ لهُ ناسًا كثيرة. قال لهُ: هل تعرف الشيخ احمد العطار. قال لهُ: هو جاري الحيط في الحيط. قال لهُ: هل هو طيب. قال: نعم. قال لهُ: كم لهُ من الاولاد. قال: ثلثة مصطفى ومحمد وعليّ. قال لهُ: ما فعل الله باولاده. قال: اما مصطفى فانهُ طيب وهو عالم مدرّس. واما محمد فانهُ عطار قد فتح لهُ دكانًا بجنب دكان ابيهِ بعد ان تزوج وولدت لهُ زوجته ولدًا اسمهُ حسن. قال: بشرك الله بالخير. قال: واما عليّ فانهُ كان رفيقي ونحن صغار وكنت دائمًا العب انا واياه وبقينا نروح بصفة اولاد النصارى وندخل الكنيسة ونسرق كتب النصارى ونبيعها ونشتري بثمنها نفقة. فاتفق في بعض المرَّات ان النصارى رأونا ومسكونا بكتاب فاشتكونا الى اهلنا وقالوا لابيهِ: اذا لم تمنع ولدك من اذانا اشتكيناك الى الملك. فاخذ بخاطرهم وضربهُ علقة فبهذا السبب هرب من ذلك الوقت ولم يعرف لهُ طريقًا وهو غائب لهُ عشرون سنة ولم يخبر عنهُ احد بخبر. فقال

وقال لهُ : يا رجل ما لك اقلقتني في هذه الليلة . انا ساكن في هذا المكان من منذ مائتي عام فما رأيت احدًا دخل هذا المكان وعمل مثل ما عملت انت . فاخبرني بمقصودك وانا اقضي حاجتك فان قلبي اخذتهُ الشفقة عليك . فقال لهُ : من انت وما تكون . فقال لهُ : انا عامر هذا المكان . فاخبرهُ بجميع ما جرى لهُ مع زوجته . فقال لهُ : اتريد ان اوصلك الى بلاد لا تعرف لك زوجتك فيها طريقًا . قال : نعم . قال لهُ : اركب فوق ظهري . فركب وحملهُ وطار بهِ من بعد العشاء الى طلوع الفجر وانزلهُ على رأس جبلٍ عالٍ وقال : يا انسي انحدر من فوق هذا الجبل ترَ عتبة مدينة فادخلها فان زوجتك لا تعرف لك طريقًا ولا يمكنها ان تصل اليك . ثم تركهُ وراح

(الليلة الحادية والتسعون بعد التسعمائة) . فصار معروف باهتًا متحيرًا في نفسه الى ان طلعت الشمس فقال في نفسه : اقوم وانزل من على هذا الجبل الى المدينة فان قعودي هنا ليس فيهِ فائدة . فنزل الى اسفل الجبل فرأى مدينة بأسوار عالية وقصور مشيدة وابنية مزخرفة وهي نزهة للناظرين . فدخل من باب المدينة فرآها تشرح القلب الحزين . فلما مشى في السوق صار اهل المدينة ينظرون اليهِ ويتفرجون عليهِ واجتمعوا عليهِ وصاروا يتعجبون من ملبسه لان ملبسه لا يشبه ملابسهم . فقال لهُ رجل من اهل المدينة : يا رجل هل انت غريب . قال : نعم . قال لهُ : من اي البلاد . قال : من مدينة مصر السعيدة . قال لهُ : لك زمان مفارقها . قال لهُ : البارحة العصر . فضحك عليهِ وقال : يا ناس تعالوا انظروا هذا الرجل واسمعوا ما يقول . فقالوا : ما يقول . قال : انهُ يزعم انهُ من مصر وخرج منها البارحة العصر . فضحكوا كلهم واجتمع عليهِ الناس وقالوا : يا رجل أانت مجنون حتى تقول هذا الكلام كيف تزعم انك فارقت مصر بالامس في وقت العصر واصبحت هنا . والحال ان بين مدينتنا وبين مصر مسافة سنة كاملة . فقال لهم : ما مجنون الّا انتم واما انا فاني صادق في قولي وهذا عيش مصر لم يزل معي طريًا . واراهم العيش فصاروا يتفرجون عليهِ ويتعجبون منهُ لانهُ لا يشبه عيش بلادهم . وكثر الخلائق عليهِ وصاروا يقولون لبعضهم : هذا عيش مصر تفرجوا عليهِ .

وراحت المرأة من طريق وزوجها راح من طريق آخر الى دكانه وجلس . واذا بالرسل اتوا لهُ وقالوا : هات خدمتنا . فقال لهم : ان القاضي لم يأخذ مني شيئاً بل اعطاني ربع دينار . فقالوا : لا علاقة لنا بكون القاضي اعطاك او اخذ منك . فان لم تعطنا خدمتنا اخذناها قهراً عنك . وصاروا يجرُّونهُ في السوق . فباع عدَّته واعطاهم نصف دينار ورجعوا عنهُ . وحطَّ يده على خدّه وقعد حزيناً حيث لم يكن عندهُ عدَّة يشتغل بها . فبينما هو قاعد واذا برجلين قبيحي المنظر اقبلا عليهِ وقالا لهُ : قم يا رجل كلم القاضي فان زوجتك اشتكتك اليهِ . فقال لهما : قد اصلح بيني وبينها . فقالا لهُ : نحن من عند قاضٍ آخر فان زوجتك اشتكتك الى قاضينا . فقام معهما وهو يحتسب عليها . فلما رآها قال لها : أما اصطلحنا يا بنت الحلال . قالت : ما بقي بيني وبينك صلح . فتقدم وحكى للقاضي حكايته وقال لهُ : ان القاضي فلان اصلح بيننا في هذه الساعة . فقال لها القاضي : يا عاهرة حيث اصطلحتما لماذا جئتِ تشكيني اليَّ . قالت : انهُ ضربني بعد ذلك . فقال لهما القاضي : اصطلحا ولا تعد الى ضربها وهي لا تعود الى مخالفتك . فاصطلحا . وقال لهُ القاضي : اعطِ الرسل خدمتهم . فاعطى الرسل خدمتهم وتوجَّه الى الدكان وفتحها وقعد فيها وهو مثل السكران من الهمّ الذي اصابهُ . فبينما هو قاعد واذا برجل اقبل عليهِ وقال لهُ : يا معروف قم استخفِ فان زوجتك اشتكتك الى الباب العالي ونازل عليك ابو طبق . فقام وقفل الدكان وهرب في جهة باب النصر . وكان قد بقي معهُ خمسة انصاف فضة من حقّ القوالب والعدَّة فاشترى باربعة انصاف عيشاً وبنصف جبناً وهو هارب منها . وكان ذلك في فصل الشتاء وقت العصر . فلما خرج بين الكيمان نزل عليهِ المطر مثل افواه القرب فابتلَّت ثيابه . فدخل العادلية فرأى موضعاً خرباً فيهِ حاصل مهجور من غير باب فدخل يستكنّ فيهِ من المطر وحوائجه مبتلَّة بالماء . فنزلت الدموع من اجفانه وصار يتضجر مما بهِ ويقول : اين اهرب من هذه العاهرة . اسألك يا ربّ ان تقيض لي من يوصلني الى بلاد بعيدة لا تعرف طريقي فيها . فبينما هو جالس يبكي واذا بالحائط قد انشقّ وخرج لهُ منهُ شخص طويل القامة ورؤيته تقشعرّ منها الابدان

كنافة الّا بعسل نحل. وغضبت عليهِ وضربتهُ بها في وجهه وقالت لهُ : قم يا نحس هاتِ لي غيرها. ولكمتهُ في صدغه فقلعت سنًّا من اسنانه ونزل الدم على صدره. ومن شدَّة الغيظ ضربها ضربة واحدة لطيفة على رأسها. فقبضت على لحيته وصارت تصيح وتقول : يا مسلمون. فدخل الجيران وخلصوا لحيته من يدها وقاموا عليها باللوم وعيَّبوها وقالوا : نحن كلنا في قبل نأكل الكنافة التي بعسل القصب وما هذا التجبر على هذا الرجل الفقير ان هذا عيب عليكِ. وما زالوا يلاطفونها حتى اصلحوا بينها وبينه. ولكنها بعد ذهاب الناس حلفت ما تأكل من الكنافة شيئًا. فاحرقهُ الجوع فقال في نفسه : هي حلفت ما تأكل فانا آكل. ثم اكل. فلما رأتهُ يأكل صارت تقول لهُ : ان شاء الله يكون اكلها سمًّا يهري بدن البعيد. فقال لها : ما هو بكلامكِ. وصار يأكل ويضحك ويقول : انتِ حلفتِ ما تأكلين من هذه فالله كريم فان شاء الله في ليلة غد اجيء لكِ بكنافة تكون بعسل نحل وتأكلينها وحدكِ. وصار يأخذ بخاطرها وهي تدعو عليهِ. ولم تزل تسبُّهُ وتشتمهُ الى الصبح. فلما اصبح الصباح شمَّرت عن ساعدها لضربه. فقال لها : امهليني وانا اجيء لكِ بغيرها. ثم خرج الى المسجد وصلَّى وتوجَّه الى الدكان وفتحها وجلس. فلم يستقرّ بهِ الجلوس حتى جاء اثنان من طرف القاضي وقالا لهُ : قم كلِّم القاضي فان امرأتك اشتكت اليهِ وصفتها كذا وكذا. فعرفها وقال : الله تعالى ينكد عليها. ثم قام مشى معهما الى ان دخل على القاضي فرأى زوجته رابطة ذراعها وبرقعها ملوَّث بالدم وهي واقفة تبكي وتمسح دموعها. فقال لهُ القاضي : يا رجل ألم تخف من الله تعالى كيف تضرب هذه الحرمة وتكسر ذراعها وتقلع سنها وتفعل بها هذه الفعال. فقال لهُ : ان كنت ضربتها او قلعت سنَّها فاحكم فيَّ بما تختار. وانما القصة كذا وكذا والجيران اصلحوا بيني وبينها. واخبرهُ بالقصة من الاول الى الآخر. وكان ذلك القاضي من اهل الخير فاخرج لهُ ربع دينار وقال لهُ : يا رجل خذ هذا واعمل لها بهِ كنافة بعسل نحل واصطلح انت واياها. فقال لهُ : اعطهِ لها. فاخذتهُ واصلح بينهما وقال : يا حرمة اطيعي زوجكِ. وانت يا رجل ترفَّق بها. وخرجا مصطلحين على يد القاضي

ان سهل او لم يسهل لا تجئني الّا بالكنافة التي بعسل نحل . وان جئت من غير كنافة جعلت ليلتك مثل بختك حين تزوّجتني ووقعت في يدي . فقال لها : الله كريم . ثم خرج ذلك الرجل والغمّ يتناثر من بدنه . فصلّى الصبح وفتح الدكان وقال : اسألك يا ربّ ان ترزقني بحقّ هذه الكنافة وتكفيني شرّ هذه الفاجرة في هذه الليلة . وقعد في الدكان الى نصف النهار فلم يأتهِ شغل . فاشتدّ خوفه من زوجته فقام وقفل الدكان وصار متحيرًا في امره من شأن الكنافة مع انهُ لم يكن معهُ من حقّ الخبز شي٠ . ثم انهُ مرّ على دكان الكنفاني ووقف باهتًا وتغرغرت عيناهُ بالدموع . فلحظ عليهِ الكنفاني وقال : يا معلم معروف ما لك تبكي فاخبرني بما اصابك . فاخبرهُ بقصته وقال لهُ : ان زوجتي جبّارة وطلبت مني كنافة وقد قعدت في الدكان حتى مضى نصف النهار فلم يجئني ولا حقّ الخبز وانا خائف منها . فضحك الكنفاني وقال : لا بأس عليك كم رطل تريد . قال : خمسة ارطال . فوزن لهُ خمسة ارطال وقال لهُ : السمن عندي ولكن ما عندي عسل نحل وانما عندي عسل قطر احسن من عسل النحل . وماذا يضرّ اذا كانت بعسل قطر . فاستحى منهُ لكونه يصبر عليهِ بثمنها فقال لهُ : هاتها بعسل قطر . فقلى لهُ الكنافة بالسمن وغرقها بعسل قطر فصارت تهدى للملوك . ثم انهُ قال لهُ : اتحتاج عيشًا وجبنًا . قال : نعم . فأخذ لهُ باربعة انصاف عيشًا وبنصف جبنًا والكنافة بعشرة انصاف وقال لهُ : اعلم يا معروف انهُ قد صار عندك خمسة عشر نصفًا . رُح الى زوجتك واعمل حظًا وخذ هذا النصف حقّ الحمام وعليك مهل يوم او يومين او ثلثة حتى يرزقك الله ولا تضيّق على زوجتك فانا اصبر عليك حتى يبقى عندك دراهم فاضلة عن مصروفك . فاخذ الكنافة والعيش والجبن وانصرف داعيًا لهُ وراح مجبور الخاطر وهو يقول : سبحانك ربّي ما اكرمك . ثم انهُ دخل عليها فقالت لهُ : هل جئت بالكنافة . قال : نعم . ثم وضعها قدامها . فنظرت اليها فرأتها بعسل قصب فقالت لهُ : أما قلت لك هاتها بعسل نحل . تعمل على خلاف مرادي وتعملها بعسل قصب . فاعتذر اليها وقال لها : انا ما اشتريتها الّا مؤجّلًا ثمنها . فقالت : هذا كلام باطل انا ما آكل

واخبرت الخليفة بخبره فصرفهم. وفي ثاني يوم رمى ناصرًا ومنصورًا تحت الضرب فأقرّا على بعضهما. فغضب عليهما الخليفة وقال : خذوهما الى البصرة واصلبوهما قدام قصر عبد الله. هذا ما كان من امرهما. واما ما كان من امر عبد الله فانهُ امر بدفن اخويه ثم ركب وتوجه الى بغداد واخبر الخليفة بحكايته وما فعل معه اخواهُ من الاول الى الآخر. فتعجب الخليفة من ذلك واحضر القاضي والشهود وكتب كتابه على البنت التي جاء بها من مدينة الحجر . واقام معها في البصرة الى ان اتاهم هادم اللذات ومفرق الجماعات. فسبحان الحيّ الذي لا يموت

حكاية معروف الاسكافي

ومما يحكى ايضًا ايها الملك السعيد انهُ كان في مدينة مصر المحروسة رجل اسكافي يرقع الزرابين القديمة وكان اسمهُ معروفًا . وكان لهُ زوجة اسمها فاطمة ولقبها العرة وما لقبوها بذلك الّا لانها كانت فاجرة شرانية قليلة الحياء كثيرة الفتن وكانت حاكمة على زوجها وفي كل يوم تسبهُ وتلعنهُ الف مرة. وكان يخشى شرّها ويخاف من اذاها لانهُ كان رجلًا عاقلًا يستحي على عرضه. لكنهُ كان فقير الحال فاذا اشتغل بكثير صرفهُ عليها واذا اشتغل بقليل انتقمت من بدنه في تلك الليلة واعدمتهُ العافية وتجعل ليلته مثل صحيفتها. وهي كما قال في حقها الشاعر:

كم ليلة قد بتُّ مع زوجتي   في اشأم الاحوال قضيتها
يا ليتني عند دخولي بها   احضرتُ سمًا ثم سمّيتها

ومن جملة ما اتفق لهذا الرجل مع زوجته انها قالت لهُ: يا معروف اريد منك في هذه الليلة ان تجي. لي معك بكنافة عليها عسل نحل. فقال لها : الله تعالى يسهل لي حقها وانا اجي. بها لكِ في هذه الليلة . والله لم يكن معي دراهم في هذا اليوم ولكن ربنا يسهل

(الليلة الموفية للتسعين بعد التسعمائة) . فقالت لهُ : انا ما اعرف هذا الكلام

له: احمل مريضك. فحمله ومشى بواب الخان قدامه الى ان وصل الى زاوية. فرأى خلائق داخلين بالنذور وخلائق خارجين فرحانين. فدخل بواب الخان حتى وصل الى الستارة وقال: دستور يا شيخة راجحة خذي هذا المريض. فقالت: ادخله من داخل هذه الستارة. فقال له: ادخل. فدخل ونظر اليها فرآها زوجته التي جاء بها من مدينة الحجر فعرفها وعرفته وسلمت عليه وسلم عليها. فقال لها: من اتى بك الى هـذا المكان. فقالت له: لما رأيت اخويك رمياك في البحر وتخاصما عليَّ رميت روحي في البحر فتناولني شيخي الخضر ابو العبَّاس واتى بي الى هذه الزاوية واعطاني الاذن بشفاء المرضى ونادى في هذه المدينة: كل من كان فيهِ داء فعليهِ بالشيخة راجحة. وقال لي: اقيمي في هذا المكان حتى يؤون الاوان ويأتي اليكِ زوجكِ في هـذه الزاوية. فصار كل مريض يأتي اليَّ اكبسهُ فيصبح طيبًا. وشاع ذكري بين العالم واقبلت عليَّ النـاس بالنذور وعندي الخير كثير وانا في عزّ واكرام وجميع اهل هذه البلاد يطلبون مني الدعاء. ثم انها كبستهُ فشفي بقدرة الله تعالى. وكان الخضر عليهِ السلام يحضر عندها في كل ليلة جمعة. وكانت تلك الليلة التي اجتمع بها فيها ليلة الجمعة. فلما جنَّ الليـل جلست هي واياهُ بعد ما تعشيا من افخر المأكول ثم قعدا ينتظران حضور الخضر. فبينما هما جالسان واذا بهِ قد اقبل عليهما فحملهما من الزاوية ووضعهما في قصر عبد الله بن فاضل بالبصرة ثم تركهما وراح. فلما اصبح الصباح تأمل عبد الله في القصر فرآهُ قصره وعرفهُ وسمع النـاس في ضجة. فطلَّ من الشباك فرأى اخويه مصلوبين كل واحد منهما على خشبة. والسبب في ذلك انهما لما رمياهُ في البحر اصبحا يبكيان ويقولان: ان اخانا خطفتهُ الجنيَّة. ثم هيأا هدية وارسلاها الى الخليفة واخبراهُ بهذا الخبر وطلبا منهُ منصب البصرة. فارسل احضرهمـا عندهُ وسألهما فاخبراه كما ذكرنا. فاشتدَّ غضب الخليفة. فلما جنَّ الليل صلَّى ركعتين قبل الفجر على عادته وصاح على طوائف الجنّ فحضروا بين يديه طـائعين. فسألهم عن عبـد الله فحلفوا له انهُ لم يتعرض له احد منهم وقالوا له: ما عندنا خبر بهِ. فأتت سعيـدة بنت الملك الاحمر

البحر. فلما وقع في البحر سخر الله له درفيلاً كان معتاداً على مجيئه تحت ذلك القصر لان المطبخ كان فيه طاقة تشرف على البحر وكانوا كلما ذبحوا الذبائح يرمون تعاليقها في البحر من تلك الطاقة فيأتي ذلك الدرفيل ويلتقطها من على وجه الماء فاعتاد على ذلك المكان. وكانوا في ذلك اليوم قد رموا سقاطاً كثيراً بسبب الضيافة فاكل ذلك الدرفيل زيادة عن كل يوم وحصل له قوة. فلما سمع الخبطة في البحر اتى بسرعة فرآه ابن آدم فهداه الهادي وحمله على ظهره وشق به في وسط البحر ولم يزل ماشياً به حتى وصل الى البرّ من الجهة الثانية وألقاه على البرّ. وكان ذلك المكان الذي اطلعه فيه على قارعة الطريق. فمرّت به قافلة فرأوه مرمياً على جانب البحر فقالوا: هنا غريق القاه البحر على الشاطئ. واجتمع عليه جماعة من تلك القافلة يتفرجون عليه. وكان شيخ القافلة رجلاً من اهل الخير وعارفاً بجميع العلوم وخبيراً بعلم الطب وصاحب فراسة صادقة فقال لهم: يا ناس ما الخبر. فقالوا: هذا غريق ميت. فاقبل عليه وتأمله وقال: يا ناس هذا الشابّ فيه الروح وهذا من خيار اولاد الناس الاكابر وتربية العزّ والنعم وفيه الرجاء ان شاء الله تعالى. ثم انه اخذه والبسه بدلة وادفاه وصار يعالجه ويلاطفه مدة ثلاث مراحل حتى افاق. ولكن حصلت له خضة فغلب عليه الضعف وصار شيخ القافلة يعالجه بأعشاب يعرفها. ولم يزالوا مسافرين مدة ثلاثين يوماً حتى بعدوا عن البصرة بهذه المسافة وهو يعالجه. ثم دخل مدينة يقال لها مدينة عوج وهي في بلاد العجم فنزلوا في خان وفرشوا له ورقد فبات تلك الليلة وهو يئن وقد اقلق الناس من انينه. فلما اصبح الصباح اتى بواب الخان الى شيخ القافلة وقال: ما شأن هذا الضعيف الذي عندك فانه اقلقنا. فقال: هذا رأيته في الطريق على جانب البحر غريقاً فعالجته وعجزت ولم يشفَ. فقال له: اعرضه على الشيخة راجحة. فقال له: وما تكون الشيخة راجحة. فقال: عندنا بنت بكر شيخة وهي عذراء جميلة اسمها الشيخة راجحة. وكل من كان به داء يأخذونه اليها فيبيت عندها ليلة واحدة فيصبح معافىً ولم يكن فيه شيء يضرّه. فقال له شيخ القافلة: دلّني عليها. فقال

يا اخي اعلم اني انا اخوك ومرادي انك تجبر بخاطري انت واخي منصور وتأكلان ضيافتي في بيتي حتى افتخر بك ويقال ان الامير عبد الله اكل ضيافة اخيهِ ناصر لاجل ان يحصل لي بذلك جبر خاطر . فقال لهُ عبد الله : لا بأس يا اخي ولا فرق بيني وبينك وبيتك بيتي . ولكن حيث عزمتني فما يأبى الضيافة الأ اللئيم . ثم التفت الى اخيهِ منصور وقال لهُ : اتروح معي الى بيت اخيك ناصر وناكل ضيافته ونجبر بخاطره . فقال لهُ : يا اخي وحياة رأسك ما اروح معك حتى تحلف لي انك بعد ما تخرج من بيت اخي ناصر تدخل بيتي وتاكل ضيافتي . فهل ناصر اخوك وانا لست اخاك . فكما جبرت بخاطره تجبر بخاطري . فقال : لا بأس بذلك حبًا وكرامةً . فمتى خرجت من دار اخيك ادخل دارك وكما هو اخي انت اخي . ثم ان ناصرًا قبّل يد اخيهِ عبد الله ونزل من الديوان وعمل الضيافة . وفي ثاني يوم ركب عبد الله واخذ معهُ جملة من العسكر واخاه منصورًا وتوجه الى دار اخيــه ناصر فدخل وجلس هو وجماعته واخوه . فقدم لهم السماط ورحب بهم . فاكلوا وشربوا وتلذذوا وطربوا . وارتفعت السفرة والزبادي وغسلت الايادي . واقاموا ذلك اليوم على اكل وشرب وبسط ولعب الى الليل . فلما تعشَّوا صلّوا المغرب والعشاء . ثم جلسوا على منادمة وصار منصور يحكي حكاية وناصر يحكي حكاية وعبد الله يسمع . وكانوا في قصر وحدهم وبقية العسكر في مكان آخر . ولم يزالوا في نــكت وحكايات ونوادر واخبــار حتى ذاب قلب اخيهم عبد الله من السهر وغلب عليهِ النوم

(الليلة التاسعة والثمانون بعد التسعمائة) . فلما طــال عليهِ السهر واراد النوم فرشوا لهُ الفرش . ثم قلع ثيابه ونام . وناما بجانبه على فرش آخر وصبرا عليهِ حتى استغرق في النوم . فلما عرفا انهُ استغرق في النوم قاما وبركا عليهِ . فافاق فرآهما باركين على صدره فقال لهما : ما هذا يا اخويَّ . فقالا لهُ : ما نحن اخواك ولا نعرفك يا قليل الادب وقد صار موتك احسن من حياتك . وحطّا ايديهما في رقبته وخنقــاهُ . فغاب عن الدنيا ولم يبقَ فيهِ حركة فظنّا انهُ مات . وكان القصر على البحر فرمياهُ في

احباهُ بسبب بذل النصيحة لهما . ثم انهُ ركن اليهما وبالغ في اكرامهما . ومع اكرامه لهما ما ازدادا الّا حسدًا لهُ وبغضًا فيهِ . ثم ان اخويه ناصرًا ومنصورًا اجتمعا مع بعضهما فقال ناصر لمنصور: يا اخي الى متى ونحن تحت طاعة اخينـا عبد الله وهو في هذه السيادة والامارة . وبعد ما كان تاجرًا صار امـيرًا وبعد ما كان صغيرًا صار كبيرًا ونحن لم نكبر ولم يبقَ لنا قدر ولا قيمة . وها هو ضحك علينا وعملنا معينين لهُ . ما معنى ذلك . أليس اننا خدمته ومن تحت طاعته . وما دام طيبًا لا ترتفع درجتنا ولم يبقَ لنا شأن . فلا يتمّ غرضنا الّا ان قتلناهُ واخذنا امواله . ولا يمكن اخذ هذه الاموال الّا بعد هلاكه . فاذا قتلناهُ نسود ونأخذ جميع ما في خزائنه من الجواهر والمعادن والذخائر وبعد ذلك نقسمها بيننا . ثم نهيّء هدية للخليفة ونطلب منهُ منصب الكوفة وانت تكون نائب البصرة وانا اكون نائب الكوفـة او انك تكون نائب الكوفة وانا اكون نائب البصرة ويبقى لكل واحد منّا صورة وشأن . ولكن لا يتمّ لنا ذلك الّا اذا اهلكناهُ . فقال منصور: انك صادق فيما قلت . ولكن ماذا نصنع معهُ حتى نقتله . فقال: نعمل ضيافة عند احدنا ونعزمهُ فيهـا ونخدمهُ غاية الخدمة ثم نسامرهُ بالكلام ونحـكي لهُ حكايات ونـكتًا ونوادر الى ان يذوب قلبه من السهر ثم نفرش لهُ حتى يرقد . فاذا رقد نبركِ عليهِ وهو نائم فنخنقهُ ونرميهِ في البحر ونصبح نقول : ان اخته الجنيَّة أتتهُ وهو قاعد يتحدث بيننا وقالت لهُ : يا قطاعة الانس ما مقدارك حتى تشكوني الى امـير المؤمنين اتظنّ اننا نخاف منهُ فـكما انهُ ملك نحن ملوك وان لم يلزم ادبه في حقنا قتلناهُ اقبح قتـلة ولكن بقيت انا اقتلك حتى ننظر ما يخرج من يد امير المؤمنين . ثم خطفتهُ وشقّت الارض ونزلت بهِ . فلما رأينا ذلك غشي علينا ثم استفقنا ولم ندرِ ما حصل لهُ . وبعد ذلك نرسل الى الخليفة ونعلمهُ فانهُ يولينا مكانه . وبعد مدَّة نرسل الى الخليفـة هدية سنية ونطلب منـهُ حكم الكوفة وواحد منّا يقيم في البصرة والآخر يقيم بالكوفة وتطيب لنا البلاد ونقهر العباد ونبلغ المراد . فقال لهُ : نعمَ ما اشرت بهِ يا اخي . ثم اتفقا على قتل اخيهما . وصنع ناصر ضيافة وقال لاخيهِ عبد الله :

وداريت كل الناس لكنَّ حاسدي مداراته شطّت وعزَّ نوالها
وكيف يداري المرء حاسد نعمةٍ اذا كان لا يرضيه الَّا زوالها

ثم انهُ اعطى كل واحد منهما سرية ليس لها نظير وجعلهما بخدم وحشم وجوارٍ وعبيد سود وبيض من كل نوع اربعين. واعطى كل واحد منهما خمسين جوادًا من الخيل الجياد وصار لهما جماعة واتباع . ثم انهُ عيَّن لهما الخراج ورتّب لهما الرواتب وجعلهما معينين لهُ .

(الليلة الثامنة والثانون بعد التسعمائة) . وقال لهما : يا اخويَّ انا وانتما سواء. ولا فرق بيني وبينكما فالحكم بعد الله والخليفة لي ولكما فاحكما في البصرة في غيابي وحضوري وحكمكما نافذ. ولكن عليكما بتقوى الله في الاحكام واياكما والظلم فانهُ ان دام دمَّر . وعليكما بالعدل فانهُ ان دام عمَّر . ولا تظلما العباد فيدعوا عليكما وخبركما يصل الى الخليفة فتحصل فضيحة في حقي وحقكما فلا تتعرَّضا لظلم احد . والذي تطمعان فيهِ من اموال الناس خذاهُ من مالي زيادة على ما تحتاجان اليهِ. ولا يخفى عليكما ما ورد في الظلم من محكم الآيات. ولله درّ من قال هذه الابيات :

الظلم في نفس الفتى كامنٌ وليس الَّا العجز يخفيهِ
ذو العقل لا ينهض في حاجةٍ حتى يرى الوقت يوافيهِ
لسان من يعقل في قلبه وقلب من يجهل في فيهِ
من لم يكن اكبر من عقله يقتله اصغر ما فيهِ
اصل الفتى خافٍ ولكنهُ من فعله يظهر خافيهِ
من لم يكن عنصرهُ طيبًا لا يظهر الطيّب من فيهِ
من قلَّد الاحمق في فعله كان لذي الجهل مساويهِ
ومن اطلع الناس على سرّه تنبَّهت لهُ اعاديهِ
يكفي الفتى ما كان من شأنه وتركهُ ما ليس يعنيهِ

ثم انهُ صار يعظ اخويه ويأمرهما بالعدل وينهاهما عن الظلم حتى ظنَّ انهما

نائب البصرة مع الكلاب وهو اكبر من الوزير . ورموا ما فضل من السفرة وقالوا: لا نأكل ما بقي من الكلاب . وصاروا يسفّهون رأيي وانا اسمع كلامهم ولا اردّ عليهم جواباً لعدم معرفتهم انهم اخواي . ثم صرفتهم عند ما جاء وقت النوم وطابت النوم . فما اشعر الّا والارض قد انشقت وخرجت سعيدة بنت الملك الاحمر وهي غضبانة عليَّ وعيناها مثل النار . ثم اخبر الخليفة بجميع ما وقع منها ومن ابيها وكيف اخرجتها من الصورة الكلبية الى الصورة البشرية . ثم قال: وها هما بين يديك يا امير المؤمنين . فالتفت الخليفة فرآهما شابين كالقمرين فقال الخليفة: جزاك الله عني خيراً يا عبد الله حيث اعلمتني بفائدةٍ ما كنت اعلمها . ان شاء الله تعالى لا اترك صلاة هاتين الركعتين قبل طلوع الفجر ما دمت حيًّا . ثم انهُ عنَّف اخوي عبد الله بن فاضل على ما سلف منهما في حقه . فاعتذرا قدام الخليفة . فقال لهم: تصالحوا وسامحوا بعضكم بعضاً وعفا الله عمّا سلف . ثم التفت الى عبد الله وقال: يا عبد الله اجعل اخويك معينين لك وتوصَّ بهما . واوصاهما بطاعة اخيهما . ثم انعم عليهم وامرهم بالارتحال الى مدينة البصرة بعد ان اعطاهم انعاماً جزيلًا . فنزلوا من ديوان الخليفة مجبورين . وفرح الخليفة بهذه الفائدة التي استفادها من هذه الحركة وهي المداومة على صلاة ركعتين قبل الفجر وقال: صدق من قال مصائب قومٍ عند قومٍ فوائدُ . هذا ما كان من امرهم مع الخليفة

واما ما كان من امر عبد الله بن فاضل فانهُ سافر من مدينة بغداد ومعهُ اخواه بالاعزاز والاكرام ورفع المقام الى ان دخلوا مدينة البصرة . فخرج الاكابر والاعيان للاقاتهم وزينوا لهم المدينة وادخلوهم بموكب ليس لهُ نظير . وصار الناس يدعون لهُ وهو ينثر الذهب والفضة . وصار جميع الناس ضاجين بالدعاء لهُ ولم يلتفت احد الى اخويه . فدخلت الغيرة والحسد في قلوبهما . ومع ذلك كان عبد الله يداريهما مداراة العين الرمداء . وكلما داراهما لا يزدادان الّا بغضاً لهُ وحسداً فيهِ . وقد قيل في هذا المعنى:

الشيطان ورميناك في البحر وقع الخلاف بيننا وصار كلٌّ منّاً يقول: انا اتزوّج بها . فلما سمعتْ كلامنا ورأت اختلافنا وعرفتْ انا رميناك في البحر طلعت من الخزانة وقالت: لا تختصما من اجلي فاني لست لواحد منكما ان زوجي راح في البحر وانا اتبعهُ . ثم انها رمت روحها في البحر وماتت . فقال: انها ماتت شهيدة . فلا حول ولا قوة الا بالله العليّ العظيم . ثم انهُ بكى عليها بكاء شديداً وقال لهما : لا يصحّ منكما ان تفعلا هذه الفعال وتعدماني زوجتي . فقالا : اننا اخطأْنا وربُّنا جازانا على فعلنا وهذا شيء قدَّرهُ الله علينا قبل ان يخلقنا . فقبل عذرهما . ثم ان سعيدة قالت : أيفعلان معك كل هذه الفعال وانت تعفو عنهما . فقال: يا اختي من قدر وعفا كان اجره على الله . فقالت : خذ حذرك منهما فانهما خائنان . ثم ودَّعتهُ وانصرفت الى حال سبيلها

(الليلة السابعة والثمانون بعد التسعمائة) . فبات عبد الله بقية تلك الليلة هو واخواه على اكل وشرب وبسط وانشراح صدر . فلما اصبح الصباح ادخلهما الحمام . وعند خروجهما من الحمام ألبس كل واحد منهما بدلة تساوي جملة من المال . ثم انهُ طلب سفرة طعام فقدموها بين يديه فاكل هو واخواه . فلما نظرهما الخدام وعرفوا انهما اخواه سلموا عليهما وقالوا للامير عبد الله : يا مولانا هنأك الله باجتماعك على اخويك العزيزين واين كانا في هذه المدَّة . فقال لهم : هما اللذان رأيتموهما في صورة كلبين والحمد لله الذي خلصهما من السجن والعذاب الاليم . ثم انهُ اخذهما وتوجه الى ديوان الخليفة هارون الرشيد ودخل بهما عليه وقبل الارض بين يديه ودعا لهُ بدوام العزّ والنعم وازالة البؤس والنقم . فقال لهُ الخليفة : مرحباً بك يا امير عبد الله اخبرني بما جرى لك . فقال : يا امير المؤمنين اعزّ الله قدرك اني لما اخذت اخويَّ وذهبت بهما الى منزلي اطمأنيت عليهما بسببك حيث تكفلت بخلاصهما وقلت في نفسي : ان الملوك لا يعجزون عن امر يجتهدون فيهِ فان العناية تساعدهم . ثم نزعتُ الاغلال من رقابهما وتوكلت على الله واكلت انا واياهما على السفرة . فلما رآني اتباعي آكل معهما وهما في صورة كلبين استخفُّوا عقلي وقالوا لبعضهم : لعلَّهُ مجنون . كيف يأكل

المؤمنين . ثم ان سعيدة دخلت على ابيها واخبرتهُ بالخبر وعرضت عليهِ مرسوم امير المؤمنين . فقبلهُ ووضعهُ على رأسه ثم قرأهُ وفهم ما فيهِ وقال : يا بنتي ان امر ملك الانس علينا ماضٍ وحكمه فينا نافذ ولا نقدر ان نخالفهُ . فامضي الى الرجلين وخلصيهما في هذه الساعة وقولي لهما : انتما في شفاعة ملك الانس . فانهُ ان غضب علينا اهلكنا عن آخرنا فلا تحملينا ما لا نطيق . فقالت لهُ : يا ابتِ اذا غضب علينا ملك الانس ماذا يصنع بنا . فقال لها : يا بنتي انهُ يقدر علينا من وجوه . الاول انهُ من البشر فهو مفضل علينا . والثاني انهُ خليفة الله . والثالث انهُ مصرّ على ركعتي الفجر . فلو اجتمعت عليهِ طوائف الجنّ من السبع ارضين لا يقدرون ان يصنعوا بهِ مكروهاً . فانهُ ان غضب علينا يصلّي ركعتي الفجر ويصيح علينا صيحة واحدة فنجتمع بين يديه طائعين ونصير كالغنم بين يدي الجزَّار ان شاء يأمرنا بالرحيل من اوطاننا الى ارض موحشة لا نستطيع المكث فيها وان شاء هلاكنا امرنا بهلاك انفسنا فيهلك بعضنا بعضاً . فنحن لا نقدر على مخالفة امره فان خالفنا امره احرقنا جميعاً وليس لنا مفرّ من بين يديه . وكذلك كل عبد داوم على ركعتي الفجر فان حكمه نافذ فينا . فلا تتسببي في هلاكنا من اجل رجلين بل امضي وخلصيهما قبل ان يحيق بنا غضب امير المؤمنين . فرجعت الى عبد الله بن فاضل واخبرتهُ بما قال ابوها وقالت لهُ : قبّل لنا ايادي امير المؤمنين واطلب لنا رضاه . ثم انها اخرجت الطاسة ووضعت فيها الماء وعزَّمت عليها وتكلمت بكلمات لا تفهم . ثم رشتهما بالماء وقالت : اخرجا من الصورة الكلبية الى الصورة البشرية . فعادا بشرَين كما كانا اولاً وانفكّ عنهما رصد السحر وقالا : نشهد ان لا اله الّا الله ونشهد ان محمداً رسول الله . ثم انهما وقعا على يد اخيهما وعلى رجليهِ يقبلانهما ويطلبان منهُ السماح . فقال لهما : سامحاني انتما . ثم انهما تابا توبة نصوحاً وقالا : قد غرَّنا ابليس اللعين واغوانا الطمع وربُّنا جازانا بما نستحقهُ والعفو من شيم الكرام . وصارا يستعطفان اخاهما ويبكيان ويتندمان على ما وقع منهما . ثم انهُ قال لهما : ما فعلتما بزوجتي التي جئت بها من مدينة الحجر . فقالا : لما اغوانا

ناكل فضلة الكلاب. ثم اخذوا السفرة بما فيها ورموها وقالوا: انها نجسة. هذا ما كان من امرهم

واما ما كان من امر عبد الله بن فاضل فانهُ لم يشعر الّا والارض قد انشقَّت وطلعت سعيدة وقالت: يا عبد الله لايّ شيء. ما ضربتهما في هذه الليلة ولايّ شيء. نزعت الاغلال من اعناقهما. هل فعلت ذلك عنادًا لي او استخفافًا بأمري. ولكن انا الآن اضربك واسحرك كلبًا مثلهما. فقال لهـا: يا سيدتي اقسمت عليكِ بالنقش الذي على خاتم سيدنا سليمان بن داود عليهما السلام ان تحلمي عليَّ حتى اخبركِ بالسبب ومها اردتهِ بي فافعليهِ. فقالت لهُ: اخبرني. فقال لها: امَّا سبب عدم ضربهما فان ملك الانس الخليفة امير المؤمنين هارون الرشيد امرني ان لا اضربهما في هذه الليلة. وقد اخذ عليَّ مواثيق وعهودًا على ذلك وهو يقرئكِ السلام واعطاني مرسومًا بخطّ يده وامرني ان اعطيكِ اياهُ. فامتثلت امره واطعته. وطاعة امير المؤمنين واجبة وها هو المرسوم فخذيهِ واقرئيهِ وبعد ذلك افعلي مرادكِ. فقالت: هاته. فناولها المرسوم. ففتحتهُ وقرأتهُ فرأت مكتوبًا فيهِ: بسم الله الرحمن الرحيم. من ملك الانس هارون الرشيد الى بنت ملك الاحمر سعيدة. اما بعدُ فان هذا الرجل قد سامح اخويه واسقط حقه عنهما وقد حكمت عليهم بالصلح. واذا وقع الصلح ارتفع العقاب. فان اعترضتمونا في احكامنا اعترضناكم في احكامكم وخرقنا قانونكم. وان امتثلتم امرنا ونفَّذتم احكامنا فاننا ننفذ احكامكم. وقد حكمت عليكِ بعدم التعرُّض لهما. فان كنتِ تؤمنين بالله ورسوله فعليكِ بطاعة وليّ الامر. وان عفوتِ عنهما فانا اجازيكِ بما يقدّرني عليهِ ربي. وعلامة الطاعة ان ترفعي سحركِ عن هذين الرجلين حتى يقابلاني في غد خالصين. وان لم تخلصيهما فانا اخلصهما قهرًا عنكِ بعون الله تعالى. فلما قرأت ذلك الكتاب قالت: يا عبد الله لا افعل شيئًا حتى اذهب الى ابي واعرض عليهِ مرسوم ملك الانس وارجع اليك بالجواب بسرعة. ثم اشارت بيدهـا الى الارض فانشقت ونزلت فيهـا. فلما ذهبت طار قلب عبد الله فرحًا وقال: اعزَّ الله امير

في نفسه : يا ترى ما الذي يصنعه الخليفة في حق بنت سلطان الجن اذا كانت تخالفه وتضربني في هذه الليلة . ولكن انا اصبر على ضربي علقة واريح اخويَّ في هذه الليلة ولو كان يحصل لي من اجلهما العذاب . ثم انهُ تفكر في نفسه وقال لهُ عقلـه : لولا ان الخليفة مستند الى سند عظيم ما كان يمنعك عن ضربهما . ثم انهُ دخل منزله ونزع الاغلال من رقاب اخويه وقال : توكلت على الله . وصار يأخذ بخاطرهما ويقول لهما : لا باس عليكما فان الخليفة السادس (الخامس) من بني العباس قد تكفل بخلاصكما وانا قد عفوت عنكما وان شاء الله تعالى يكون الاوان قد آن وتخلصان في هذه الليلة المباركة فابشرا بالهناء والسرور

(الليلة السادسة والثمانون بعد التسعمائة) . فلما سمعا هذا الكلام صارا يعويان مثل عيّ الكلاب ويمرغان خدودهما على اقدامه كانهما يدعوان لهُ ويتواضعان بين يديه . فحزن عليهما وصار يلمس بيده على ظهورهما الى ان جاء وقت العشاء . فلما وضعوا السفرة قال لهما : اجلسا . فجلسا يأكلان معهُ على السفرة . فصارت اعوانه باهتين يتعجبون من اكله مع الكلاب ويقولون : هل هو مجنون او مختلّ العقل . كيف ياكل نائب مدينة البصرة مع الكلاب وهو اكبر من وزير . اما يعلم ان الكلب نجس . وصاروا ينظرون الى الكلبين وهما يأكلان معهُ اكل الحشمة ولا يعلمون انهما اخواه . وما زالوا يتفرجون على عبد الله والكلبين حتى فرغوا من الأكل . ثم ان عبد الله غسل يديه . فمدَّ الكلبان ايديهما وصارا يغسلان . وكل من كان واقفاً صار يضحك عليهما ويتعجب ويقولون لبعضهم : عمرنا ما رأينا الكلاب تاكل وتغسل ايديها بعد اكل الطعام . ثم انهما جلسا على المراتب بجنب عبد الله بن فاضل . ولم يقدر احد ان يسألهُ عن ذلك . واستمرَّ الامر هكذا الى نصف الليل . ثم صرف الخدام وناموا ونام كل كلب على سرير . وصار الخدام يقولون لبعضهم : انهُ نام ونام معهُ الكلبان . وبعضهم يقول : حيث اكل مع الكلاب على السفرة فلا بأس اذا ناما معهُ وما هذا الّا حال المجانين . ثم انهم لم يأكلوا ممّا بقي في السفرة من الطعام شيئاً وقالوا : كيف

حرارتها بقية عمري . فمن ذلك الوقت لم اقطع عنها الضرب مدة خلافة المهدي . ولما توفي المهدي وتوليت انت بعده ارسلت اليَّ تقرير الاستمرار على مدينة البصرة . وقد مضى لي اثنا عشر عاماً وانا في كل ليلة اضربهما قهراً عني وبعد ما اضربهما آخذ بخاطرهما واعتذر اليهما واطعمهما واسقيهما وهما محبوسان . ولم يعلم بهما احد من خلق الله تعالى حتى ارسلت اليَّ أبا اسحق النديم من اجل الخراج فاطَّلع على سرّي ورجع اليك فاخبرك فارسلتَ ثانياً تطلبني وتطلبهما فاجبت بالسمع والطاعة واتيت بهما بين يديك . ولما سألتني عن حقيقة الامر اخبرتك بالقصة وهذه حكايتي

فعند ذلك تعجب الخليفة هارون الرشيد من حال هذين الكلبين ثم قال : وهل انت في هذه الحالة سامحت اخويك مما صدر منهما في حقك وعفوت عنهما ام لا . فقال : يا سيدي سامحهما الله وابرأ ذمتهما في الدنيا والآخرة وانا محتاج لكونهما يسامحاني لانهُ مضى لي اثنا عشر عاماً وانا اضربهما كل ليلة علقة . فقال لهُ الخليفة : يا عبد الله ان شاء الله تعالى انا اسعى في خلاصهما ورجوعهما آدميين كما كانا اولاً واصلح بينكم وتعيشون بقية اعماركم اخوة متحابين وكما انك سامحتهما يسامحانك . فخذهما وانزل الى منزلك . وفي هذه الليلة لا تضربهما وفي غد ما يكون الا الخير . فقال لهُ . يا سيدي وحياة رأسك ان تركتهما ليلة واحدة من غير ضرب تأتيني سعيدة وتضربني وانا ما لي جسد يتحمل ضرباً . فقال لهُ : لا تخف فانا اعطيك خط يدي . فاذا اتتك سعيدة فاعطها الورقة . فاذا قرأتها وعفت عنك كان الفضل لها . وان لم تطع امري كان امرك الى الله . ودعها تضربك علقة وقدّر انك نسيتهما من الضرب ليلة وضربتك بهذا السبب . واذا حصل ذلك وخالفتني فان كنت انا امير المؤمنين فاني اعمل خلاصي معها . ثم ان الخليفة كتب لها قطعة ورقة مقدار اصبعين وبعد ما كتبها ختمها وقال : يا عبد الله اذا اتتك سعيدة فقل لها : ان الخليفة ملك الانس امرني بعدم ضربهما وكتب لي هذه الورقة وهو يقرئكِ السلام . واعطها المرسوم ولا تخشَ بأساً . ثم اخذ عليهِ العهد والميثاق انهُ لا يضربهما . فأخذهما وراح بهما الى منزله وقال

اضربهما. فقلت لها. سمعاً وطاعةً. ثم انها قالت لي: اربطهما في الحبال حين تدخل البصرة. فحطيت في رقبة كل واحد منهما حبلاً ثم ربطتهما في الصاري وتوجهت هي الى حال سبيلها. وفي ثاني يوم دخلنا البصرة وطلع التجار لمقابلتي وسلموا عليَّ ولم يسأل احد عن اخويَّ. وانما صاروا ينظرون الى الكلاب ويقولون لي: يا فلان ماذا تصنع بهذين الكلبين اللذين جئت بهما معك. فاقول لهم: اني ربيتهما في هذه السفرة وجئت بهما معي. فيضحكون عليهما ولم يعرفوا انهما اخواي. ثم اني حطيتهما في خزنةٍ والتهيت تلك الليلة في توزيع الاحمال التي فيها القماش والمعادن. وكان عندي التجار لاجل السلام فاشتغلت بهم ولم اضربهما ولم اربطهما بالسلاسل ولم اعمل معهما ضرراً. ثم نمت فما اشعر الّا وقد اتتني سعيدة بنت الملك الاحمر وقالت لي: اما قلت لك حطَّ في رقابهما السلاسل واضرب كل واحد منهما علقة. ثم انها قبضت عليَّ واخرجت السوط وضربتني علقة حتى غبت عن الوجود. وبعد ذلك ذهبتُ الى المكان الذي فيه اخواي وضربت كل واحد منهما علقة بالسوط حتى اشرف على الموت. وقالت: كل ليلة اضرب كل واحد منهما علقة مثل هذه العلقة وان مضت ليلة ولم تضربهما فانا اضربك. فقلت: يا سيدتي في غد احط السلاسل في رقابهما والليلة الآتية اضربهما ولا ارفع الضرب عنهما ليلة واحدة. فاكدت عليَّ في الوصية بضربهما. فلما اصبح الصباح لم يهن عليَّ ان اضع السلاسل في رقابهما فذهبت الى صائغ وامرتهُ ان يعمل لهما اغلالاً من الذهب فعملها وجئت بها ووضعتها في رقابهما وربطتهما كما امرتني. وفي ثاني ليلة ضربتهما قهراً عني. وكانت هذه الحركة في مدة خلافة المهدي الخامس (١) من بني العباس وقد اصطحبت معهُ بارسال الهدايا فقلدني ولايةً وجعلني نائباً في البصرة. ودمت على هذه الحالة مدة من الزمان. ثم اني قلت في نفسي: لعل غيظها قد برد فتركتهما ليلة من غير ضرب. فاتتني وضربتني علقة لم انسَ

(١) كذا في الاصل. والصواب ان المهدي هو الثالث من بني العباس والهادي الرابع والرشيد الخامس

يقول: ما يأخذها غيري. واستمرّا على الخصام مع بعضهما ولم يتذكرا اخاهما ولا غرقه وزال حزنهما عليهِ

(الليلة الخامسة والثمانون بعد التسعمائة) . فبينما هما في هذه الحالة واذا بسعيدة نزلت بي في وسط الغليون فرآني اخواي فعانقاني وفرحا بي وصارا يقولان: يا اخانا كيف حالك فيما جرى لك ان قلبنا مشغول عليك. فقالت سعيدة: لو كان قلبكما عليهِ او كنتما تحبانه ما كنتما رميتماهُ في البحر وهو نائم. ولكن اختارا لكما موتة تموتانها. وقبضت عليهما وارادت قتلهما فصاحا وقالا: في عرضك يا اخانا. فصرت اتداخل عليها واقول لها: انا واقع في عرضكِ لا تقتلي اخويَّ. وهي تقول: لا بدَّ من قتلهما انهما خائنان. فما زلت الاطفها واستعطفها حتى قالت: من شأن خاطرك لا اقتلهما ولكن اسحرهما. ثم اخرجت طاسة وحطت فيها ماء من ماء البحر وتكلمت عليها بكلام لا يفهم وقالت: اخرجا من الصورة البشرية الى الصورة الكلبية. ثم رشتهما بالماء فانقلبا كلبين كما تراهما يا خليفة الله. ثم التفت اليهما وقال: احقٌّ ما قلتهُ يا اخويَّ. فنكسا رؤوسهما كانهما يقولان لهُ: صدقت. ثم قال: يا امير المؤمنين وبعد ان سحرتهما كلبين قالت لمن كان في الغليون: اعلموا ان عبد الله بن فاضل هذا صار اخي وانا اشق عليهِ كل يوم مرة او مرتين وكل من خالفه منكم او عصى امره او آذاه باليد او اللسان فاني افعل بهِ ما فعلت بهذين الخائنين واسحره كلباً حتى ينقضي عمره وهو في صورة الكلب ولم يجد لهُ خلاصاً. فقال لها الجميع: يا سيدتي نحن كلنا عبيده وخدمه ولا نخالفه. ثم انها قالت لي: اذا دخلت البصرة تفقد جميع مالك فان كان نقص منهُ شيء. فاعلمني وانا اجيء لك بهِ من اي شخص كان ومن اي مكان كان ومن كان آخذاً له اسحره كلباً. ثم بعد ان تخزن اموالك حطَّ في رقبة كل واحد من هذين الخائنين غلّاً واربطهما في ساق السرير واجعلهما في سجن وحدهما وكل ليلة في نصف الليل انزل اليهما واضرب كل واحد منهما علقة حتى يغيب عن الوجود. وان مضت ليلة ولم تضربهما فاني اجيء اليك واضربك علقة وبعد ذلك

وصار يقفو اثري ويتبعني اينما رحت ومراده ان يقتلني . وقد وقع بينهُ وبين ابي حروب عظيمة ومشقات جسيمة ولم يقدر عليهِ ابي لكونهُ جبارًا مكارًا . ثم ان ابي كلما ضايقه واراد ان يظفر بهِ يهرب منهُ وقد عجز ابي . وصرت انا في كل يوم انقلب اشكالاً والوانًا وكلما أنقلب في صفة ينقلب هو في صفة ضدها وكلما هربت الى ارض بشمّ رائحتي ويلحقني في تلك الارض حتى قاسيت منهُ مشقة عظيمة . ثم انقلبت في صفة حية وذهبت الى ذلك الجبل فانقلب هو في صفة ثعبان وتبعني فيهِ فوقعت في يده وعالجني وعالجته حتى اتعبني وكاد يقتلني فاتيت انت وضربتهُ بالحجر فقتلتهُ . وانا انقلبت بنتًا واريتك روحي وقلت لك: انهُ صار لك عليَّ جميل لا يضيع الّا مع اولاد الزنا . فلما رأيت اخويك فعلا بك هذه المكيدة ورمياك في البحر بادرت اليك وخلصتك من الهلاك ووجب لك الاكرام من أُمي وابي . ثم انها قالت: يا امي اكرميهِ في نظير ما ستر عرضي . فقالت: مرحبًا بك يا انسي فانك فعلت معنا جميلًا تستحق عليهِ الاكرام . وامرت لي ببدلة كنوزية تساوي جملة من المال واعطتني جملة من الجواهر والمعادن . ثم انها قالت: خذوه وادخلوه على الملك . فاخذوني وادخلوني على الملك في الديوان . فرأيتهُ جالسًا على كرسي وبين يديه المردة والاعوان فلما رأيتهُ زاغ بصري مما رأيتهُ عليهِ من الجواهر . فلما رآني قام على الاقدام وقامت العساكر اجلالاً لهُ . ثم حيَّاني ورحب بي واكرمني غاية الاكرام واعطاني مما عنده من الخيرات . وبعد ذلك قال لبعض اتباعه: خذوه الى بنتي توصله الى المكان الذي جاءت بهِ منهُ . فاخذوني وذهبوا بي الى سعيدة بنته . فحملتني ثم طارت بي وبما معي من الخيرات . هذا ما كان من امري وامر سعيدة

واما ما كان من امر رئيس الغليون فانهُ افاق على الخبطة حين رمياني في البحر فقال: ما الذي وقع في البحر . فبكى اخواي وصارا يخبطان على صدورهما ويقولان: يا ضيعة اخينا فانهُ اراد ان يزيل ضرورة في جانب الغليون فوقع في البحر . ثم انهما وضعا ايديهما على مالي . ووقع بينهما الاختلاف من جهة البنت وصار كل واحد منهما

شيءٍ. تفعلان معي هذه الفعال. فقالا: يا قليل الادب كيف تبيع خاطرنا ببنت. فنحن نرميك في البحر من اجل ذلك. ثم رمياني فيهِ. ثم انهُ التفت الى الكلبين وقال: أحقّ ما قلتهُ يا اخويَّ ام لا. فنكسا رؤوسهما وصارا يعويان كانهما يصدقان قوله. فتعجب الخليفة من ذلك. ثم قال: يا امير المؤمنين فلما رمياني في البحر وصلت الى القرار ثم نفضني الماء على وجه البحر. فما اشعر الّا وطائر كبير قدر الآدمي نزل عليَّ وخطفني وطار بي في الجو الاعلى. ففتحت عيني فرأيت روحي في قصر مشيد الاركان عالي البنيان منقوش بالنقوشات الفاخرة وفيهِ تعاليق الجواهر من سائر الاشكال والالوان وفيهِ جوارٍ واقفة واضعة الايادي على الصدور. واذا بامرأة جالسة بينهنَّ على كرسي من الذهب الاحمر مرصع بالدر والجوهر وعليها ملابس لا يقدر الانسان ان يفتح عينه فيها من شدة ضياء الجواهر وفي وسطها حزام من الجواهر لا يفي بثمنه مال وعلى رأسها تاج ثلاث دورات يحير العقول والافكار ويخطف القلوب والابصار. ثم ان الطير الذي كان خطفني انتفض فصار صبية كانها الشمس المضيئة. فامعنت النظر فيها فاذا هي التي كانت في الجبل بصفة حية وكان الثعبان يقاتلها وانا حين رأيت الثعبان قهرها وغلب عليها قتلته بالحجر. فقالت لها المرأة التي هي جالسة على الكرسي: لاي شيءٍ جئتِ هنا بهذا الانسي. فقالت لها: يا امي ان هذا هو الذي كان سبباً في ستر عرضي بين بنات الجان. ثم قالت لي: هل تعرف من انا. قلت: لا. قالت: انا التي كنت في الجبل الفلاني وكان الثعبان الاسود يقاتلني ويريد هتك عرضي وانت قتلتهُ. فقلت: انما رأيت مع الثعبان حية بيضاء. فقالت: انا التي كنت حية بيضاء ولكني بنت الملك الاحمر ملك الجان واسمي سعيدة وهذه الجالسة هي امي واسمها مباركة زوجة الملك الاحمر والثعبان الذي كان يقاتلني ويريد هتك عرضي هو وزير الملك الاسود واسمهُ درفيل وهو قبيح الخلقة. واتفق انهُ لما رآني عشقني ثم انهُ خطبني من ابي. فارسل اليهِ ابي يقول لهُ: وما مقدارك يا قطاعة الوزراء حتى تتزوج بنات الملوك. فاغتاظ من ذلك وحلف يميناً انهُ لا بدَّ ان يقتلني كيداً في ابي.

لي ورضوا بما اعطيتهُ لهم الّا اخويَّ فانهما تغيرت احوالهما ولاجت عيونهما . فلحظت ن الطمع تمكن منهما فقلت لهما: يا اخويَّ اظن ان الذي اعطيتـه لكما لم يقنعكما . ولكن انا اخوكما وانتما اخواي ولا فرق بيني وبينكما ومالي ومالكما شيء واحد واذا متّ لا يرثني غيركما . وصرت آخذ بخاطرهما . ثم اني انزلت البنت في الغليون وادخلتها في الخزانة وارسلت لها شيئًا تأكله وقعدت اتحدث انا واخواي . فقالا لي: يا اخانا ما مرادك ان تفعل بهذه البنت البديعة الجمال . فقلت لهما: مرادي ان اكتب كتابي عليها اذا دخلت البصرة واعمل فرحًا عظيمًا وادخل بهـا هناك . فقال بعضهما : يا اخي اعلم ان هذه الصبية بديعة الحسن والجمال وقد وقعت محبتها في قلبي فمرادي ان تعطيها لي فاتزوج بها انا . وقال الثاني: وانا الآخر كذلك فاعطها لي لاتزوَّج بها . فقلت لهما: يا اخويّ انها قد اخذت عليَّ عهدًا وميثاقًا اني اتزوج بها . فاذا اعطيتهـا لواحد منكما اكون ناقضًا للعهد الذي بيني وبينها وربما يحصل لها كسر خاطر لانها ما اتت معي الّا على شرط اني اتزوج بها فكيف ازوجها لغيري . واما من جهة انكما تحبانها فانا احبها اكثر منكما على انها لقطتي . وكوني اعطيها لواحد منكما هذا شيء لا يكون ابدًا . ولكن اذا دخلنا مدينة البصرة بالسلامة انظر لكما بنتين من خيار بنات البصرة واخطبهما لكما وادفع المهر من مالي واجعل الفرح واحدًا وندخل نحن الثلثة في ليلة واحدة واعرضا عن هذه البنت فانها من نصيبي . فسكتا وقد ظننت انهما رضيا بما قلت لهما . ثم اننا سافرنا متوجهين الى ارض البصرة وصرت ارسل اليها ما تاكل وما تشرب وهي لا تخرج من خزانة المركب وانا انام بين اخويَّ على ظهر الغليون . ولم نزل مسافرين على هذه الحالة مدة اربعـين يومًا حتى بانت لنا مدينـة البصرة ففرحنا باقبالنا عليها وانا راكن الى اخويَّ ومطمئن بهما ولا يعلم الغيب الّا الله تعالى . فنمت تلك الليلة فبينما انا مستغرق في النوم لم اشعر الّا وانا محمول بين ايادي اخويَّ هذين واحد قابض عليَّ من سيقاني والآخر من يديَّ لكونهما اتفقا على تغريقي في البحر من شأن تلك البنت . فلما رأيت روحي محمولاً بين ايديهما قلت: يا اخويَّ لاي

السلام يأتيني كل جمعة وهو الذي عرَّفني باسمك وبشرني بانك سوف تأتيني في هذا المكان . وقد قال لي : اذا اتاكِ فاكرميه واطيعي امره ولا تخالفيهِ وكوني له اهلًا ويكون لكِ بعلًا واذهبي معهُ حيث شاء . فلما رأيتك عرفتك . وهذا هو خبر هذه المدينة واهلها والسلام . ثم انها ارتني شجرة الرمان وفيها رمانة فاكلت نصفها واطعمتني نصفها فما رأيت احلى ولا ازكى ولا اطعم من تلك الرمانة . ثم قلت لها : هل رضيتِ بما امركِ بهِ شيخكِ الخضر عليهِ السلام بان تكوني لي اهلًا واكون لكِ بعلًا وتذهبي معي الى بلادي وامكث بكِ في مدينة البصرة . فقالت : نعم ان شاء الله تعالى فاني سميعة لقولك مطيعة لامرك من غير خلاف . ثم اني اخذت عليها العهد الوثيق وادخلتني الى خزانة ابيها واخذنا منها على قدر ما استطعنا حمله وخرجنا من تلك المدينة ومشينا حتى وصلنا الى اخويَّ فرأيتهما يفتشان عليَّ . فقالا لي : اين كنت فانك ابطأت علينا وقلبنا مشغول بك . واما رئيس المركب فانهُ قال لي : يا تاجر عبد الله ان الريح طابت لنا من مدة وانت عوقتنا عن السفر . فقلت لهُ : لا ضرر في ذلك ولعلَّ التأخير خير لان غيابي لم يكن فيهِ الَّا صلاح وقد حصل لي فيهِ بلوغ الآمال . ولله درُّ من قال :

وما ادري اذا يممت ارضًا اريد الخير ايهما يليني
أَالخير الذي انا ابتغيهِ ام الشرّ الذي هو يبتغيني

ثم قلت لهم : انظروا ما حصل لي في هذه الغيبة . وفرَّجتهم على ما معي من الذخائر واخبرتهم بما رأيت في مدينة الحجر وقلت لهم : لو كنتم اطعتموني ورحتم معي كان يحصل لكم من هذا شيء كثير

(الليلة الرابعة والثامنون بعد التسعمائة) . فقالوا لهُ : والله لو رحنا ما كنا نستجرئ ان ندخل على ملك المدينة . فقلت لاخويَّ : لا بأس عليكما فالذي معي يكفينا جميعًا وهذا نصيبنا . ثم اني قسمت ما معي اقسامًا على قدر الجميع واعطيت لاخويَّ والرئيس واخذت مثل واحد منهم واعطيت ما تيسر للخدامين والنوتية . ففرحوا ودعوا

الهي الذي هو قريب مجيب . وحاضر لا يغيب . ولا يغفل ولا ينام . ولا تدركهُ الاوهام . يرى ولا يُرى وهو على كل شيء قدير . والهك عاجز لا يقدر على دفع الضرر عن نفسه وقد كان متلبساً بهِ شيطان رجيم يضلك ويغويك وقد ذهب الآن شيطانه . فاعبد الله واشهد انهُ لا اله الّا هو ولا معبود سواه وانهُ لا يستحق العبادة غيره ولا خير الّا خيره . واما الهك هذا فانهُ لا يقدر على دفع الشر عن نفسه فكيف يقدر على دفعه عنك فانظر بعينك عجزه . ثم تقدم وصار يصكه على رقبته حتى وقع على الارض . فغضب الملك وقال للحاضرين : ان هذا الجاحد قد صكَّ الهي فاقتلوه . فارادوا القيام ليضربوه فلم يقدر احد منهم ان يقوم من مكانه . فعرض عليهم الاسلام فلم يسلموا . فقال : اريكم غضب ربي . فقالوا : ارنا . فبسط يديه وقال : الهي وسيدي انت ثقتي ورجائي فاستجب دعائي على هؤلاء القوم الفجار . الذين ياكلون خيرك . ويعبدون غيرك . يا حقّ يا جبار . يا خالق الليل والنهار . اسألك ان تقلب هؤلاء القوم احجارًا فانك قادر ولا يعجزك شيء . فانت على كل شيء قدير . فمسخ الله اهل هذه المدينة احجارًا . واما انا فاني حين رأيت برهانه اسلمت وجهي لله فسلمت مما اصابهم . ثم ان ذلك الشخص دنا مني وقال : سبقت لكِ من الله السعادة . ولله في ذلك ارادة . وصار يعلمني واخذت عليهِ العهد والميثاق . وكان عمري سبع سنين في ذلك الوقت وفي هذا الوقت صار عمري ثلاثين عاماً . ثم اني قلت لهُ : يا سيدي جميع ما في المدينة وجميع اهلها صاروا احجارًا بدعوتك الصالحة وقد نجوت انا حين اسلمت على يديك فانت شيخي فاخبرني باسمك ومدّني بمددك وتصرف لي في شيء اقتات منهُ . فقال لي : اسمي ابو العباس الخضر . ثم غرس لي شجرة من الرمان بيدهِ فكبرت واورقت وازهرت واثمرت رمانة واحدة في الحال . فقال : كلي مما رزقكِ الله تعالى واعبديه حق عبادته . ثم علمني شروط الاسلام وشروط الصلاة وطريق العبادة وعلمني تلاوة القرآن . وصار لي ثلثة وعشرون عاماً وانا اعبد الله في هذا المكان وفي كل يوم تطرح لي هذه الشجرة رمانة فآكلها واقتات بها من الوقت الى الوقت . والخضر عليه

الاصنام. فاصنامكم مصنوعة والهي صانع ولا يعجزه شي. . فان ظهر لكم الحق فاتبعوه وان ظهر لكم الباطل فاتركوه. فقالوا لهُ: ائتنا ببرهان ربك حتى نراه. فقال: ائتوني ببراهين اربابكم. فأمر الملك كل من كان يعبد ربًا من الاصنام ان يأتي بهِ. فاحضر جميع العساكر اصنامهم في الديوان. هذا ما كان من امرهم

واما ما كان من امري فاني كنت جالسة في داخل ستارة تشرف على ديوان ابي. وكان لي صنم من زمردة خضراء جسمهُ قدر جسم ابن آدم. فطلبه ابي فارسلتهُ اليهِ في الديوان فوضعوه في جانب صنم ابي. وكان صنم ابي من الياقوت وصنم الوزير من جواهر الالماس واما اكابر العساكر والرعية فبعض اصنامهم من البلخش وبعضها من العقيق وبعضها من المرجان وبعضها من العود القماري وبعضها من الابنوس وبعضها من الفضة وبعضها من الذهب وكل واحد منهم لهُ صنم على قدر ما تسمح بهِ نفسه. واما رعاع العساكر والرعية فبعض اصنامهم من الصوان وبعضها من الخشب وبعضها من الفخار وبعضها من الطين. وكل الاصنام مختلفة الالوان ما بين اصفر واحمر واخضر واسود وابيض. ثم قال ذلك الشخص لابي: ادعُ صنمك وهؤلاء الاصنام تغضب عليَّ. فصفُّوا تلك الاصنام ديوانًا وجعلوا صنم ابي على كرسي من الذهب وصنمي الى جانبه في الصدر. ثم رتبوا الاصنام كل منها في مرتبة صاحبه الذي يعبده. وقام ابي وسجد لصنمه وقال لهُ: يا الهي انت الرب الكريم وليس في الاصنام اكبر منك وانت تعلم ان هذا الشخص اتاني طاعنًا في ربوبيتك مستهزءا بك ويزعم ان لهُ الهًا اقوى منك ويأمرنا ان نترك عبادتك ونعبد الهه. فاغضب عليهِ يا الهي. وصار يطلب من الصنم والصنم لا يردّ عليهِ جوابًا ولا يخاطبه بخطاب. فقال لهُ: يا الهي ما هذه عادتك لانك كنت تكلمني اذا كلمتك فمالي اراك ساكتًا لا تتكلم هل انت غافل او نائم فانتبه وانصرني وكلّمني. ثم هزّه بيده فلم يتكلم ولم يتحرك من مكانه. فقال ذلك الشخص لابي: ما لي ارى صنمك لا يتكلم. قال لهُ: اظن انهُ غافل او نائم. فقال لهُ: يا عدوَّ الله كيف تعبد الهًا لا ينطق وليس لهُ قدرة على شيء. ولا تعبد

يرحمك الله انني بنت ملك هذه المدينة ووالدي هو الذي رأيتهُ جالساً في الديوان على الكرسي العالي والذي حوله اكابر دولته واعيان مملكته. وكان ابي ذا بطش شديد ويحكم على الف الف ومائة الف وعشرين الف جندي. وعدة امراء دولته اربعة وعشرون الفاً كلهم حكام واصحاب مناصب. وتحت طاعته من المدن الف مدينة غير البلدان والضياع والحصون والقلاع والقرى. وامراء العربان الذين تحت يده الف امير كل امير يحكم على عشرين الف فارس. وعنده من الاموال والذخائر والمعادن والجواهر ما لا عين رأت ولا اذن سمعت

(الليلة الثالثة والثانون بعد التسعمائة) . وكان يقهر الملوك ويبيد الابطال والشجعان في الحرب وحومة الميدان. وتخشاه الجبابرة وتخضع لهُ الاكاسرة. ومع ذلك كان كافراً مشركاً بالله. يعبد الصنم دون مولاه. وجميع عساكره كفار يعبدون الاصنام دون الملك العلام. فاتفق انهُ كان يوماً من الايام جالساً على كرسي مملكته وحولهُ اكابر دولته فلم يشعر الّا وقد دخل عليهِ شخص فأضاء الديوان من نور وجهه. فنظر اليهِ ابي فرآه لابساً حلة خضراء وهو طويل القامة واياديه نازلة الى تحت ركبتيه وعليهِ هيبة ووقار والنور يلوح من وجهه. فقال لابي: يا باغي يا مفتري الى متى وانت مغرور بعبادة الاصنام. وتترك عبادة الملك العلام. قل: أشهد ان لا اله الّا الله واشهد ان محمداً عبده ورسوله. واسلم انت وقومك ودع عنك عبادة الاصنام فانها لا تنفع ولا تشفع. ولا يُعبد بحق الّا الله رافع السماوات بغير عماد. وباسط الارضين رحمة للعباد. فقال لهُ: من انت ايها الرجل الجاحد لعبادة الاصنام. حتى تتكلم بهذا الكلام. اما تخشى ان تغضب عليك الاصنام. فقال لهُ: ان الاصنام احجار لا يضرُّني غضبها ولا ينفعني رضاها فاحضر لي صنمك الذي انت تعبده وأمر كل واحد من قومك ان يحضر صنمه. فاذا حضر جميع اصنامكم فادعوهم ليغضبوا عليَّ وانا ادعو ربي ان يغضب عليهم وتنظرون غضب الخالق من غضب المخلوق. فان اصنامكم قد صنعتموها انتم وتلبست بها الشياطين وهم الذين يكلمونكم من داخل بطون

فلو لبست ثوباً من الورد خالصاً لادمى مجاني جسمها ورق الوردِ
ولو تفلت في البحر والبحر مالحٌ لاصبح طعم البحر احلى من الشهدِ
ولو واصلت شيخاً كبيرًا على عصى لاصبح ذاك الشيخ مفترس الأسدِ

ثم انهُ قال: يا امير المؤمنين لما رأيت تلك البنت شغفت بها حبًّا وتقدمت اليها فرأيتها جالسة على مرتبة عالية وهي تتلو كتاب الله عزَّ وجل حفظاً على ظهر قلبها وصوتها كانهُ صرير ابواب الجنان اذا فتحها رضوان. والكلام خارج من بين شفتيها يتناثر كالجواهر. ووجهها ببديع المحاسن زاهٍ وزاهر. كما قال في مثلها الشاعر:

يا مطرباً بلغاتهِ وصفاتهِ قد زاد فيك تشوّقي وتشوّفي
شيئانِ فيك تذيب ارباب الهوى نغمات داود وصورة يوسفِ

فلما سمعت نغماتها في تلاوة القرآن العظيم. وقد قرأ قلبي من فاتك لحظاتها سلامٌ قولاً من ربّ رحيم. تلجلجت في الكلام. ولم احسن السلام. واندهش مني العقل والناظر. وصرت كما قال الشاعر:

ما هزَّني الشوق حتى تهت عن كلمي ولا دخلت الحمى الّا لسفك دمي
ولا سمعت كلاماً من عواذلنا الّا لاشهد من اهواه في الكلمِ

ثم تجلدت على هول الغرام وقلت لها: السلام عليكِ ايتها السيدة المصونة. والجوهرة المكنونة. ادام الله قوائم سعدكِ. ورفع دعائم مجدكِ. فقالت: وعليك مني السلام والتحية والاكرام يا عبد الله يا ابن فاضل اهلاً وسهلاً ومرحباً بك يا حبيبي وقرة عيني. فقلت لها: يا سيدتي من اين علمتِ اسمي ومن اين تكونين انتِ وما شأن اهل هذه المدينة حتى صاروا احجارًا. فمرادي ان تخبريني بحقيقة الامر فاني تعجبت من هذه المدينة ومن اهلها ومن كونها لم يوجد فيها احد الّا انتِ. فبالله عليكِ ان تخبريني بحقيقة ذلك على وجه الصدق. فقالت لي: اجلس يا عبد الله وانا ان شاء الله تعالى احدثك واخبرك بحقيقة امري وبحقيقة امر هذه المدينة واهلها على التفصيل ولا حول ولا قوة الّا بالله العلي العظيم. فجلست الى جانبها. فقالت لي: اعلم يا عبد الله

الاحمر مرصعاً بالدر والجوهر وجالس فوقهُ آدمي عليهِ افخر الملابس وعلى رأسه تاج كسروي مكلل بنفيس الجواهر التي لها شعاع مثل شعاع النهار. فلما وصلت اليهِ رأيتهُ من الحجر. ثم اني توجهت من ذلك الديوان الى باب الحريم ودخلت فيهِ فرأيت ديواناً من النساء. ورأيت في ذلك الديوان كرسياً من الذهب الاحمر مرصعاً بالدر والجوهر وجالس فوقهُ امرأة ملكة وعلى رأسها تاج مكلل بنفيس الجواهر وحولها نساء مثل الاقمار جالسات على كراسي ولابسات افخر الملابس الملونة بسائر الالوان وواقف هناك طواشية ايديهم على صدورهم كانهم واقفون من اجل الخدمة . وذلك الديوان يدهش عقول الناظرين بما فيهِ من الزخرفة وغريب النقش وعظيم الفرش ومعلق فيهِ ابهج التعاليق من البلور الصافي وفي كل قِدرة من البلور جوهرة يتيمة لا يفي بثمنها مال . فرميت ما معي يا امير المؤمنين وصرت آخذ من هذه الجواهر وحملت منها على قدر ما اطيق وبقيت متحيراً فيما احمله وفيما اتركه لاني رأيت ذلك المكان كانهُ كنز من كنوز المدن . ثم اني رأيت باباً صغيراً مفتوحاً وفي داخله سلالم فدخلت ذلك الباب وطلعت اربعين سلماً فسمعت انساناً يتلو القرآن بصوت رخيم فمشيت جهة ذلك الصوت حتى وصلت الى باب القصر فرأيت ستارة من الحرير مصفحة بشرائط من الذهب ومنظوم فيها اللؤلؤ والمرجان والياقوت وقطع الزمرُّد والجواهر فيهِ تضيء كضوء النجوم والصوت خارج من تلك الستارة . فدنوت من الستارة ورفعتها فظهر لي باب قصر مزخرف يحير الافكار . فدخلت من ذلك الباب فرأيت قصراً كانهُ كنز على وجه الدنيا ومن داخله بنت كانها الشمس الضاحية في وسط السماء الصاحية وهي لابسة افخر الملابس ومتحلية بانفس ما يكون من الجواهر مع انها بديعة الحسن والجمال . بقد واعتدال وظرف وكمال . كأنها المرادة بقول من قال :

سلامٌ على ما في الثياب من القدِ ... وما في بساتين الخدود من الوردِ
كأن الثريا علقت في جبينها ... وباقي نجوم الليل في الصدر كالعقدِ

الحجر . ثم دخلت سوق التجار فرأيت كل تاجر جالساً في دكانه والدكان ممتلئة بانواع البضائع وكل ذلك من الحجر ولكن الاقمشة كنسيج العنكبوت . فصرت اتفرج عليها وكلما مسكت ثوباً من القماش يصير بين يدي هباء منثوراً . ورأيت صناديق ففتحت واحداً فوجدت فيه ذهباً في اكياس . فمسكت الاكياس فذابت في يدي والذهب لم يزل على حاله فحملت منهُ على قدر ما اطيقه وصرت اقول في نفسي: لو حضر اخواي معي لاخذا من هذا الذهب كفايتهما وتمتعا من هذه الذخائر التي لا اصحاب لها. وبعد ذلك دخلت دكان آخر فرأيت فيهِ اكثر من ذلك ولكن ما بقيت اقدر ان احمل غير ما حملت . ثم اني خرجت من ذلك السوق الى سوق آخر . ثم منهُ الى سوق آخر وهكذا . وما زلت اتفرج على مخلوقات مختلفة الاشكال وكلها من الحجارة حتى الكلاب والقطط من الحجارة . ثم اني دخلت سوق الصاغة فرأيت فيهِ رجالاً جالسين في الدكاكين والبضائع عندهم بعضها في ايديهم وبعضها في اقفاص . فلما رأيت ذلك يا امير المؤمنين رميت ما كان معي من الذهب وحملت من المصاغ ما اطيق حمله . وخرجت من سوق الصاغة الى سوق الجواهر فرايت الجوهرية جالسين في دكاكينهم وقدام كل واحد منهم قفص ملآن بانواع المعادن كالياقوت والالماس والزمرد والبخش وغير ذلك من سائر الاصناف واصحاب الدكاكين احجار . فرميت ما كان معي من المصاغ وحملت من الجواهر ما اطيق حمله وبقيت اتندم حيث لم يكن اخواي معي حتى يأخذا من تلك الجواهر ما اراداه . ثم اني خرجت من سوق الجواهر فمررت على باب كبير مزخرف مزيَّن باحسن زينة ومن داخل الباب دكك وجالس على تلك الدكك خدام وجند واعوان وعساكر وحكام وهم لابسون افخر الملابس وكلهم احجار . فلمست واحداً منهم فتناثرت ملابسه من على بدنه مثل نسيج العنكبوت . ثم اني مشيت في ذلك الباب فرأيت سراية ليس لها نظير في بنائها واحكام صنائعها ورأيت في تلك السراية ديواناً مشحوناً بالاكابر والوزراء والاعيان والامراء وهم جالسون على كراسي وكلهم احجار . ثم اني رأيت كرسياً من الذهب

غير مشكور لانهُ على خطر من الاسواء . كما قال فيهِ بعض الشعراء :

ما دامت الارض ارضاً والسماء سما ليس المغرّ بمحمودٍ وان سلما

فنحن لا نغرّ بانفسنا . فقلت لهم : يا ناس لا حكم لي عليكم ولكن آخذ اخوتي واتوجه الى هذه المدينة . فقال لي اخواي : نحن نخاف من هذا الامر ولا نروح معك . فقلت : اما انا فقد عزمت على الذهاب الى هذه المدينة وتوكلت على الله ورضيت بما قدر الله عليَّ فانتظراني حتى اذهب اليها وارجع اليكما

(الليلة الثانية والثانون بعد التسعمائة) . ثم تركتهما ومشيت حتى وصلت الى باب تلك المدينة فرأيتها مدينة عجيبة البناء غريبة الهندسة اسوارها عالية وابراجها محصنة وقصورها شاهقة وابوابها من الحديد الصيني وهي مزخرفة منقوشة تدهش العقول . فلما دخلت من الباب رأيت دكة من الحجر وهناك رجل قاعد عليها وفي ذراعه سلسلة من النحاس الاصفر وفي تلك السلسلة اربعة عشر مفتاحاً . فعرفت ان ذلك الرجل بواب المدينة والمدينة لها اربعة عشر باباً . ثم اني دنوت منهُ وقلت لهُ : السلام عليكم . فلم يردّ عليَّ السلام . فسلمت عليهِ ثانياً وثالثاً فلم يرد عليَّ الجواب . فوضعت يدي على كتفه وقلت لهُ : يا هذا لاي شيء لم ترد السلام هل انت نائم او اصمّ او غير مسلم حتى تمنع ردّ السلام . فلم يجبني ولم يتحرّك . فتأملت فيهِ فرأيتهُ حجراً . فقلت : ان هذا شيء عجيب هذا الحجر مصوَّر بصورة ابن آدم ولم ينقص عنهُ غير النطق . ثم تركته ودخلت المدينة فرأيت رجلاً واقفاً في الطريق فدنوت منهُ وتأملتهُ فرأيتهُ حجراً . ثم اني لم ازل ماشياً في شوارع تلك المدينة وكلما رأيت انساناً ادنو منهُ واتأملهُ فاجدهُ حجراً . وقابلت امرأة عجوزاً على رأسها عقدة ثياب مهيأة للغسيل فدنوت منها وتأملتها فرأيتها من الحجر والعقدة الثياب التي على رأسها من الحجر . ثم اني دخلت السوق فرأيت زياتاً ميزانهُ منصوب وقدامهُ اصناف البضائع من الجبن وغيره وكل ذلك من الحجر . ثم اني رأيت سائر المتسببين جالسين في الدكاكين وبعض الناس واقف وبعض الناس جالس ورأيت رجالاً ونساء وصبياناً وكل ذلك من

من اتى الله بقلب سليم. ثم قالت: يا انسي انت قد سترت عرضي وصار لك عليَّ الجميل ووجب عليَّ جزاؤك. ثم اشارت بيدها الى الارض فانشقت ونزلت فيها ثم انطبقت عليها الارض. فعرفت انها من الجن. واما الثعبان فان النار اتقدت فيهِ واحرقتهُ وصار رمادًا. فتعجبت من ذلك. ثم اني رجعت الى اصحابي واخبرتهم بما رأيت وبتنا تلك الليلة. وعند الصباح قلع الريس الخطاف ونشر القلوع وطوى الاطراف. ثم سافرنا حتى غاب البرّ عنا. ولم نزل مسافرين مدة عشرين يومًا ولم نرَ برًّا ولا طيرًا وفرغ ماؤنا. فقال الريس: يا ناس ان الماء الحلو قد فرغ منا. فقلنا: نطلع البرّ لعلَّنا نجد ماء. فقال: والله اني تهت عن الطريق ولا اعرف طريقًا يوديني الى جهة البرّ. فحصل لنا غمّ شديد وبكينا ودعونا الله تعالى ان يهدينا الى الطريق. ثم بتنا تلك الليلة في اسوإ حال. ولله درّ من قال:

وكم ليلةٍ بتُّ في كربةٍ يكاد الرضيع لها ان يشيبُ
فما اصبح الصبح الَّا اتى من الله نصرٌ وفتحٌ قريبُ

فلما اصبح الصباح واشرق بنوره ولاح رأينا جبلًا عاليًا. فلما رأينا ذلك الجبل فرحنا واستبشرنا بهِ. ثم انا وصلنا الى ذلك الجبل فقال الريس: يا ناس اطلعوا البرّ حتى نفتش على ماء. فطلعنا كلنا نفتش على ماء فلم نرَ فيهِ ماء فحصل لنا مشقة بسبب قلة وجود الماء. ثم اني صعدت على اعلى ذلك الجبل فرأيت خلفه دائرة واسعة مسافة سير ساعة او اكثر فناديت اصحابي فاقبلوا عليَّ. فلما اتوا قلت لهم: انظروا الى هذه الدائرة التي خلف هذا الجبل فاني ارى فيها مدينة عالية البنيان مشيدة الاركان ذات اسوار وبروج وروابي ومروج وهي من غير شك لا تخلو من الماء والخيرات فسيروا بنا نمضي الى هذه المدينة ونجيء منها بالماء ونشتري ما نحتاج اليهِ من الزاد واللحم والفاكهة ونرجع. فقالوا: نخاف ان يكون اهل هذه المدينة كفارًا مشركين اعداء الدين فيقبضوا علينا ونكون اسرى تحت ايديهم او يقتلونا ونكون قد تسببنا في قتل انفسنا حيث اوقعنا انفسنا في الهلاك وسوء الارتباك. والمغرور

وغيرهما يكون من عندي. ثم قمت باكرامهما وصارا يبيعان ويشتريان في النهار وعند المساء يبيتان في بيتي ولم ادعهما يصرفان شيئاً من اموالهما. وكلما جلست معهما للحديث يمدحان الغربة ويذكران محاسنها ويصفان ما حصل لهما فيها من المكاسب ويغريانني على ان اوافقهما على التغرُّب في بلاد الناس. ثم قال للكلبين: هل جرى ذلك يا اخويّ. فنكسا رؤوسهما وغضّا عيونهما تصديقاً له. ثم قال: يا خليفة الله فما زالا يرغبانني ويذكران لي كثرة الربح والمكاسب في الغربة ويأمرانني بالسفر معهما حتى قلت لهما: لا بد ان اسافر معكما من اجل خاطركما. ثم اني عقدت الشركة بيني وبينهما وحملنا قماشاً من سائر الاصناف النفيسة واكترينا مركباً وشحنّاه بالبضائع من انواع المتاجر ونزّلنا في ذلك المركب جميع ما نحتاج اليه. ثم سافرنا من مدينة البصرة في البحر العجاج. المتلاطم بالامواج. الذي الداخل فيهِ مفقود. والخارج منهُ مولود. وما زلنا مسافرين حتى طلعنا الى مدينة من المدائن فبعنا واشترينا وظهر لنا كثرة المكسب. ثم رحلنا منها الى غيرها. ولم نزل نرحل من بلد الى بلد ومن مدينة الى مدينة ونحن نبيع ونشتري ونربح حتى صار عندنا مال جسيم وربح عظيم. ثم اننا وصلنا الى جبل فألقى الرئيس المرساة وقال لنا: يا ركاب اطلعوا بنا الى البر تنجوا من هذا اليوم وفتّشوا فيهِ لعلكم تجدوا ماء. فخرج جميع مَن في المركب وخرجت انا بجملتهم وصرنا نفتش على الماء وتوجه كلٌّ منّا في جهة وصعدت انا على اعلى الجبل. فبينما انا سائر اذ رأيت حية بيضاء تسعى هاربة ووراءها ثعبان اسود يسعى خلفها وهو مشوَّه الخلقة هائل المنظر. ثم ان الثعبان لحقها وضايقها ومسكها من رأسها فصاحت. فعرفتُ انهُ مفترٍ عليها. فاخذتني الشفقة عليها وتناولت حجراً من الصوان قدر خمسة ارطال او اكثر وضربت بهِ الثعبان فجاء في رأسه فدقّه. فما اشعر الّا وتلك الحية انقلبت وصارت بنتاً شابة ذات حسن وجمال. وبهاء وكمال. وقد اعتدال. كانها البدر المنير. فاقبلت عليَّ وقبلت يدي ثم قالت لي: سترك الله بسترين ستر من العار في الدنيا وستر من النار في الآخرة يوم الموقف العظيم يوم لا ينفع مالٌ ولا بنون الّا

اربعين دينارًا ودخلنا مدينة تسمى مدينة الكرخ فبعنا واشترينا وكسبنا مكاسب كثيرة وصار عندنا اموال كثيرة. وجعلا يذكران لي البلاد والمكاسب. فقلت لهما: حيث رأيتما هذا الفرح والخير فما لي اراكما رجعتما عريانين. فتنهدا وقالا: يا اخانا ما حلّ بنا الّا عين صائبة والسفر ما له امان. فلما جمعنا تلك الاموال والخيرات وسقنا متاعنا في مركب وسافرنا في البحر بقصد التوجه الى مدينة البصرة وقد سافرنا ثلثة ايام وفي اليوم الرابع رأينا البحر قام وقعد. وارغى وازبد. وتحرك وهاج. وتلاطم بالامواج. وصار الموج يقدح الشرار كلهيب النار. واختلفت علينا الارياح. والتطم بنا المركب في سن جبل فانكسر وغرقنا وراح جميع ما كان معنا في البحر وصرنا نخبط على وجه الماء يومًا وليلة. فارسل الله لنا مركبًا آخر فاخذتنا ركابه وصرنا من بلاد الى بلاد ونحن نسأل ونتقوت مما نحصله بالسؤال وقاسينا الكرب العظيم وصرنا نقلع من حوائجنا ونبيع ونتقوت حتى قربنا من البصرة. وما وصلنا الى البصرة حتى شربنا الف حسرة. ولو كنا سلمنا بما كان معنا كنا اتينا باموال تضاهي اموال الملك. ولكن هذا مقدر من الله علينا. فقلت لهما: يا اخويّ لا تحملا همًّا فان المال فدى الابدان والسلامة غنيمة. وحيث كتبكم الله من السالمين فهذا غاية المنى. وما الفقر والغنى الّا كطيف خيال. ولله درُّ من قال:

اذا سلمت هام الرجال من الردى فما المال الّا مثل قصّ الاظافر

ثم قلت لهما: يا اخويّ نحن نقدّر ان ابانا قد مات في هذا اليوم وخلف لنا جميع هذا المال الذي عندي. وقد طابت نفسي على اننا نقسمه بيننا بالسوية. ثم احضرت قسامًا من طرف القاضي واحضرت له جميع مالي فقسمهُ بيننا واخذ كل منا ثلث المال. فقلت لهما: يا اخويّ بارك الله للانسان في رزقه اذا كان في بلده. فكل واحد منكما يفتح له دكانًا ويقعد فيه لتعاطي الاسباب. والذي له شيء في الغيب لا بدّ ان يحصله. ثم سعيت لكل واحد منهما في فتح دكان وملأتهُ له بالبضائع وقلت لهما: بيعا واشتريا واحفظا اموالكما ولا تصرفا منها شيئًا وجميع ما يلزم لكما من اكل وشرب

قسامًا من طرف القاضي يا امير المؤمنين فقسم بيننا المال والقماش وجميع ما خلفهُ لنا ابونا وجعلوا البيت والدكان من قسمي في نظير بعض ما أستحقهُ من الاموال ورضينا بذلك. وصار البيت والدكان في قسمي وهما اخذا قسمهما مالاً وقماشًا . ثم اني فتحت الدكان وحطيت فيهِ القماش واشتريت بجانب من المال الذي خصني زيادة على البيت والدكان قماشًا حتى ملأت الدكان وقعدت ابيع واشتري. واما اخواي فانهما اشتريا قماشًا واكتريا مركبًا وسافرا في البحر الى بلاد الناس. فقلت: الله يساعدهما وانا رزقي يأتيني وليس للراحة قيمة. ودمت على ذلك مدة سنة كاملة . ففتح الله عليَّ وصرت اكتسب مكاسب كثيرة حتى صار عندي مثل الذي خلفهُ لنا ابونا . فاتفق لي يومًا من الايام انني كنت جالسًا في الدكان وعليَّ فروتان احداهما سمور والاخرى سنجاب لان ذلك الوقت كان في فصل الشتاء في اوان اشتداد البرد . فبينما انا كذلك واذا باخويَّ قد اقبلا عليَّ وعلى بدن كل واحد منهما قميص خلق من غير زيادة وشفاههما بيض من البرد وهما ينتفضان

(الليلة الحادية والثمانون بعد التسعمائة). فلما رأيتهما ينتفضان عسر عليَّ ذلك وحزنت عليهما وطار عقلي من رأسي. فقمت اليهما واعتنقتهما وبكيت على حالهما وخلعت على واحد منهما الفروة السمور وعلى الآخر الفروة السنجاب وادخلتهما الحمام وارسلت الى كل واحد منهما في الحمام بدلة تاجر الفي. وبعد ما اغتسلا لبس كل واحد منهما بدلته. ثم اخذتهما الى البيت فرأيتهما في غاية الجوع فوضعت لهما سفرة الاطعمة فاكلا واكلت معهما ولاطفتهما واخذت بخاطرهما. ثم التفت الى الكلبين وقال لهما: هل جرى ذلك يا اخويَّ . فنكسا رؤوسهما وغضّا عيونهما. ثم انهُ قال: يا خليفة الله ثم اني سألتهما وقلت لهما: كيف جرى لكما واين اموالكما. فقالا: سافرنا في البحر ودخلنا مدينة تسمى مدينة الكوفة وصرنا نبيع القطعة القماش التي ثمنها علينا نصف دينار بعشرة دنانير والتي بدينار بعشرين دينارًا وكسبنا مكاسبة عظيمة واشترينا من قماش العجم الشقة الحرير بعشرة دنانير وهي تساوي في البصرة

ودكانًا ملآن قماشًا ملونًا من سائر انواع القماش الهندي والرومي والخراساني وغير ذلك . وخلّف لنا ستين الف دينار . فلما مات ابونا غسلناهُ وعملنا لهُ مشهدًا عظيمًا ودفنّاهُ لرحمة مولاه . وعملنا لهُ عتاقة وختمات وتصدقنا عليهِ الى تمام الاربعين يومًا . ثم اني بعد ذلك جمعت التجار واشراف الناس وعملت لهم يومًا عظيمًا . وبعد ما اكلوا قلت لهم : يا تجار ان الدنيا فانية والآخرة باقية وسبحان الدائم بعد فناء خلقهِ . هل تعلمون لاي شيء جمعتكم في هذا اليوم المبارك عندي . قالوا : سبحان الله علّام الغيوب . فقلت لهم : ان ابي مات عن جملة من المال وانا خائف ان يكون عليهِ تبعة لاحد من دين او رهن او غير ذلك ومرادي خلاص ذمّة ابي من حقوق الناس . فمن كان لهُ عليهِ شيء . فليقل ان لي عليهِ كذا وكذا وانا اوردهُ لهُ لاجل براءة ذمة ابي . فقال لي التجار : يا عبد الله ان الدنيا لا تغني عن الآخرة ولسنا اصحاب باطل وكل منًا يعرف الحلال من الحرام ونخاف من الله تعالى ونجتنب اكل مال اليتيم ونعلم ان اباك رحمة الله عليهِ كان دائمًا يبقى مالهُ عند الناس ولا يخلّي في ذمتهِ شيئًا الى احد ونحن دائمًا نسمعهُ وهو يقول : انا خائف من متاع الناس . ودائمًا كان يقول في دعائهِ : الهي انت ثقتي ورجائي فلا تُمتني وعليَّ دين . وكان من جملة طباعهِ انهُ اذا كان لاحد عليهِ شيء . فانهُ يدفعهُ لهُ من غير مطالبة . واذا كان لهُ على احد شيء . فانهُ لا يطالبهُ ويقول لهُ : على مهلك . وان كان فقيرًا يسامحه ويبرئ ذمتهُ . وان لم يكن فقيرًا ومات يقول : سامحهُ الله ممّا لي عندهُ . ونحن كلنا نشهد انهُ ليس لاحد عندهُ شيء . فقلت : بارك الله فيكم . ثم اني التفتُ الى اخويَّ هذين وقلت لهما : يا اخويَّ ان ابانا ليس عليهِ لاحد شيء . وقد خلّف لنا هذا المال والقماش والبيت والدكان ونحن ثلثة اخوة كل منا يستحق ثُلث هذا الشيء . فهل نتفق على عدم القسمة ويستمر مالنا مشتركًا بيننا ونأكل سواء ونشرب سواء او نقسم القماش والاموال ويأخذ كل واحد منا حصتهُ . فقالا : نقسم ويأخذ كل واحد منا حصتهُ . ثم التفت الى الكلبين وقال لهما : هل جرى ذلك يا اخويَّ . فنكسا رؤوسهما وغضّا عيونهما كأنهما قالا نعم . ثم انهُ قال : فاحضرت

بذلك. وصار يعتذر اليهِ. فقال لهُ: حيث اخبرتهُ فانا اصدق خبرك عنده لئلّا يظنّ بك الكذب فانك حبيبي ولو اخبر غيرك كنت انكرت ذلك وكذبتهُ. فها انا اروح معك وآخذ الكلبين معي ولو كان في ذلك تلف نفسي وانقضاء اجلي. فقال لهُ: الله يسترك كما سترت وجهي عند الخليفة. ثم انهُ اخذ هدية تليق بالخليفة واخذ الكلبين في زناجير من الذهب وحمل كل كلب على جمل وسافروا الى ان وصلوا الى بغداد ودخل على الخليفة فقبَّل الارض بين يديه. فاذن لهُ بالجلوس فجلس واحضر الكلبين بين يديه. فقال الخليفة: ما هذان الكلبان يا امير عبد الله. فصار الكلبان يقبلان الارض بين يديه ويحركان اذنابهما ويبكيان كأنهما يشكوان اليهِ. فتعجب الخليفة من ذلك وقال لهُ: اخبرني بخبر هذين الكلبين وما سبب ضربك لهما واكرامهما بعد الضرب. فقال لهُ: يا خليفة الله ما هذان كلبان وانما هما رجلان شابّان ذوا حسن وجمال وقدّ واعتدال وهما اخواي وولدا امي وابي. فقال الخليفة: وكيف كانا آدميين وصارا كلبين. قال: ان اذنت لي يا امير المؤمنين اخبرك بحقيقة الخبر. فقال: اخبرني واياك والكذب فانهُ صفة اهل النفاق وعليك بالصدق فانهُ سفينة النجاة وسمة الصالحين. فقال لهُ: اعلم ياخليفة الله اني اذا اخبرتك بخبرهما يكونان هما الشاهدين عليَّ فان كذبت يكذباني وان صدقت يصدقاني. فقال لهُ: هذان من الكلاب لا يقدران على نطق ولا جواب فكيف يشهدان لك او عليك. فقال لهما: يا اخواي اذا انا تكلمت كلاماً كذباً فارفعا رؤُوسكما وحملقا اعينكما. واذا تكلمت صدقاً فنكسا رؤُوسكما وغضّا اعينكما. ثم انهُ قال: اعلم يا خليفة الله انّا نحن ثلثة اخوة امنا واحدة وابونا واحد وكان اسم ابينا فاضل وما سمّي بهذا الاسم الّا لكون امّ ابيهِ وضعت ولدين توأمين في بطن واحد فمات احدهما من وقته وساعتهِ وفضل الثاني فسماهُ ابوهُ فاضلاً. ثم رباهُ واحسن تربيتهُ الى ان كبر فزوَّجهُ أُمّنا ومات. فوضعت اخي هذا اولاً فسماهُ منصوراً. وحملت ثاني مرة ووضعت اخي هذا فسماهُ ناصراً. وحملت ثالث مرة ووضعتني فسماني عبد الله. وربانا حتى كبرنا وبلغنا مبلغ الرجال فمات وخلف لنا بيتاً

متواليات وهو يعمل هذا العمل فيضرب الكلبين وبعد ذلك يصالحهما ويأخذ بخاطرهما ويطعمهما ويسقيهما وانا اتفرج عليهِ بحيث لا يراني . فقال لهُ الخليفة : فهل سألتهُ عن السبب . فقال لهُ : لا وحياة رأسك يا امير المؤمنين . فقال الخليفة : يا ابا اسحق امرتك ان ترجع الى البصرة وتأتيني بعبد الله بن فاضل وبالكلبين . فقال : يا امير المؤمنين دعني من هذا فان عبد الله بن فاضل اكرمني اكراماً زائداً وقد اطلعت على هذه الحالة اتفاقاً من غير قصد فاخبرتك بها فكيف ارجع اليهِ واجيء بهِ . فان رجعت اليهِ لا القى لي وجهاً حياءً منهُ فاللائق ارسال غيري اليهِ بخط يدك فيأتيك بهِ وبالكلبين . فقال لهُ : ان ارسلت لهُ غيرك ربما ينكر هذا الامر ويقول : ما عندي كلاب . واما اذا ارسلتك انت وقلت لهُ اني رأيتك بعيني فانهُ لا يقدر على انكار ذلك . فلا بدَّ من ذهابك اليهِ واتيانك بهِ وبالكلبين والّا فلا بدَّ من قتلك

(الليلة الموفية للثمانين بعد التسعمائة) . فقال لهُ ابو اسحق : سمعاً وطاعةً يا امير المؤمنين وحسبنا الله ونعم الوكيل . وصدق من قال : آفة الانسان من اللسان . فانا الجاني على نفسي حيث اخبرتك . ولكن اكتب لي خطاً شريفاً وانا اذهب اليهِ وآتيك بهِ . فكتب لهُ خطاً شريفاً وتوجه بهِ الى البصرة . فلما دخل على عامل البصرة قال لهُ : كفانا الله شرَّ رجوعك يا ابا اسحق فما لي اراك رجعت سريعاً . لعلَّ الخراج ناقص فلم يقبلهُ الخليفة . فقال : يا امير عبد الله ليس رجوعي من اجل نقص الخراج فانهُ كامل وقبلهُ الخليفة . ولكن ارجو منك عدم المؤاخذة فاني اخطأت في حقك وهذا الذي وقع مني مقدَّر من الله تعالى . فقال لهُ : وما وقع منك يا ابا اسحق اخبرني فانك حبيبي وانا لا اواخذك . فقال لهُ : اعلم اني لما كنت عندك اتبعتك ثلاث ليالٍ متواليات وانت تقوم كل ليلة في نصف الليل وتعذب الكلبين وترجع . فتعجبت من ذلك واستحيت ان اسألك عنهُ . ثم اني اخبرت الخليفة بخبرك اتفاقاً من غير قصد فالزمني بالرجوع اليك . وهذا خطّ يده . ولو كنت اعلم ان الامر يحوج الى ذلك ما كنت اخبرتهُ . ولكن جرى القدر

انهُ كتفهُ ورماهُ على الارض وسحب السوط ونزل بهِ عليهِ وضربهُ ضربًا وجيعًا من غير شفقة وهو يتلوى بين يديهِ ولا يجد لهُ خلاصًا. ولم يزل يضربهُ بذلك السوط حتى قطع الانين وغاب عن الوجود . ثم انهُ اخذهُ وربطهُ في مكانهِ . وبعد ذلك اخذ الكلب الثاني وفعل بهِ كما فعل بالاول . ثم انهُ اخرج محرمة وصار يمسح لهما دموعهما ويأخذ بخاطرهما ويقول: لا تؤاخذاني والله ما هذا بخاطري ولم يسهل عليَّ ولعلَّ الله يجعل لكما من هذا الضيق فرجًا ومخرجًا. ويدعو لهما. وحصل كل هذا وابو اسحق النديم واقف يسمع باذنهِ ويرى بعينهِ وقد تعجب من هذه الحالة. ثم انهُ قدَّم لهما سفرة الطعام وصار يلقمهما بيده حتى شبعا ومسح لهما افواههما وحمل القلَّة وسقاهما. وبعد ذلك حمل المائدة والقلة والشمعة واراد ان يخرج فسبقهُ ابو اسحق وجاء الى سريره ونام . ولم يرَهُ ولم يعرف انهُ تبعهُ واطَّلع عليهِ. ثم ان عبد الله وضع السفرة والقلة في الخزانة ودخل القاعة وفتح الدولاب ووضع السوط في محلهِ وقلع حوائجهُ ونام. هذا ما كان من امره

واما ما كان من امر ابي اسحق فانهُ بات بقية تلك الليلة يفكر في شأن هذا الامر ولم يأتهِ نوم من كثرة العجب وصار يقول في نفسهِ: يا ترى ما سبب هذه القضية. ولم يزل يتعجب الى الصباح. ثم قاموا وصلوا الصبح وانحط لهم الفطور فاكلوا وشربوا القهوة وطلعوا الى الديوان. واشتغل ابو اسحق بهذه النكتة طول النهار ولكنهُ كتمها ولم يسأل عبد الله عنها. وثاني ليلة فعل بالكلبين كذلك فضربهما ثم صالحهما واطعمهما وسقاهما. وتبعهُ ابو اسحق فرآهُ فعل بهما كاول ليلة. وكذلك ثالث ليلة. ثم انهُ احضر الخراج الى ابي اسحق النديم في رابع يوم فاخذهُ وسافر ولم يبدِ لهُ شيئًا . ولم يزل مسافرًا حتى وصل الى بغداد وسلَّم الخراج الى الخليفة . ثم ان الخليفة سألهُ عن سبب تأخير الخراج. فقال لهُ : يا امير المؤمنين رأيت عامل البصرة قد جهز الخراج واراد ارسالهُ ولو تأخرت يومًا لقابلني في الطريق . لكن رأيت من عبد الله بن فاضل عجبًا عمري ما رأيت مثلهُ يا امير المؤمنين. فقال الخليفة : وما هو يا ابا اسحق. قال: رأيت ما هو كذا وكذا . واخبرهُ بما فعلهُ مع الكلبين وقال لهُ: رأيتهُ ثلاث ليالٍ

بالتمام والكمال وقد كنت عازماً على ان ارسلهُ في غد . ولكن حيث اتيت فانا اسلمهُ اليك بعد ضيافتك ثلثة ايام وفي اليوم الرابع احضر الخراج بين يديك . ولكن وجب علينا الآن اننا نقدم اليك هدية من بعض خيرك وخير امير المؤمنين . فقال لهُ : لا بأس بذلك . ثم انهُ فضَّ الديوان ودخل بهِ قصرًا في داره ليس لهُ نظير . ثم قدم لهُ ولاصحابهِ سفرة الطعام فاكلوا وشربوا وتلذذوا وطربوا . ثم رفعت المائدة وغسلت الايادي وجاءت القهوة والشربات وقعدوا في المنادمة الى ثُلث الليل . ثم فرشوا لهُ سريرًا من العاج مرصَّعاً بالذهب الوهَّاج فنام عليهِ . ونام نائب البصرة على سرير آخر بجانبهِ . فغلب السهر على ابي اسحق رسول امير المؤمنين وصار يفكر في بحور الشعر والنظام لانهُ من خواصّ ندماء الخليفة وكان لهُ باع عظيم في الاشعار ولطائف الاخبار . ولم يزل سهرانًا في انشاء الشعر الى نصف الليل . فبينما هو كذلك واذا بعبــد الله بن فاضل قام وشدَّ حزامهُ وفتح دولاباً واخذ منهُ سوطًا واخذ شمعة مضيئة وخرج من باب القصر وهو يظنّ ان ابا اسحق نائم

(الليلة التاسعة والسبعون بعد التسعمائة) . فلما خرج تعجب ابو اسحق وقال في نفسهِ : الى اين يذهب عبد الله بن فاضل بهذا السوط فلعلَّ مرادهُ ان يعذب احدًا . ولكن لا بدَّ لي من ان اتبعهُ وانظر ما يصنع في هذه الليلة . ثم ان ابا اسحق قام وخرج وراءهُ قليلًا قليلًا بحيث انهُ لم يرهُ . فرأى عبد الله فتح خزانة واخرج منها مائدة فيها اربعة صحون من الطعام وخبزًا وقلّةً فيها ماء . ثم انهُ حمل المائدة والقلّة ومشى . فتبعــهُ ابو اسحق مستخفياً الى ان دخل قاعة فوقف ابو اسحق خلف باب القاعة من داخل وصار ينظر من خلال ذلك الباب فرأى هذه القاعة واسعة ومفروشة فرشاً فاخرًا وفي وسط تلك القاعة سرير من العاج مصفح بالذهب الوهاج وذلك السرير مربوط فيهِ كلبان في سلسلتين من الذهب . ثم انهُ رأى عبد الله حطَّ المائدة على جانب في مكان وشمَّر عن اياديهِ وفكَّ الكلب الاوَّل . فصار يتلوى في يدهِ ويضع وجههُ في الارض كأنهُ يقبّل الارض بين يديهِ ويعوي عيًّا خفيفًا بصوت ضعيف . ثم

حكاية عبد الله بن فاضل نائب البصرة مع اخويه

ومما يحكى ايضاً ايها الملك السعيد ان الخليفة هارون الرشيد تفقد خراج البلاد يوماً من الايام فرأى خراج جميع البلاد والاقطار جاء الى بيت المال الّا خراج البصرة فانهُ لم يأتِ في ذلك العام . فنصب ديواناً لهذا السبب وقال : عليَّ بالوزير جعفر . فحضر بين يديهِ . فقال لهُ : ان خراج جميع الاقطار جاء الى بيت المال الّا خراج البصرة فانهُ لم يأتِ منهُ شيء . فقال : يا امير المؤمنين لعلَّ نائب البصرة حصل لهُ امر الهاهُ عن ارسال الخراج . فقال لهُ : ان مدة حضور الخراج عشرون يوماً فما عذرهُ في هذه المدة حتى لم يرسل الخراج او يرسل باقامة العذر . فقال لهُ : يا امير المؤمنين ان شئت ارسلنا اليهِ مرسالاً . فقال : ارسل لهُ ابا اسحق الموصلي النديم . فقال : سمعاً وطاعةً لله ولك يا امير المؤمنين . ثم ان الوزير جعفر نزل الى داره واحضر ابا اسحق الموصلي النديم وكتب لهُ خطاً شريفاً وقال لهُ : امضِ الى عبد الله بن فاضل نائب مدينة البصرة وانظر ما الذي الهاهُ عن ارسال الخراج . ثم تسلم منهُ خراج البصرة بالتمام والكمال وائتني بهِ سريعاً فان الخليفة تفقد خراج الاقطار فوجدهُ قد وصل الّا خراج البصرة . وان رأيت الخراج غير حاضر واعتذر اليك بعذر فهاتهِ معك ليخبر الخليفة بالعذر من لسانهِ . فاجاب بالسمع والطاعة واخذ خمسة آلاف فارس من عسكره وسافر حتى وصل الى مدينة البصرة . فعلم بقدومهِ عبد الله بن فاضل فخرج بعسكره اليهِ ولاقاه ودخل بهِ البصرة وطلع بهِ قصرهُ . وبقية العسكر نزلوا في الخيام خارج البصرة وقد عيَّن لهم ابن فاضل جميع ما يحتاجون اليهِ . ولما دخل ابو اسحق الديوان وجلس على الكرسي اجلس عبد الله بن فاضل بجانبهِ وجلس الاكابر حولهُ على قدر مراتبهم . ثم بعد السلام قال لهُ ابن فاضل : يا سيدي هل لقدومك علينا من سبب . قال : نعم انما جئت لطلب الخراج فان الخليفة سأل عنهُ ومدة وروده قد مضت . فقال : يا سيدي يا ليتك ما تعبت ولا تحملت مشقة السفر فان الخراج حاضر

وسافر. ولم يزل مسافرًا حتى دخل البصرة. فخرجت لملاقاتهِ الاقارب والاصحاب وهم يظنون انهُ كان في الحجاز. وصار بعض الناس فرحانًا بقدومهِ وبعضهم مغمومًا لرجوعهِ الى البصرة. وقال الناس لبعضهم: انهُ يضيّق علينا في كل جمعة بحسب العادة ونحبس في الجوامع والبيوت حتى يحبس قططنا وكلابنا. هذا ما كان من امره

واما ما كان من امر ملك البصرة فانهُ لما علم بقدومهِ غضب عليهِ وارسل اليهِ واحضرهُ بين يديهِ وعنفهُ وقال لهُ: كيف تسافر ولم تعلمني بسفرك فهل كنت عاجزًا عن شيء اعطيه لك لتستعين بهِ على الحجّ الى بيت الله الحرام. فقال لهُ: العفو يا سيدي والله ما حججت ولكن جرى لي كذا وكذا. واخبرهُ بما جرى لهُ مع زوجتهِ ومع التاجر عبد الرحمن المصري وكيف زوجهُ ابنتهُ الى ان قال لهُ: وقد جئت بها الى البصرة. فقال لهُ: والله لولا اني اخاف من الله تعالى لقتلتك وتزوجت بهذه البنت الاصيلة من بعدك ولو كنت انفق عليها خزائن الاموال لانها لا تصلح الّا للملوك. ولكن جعلها الله من نصيبك وبارك لك فيها فاستوصِ بهـا خيرًا. ثم انهُ انعم على الجوهري. ونزل من عنده وقعد معها خمس سنوات. وبعد ذلك توفي الى رحمة الله تعالى. فخطبها الملك فما رضيت وقالت: ايها الملك انا ما وجدت في طائفتي امرأة تزوجت بعد بعلها فانا لا اتزوج احدًا بعد بعلي فلا اتزوجك ولو كنت تقتلني. فارسل يقول لها: هل تطلبين التوجه الى بلادكِ. فقالت: اذا فعلت خيرًا تجازى بهِ. فجمع لها جميع اموال الجوهري وزادها من عنده على قدر مقامهِ. ثم ارسل معهـا وزيرًا من وزرائهِ مشهورًا بالخير والصلاح وارسل معهُ خمسمائة فارس. فسار بها ذلك الوزير حتى اوصلها الى ابيها. واقامت من غير زواج حتى ماتت. ومات الجميع. واذا كانت هذه المرأة ما رضيت ان تبدل زوجها بعد موتهِ بسلطان كيف تستوي بمن تبدلهُ في حال حياتهِ بغلام مجهول الاصل والنسب. ومن ظنّ ان النساء كلهنّ سواء. فان داء جنونه ليس لهُ دواء. فسبحان من لهُ الملك والملكوت. وهو الحيّ الذي لا يموت

واما ما كان من امر التاجر عبد الرحمن فانهُ احضر شيخ الاسلام وجميع الاكابر وقال: يا شيخ الاسـلام اكتب كتاب بنتي كوكب الصباح على المعلم عبيد الجوهري ومهرها قد وصلني بالتمام والكمال . فكتب الكتاب وسقاهم الشربات وجعلوا الفرح واحدًا وزفُّوا بنت شيخ الاسلام زوجة قمر الزمان واختهُ كوكب الصباح زوجة المعلم عبيد الجوهري في تختروان واحد في ليلة واحدة . وفي المساء زفُّوا قمر الزمان والمعلم عبيد سواء وادخلوا قمر الزمان على بنت شيخ الاسلام وادخلوا المعلم عبيد على بنت التاجر عبد الرحمن . فلما دخل عليها رآها احسن من زوجتهِ واجمل منها بألف طبقة . ثم اقام عندهم مدة في فرح وسرور . وبعد ذلك اشتاق الى بلاده فدخل على التاجر عبد الرحمن وقال: يا عمّ اني اشتقت الى بلادي ولي فيها املاك وارزاق وكنت اقمت فيها صانعًا من صناعي وكيلًا عني وفي خاطري ان اسافر الى بلادي لابيع امـلاكي وارجع اليك فهل تأذن لي في التوجه الى بلادي من اجل ذلك . فقال لهُ: يا ولدي قد اذنت لك ولا لوم عليك في هذا الكلام فان حبَّ الوطن من الايمان والذي ما لهُ خير في بلاده ما لهُ خير في بلاد الناس . وربما انك اذا سافرت بغير زوجتك ودخلت بلادك يطيب لك فيهـا القعود وتصير متحيرًا بين رجوعك الى زوجتك وقعودك في بلادك . فالرأي الصواب ان تأخذ زوجتك معك . وبعد ذلك ان شئت الرجوع الينا فارجع انت وزوجتك ومرحبًا بك وبها لاننا ناس لا نعرف طلاقًا ولا تتزوج منـا امرأة مرتين ولا نهجر انسانًا بطرًا . فقال : يا عمّ اخاف ان ابنتك لا ترضى بالسفر معي الى بلادي فقـال لهُ : يا ولدي نحن ما عندنا نساء تخالف بعولهنَّ ولا نعرف امرأة تغضب على بعلها . فقال لهُ: بارك الله فيكم وفي نسائكم . ثم انهُ دخل على زوجتهِ وقال لها: انا مرادي السفر الى بلادي فما تقولين . قالت: ان ابي ما زال يحكم عليَّ ما دمت بكرًا وحيث تزوجت فقد صار الحكم كلهُ في يد بعلي فاني لا اخالفهُ . فقال لها: بارك الله فيكِ وفي ابيكِ ورحم الله بطنًا حملكِ وظهرًا القـاكِ . ثم بعد ذلك قطع علائقهُ واخذ في اسباب السفر . فاعطاهُ عمهُ شيئًا كثيرًا وودَّعا بعضهما . ثم اخذ زوجتهُ

فلا بدَّ انهُ يتذكر عشرتي وصحبتي ويسأل عني وانا لا ارجع عن محبتهِ ولا احول عن هواه ولو متُّ في السجن فانهُ حبيبي وطبيبي . وعشمي فيهِ انهُ يرجع اليَّ ويعمل معي انبساطاً . فلما سمعها زوجها تقول هذا الكلام دخل عليها وقال لها : يا خائنة ان عشمكِ فيهِ مثل عشم ابليس في الجنة . كل هذه العيوب فيكِ وانا ما عندي خبر . ولو علمت ان فيكِ عيباً من هذه العيوب ما كنت قنيتكِ عندي ساعة واحدة . ولكن حيث تيقنت فيكِ ذلك ينبغي ان اقتلك ولو قتلوني فيكِ يا خائنة . ثم قبض عليها بيديه الاثنتين وانشد هذين البيتين :

يا ملاحاً اذهبتمُ صِدقَ ودّي بالتجنّي ولم تراعوا حقوقا
كم بكم صبوة علقتُ ولكن بعدَ هذا الاسى كرهتُ العلوقا

ثم اتكأ على زمَّارة حلقها وكسرها . فصاحت الجارية : وا سيدتاه . فقال لها : يا عاهرة العيب كلهُ منكِ حيث كنتِ تعرفين ان فيها هذه الخصلة ولم تخبريني . ثم قبض على الجارية وخنقها . كل ذلك حصل والتاجر ماسك السيف بيده وهو واقف خلف الباب يسمع باذنهِ ويرى بعينهِ . ثم ان عبيد الجوهري لما خنقها في قصر التاجر كثرت عليهِ الاوهام وخاف عاقبة الامر وقال في نفسهِ : ان التاجر اذا علم اني قتلتهما في قصره لا بدَّ انهُ يقتلني . ولكن اسأل الله ان يجعل قبض روحي على الايمان . وصار متحيراً في امره ولم يدرِ ماذا يفعل . فبينما هو كذلك واذا بالتاجر عبد الرحمن دخل عليهِ وقال لهُ : لا بأس عليك انك تستاهل السلامة . وانظر هذا السيف الذي في يدي فاني كنت ضامراً على ان اقتلك ان صالحتها ورضيت عليها واقتل الجارية . وحيث فعلت هذه الفعال فمرحباً بك ثم مرحباً ولا جزاؤك الَّا ان ازوجك ابنتي اخت قمر الزمان . ثم انهُ اخذهُ ونزل بهِ وامر باحضار الغاسلة وشاع الخبر ان قمر الزمان ابن التاجر عبد الرحمن جاء بجاريتين معهُ من البصرة فماتتا . فصار الناس يعزونهُ ويقولون لهُ : يعيش رأسك وعوَّض الله عليك . ثم غسلوهما وكفنوهما ودفنوهما ولم يعرف احد حقيقة الامر . هذا ما كان من امر عبيد الجوهري وزوجته وجاريته

التوجه الى بلادك فانا اعطيك ما يرضيك وها هو التختروان حاضر فركب زوجتك وجاريتها فيهِ وسافر الى بلادك . والذي يجري بين الرجل وزوجته كثير . فعليك بالتيسير . ولا تسلك سبيل التعسير . فقال الجوهري : يا سيدي واين زوجتي . فقال لهُ : ها هي في هذا القصر فاطلع اليها واستوصِ بها من شأني ولا تشوش عليها فان ولدي لما جاء بها وطلب زواجها منعتهُ عنها وحطّيتها في هذا القصر وقفلت عليها الباب وقلت في نفسي : ربما يجيء زوجها فاسلمها اليهِ لانها جميلة الصورة والتي مثل هذه لا يمكن زوجها ان يفوتها . والذي حسبتهُ حصل والحمد لله تعالى على اجتماعك بزوجتك . واما من جهة ابني فاني خطبت لهُ وزوَّجتهُ غيرها وهذه الولائم والضيافات من اجل فرحهِ وفي هذه الليلة أدخلتهُ على زوجتهِ . وها هو مفتاح القصر الذي فيهِ زوجتك فخذهُ وافتح الباب وادخل على زوجتك وجاريتك وانبسط معها ويأتيكم الاكل والشرب . فقال لهُ : جزاك الله عني كل خير يا سيدي . ثم اخذ المفتاح وطلع فرحاناً . فظنَّ التاجر ان هذا الكلام اعجبهُ وانهُ رضي بهِ . فاخذ السيف وتبعهُ من خلفهِ بحيث لم يرهُ . ثم وقف ينظر ما يحصل بينهُ وبين زوجته . هذا ما كان من امر التاجر عبد الرحمن

واما ما كان من امر الجوهري فانهُ دخل على زوجتهِ فرآها تبكي بكاء شديداً بسبب ان قمر الزمان تزوج بغيرها . ورأى الجارية تقول لها : كم نصحتكِ يا سيدتي وقلت لكِ ان هذا الغلام لا ينالكِ منهُ خير فاتركي عشرتهُ فما سمعتِ كلامي حتى نهبتِ جميع مال زوجكِ واعطيتهِ لهُ وبعد ذلك فارقتِ مكانكِ وتعلقتِ في هواه وجئتِ معهُ في هذه البلاد وبعد ذلك رماكِ من بالهِ وتزوج بغيركِ ثم جعل آخر تعلقكِ بهِ الحبس . فقالت لها : اسكتي يا ملعونة فانهُ وان تزوج بغيري لا بد ان اخطر يوماً على بالهِ . فانا لا اسلو مسامرته وانا على كل حال اتسلَّى بقول من قال :

يا سادتي هل يخطرنْ ببالكم   من ليس يخطرُ غيركم في بالهِ
حاشاكمُ ان تغفلوا عن حال من   هو غافلٌ في حالكم عن حالهِ

ثم ان قمر الزمان ووالدهُ التـــاجر عبد الرحمن اخذا الجوهري ودخلا بهِ في قاعة الحريم واختليا بهِ. فقال لهُ التاجر عبد الرحمن : نحن ما منعناك من الكلام الَّا خوفًا من الفضيحة في حقك وحقنا. ولكن نحن الآن في خلوة فاخبرني بما جرى بينك وبين زوجتك وولدي. فاخبرهُ بالقضية من المبتدإ الى المنتهى. فلما فرغ من قصتهِ قال لهُ : هل الذنب من زوجتك ام من ولدي. قال لهُ : والله ان ولدك ما عندهُ ذنب فالعيب عند زوجتي التي خانتني وفعلت معي هذه الفعال. فقام التاجر واختلى بولده وقال لهُ : يا ولدي اننا اختبرنا زوجتهُ وعرفنا انها خائنة ومرادي الآن ان اختبره واعرف هل هو صاحب عرض ومروءة ام لا. فقال لهُ : وكيف ذلك. فقال : مرادي ان احملهُ على الصلح مع زوجتهِ فان رضي بالصلح وسامحهـــا فاني اضربهُ بسيف فاقتلهُ وبعد ذلك اقتلها هي وجاريتها لانهُ لا خير في حياة من طبعهُ هكذا. وان نفر منها فاني ازوجهُ اختك واعطيه باكثر من ماله الذي اخذتهُ منهُ. ثم انهُ رجع اليهِ وقال لهُ : يا معلّم ان معاشرة النساء تحتاج الى طول البال . ومن كان يهواهنَّ يحتاج الى سعة الصدر لانهنَّ يعربدنَ في الرجال . ويؤذينهم لعزتهنَّ عليهم بالحسن والجمال . فيستعظمنَ انفسهنَّ ويستحقرن الرجال. ولا سيما اذا بانت لهنَّ المحبة من بعولهنَّ فيقابلنهم بالتيــه والدلال وكريه الفعال من جميع الجهات . فان كان الرجل يغضب كلما رأى من زوجتهِ ما يكره فلا يحصل بينهُ وبينها عشرة ولا يوافقهنَّ الَّا من كان واسع البال كثير الاحتمال . وان لم يتحمل الرجل زوجتهُ ويقابل اساءتها بالسماح فانهُ لا يحصل لهُ في عشرتها نجاح . وقد قيل في حقهنَّ : لو كنَّ في السماء لمالت اليهنَّ اعناق الرجال. ومن قدر وعفا كان اجرهُ على الله . وهذه المرأة زوجتك ورفيقتك وطالت عشرتها معك فينبغي ان يكون عندك لها السماح . وهذا في العشرة من علامات النجاح . والنساء ناقصات عقل ودين . وهي ان اساءت فانها قد تابت وان شاء الله لا ترجع الى فعل ما كانت تفعلهُ اولاً . فالرأي عندي انك تصطلح انت واياها وانا اردّ لك اكثر من مالك. وان اقمت عندي فمرحبًا بك وبها وليس لكما الَّا ما يسرّكما . وان كنت تطلب

ومـا نفعني الّا الله وهذا الرجل العزيز . والسبب في ذلك ان العرب عرّوني واخذوا جمالي وبغالي واحمالي وقتلوا غلماني ورجالي ورقدت بين القتلى فظنوا اني ميت فذهبوا وفاتوني وبعد ذلك قمت ومشيت عريانًا الى ان دخلت البصرة . فقـابلني هذا الرجل وكساني وانزلني في بيته وقوّاني بالمـال وجميع ما اتيت بهِ معي ليس الّا من خير الله وخيره . فعند ما سافرت اعطاني شيئًا كثيرًا ورجعت الى بلدي مجبور الخاطر وفارقتهُ وهو في سيادة وسعادة فلعلَّهُ حدث لهُ بعد ذلك نـكبة من نكبات الزمان اوجبت لهُ فراق الاهل والاوطان وجرى لهُ في الطريق مثل ما جرى لي ولا عجب في ذلك . ولكن ينبغي لي الآن ان اجازيه على ما صنع معي من كريم الفعـال . وأعمل بقول من قال :

يا محسنـاً بالزمـان ظنًا   لم تدرِ ما يفعـل الزمانُ
ما شئت فاصنع جميل فعل   كما يدين الفـتى يدانُ

فبينما هم في هذا الكلام وامثاله واذا بالمعلم عبيد مقبل عليهم كأنهُ شاه بندر التجار . فقام اليهِ الجميع وسلموا عليهِ واجلسوه في الصدر وقال لهُ قمر الزمان : يا صاحبي نهارك مبارك سعيد لا تحكِ لي على شيء جرى عليَّ قبلك . فان كان العرب عرّوك واخذوا منك مالاً فان المال فدى الابدان فلا تغمّ نفسـك فاني دخلت بلادك عريانًا وقد كسوتني واكرمتني ولك عليَّ الاحسان الكثير فانا اجازيك وافعل معك كما فعلت معي بل اكثر من ذلك فطب نفسًا وقرَّ عينًا

(الليلة الثامنة والسبعون بعد التسعمائة) . فصار يأخذ بخاطره ومنعهُ من الكلام لئلّا يذكر زوجتهُ وما فعلت معهُ . ولم يزل يعظهُ بمواعظ وامثال واشعار ونكت وحكايات واخبار ويسليه حتى لحظ الجوهري ما اشار اليهِ قمر الزمان من الكتمان فكتم ما عندهُ وتسلى بما سمعهُ من الاخبار والنوادر . وانشد قول الشاعر :

في جبهة الدهر سطرٌ لو نظرتَ لهُ   أبكاك مضمونهُ من مُقلتيك دما
مـا سلَّم الدهرُ باليمنى على احدٍ   إلّا ويُسراهُ تسقيهِ الرَّدى كظما

تعال يا غريب كلم التاجر عبد الرحمن . فقال : ما يكون هذا التاجر . فقال لهُ : صاحب الفرح . فرجع وظن انهُ يعطيهِ احساناً . فلما اقبل على التاجر رأى صاحبه قمر الزمان فغاب عن الوجود من الحياء منهُ . وقام لهُ قمر الزمان على الاقدام واخذه بالاحضان وسلم عليهِ وتباكيا بكاء شديداً . ثم انهُ اجلسهُ بجانبه . فقال لهُ ابوه : يا عديم الذوق ما هذا شأن ملاقاة الاصحاب . ارسله اولاً الى الحمام وارسل اليهِ بدلة تليق بهِ وبعد ذلك اقعد معهُ وتحدث انت واياه . فصاح على بعض الخدام وامرهم ان يدخلوه الحمام وارسل اليهِ بدلة من خاص الملبوس تساوي الف دينار او اكثر من ذلك المبلغ وغسلوا جسده والبسوه البدلة فصار كانهُ شاه بندر التجار . وكان الحاضرون سألوا قمر الزمان عنهُ حين غيابه في الحمام وقالوا : من هذا ومن اين تعرفه . فقال : هذا صاحبي وقد انزلني في بيته ولهُ عليَّ احسان لا يحصى فانهُ اكرمني اكراماً زائداً وهو من اهل السعادة والسيادة وصنعته جوهري ليس لهُ نظير وملك البصرة يحبه حباً كثيراً ولهُ عنده مقام عظيم وكلام نافذ . وصار يبالغ لهم في مدحه ويقول : انهُ فعل معي كذا وكذا وانا صرت في حياء منهُ ولا ادري ما اجازيه بهِ في مقابلة ما صنعه معي من الاكرام . ولم يزل يثني عليهِ حتى عظم قدره عند الحاضرين وصار مهاباً في اعينهم . فقالوا : نحن كلنا نقوم بواجبه واكرامه من شأنك ولكن مرادنا ان نعرف ما سبب مجيئه الى مصر وما سبب خروجه من بلاده وما فعل الله بهِ حتى صار في هذه الحالة . فقال لهم : يا ناس لا تتعجبوا ان ابن آدم تحت القضاء والقدر وما دام في هذه الدنيا لا يسلم من الآفات . وقد صدق من قال هذه الابيات :

الدهر يفترس الرجال فلا تكن ممن تطيشهُ المناصب والرتبْ
واحذر من الزلات واجتنب الاسى واعلم بان الدهر شيمتهُ العطبْ
كم نعمةٍ زالت باصغر نقمةٍ ولكل شيءٍ في تقلبهِ سببْ

اعلموا اني انا دخلت البصرة في اسوأ من هذه الحالة واشدّ من هذا النكال لان هذا الرجل دخل مصر مستور العورة بالخلقان واما انا فاني دخلت بلاده عريان

وبعضهم يقول: اظنهُ لا يرجع من سفره بسبب دعاء اهل البصرة عليهِ. وبعضهم يقول: ان رجع لا يرجع الّا منكس الحال. وفرح اهل البصرة بسفره فرحاً عظيماً بعد ان كانوا في حسرة عظيمة حتى ارتاحت قططهم وكلابهم. فلما اتى يوم الجمعة نادى المنادي في البلد على العادة بانهم يدخلون المساجد قبل صلاة الجمعة بساعتين او يستخفون في البيوت وكذلك القطط والكلاب. فضاقت صدورهم فاجتمعوا جميعاً وتوجهوا الى الديوان ووقفوا بين يدي الملك وقالوا لهُ: يا ملك الزمان ان الجوهري اخذ حريمه وسافر الى حج بيت الله الحرام وزال السبب الذي كنا نحبس من اجله فبأي سبب نحبس الآن. فقال الملك: كيف سافر هذا الخائن ولم يعلمني. ولكن اذا جاء من سفره لا يكون الّا خيرًا روحوا الى دكاكينكم وبيعوا واشتروا فقد ارتفعت عنكم هذه الحالة. هذا ما كان من امر الملك واهل البصرة

واما ما كان من امر المعلم عبيد الجوهري فانهُ سافر عشرة مراحل فحلّ بهِ ما حلّ بقمر الزمان قبل دخوله البصرة وطلعت عليهِ عرب بغداد فعرّوه واخذوا ما كان معهُ وجعل روحهُ ميتاً حتى خلص. وبعد ذهاب العرب قام ومشى وهو عريان الى ان دخل بلدًا. فحنن الله عليهِ اهل الخير فستروه بقطع من الثياب الخلقة. وصار يسأل ويتقوت من بلد الى بلد حتى وصل الى مصر المحروسة. فاحرقهُ الجوع فدار يسأل في الاسواق. فقال لهُ رجل من اهل مصر: يا فقير عليك ببيت الفرح كل واشرب فان هناك في هذا اليوم سماط الفقراء والغرباء. فقال: لا اعرف طريق بيت الفرح. فقال لهُ: اتبعني وانا اريه لك. فتبعهُ الى ان وصل الى البيت فقال لهُ: هذا هو بيت الفرح فادخل ولا تخف فما على باب الفرح من حجاب. فلما دخل رآه قمر الزمان فعرفه واخبر بهِ اباه. ثم ان التاجر عبد الرحمن قال لولده: يا ولدي اتركهُ في هذه الساعة ربما يكون جائعاً فدعهُ يأكل حتى يشبع ويسكن روعه وبعد ذلك نطلبه. فصبرا عليهِ حتى اكل واكتفى وغسل يديه وشرب القهوة والشربات السكر الممزوجة بالمسك والعنبر واراد ان يخرج. فارسل خلفه والد قمر الزمان. فقال لهُ الرسول:

السبب في مجيئه انهُ لما ودع قمر الزمان توجه الى دكانه فجاءتهُ دقة شغــل فاخذها واشتغلها في بقية النهار . وعند المساء قفل الدكان وذهب الى البيت ووضع يده على الباب فانفتح فدخل فلم يرَ زوجته ولا الجارية ورأى البيت في اسوإ الاحوال . منطبق عليهِ قول من قال:

كانت خليَّات نحلٍ وهي عامرةٌ   لما خلى نحلها عادت خليــاَتِ
كانهـــا اليوم بالسكان ما عمرت   او غال سكانها فصل المنيـــاتِ

فلما رأى الدار خالية التفت يميناً وشمالاً ثم دار فيها مثل المجنون فلم يجد احداً وفتح باب خزينته فلم يجد فيها شيئاً من ماله ولا من ذخائره . فعنــد ذلك فاق من سكره وتنبه من غشيته وعرف ان زوجته هي التي كانت تتقلب عليهِ بالحيل حتى غدرتهُ . فبكى على ما حصل . ولكنهُ كتم امره حتى لا يشمت به احد من اعدائه ولا يتكدر احد من احبائه وعلم انهُ اذا باح بالسر لا ينــالهُ الَّا الهتيكة والتعنيف من الناس . وقال في نفسه: يا فلان اكتم ما حصل لك من الخبال والوبال . وعليك بالعمل بقول من قال :

اذا كان صدر المرء بالسرّ ضيقاً   فصدر الذي يستودع السر اضيقُ

ثم انهُ قفل بيتهُ وقصد الدكان ووكل بها صانعاً من صناعه وقال لهُ : ان الغلام التاجر صاحبي عزم على ان اروح معهُ على مصر بقصــد الفرجة وحلف انهُ ما يرحل حتى يأخذني معهُ بجريمي . وانت يا ولدي وكيلي في الدكان وان سألــكم عني الملك فقولوا لهُ : انهُ توجه بحريمه الى بيت الله الحرام . ثم باع بعض مصالحه واشترى لهُ جمالاً وبغالاً ومماليك واشترى لهُ جارية وحطها في التختروان وخرج من البصرة بعد عشرة ايام . فودّعه احبابه وسافر والناس لا يظنون الَّا انهُ اخذ زوجتهُ وتوجه الى الحجّ . وفرحت الناس وقد انقذهم الله من حبسهم في المساجد والبيوت في كل يوم جمعة . وصار بعض الناس يقول : لا ردَّه الله الى البصرة مرة اخرى حتى نحبس في المســاجد والبيوت في كل يوم جمعة . لان هذه الخصلة اورثت اهل البصرة حسرة عظيمة .

والمساكين غريباً وقريباً فصاروا يأتون زمراً ويأكلون والتاجر جالس وابنه بجنبه . فبينما هم كذلك واذا بالشيخ عبيد زوج الصبية داخل في جملة الفقراء وهو عريان تعبان وعلى وجهه اثر السفر . فلما رآه قمر الزمان عرفه فقال لابيهِ: انظر يا ابي الى هذا الرجل الفقير الذي دخل من الباب . فنظر اليهِ فرآه رثّ الثياب وعليهِ خلق جلباب يساوي درهمين . وفي وجههِ اصفرار يعلوه غبار . وهو مثل مقاطيع الحجاج . وينُّ انين المريض المحتاج . ويمشي بتهافت ويميل في مشيه ذات اليمين وذات الشمال . وتحقق فيهِ قول من قال:

الفقر يزري بالفتى دائماً ... كما اصفرار الشمس عند المغيبْ
يمرُّ بين الناس مستخفياً ... وان خلا يبكي بدمعٍ صبيبْ
وان يغب فليس يُعنى بهِ ... وما لهُ عند حضورٍ نصيبْ
والله ما الانسان في اهلهِ ... اذا ابتلى بالفقر الا غريبْ

وقول الآخر:

يمشي الفقير وكل شيء ضدهُ ... والارض تغلق دونهُ ابوابها
وتراه ممقوتاً وليس بمذنبٍ ... ويرى العداوة لا يرى اسبابها
حتى الكلاب اذا رأت ذا نعمةٍ ... اومت اليهِ وحركت اذنابها
واذا ترى يوماً فقيراً بائساً ... نبحت عليهِ وكشَّرت انيابها

وما احسن قول الشاعر:

اذا صحب الفتى عزاً وسعداً ... تحامتهُ المكاره والخطوبُ
وواصلهُ الحبيب بغير وعدٍ ... طفيلياً وقاد لهُ الرقيبُ
وعدَّ الناس ضرطتهُ غناء ... وقالوا ان فسا قد فاح طيبُ

(الليلة السابعة والسبعون بعد التسعمائة) . فقال التاجر عبد الرحمن لابنه : يا ولدي من هذا . قال لهُ : هذا المعلم عبيد الجوهري زوج المرأة المحبوسة عندنا . فقال لهُ : أهذا الذي كنت تحدثني عنهُ . قال : نعم وقد عرفتهُ معرفة جيدة . وكان

تزوج جارية معدومة النسب والحسب. وصار يرغب ولده في عدم زواجها ويذكر له في شأن ذلك عبارات ونكتاً واشعاراً وامثالاً ومواعظ. فقال قمر الزمان: يا والدي حيث كان الامر كذلك فلا علاقة لي بزواجها. فلما قال قمر الزمان ذلك الكلام قبّله ابوهُ بين عينيهِ وقال له: انت ولدي حقاً. وحياتك يا ولدي لا بدّ لي من ان ازوّجك بنتاً ليس لها نظير. ثم ان التاجر عبد الرحمن حطّ زوجة عبيد الجوهري وجاريتها في قصرٍ عالٍ وقفل عليها وقيّد بها جارية سوداء توصل اليها اكلها وشربها وقال لها: انتِ وجاريتكِ تستمرّان محبوستين في هذا القصر حتى انظر لكما من يشتريكما وابيعكما له. وان خالفتِ قتلتكِ انتِ وجاريتكِ فانكِ خائنة ولا خير فيكِ. فقالت له: افعل مرادك فاني استحقّ جميع ما تفعلهُ معي. ثم قفل عليها الباب ووصى عليها حريمه وقال: لا يطلع عندهما احد ولا يكلمهما غير الجارية السوداء التي تعطيهما اكلهما وشربهما من طاقة القصر. فقعدت هي وجاريتها تبكي وتتندم على ما فعلت بزوجها. هذا ما كان من امرها

واما ما كان من امر التاجر عبد الرحمن فانهُ ارسل الخاطبات يخطبنَ بنتاً ذات حسب ونسب لولده. فما زلنَ يفتشنَ وكلما رأينَ واحدة يسمعنَ بأحسن منها حتى دخلنَ بيت شيخ الاسلام فرأينَ بنتهُ لم يكن لها نظير في مصر وهي ذات حسن وجمال وقدّ واعتدال لانها احسن من زوجة عبيد الجوهري بالف طبقة. فاخبرنهُ بها فذهب هو والاكابر الى والدها وخطبوها منهُ وكتبوا الكتاب وعملوا لها فرحاً عظيماً ثم عمل الولائم وعزم في اول يوم الفقهاء فعملوا مولداً شريفاً. وثاني يوم عزم التجار تماماً. ثم دقّت الطبول وزمرت الزمور وزيّن الحارة والخط بالقناديل وفي كل ليلة تأتي سائر ارباب الملاعب ويلعبون انواع اللعب. وكل يوم يعمل ضيافة لصنف من اصناف الناس حتى عزم العلماء والامراء والسناجق والحكام. ولم يزل الفرح قائماً مدة اربعين يوماً. وكل يوم يقعد التاجر ويستقبل الناس وولده يقعد بجانبه ليتفرج على الناس وهم يأكلون من السماط وكان فرحاً ليس له نظير. وفي آخر يوم عزم الفقراء.

قمر الزمان يلوح في إسفارهِ اشراقهُ اذ جاء من أسفارهِ
فشعوره في اللون ليلُ غيابهِ لكن شروق الشمس من ازرارهِ

ثم ان التجار تقدموا اليهِ وسلموا عليهِ فرأوا معهُ احمالاً كثيرة وخدماً وتختروانًا وهو في دائرة واسعة فأخذوهُ ودخلوا بهِ البيت. فلما خرجت الصبية من التختروان رآها ابوهُ فتنة لمن يراها. ففتحوا لها قصرًا عاليًا كأنهُ كنز انحلّت عنهُ الطلاسم. ولما رأتها امه افتتنت بها وظنت انها ملكة من زوجات الملوك وفرحت بها وسألتها. فقالت لها: انا زوجة ولدكِ. قالت: حيث تزوَّج بكِ ينبغي لنا اننا نقيم لكِ فرحًا عظيمًا حتى نفرح بكِ وبولدي. هذا ما كان من امرها

واما ما كان من امر التاجر عبد الرحمن فانهُ بعد انفضاض النـاس ورواح كل واحد الى حال سبيله اجتمع بولده وقال لهُ: يا ولدي ما تكون هذه الجارية عندك وبكم اشتريتها. فقال لهُ: يا والدي انها ليست جارية وانما هي التي كانت سبب غربتي. قال والدهُ: وكيف ذلك. قال: انها التي كان يصفها لنا الدرويش ليلة بات عندنا. فان آمالي تعلقت بها من ذلك الوقت وما طلبت السفر الّا من اجلها حتى تعرَّيت في الطريق واخذتْ العرب اموالي وما دخلت البصرة الّا وحدي وحصل لي كذا وكذا. وصار يحكي لوالده من المبتدإ الى المنتهي. فلما فرغ من حديثه قال لهُ: يا ولدي وبعد ذلك كله هل تزوجتها. قال: لا ولكن وعدتها ان اتزوَّج بها. قال لهُ: هل مرادك الزواج بها. قال: ان كنت تأمرني افعل ذلك والّا فلا اتزوجها. قال لهُ: ان تزوجت بهـا اكون بريئًا منك في الدنيا والآخرة واغضب عليك غضبًا شديدًا. كيف تتزوج بها وهي عملت هذه الفعال مع زوجها. وكما عملتها مع زوجها على شأنك تعمل معك مثلها على شأن غيرك فانها خائنة والخائن ليس لهُ امان. فان كنت تخالفني اكون غضبان عليك. وان سمعت كلامي افتش لك على بنت احسن منها تكون طاهرة زاكية فازوّجك بها ولو كنت انفق عليها جميع مالي واعمل لك فرحًا ليس لهُ نظير وافتخر بك وبها. واذا قال الناس فلان تزوَّج بنت فلان احسن من ان يقولوا

ركبت في التختروان وهو ينظر اليها . ثم قال لهُ قمر الزمان : استودعتك الله يا معلم عبيد ابرئ ذمتي . فقال لهُ : ابرأ الله ذمتك وحملك بالسلامة الى عيالك . وودعهُ وتوجه الى دكانه وهو يبكي وقد عزّ عليهِ فراق قمر الزمان لكونه كان رفيقاً لهُ والرفيق لهُ حق . ولكنهُ فرح بزوال الوهم الذي حصـل عنده من امر زوجته حيث سافر ولم يتحقق ما ظنه في زوجته . هذا ما كان من امره . واما ما كان من امر قمر الزمان فان الصبية قالت لهُ : ان اردتَ السلامة فسافر بنا على غير طريق معهودة . فقال : سمعاً وطاعةً

(الليلة السادسة والسبعون بعد التسعمائة) . ثم سلك طريقاً غير الطريق التي تعهد الناس المشي فيها . ولم يزل مسافرًا من بلاد الى بلاد حتى وصل الى حدود قطر مصر . ثم كتب كتاباً وارسله الى والده مع ساعٍ . وكان والدهُ التاجر عبد الرحمن قاعدًا في السوق بين التجار . وفي قلبه من فراق ولده لهيب النار . لانهُ من يوم توجه ما اتاهُ من عنده خبر . فبينما هو كذلك واذا بالساعي مقبل وقال : يا سادتي من فيكم اسمهُ التاجر عبد الرحمن . فقالوا لهُ : ما تريد منهُ . قال لهم : ان معي كتاباً من عند ولده قمر الزمان وقد فارقتهُ عند العريش . ففرح وانشرح وفرح لهُ التجـار وهنوهُ بالسلامة . ثم اخذ الكتاب وقرأهُ فرآهُ من عند قمر الزمان الى التاجر عبد الرحمن . وبعد السلام عليك وعلى جميع التجـار فان سألتم عنّا فللّه الحمد والمنّة . وقد بعنا واشترينا وكسبنا ثم قدمنا بالصحة والسلامة والعافية . فعند ذلك فتح باب الفرح وعمل الولائم . واكثر الضيافات والعزائم . واحضر آلات الطرب . واتى في الفرح بانواع العجب . فلما وصل ولده الى الصالحية خرج الى مقابلته ابوه وجميع التجار . فقابلوهُ واعتنقهُ والدهُ وضمَّهُ الى صدره وبكى حتى اغمي عليهِ . ولما افاق قال لهُ : يوم مبارك يا ولدي حيث جمعنا بك المهيمن القادر . ثم انشد قول الشاعر :

وقرب الحبيب تمـام السرورْ وكأس الهنـاء علينـا يدورْ
فاهـلًا وسهـلًا بلي مرحباً بنور الزمـان وبدر البـدورْ

ثم افاض من شدة الفرح دمع العين . وانشد هذين البيتين :

اجرة البيت حتى اعطيه لك وتبرأ ذمتي . فقال لهُ : ما هذا الكلام ان فضلك عليَّ والله ما آخذ منك شيئاً من اجرة البيت وحلّت علينا البركات ولكنك توحشنا بسفرك ولولا انهُ يحرم عليَّ لتعرضت لك ومنعتك عن عيالك و بلادك . ثم ودعهُ وتباكيا بكاء شديدًا ما عليهِ من مزيد . وقفل الدكان من ساعته وقال في نفسه : ينبغي ان اشيع صاحبي . وصار كلما راح يقضي حاجة يروح معهُ واذا دخل بيت قمر الزمان يجدها فيهِ وتقف بين ايديهما وتخدمهما واذا رجع الى بيته يراها قاعدة هناك . ولم يزل يراها في بيته اذا دخلهُ ويراها في بيت قمر الزمان اذا دخله مدة ثلثة ايام . ثم انها قالت لهُ : اني نقلت جميع ما عنده من الذخائر والاموال والفروش ولم يبقَ عنده الّا الجارية التي تدخل عليكما بالشراب . ولكنني لا اقدر على فراقها لانها قريبتي وعزيزة عندي وكاتمة لسرّي . ومرادي ان اضربها واغضب عليها واذا اتى زوجي اقول لهُ : انا ما بقيت اقبل هذه الجارية ولا اقعد انا واياها في بيت فخذها وبعها . فيأخذها ليبيعها فاشترها انت حتى نأخذها معنا . فقال : لا بأس . ثم انها ضربتها . فلما دخل زوجها رأى الجارية تبكي فسألها عن سبب بكائها فقالت : ان سيدتي ضربتني . فدخل وقال : ما فعلت هذه الجارية الملعونة حتى ضربتها . فقالت لهُ : يا رجل اني اقول لك كلمة واحدة انا ما بقيت اقدر ان انظر هذه الجارية فخذها وبعها والّا طلقني . فقال : ابيعها ولا اخالف لكِ امرًا . ثم انهُ اخذها معهُ وهو خارج الى الدكان ومرّ بها على قمر الزمان . وكانت زوجته بعد خروجه بالجارية مرقت من السرداب بسرعة الى قمر الزمان فادخلها في التختروان قبل ان يصل اليهِ الشيخ الجوهري . فلما وصل اليهِ ورأى قمر الزمان الجارية معهُ قال لهُ : ما هذه . قال : جاريتي التي كانت تسقينا الشراب ولكنها خالفت سيدتها فغضبت عليها وأمرتني ان ابيعها . فقال : انها حيث بغضتها سيدتها ما بقي لها قعود عندها ولكن بعها لي حتى اشمّ رائحتك فيها واجعلها خادمة لجاريتي حليمة . فقال : لا بأس خذها . فقال لهُ : بكم . فقال : انا لا آخذ منك شيئاً لانك تفضلت علينا . فقبلها منهُ وقال للصبية : قبلي يد سيدك . فبرزت لهُ من التختروان وقبلت يده ثم

الباب بسرعة وفرّجه عليَّ . فبينما هما في الكلام واذا بالباب يُطرق . فقال : مَن بالباب . قال : انا صاحبك فانك فرجتني على الجارية في السوق وفرحت لك بها ولكن ما كملت فرحتي بها فافتح الباب وفرّجني عليها . قال : لا بأس بذلك . ثم فتح له الباب فرأى زوجته قاعدة عنده . فقامت وقبلت يده ويد قمر الزمان وتفرّج عليها وتحدث معهُ مدة فرآها لا تتميز عن زوجته بشيء . فقال : يخلق الله ما يشاء . ثم انهُ خرج وكثر في قلبه الوسواس ورجع الى بيته فرأى زوجته جالسة لانها سبقتهُ من السرداب حين خرج من الباب ثم قعدت في قصرها

(الليلة الخامسة والسبعون بعد التسعمائة) . فلما دخل عليها زوجها قالت لهُ : اي شيء رأيت . قال : رأيتها عند سيدها وهي تشبهكِ . فقالت : توجه الى دكانك وحسبك سوء الظن فما بقيت تظن بي سوءا . فقال لها : الامر كذلك فلا تؤاخذيني عما صدر مني . قالت : سامحك الله . ثم قبلها ذات اليمين وذات الشمال وراح الى دكانه . فنزلت من السرداب الى قمر الزمان ومعها اربعة اكياس وقالت لهُ : جهز حالك لسرعة السفر واستعد لتحميل المال بلا امهال حتى افعل لك ما عندي من الحيل . فطلع واشترى بغالاً وحمل احمالاً وجهز تختروانًا واشترى مماليك وخدمًا واخرج الجميع من البلد وما بقي لهُ عاقة واتى لها وقال : اني تممت اموري . فقالت لهُ : وانا الاخرى قد نقلت بقية ماله وجميع ذخائره عندك وما خليت لهُ قليلًا ولا كثيرًا ينتفع بهِ وكل هذا محبة فيك يا حبيب قلبي فانا افديك الف مرة بزوجي . ولكن ينبغي ان تذهب اليهِ وتودعه وتقول لهُ : انا اريد السفر بعد ثلثة ايام وجئت لاودعك فاحسب ما انجمل لك عندي من اجرة البيت حتى اورده لك وتبرأ ذمتي . وانظر ما يكون من جوابه وارجع اليَّ واخبرني فاني عجزت وانا احتال عليهِ واغيظه لاجل ان يطلقني فما اراه الَّا متعلقًا بي . وما بقي لنا احسن من السفر الى بلادك . فقال لها : يا حبذا ان صحت الاحلام . ثم راح الى دكانه وجلس عنده وقال لهُ : يا معلم انا مسافر بعد ثلثة ايام وما جئت الَّا لاودعك والمراد انك تحسب ما انجمل لك عندي من

في جميع صفاتكِ وفي اصبعها خواتم مثل خواتمكِ ومصاغها مثل مصاغكِ. فلما فرَّجني عليها ظننت انها انتِ وقد تحيرت في امري. ليتنا ما رأينا هذا التاجر ولا صاحبناه ولا جاء من بلاده ولا عرفناه فانهُ كدَّر عيشتي بعد الصفاء وكان سبباً في الجفاء بعد الوفاء وأدخل الشك في قلبي. فقالت لهُ: طلّ في وجهي لعلي اكون انا التي كنت معهُ والتاجر صاحبي وقد تلبست بصفة جارية واتفقت معهُ على ان يفرجك عليَّ حتى يكيدك. فقال: اي شيء هذا الكلام انا ما اظن بكِ ان تفعلي مثل هذه الفعال. وكان ذلك الجوهري مغفلًا عن مكايدة النساء وما يفعلنَ مع الرجال. ولم يسمع بقول من قال:

طحا بك قلبٌ في الحسان طروبُ ... بُعيدَ الشبابِ عصرَ حان مشيبُ
يكلفني ليلى وقد شطَّ وليها ... وعادت عوادٍ بيننا وخطوبُ
وان تسألوني بالنساء فانني ... خبيرٌ بادواء النساء طبيبُ
اذا شاب رأس المرء او قلَّ مالهُ ... فليس لهُ من ودهنَّ نصيبُ

وقول الآخر:

اعص النساء فتلك الطاعة الحسنهْ ... فلن يفوز فتىً يعطي النسا رسنهْ
يعقنهُ عن كمالٍ في فضائلهِ ... ولو سعى طالباً للعلم الف سنهْ

وقول الآخر:

ان النساء شياطينٌ خلقنَ لنا ... اعوذ بالله من كيد الشياطينِ
ومن بهنَّ رماهُ العشق مبتليًا ... قد ضيَّع الحزم من دنيا ومن دينِ

ثم قالت لهُ: ها انا قاعدة في قصري ورح انت اليهِ في هذه الساعة واطرق الباب واحتل على الدخول عليهِ بسرعة. فاذا دخلت ورأيت الجارية عنده تكون جاريته تشبهني وجلَّ من ليس لهُ شبيه. وان لم ترَ الجارية عنده اكون انا الجارية التي رأيتها معهُ ويكون ظنك بي السوء محققًا. فقال: صدقتِ. ثم تركها وخرج. فقامت هي ونزلت من السرداب وقعدت عند قمر الزمان واخبرتهُ بذلك وقالت لهُ: افتح

الجارية فايقظت سيدها وقمر الزمان. فقاما وصلّيا الصبح وافطرا وشربا القهوة وخرج الجوهري الى دكانه وقمر الزمان دخل بيته. واذا بالصبيــة خرجت لهُ من السرداب وهي بصفة جارية وكان اصلها جارية. ثم توجه الى دكان الجوهري ومشت خلفه. ولم يزل ماشياً وهي خلفه حتى وصل بها الى دكان الجوهري فسلم عليهِ وجلس وقال: يا معلم اني دخلت اليوم خان اليسيرجية بقصد الفرجة فرأيت هذه الجارية في يد الدلال فاعجبتني فاشتريتها بالف دينار وقصدي ان تتفرَّج عليها وتنظر هل هي رخيصة بهذا الثمن ام لا. وكشف لهُ عن وجهها. فرآها زوجته وهي لابسة الفخر ملبوسها ومتزينــة باحسن الزينة ومكحلــة ومخضبة كما كانت تتزين قدامه في بيته فعرفهــا حق المعرفة بوجهها وملبوسها وصيغتها لانهُ صاغها بيده ورأى الخواتم التي صاغها جديدًا لقمر الزمان في اصبعها وتحقق عنده انها زوجته من سائر الجهات فقال لها: ما اسمــكِ يا جارية. قالت: حليمة. وزوجته اسمها حليمــة فذكرت لهُ الاسم بعينه. فتعجب من ذلك وقال لهُ: بكم اشتريتها. قال: بالف دينار. قال: انك اخذتها بلا ثمن لان الالف الدينار اقلّ من ثمن الخواتم وملبسها ومصاغها بلا شيء. فقال لهُ: بشرك الله بالخير وحيث اعجبتك فانا اذهب بها الى بيتي. فقال: افعل مرادك. فاخذها وراح الى بيته ونزلت من السرداب وقعدت في قصرها. هذا ما كان من امرها

واما ما كان من امر الجوهري فان النار اشتعلت في قلبه وقال في نفسه: انا اروح انظر زوجتي فان كانت في البيت تكون هذه الجارية شبيهتها وجلّ من ليس لهُ شبيه وان لم تكن زوجتي في البيت تكون هي من غير شك. ثم انهُ قام يجري الى ان دخل البيت فرآها قاعدة بملبسها وزينتها التي رآها بها في الدكان فضرب يدًا على يد وقال: لا حول ولا قوة الّا بالله العلي العظيم. فقالت لهُ: يا رجل هل حصل لك جنون او ما خبرك فما هذه عادتك لا بدَّ ان يكون لك امر من الامور. فقال لها: اذا كان مرادكِ ان اخبركِ فلا تغتمّي. فقالت لهُ: قل. قال: ان التاجر صاحبنا اشترى جارية قدُّها مثل قدّكِ وطولها مثل طولك واسمها مثل اسمكِ وملبسها مثل ملبسك وهي تشبهك

له : مقتضى كلامك اني انا خليلة ذلك التاجر وصاحبتهُ واعطيته مصالحك وجوزت خيانتي لجئت تسألني ولو كنت ما رأيت السكين والساعة عندي كنت اثبتَ خيانتي . لكن يا رجل حيث انك ظننت بي هذا الظن ما بقيت اوا كلك في زاد ولا اشاربك في ماء بعد هذا فاني كرهتك كراهة التحريم . فصار يأخذ بخاطرها حتى ارضاها

(الليلة الرابعة والسبعون بعد التسعمائة) . ثم خرج وتندم على مقابلتها بهذا الكلام وتوجه الى دكانه وجلس وصار في قلق شديد وفكر ما عليهِ من مزيد وهو ما بين مصدق ومكذب . وعند المساء اتى الى البيت وحده ولم يأتِ بقمر الزمان معهُ . فقالت له الصبية : اين التاجر . قال : في منزله . قالت : هل بردت الصحبة التي بينك وبينه . قال : والله اني كرهته مما جرى منهُ . فقالت له : قم هاته من شان خاطري . فقام ودخل عليهِ بيته فرأى حوائجه منشورة فيهِ فعرفها . فاتقدت النار في قلبه وصار يتنهد . فقال قمر الزمان : ما لي اراك في فكر . فاستحى ان يقول له ان حوائجي عندك مَن اوصلها اليك . وانما قال له : حصل عندي تشويش ولكن قم بنا الى البيت لنتسلى هناك . فقال : دعني في محلي فلا اروح معك . فحلف عليهِ واخذه . ثم تعشى معهُ وسهرا تلك الليلة وصار يتحدث معهُ وهو غريق في بحر الافكار واذا تكلم الغلام التاجر مائة كلمة يرد عليهِ الجوهري بكلمة واحدة . ثم دخلت عليهما الجارية بفنجانين على العادة . فلما شربا رقد التاجر ولم يرقد الغلام لان فنجانه غير مغشوش . ثم دخلت الصبية على قمر الزمان وقالت له : كيف رأيت هذا القرنان . الذي هو في غفلته سكران . ولا يعرف مكائد النسوان . فلا بد ان اخدعه حتى يطلقني . ولكن في غد تهيأ بهيئة جارية واروح خلفك الى الدكان فقل له : يا معلم اني دخلت اليوم خان اليسيرجية فرأيت هذه الجارية فاشتريتها بالف دينار . فانظرها لي هل هي رخيصة بهذا الثمن او غالية . ثم اكشف له عن وجهي وفرّجه عليَّ . ثم خذني وارجع بي الى منزلك وانا ادخل بيتي من السرداب حتى انظر آخر امرنا معهُ . ثم انهما امضيا ليلتهما على انس وصفاء ومنادمة وانشراح الى الصباح . وبعد ذلك ذهبت الى مكانها وارسلت

الشك باليقين . فقالت لهُ : لعلك ظننت بي سوءًا وجعلتني صاحبة اللاوندي واعطيتهُ السكين . فقال لها : نعم اني شككت في هذا الامر ولكن لما رأيت السكين ارتفع الشك من قلبي . فقالت لهُ : يا رجل انت ما بقي فيك خير . فصار يعتذر اليها حتى ارضاها ثم خرج وتوجه الى دكانه . وفي ثاني يوم اعطت قمر الزمان ساعة زوجها وكان صنعها بيده ولم يكن عند احد مثلها . ثم انها قالت لهُ : رح الى دكانه واجلس عنده وقل لهُ : ان الذي رأيتهُ بالامس رأيتهُ في هذا اليوم وفي يده ساعة فقال لي : أتشتري هذه الساعة . فقلت لهُ : من اين لك هذه الساعة . قال : كنت عند صاحبتي فاعطتني اياها . فاشتريتها منهُ بثمانية وخمسين دينارًا . فانظر هل هي رخيصة بهذا الثمن او غالية . وانظر ما يقول لك . واذا قمت من عنده فأتني بسرعة واعطني اياها . فراح اليهِ قمر الزمان وفعل معهُ ما امرتهُ بهِ . فلما رآها الجوهري قال : هذه تساوي سبعمائة دينار . وداخله الوهم . ثم ان الغلام تركهُ وراح الى الصبية واعطاها تلك الساعة . واذا بزوجها دخل ينفخ وقال لها : اين ساعتي . قالت لهُ : ها هي حاضرة . قال لها : هاتيها . فأتت لهُ بها . فقال : لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم . فقالت لهُ : يا رجل ما انت بلا خبر فاخبرني بخبرك . فقال لها : ماذا اقول . اني تحيرت في هذه الحالات . ثم انشد هذه الابيات :

تحيرت والرحمن لا شك في امري ... وحاقت بي الاحزان من حيث لا ادري
سأصبر حتى يعلم الصبر انني ... صبرت على شيء أمرّ من الصبرِ
وما مثل مرّ الصبر صبري وانما ... صبرت على شيء احرّ من الجمرِ
وما الامر امري في المراد وانما ... أُمرت بحسن الصبر من صاحب الامرِ

ثم قال : يا امرأة اني رأيت مع التاجر صاحبنا اولاً سكيني وقد عرفتها لان صياغتها اختراع من عقلي وليس يوجد مثلها واخبرني باخبار تغم القلب واتيت فرأيتها ورأيت معهُ الساعة ثانيًا وصياغتها ايضًا اختراع من عقلي وليس يوجد مثلها في البصرة واخبرني ايضًا باخبار تغم القلب فتحيرت في عقلي وما بقيت اعرف ما جرى لي . فقالت

(الليلة الثالثة والسبعون بعد التسعمائة) . ثم قال له: من اين اشتريتها . فاخبره بما اوصته بهِ الصبية . فقال له: هذه بهذا الثمن رخيصة لانها تساوي خمسمائة دينار . وانقادت النار في قلبه وارتبطت اياديه عن الشغل في صنعته وصار يتحدث معهُ وهو غريق في بحر الافكار وكلما كلمه الغلام خمسين كلمة يرد عليهِ بكلمة واحدة . وصار قلبهُ في عذاب . وجسمهُ في اضطراب . وتكدر منهُ الخاطر . وصار كما قال الشاعر :

لم ادرِ قولاً اذا حبوا مكالمتي   او كلموني يروني غائب الفكرِ
غرقان في بحر فكرٍ لا قرار لهُ   لا أفرق الناس انثاها من الذكرِ

فلما رآه تغيرت حالته قال لهُ: لعلك مشغول في هذه الساعة . ثم قام من عنده وتوجه الى البيت بسرعة فرآها واقفة في باب السرداب تنتظره . فلما رأتهُ قالت لهُ: هل فعلت كما امرتك . قال: نعم . قالت لهُ: ما قال لك . قال لها: قال لي انها رخيصة بهذا الثمن لانها تساوي خمسمائة دينار . ولكن تغيرت احواله فقمت من عنده ولم ادرِ ما جرى لهُ بعد ذلك . فقالت: هات السكين وما عليك منهُ . ثم اخذت السكين وحطتها في موضعها وقعدت . هذا ما كان من امرها

واما ما كان من امر الجوهري فانهُ بعد ذهاب قمر الزمان من عنده التهبت بقلبه النار وكثر عنده الوسواس وقال في نفسه: لا بد ان اقوم واتفقد السكين واقطع الشك باليقين . فقام واتى البيت ودخل على زوجته وهو ينفخ مثل الثعبان . فقالت لهُ: ما لك ياسيدي . فقال لها: اين سكيني . فقالت: في الصندوق . ثم دقت صدرها بيدها وقالت: ياهمي لعلك تخاصمت مع احد فاتيت تطلب السكين لتضرب بها . قال لها: هاتي السكين اريني اياها . قالت: حتى تحلف انك لا تضرب بها احدًا . فحلف لها . ففتحت الصندوق واخرجتها لهُ . فصار يقلبها ويقول: ان هذا شيء عجيب . ثم انهُ قال لها: خذيها وحطيها في مكانها . قالت لهُ: اخبرني ما سبب ذلك . قال لهـا: اني رأيت مع صاحبنا سكينًا مثلها . واخبرها بالخبر كله ثم قال لها: ولما رأيتها في الصندوق قطعت

وغير ذلك . ثم ان الجوهري جاءه في بيته واخذه الى القاعة وسهر فيها هو واياه . فدخلت الجارية على العادة وسقتهما فرقد سيدها . وقمر الزمان ما اصابهُ شيء . لان فنجانهُ سالم لا غشَّ فيهِ . ثم اقبلت عليهِ الصبية فجلست عنده . وصارت الجارية تنقل المصالح الى بيته من السرداب . ولم يزالوا على هذه الحالة الى الصباح . ثم ان الجارية نبهت سيدها وسقتهما القهوة وكل منهما راح الى حال سبيله . وفي ثالث يوم اخرجت لهُ سكيناً كانت لزوجها وهي صياغته بيده وكلفها خمسمائة دينار ولم يوجد لها مثيل في حسن الصياغة ومن كثرة ما طلبها منهُ الناس وضعها في صندوق ولم تسمح نفسه ببيعها لاحد من المخلوقين ثم قالت لهُ : خذ هذه السكين وحطها في حزامك ورح الى زوجي واجلس عنده واخرجها من حزامك وقل لهُ : يا معلم انظر هذه السكين فاني اشتريتها في هذا اليوم واخبرني هل انا مغلوب او غالب . فانهُ يعرفها ويستحي ان يقول لك : هذه سكيني . فان قال لك : من اين اشتريتها وبكم اخذتها . فقل لهُ : رأيت اثنين من اللاوندية يتقاتلان مع بعضهما . فقال واحد منهما للآخر : اين كنت . قال : كنت عند صديقتي وكل ما اجتمع معها تعطيني دراهم . وفي هذا اليوم قالت لي : ان يدي لا تطول دراهم في هذا الوقت ولكن خذ هذه السكين فانها سكين زوجي . فاخذتها منها ومرادي بيعها . فاعجبتني السكين . ولما سمعتهُ يقول ذلك قلت لهُ : اتبيعها لي . فقال : اشترِ . فاخذتها منهُ بثلثمائة دينار . فيا ترى هل هي رخيصة او غالية . وانظر ما يقول لك . ثم تحدث معهُ مدة وقم من عنده وتعال اليَّ بسرعة فتراني قاعدة في فم السرداب انتظرك فاعطني السكين . فقال لها : سمعاً وطاعةً . ثم اخذ تلك السكين وحطها في حزامه وراح الى دكان الجوهري فسلم عليهِ . فرحب بهِ واجلسه . فرأى السكين في حزامه فتعجب وقال في نفسه : ان هذه سكيني ومن اوصلها الى هذا التاجر . وصار يفكر في نفسه ويقول : يا ترى هل هي سكيني او سكين تشابهها . واذا بقمر الزمان اخرجها وقال : يا معلم خذ هذه السكين تفرَّج عليها . فلما اخذها من يده عرفها حق المعرفة واستحى ان يقول : هذه سكيني

قمر الزمان في الذهاب وتوجه الى العجوز واخبرها بما جرى وقال لها: انها قالت لي كذا وكذا وقلت لها كذا وكذا. فهل عندكِ اكثر من هذا التدبير حتى توصليني الى الاجتماع بها جهارًا. فقالت: يا ولدي الى هنا انتهى تدبيري وفرغت حيلي. فعند ذلك تركها وتوجه الى الخان. ولما اصبح الصباح توجه اليهِ الجوهري عند المساء وعزمه. فقال لهُ: لا يمكن اني اروح معك. فقال لهُ: لماذا وانا احببتك وما بقيت اقدر على فراقك فبالله عليك ان تمضي معي. فقال لهُ: ان كان مرادك طول العشرة معي ودوام الصحبة بيني وبينك فخذ لي بيتًا بجانب بيتك. وان شئت تسهر عندي وانا اسهر عندك وعند النوم يروح كل منا الى بيته وينام فيهِ. فقال لهُ: ان عندي بيتًا بجانب بيتي وهو ملكي فامضِ معي في هذه الليلة وفي غد اخليهِ لك. فمضى وتعشيا وصليا العشاء. وشرب زوجها الفنجان الذي فيهِ العمل فرقد وفنجان قمر الزمان لا غش فيهِ فشربه ولم يرقد. فجاءتهُ وقعدت تسامره الى الصباح وزوجها مرميٌ مثل الميت. ثم انهُ صحا من النوم على العادة وارسل احضر الساكن وقال لهُ: يا رجل أخلِ لي بيتي فاني قد احتجت اليهِ. فقال لهُ: على الرأس والعين. فاخلاه لهُ وسكن فيهِ قمر الزمان ونقل جميع مصالحه فيهِ. وفي تلك الليلة سهر الجوهري عند قمر الزمان ثم راح الى بيته. وفي ثاني يوم ارسلت الصبية الى معمار ماهر فاحضرتهُ وارغبتهُ بالمال حتى عمل لها سردابًا من قصرها يوصل الى بيت قمر الزمان وجعل لهُ طابقًا تحت الارض فما شعر قمر الزمان ألّا وهي داخلة عليهِ ومعها كيسان من المال. فقال لها: من اين جئتِ. فارتهُ السرداب وقالت لهُ: خذ هذين الكيسين من ماله. وقعدت تسامره الى الصباح. ثم قالت لهُ: انتظرني حتى اروح اليه وانبهه ليذهب الى دكانه وآتي اليك. فقعد ينتظرها وانصرفت الى زوجها وايقظتهُ. فقام وتوضأ وصلى وذهب الى الدكان. وبعد ذهابه اخذت اربعة اكياس وراحت الى قمر الزمان من السرداب وقالت لهُ: خذ هذا المال. وجلست عنده. ثم انصرف كل منهما الى حال سبيله. فتوجهت الى بيتها وتوجه قمر الزمان الى السوق. ولما رجع في وقت المغرب رأى عنده عشرة اكياس وجواهر

فافتتنت بهِ. ثم صارا يتحدثان الى ان جاء العشاء. فاكلا وشربا وبعد ذلك جاءت القهوة والشربات. ولم يزل يسامره الى وقت العشاء فصلّيا الفريضة. ثم دخلت عليهما جارية ومعها فنجانان من المشروب. فلما شربا غلب عليهما النوم فناما حتى اشرق جبين الصباح وتبلج الفجر ولاح. فارسلت الصبية جاريتها بشيء مثل النشوق فوضعتهُ في مناخيرهما فعطسا وافاقا. فقالت لهما الجارية: اعلموا يا اسيادي ان الصلاة وجبت فقوموا لصلاة الصبح. واتت لهما بالطست والابريق. ثم قال قمر الزمان: يا معلم ان الوقت جاء وقد تجاوزنا الحد في النوم. فقال الجوهري للتاجر: يا صاحبي ان نوم هذه القاعة ثقيل كلما انام فيها يجري لي هذا الامر. فقال: صدقت. ثم ان الجارية جاءت لهما بالفطور فافطرا. ثم ان المعلم عبيد خرج لقضاء حاجة. فاغتنمت زوجته الفرصة ودخلت القاعة وقالت لقمر الزمان: انا ما يكفيني منك لا يوم ولا شهر ولا سنة وانما قصدي ان اقيم معك بقية العمر. ولكن اصبر حتى اعمل لك مع زوجي حيلاً تحير ذوي الالباب ونبلغ بها الآراب وأُدخل عليهِ الشك حتى يطلقني واتزوج بك واروح معك الى بلادك وانقل جميع ماله وذخائره عندك واتحيل لك على خراب دياره ومحو آثاره. ولكن اسمع كلامي وطاوعني على ما اقولهُ لك ولا تخالفني. فقال لها: سمعاً وطاعةً وما عندي خلاف. فقالت: رح الى الخان وان جاء زوجي وعزمك فقل لهُ: يا اخي ان ابن آدم ثقيل ومتى اكثر التردد اشمأزّ منهُ الكريم والبخيل وكيف اروح عندك كل ليلة وارقد انا وانت في القاعة. فان كنت انت لا تغتاظ مني فربما اغتاظ حريمك مني. فان كان مرادك عشرتي فخذ لي بيتاً بجانب بيتك وتبقى انت تارةً تسهر عندي الى وقت النوم وانا تارةً اسهر عندك الى وقت النوم ثم اروح الى منزلي. وهذا الرأي احسن فانهُ بعد ذلك يأتي اليَّ ويشاورني فاشير عليهِ ان يُخرج جارنا فان البيت الذي هو ساكن فيهِ بيتنا والجار ساكن بالكراء. ومتى اتيت البيت يهوّن الله علينا بقية تدبيرنا. ثم انها قالت لهُ: رح الآن وافعل كما امرتك. فقال لها: سمعاً وطاعة. ثم تركتهُ وراحت

(الليلة الثانية والسبعون بعد التسعمائة) . ولما دخل المعلم عبيد استأذن منهُ

الصفات وقد اعطاك خاتمين ثمينين ينبغي لك ان تعزمه وتعمل لهُ ضيافة وتتودد اليهِ فاذا رأى منك المودَّة وجاءَ منزلنا ربما تنال منهُ خيرًا كثيرًا . وان كنت لا تسمح لهُ بضيافة فاعزمه وانا اعمل لهُ الضيافة من عندي . فقال لها : هل انتِ تعرفين انني بخيل حتى تقولي هذا الكلام . قالت لهُ : ما أنت بخيل ولكنك عديم الذوق فاعزمه هذه الليلة ولا تجئ بدونه . وان امتنع فاحلف عليهِ بالطلاق وأكد عليهِ . فقال لها : على الرأس والعين . ثم انهُ صاغ الخاتم ونام واصبح في ثالث يوم متوجهاً الى الدكان وجلس فيها . هذا ما كان من امره

واما ما كان من امر قمر الزمان فانهُ اخذ ثلثمائة دينار وتوجه الى العجوز واعطاها لزوجها . فقالت لهُ : ربما يعزم عليك في هذا اليوم فاذا عزم عليك وبتَّ عنده فمهما جرى لك فاخبرني بهِ في الصباح وهات معك اربعمائة دينار واعطها لابيك . فقال : سمعًا وطاعةً . وصار كلما فرغت منهُ الدراهم يبيع من الاحجار

(الليلة الحادية والسبعون بعد التسعمائة) . ثم انهُ توجه الى الجوهري . فقام لهُ واخذه بالاحضان وسلم عليه وعقد معهُ صحبة . ثم انهُ اخرج لهُ الخاتم فرآه على قدر اصبعه فقال لهُ : بارك الله فيك يا سيد المعلمين ان الصياغة موافقة ولكن الفص ليس على مرادي لان عندي احسن منهُ فخذهُ واعطهِ لبعض جواريك . واخرج لهُ غيره واخرج لهُ مائة دينار وقال لهُ : خذ اجرتك ولا تؤاخذنا فاننا اتعبناك . فقال لهُ : يا تاجر ان الذي تعبنا فيهِ قد اعطيتنا اياه وتفضلت علينا بشيء كثير وانا قلبي تعلق بحبك ولا اقدر على فراقك فبالله عليك ان تكون ضيفي في هذه الليلة وتجبر بخاطري . فقال : لا بأس ولكن لا بدّ ان اتوجه الى الخان لاجل ان اوصي اتباعي واخبرهم بانني غير بائت في الخان حتى لا ينتظروني . فقال لهُ : انت نازل في اي خان . قال : في الخان الفلاني . فقال : اجيء اليك هناك . فقال : لا بأس . ثم ان الجوهري توجه الى ذلك الخان قبل المغرب خوفًا من غضب زوجته عليه ان دخل البيت بدونه . ثم انهُ اخذه ودخل بهِ في بيته وجلسا في قاعة ليس لها نظير . وكانت الصبية رأتهُ حين دخوله

لبستهُ في اصبعها من داخل الخاتم الاول . ثم قالت : ياسيدي انظر ما احسن الخاتمين في اصبعي فاشتهي ان يكون الخاتمان لي . فقال لها : اصبري لعلّي اشتري الثاني لكِ . ثم بات . فلما اصبح اخذ الخاتم وتوجه الى الدكان . هذا ما كان من امره

(الليلة الموفية للسبعين بعد التسعمائة) . واما ما كان من امر قمر الزمان فانهُ اصبح متوجهاً الى العجوز زوجة المزين واعطاها مائتي دينار . فقالت لهُ : توجه الى الجوهري فاذا اعطاك الخاتم فضعهُ في اصبعك وانزعه سريعاً وقل : اخطأت يا معلم ان الخاتم جاء واسعاً والمعلم الذي يكون مثلك اذا اتاه مثلي بشغل ينبغي لهُ ان يأخذ القياس فلو كنت اخذت قياس اصبعي ما اخطأت . وأخرج لهُ حجرًا آخر يكون ثمنه الف دينار وقل لهُ : خذ هذا اصنعه واعطِ هذا الخاتم الى جارية من جواريك . ثم اعطهِ اربعين دينارًا واعطِ كل صانع ثلثة دنانير وقل لهُ : هذا في نظير نقشه واما الاجرة فانها باقية . وانظر ماذا يقول . ثم تعال ومعك ثلثمائة دينار واعطها لابيك يستعين بها على وقته فانهُ رجل فقير الحال . فقال : سمعاً وطاعةً . ثم انهُ توجه الى الجوهري . فرحب بهِ واجلسه . ثم اعطاه الخاتم فوضعه في اصبعه ونزعه بسرعة وقال لهُ : ينبغي للمعلم الذي مثلك اذا اتاه مثلي بشغل ان يأخذ قياسه . فلو كنت اخذت قياس اصبعي ما اخطأت ولكن خذه واعطهِ لبعض جواريك . ثم اخرج لهُ حجرًا ثمنهُ الف دينار وقال لهُ : خذ هذا واصنعه لي خاتمًا على قدر اصبعي . فقال : صدقت والحق معك . فاخذ القياس واخرج لهُ اربعين دينارًا وقال لهُ : خذ هذه في نظير نقشه والاجرة باقية . فقال لهُ : يا سيدي كم اجرة اخذناها منك فاحسانك علينا كثير . فقال لهُ : لا بأس . ثم انهُ تحدث معهُ حصة وصار كلما يمرّ به سائل يعطيهِ دينارًا وبعد ذلك تركه وانصرف . هذا ما كان من امره

واما ما كان من امر الجوهري فانهُ توجه الى بيته وقال لزوجته : ما اكرم هذا الشابّ التاجر فما رأيت اكرم منهُ ولا اجمل منهُ ولا احلى من لسانه . وصار يذكر لها محاسنه وكرمه ويبالغ في مدحه . فقالت لهُ : يا عديم الذوق حيث كنت تعرف فيهِ هذه

(الليلة التاسعة والستون بعد التسعمائة) . واما ما كان من امر قمر الزمان فانهُ بات في منزله . فلما اصبح اخذ مائة دينار واتى الى العجوز زوجة المزين وقال لها : خذي هذه المائة ديناراً . فقالت لهُ : اعطها لابيك . فاعطاها لهُ . ثم انها قالت لهُ : هل فعلت كما قلت لك : قال : نعم . فقالت لهُ : قم توجه الآن الى شيخ الجوهرية . فاذا اعطاك الخاتم فضعهُ في رأس اصبعك وانزعه بسرعة وقل لهُ : يا معلم اخطأت ان الخاتم جاء ضيقاً . فيقول لك : يا تاجر هل اكسره واصوغه واسعاً . فقل لهُ : لا احتاج الى كسره وصياغته ثانياً ولكن خذه واعطهِ لجارية من جواريك . واخرج لهُ حجراً آخر يكون ثمنهُ سبعمائة دينار وقل لهُ : خذ هذا الحجر صغهُ لي فانهُ احسن من ذلك . واعطهِ ثلثين ديناراً واعطِ لكل صانع دينارين وقل لهُ : هذه الدنانير في نظير نقشه والاجرة باقية . ثم ارجع الى منزلك وبت هناك وتعال في الصباح ومعك مائتا دينار وانا اكمل لك بقية الحيلة . ثم انهُ ذهب الى الجوهري . فرحب بهِ واجلسه على الدكان . فلما جلس قال لهُ : هل قضيت الحاجة . قال : نعم . واخرج لهُ الخاتم . فاخذه وحطه في رأس اصبعه ثم نزعه سريعاً وقال : اخطأت يا معلم . ورماهُ لهُ وقال لهُ : انهُ ضيق على اصبعي . فقال لهُ الجوهري : يا تاجر هل اوسعه . قال : لا ولكن خذه احساناً والبسهُ لبعض جواريك فان ثمنهُ تافه لانهُ خمسمائة دينار فلا يحتاج الى صياغته ثانياً . ثم أخرج لهُ فصاً آخر ثمنهُ سبعمائة دينار وقال لهُ : اصنع هذا . ثم اعطاه ثلثين ديناراً واعطى كل صانع دينارين . فقال لهُ : يا سيدي لما نصوغ الخاتم نأخذ اجرته . قال : هذه في نظير نقشه والاجرة باقية . ثم تركهُ ومضى . فاندهش الجوهري من شدة كرم قمر الزمان وكذلك الصناع . ثم ان الجوهري ذهب الى زوجته وقال لها : يا فلانة ما رأت عيني اكرم من هذا الشاب وانتِ بختكِ طيب لانهُ اعطاني الخاتم بلا ثمن وقال لي : اعطهِ لبعض جواريك . وحكى لها القصة . ثم قال لها : اظن ان هذا الولد ما هو من اولاد التجار وانما هو من اولاد الملوك والسلاطين . وصار كلما مدحه تزداد فيهِ وجداً . ثم لبست الخاتم والجوهري صاغ لهُ الثاني اوسع من الاول بقليل . فلما فرغ من صياغته

يا معلم اريد منك ان تصوغ لي هذا الحجر خاتماً بالذهب. ولكن اجعله قدر مثقال من غير زيادة وصغهُ صياغة طيبة. ثم اخرج لهُ عشرين ديناراً وقال لهُ: خذ هذه في نظير نقشه والاجرة باقية. ثم اعطى كل صانع ديناراً. فاحبهُ الصنّاع واحبهُ المعلم عبيد وقعد يتحدث معهُ. وصار كل من اتاه من السائلين يعطيه ديناراً. فتعجبوا من كرمه. ثم ان المعلم عبيد كان عنده عدّة في بيته مثل العدة التي في الدكان وكان من عادته انهُ اذا اراد ان يصنع شيئاً غريباً يشتغله في بيته حتى ان الصنّاع لا يتعلمون منهُ الصنعة الغريبة. وكانت الصبية زوجته تجلس قدامه. فاذا كانت قدامه ونظر اليها فانهُ يصنع كل شيء غريب في صناعته بحيث لا يليق الّا بالملوك. فقعد يصنع هذا الخاتم صنعة عجيبة في البيت. فلما رأتهُ زوجته قالت لهُ: ما مرادك ان تصنع بهذا الفص. قال: اريد ان اصوغه خاتماً بالذهب فان ثمنه خمسمائة دينار. فقالت لهُ: لمن. قال: لغلام تاجر جميل الصورة لهُ فم كخاتم سليمان. ووجنات كشقائق النعمان. وشفائف حمر كالمرجان. ولهُ عنق مثل اعناق الغزلان. وهو ابيض مشرب بحمرة ظريف لطيف كريم فعل كذا وكذا. وصار تارةً يصف لها حسنه وجماله. وتارةً يصف لها كرمه وكماله. وما زال يذكر لها محاسنه وكرم اخلاقه حتى حبَّبهُ اليها. ولم يكن احد ابلغ من الذي يصف لزوجته انساناً بالحسن والجمال وفرط سخائه بالمال. فلما احبتهُ قالت لهُ: هل يوجد فيهِ شيء من محاسني. فقال لها: جميع محاسنكِ كلها فيهِ وهو شبيهكِ في الصفة وربما كان عمره قدر عمركِ ولولا اني اخاف على خاطركِ لقلت انهُ احسن منكِ بالف مرة. فسكتت ولكن التهبت نار محبته في قلبها. ثم ان الصائغ لم يزل يتحدث معها في تعداد محاسنه حتى فرغ من صياغة هذا الخاتم. ثم ناولهُ لها فلبستهُ فجاء على قدر اصبعها. فقالت لهُ: يا سيدي ان قلبي أَحبَّ هذا الخاتم واشتهي ان يكون لي ولا انزعهُ من اصبعي. فقال لها: اصبري فان صاحبه كريم وانا اطلب ان اشتريه منهُ فان باعني اياه جئت بهِ اليكِ وان كان عنده حجر آخر اشتريه لكِ واصوغه مثله. هذا ما كان من امر الجوهري وزوجته

(الليلة الثامنة والستون بعد التسعمائة) • فراح الى الملك وتمنّى عليهِ هذه الامنية • فاعطاه ما تمنّاه ونادى بين اهل البصرة بما تمنّاه • فقالوا : اننا نخاف على البضائع من القطط والكلاب • فأمر الملك بحبسها في ذلك اليوم حتى تخرج الناس من صلاة الجمعة • وصارت تلك الجارية تخرج في كل يوم جمعة قبل الصلاة بساعتين وتركب بجواريها في شوارع البصرة ولا يقدر احد ان يمرّ في السوق ولا ان يطلّ من طاقة ولا من شباك • فهذا هو السبب وقد عرّفتك بالجارية • ولكن يا ولدي هل مرادك معرفة خبرها او مرادك الاجتماع بها • فقال : يا امي مرادي الاجتماع بها • فقالت : اخبرني بما عندك من الذخائر الفاخرة • فقال : يا امي عندي من ثمين المعادن اربعة اصناف • صنف ثمن كل واحد منهُ خمسمائة دينار • وصنف ثمن كل واحد منهُ سبعمائة دينار • وصنف ثمن كل واحد منهُ ثمانمائة دينار • وصنف ثمن كل واحد منهُ الف دينار • قالت لهُ : وهل تسمح نفسك باربعة منها • قال : نفسي تسمح بالجميع • قالت : قم يا ولدي من غير مطرود واخرج منها فصاً يكون ثمنه خمسمائة دينار واسأل عن دكان المعلم عبيد شيخ الجوهرية واذهب اليهِ ترَهُ جالساً في دكانه وعليهِ ثياب فاخرة وتحت يده الصناع • فسلّم عليهِ واجلس على الدكان واخرج الفصّ وقل لهُ : يا معلم خذ هذا الحجر وصغهُ لي خاتماً بالذهب ولا تجعله كبيراً بل اجعله قدر مثقال من غير زيادة واصنعه صنعاً جيداً • ثم اعطهِ عشرين ديناراً واعطِ الصناع كل واحد ديناراً واقعد عنده حصة وتحدث معهُ • واذا اتاك سائل فاعطهِ ديناراً واظهر الكرم حتى يتولع بمحبتك • ثم قم من عنده ورح الى منزلك وبت هناك • فاذا اصبحت فهات معك مائة دينار واعطها لابيك فانهُ فقير • قال : وهو كذلك • ثم خرج من عندها وذهب الى الوكالة واخذ فصاً ثمنهُ خمسمائة دينار وعمد بهِ الى سوق الجواهر وسأل عن دكان المعلم عبيد شيخ الجوهرية فدلّوه على دكانه • فلما وصل الى الدكان رأى شيخ الجوهرية رجلاً مهاباً وعليهِ ثياب فاخرة وتحت يده اربعة صنّاع فقال لهُ : السلام عليكم • فردّ عليهِ السلام ورحب بهِ واجلسه • فلما جلس اخرج لهُ الفصّ وقال لهُ :

تعال كلّم امّك زوجتي فانها تقرئك السلام وتقول لك: ان الحاجة مقضية. فذهب الى الدكان فرأى قمر الزمان قاعدًا ينتظرهُ فاخبرهُ بالخبر وقال لهُ: يا ولدي اذهب بنا الى امّك زوجتي فانها تقول لك ان الحاجة مقضية. ثم اخذهُ وسار بهِ حتى دخل على زوجته فرحّبت بهِ واجلستهُ. ثم انهُ اخرج مائة دينار واعطاها لها وقال لها: يا امي اخبريني عن هذه الصبية من تكون. فقالت: يا ولدي اعلم ان سلطان البصرة قد جاءتهُ جوهرة من عند ملك الهند فاراد ان يثقبها فاحضر جميع الجوهرية وقال لهم: اريد منكم ان تثقبوا لي هذه الجوهرة والذي يثقبها لهُ عليَّ تمنّية فمها تمنّاهُ اعطيتهُ لهُ. وان كسرها فاني ارمي رأسه. فخافوا وقالوا: يا ملك الزمان ان الجوهر سريع العطب وقلّ ان يثقبهُ احد ويسلم لان الغالب عليهِ الكسر. فلا تحملنا ما لا نطيق فنحن لا يخرج من ايدينا ان نثقب هذه الجوهرة وانما شيخنا اخبر منّا. فقال الملك: ومَن شيخكم. قالوا لهُ: المعلم عبيد وهو اخبر منّا بهذه الصنعة وعندهُ اموال كثيرة ولهُ معرفة جيدة فارسل اليهِ واحضرهُ بين يديك وأمرهُ ان يثقب لك هذه الجوهرة. فأرسل اليهِ وأمرهُ بثقبها وشرط عليهِ الشرط المذكور. فأخذها وثقبها على مزاج الملك. فقال لهُ: تمنَّ عليَّ يا معلم. فقال: يا ملك الزمان امهلني الى غد. والسبب في ذلك انهُ اراد ان يشاور زوجتهُ. وكانت زوجتهُ تلك الصبية التي رأيتها في الموكب وكان يحبها محبة شديدة ومن عظم محبته لها انهُ كان لا يفعل شيئًا الّا اذا شاورها فيهِ ولاجل ذلك امهل التمنية حتى يشاورها. فلما اتى اليها قال لها: اني ثقبت للملك جوهرة واعطاني تمنية وقد امهلتها حتى اشاورك فأيّ شيء تريدين حتى اتمنّاهُ. قالت: نحن عندنا اموال لا تأكلها النيران. ولكن ان كنت تحبني فتمنَّ على الملك انهُ نادي في شوارع البصرة ان اهلها يدخلون للجوامع يوم الجمعة قبل الصلاة بساعتين ولا يبقى في البلد كبير ولا صغير حتى يكون في المسجد او في البيت وتقفل عليهم ابواب المساجد والبيوت ويتركون دكاكين البلد مفتوحة. وانا اركب بجواريَّ واشقّ في المدينة ولا ينظرني احد من طاقة ولا من شبّاك وكل من عثرت بهِ قتلته

جوهري واخرج لهُ حجرًا من الاربعين يساوي الف دينار فباعهُ لهُ ورجع الى محله . ثم بات تلك الليلة . فلما اصبح الصباح غيّر حوائجه ودخل الحمام وطلع كأنهُ البدر التمام . ثم باع اربعة فصوص باربعة آلاف دينار وصار يتفرج في شوارع البصرة وهو لابس افخر الملابس حتى وصل الى سوق فرأى فيهِ رجلًا مزيناً فدخل عنده وحلق رأسه وعمل معهُ صحبة . ثم قال لهُ : يا والدي انا غريب البلاد وبالامس دخلت هذه المدينة فرأيتها خالية من السكان وما فيها احد من انس ولا جان . ثم اني رأيت بنات وبينهنَّ صبية راكبة في موكب . واخبرهُ بما رأى . فقال لهُ : يا ولدي هل اخبرت غيري بهذا الخبر . قال : لا . فقال لهُ : يا ولدي اياك ان تذكر هذا الكلام قدام احد غيري فان كل الناس لا يكتمون الكلام والاسرار وانت ولد صغير فاخاف عليك ان ينتقل الكلام من ناس الى ناس حتى يصل الى اصحابه فيقتلوك . واعلم يا ولدي ان هذا الذي رأيتهُ ما احد رآهُ ولا يعرفهُ في غير هذه المدينة . واما اهل البصرة فانهم يموتون بهذه الحسرة . وفي كل يوم جمعة عند ضحوة النهار يحبسون الكلاب والقطط ويمنعونها عن المشي في الاسواق وجميع اهل المدينة يدخلون الجوامع ويغلقون عليهم الابواب ولا يقدر احد منهم ان يمر في السوق ولا ان يطلّ من طاقة ولا يعرف احد ما سبب هذه البلية . ولكن يا ولدي في هذه الليلة اسأل زوجتي عن سببها فانها داية تدخل بيوت الاكابر وتعرف اخبار هذه المدينة . فان شاء الله تعالى تأتي عندي في غد وانا اخبرك بما تخبرني بهِ . فقبض قبضة من الذهب وقال : يا والدي خذ هذا الذهب واعطهِ لزوجتك فانها صارت امي . وقبض قبضة ثانية وقال : خذ هذا لك . فقال المزيّن : يا ولدي اجلس مكانك حتى اروح الى زوجتي واسألها واجيء اليك بالخبر الصحيح . ثم تركه في الدكان وراح الى زوجتــه واخبرها بشأن الغلام وقال لها : مرادي ان تخبريني بحقيقة امر هذه المدينة حتى اخبر بهِ هذا الشابّ التاجر فانهُ متولع بالاطلاع على حقيقة امرها من امتنــاع الناس والحيوانات عن الاسواق في ضحوة يوم الجمعة وهو كريم سخي فاذا اخبرناهُ يحصل لنا منهُ خير كثير . فقالت لهُ : رُح هاته وقل لهُ :

خصوصاً وانت فريد في الجمال والحسن والكمال واخاف عليك . فقال لهُ : يا ابي لا يمكن الّا ان تجهز لي متجرًا لاسافر بهِ والّا اغافلك واهرب ولو من غير مال ولا تجارة . وان اردت تطييب خاطري فجهز لي بضاعة حتى اسافر واتفرج على بلاد الناس . فلما رآهُ ابوهُ متعلقاً بالسفر اخبر زوجته بهذا الخبر وقال لها : ان ولدكِ يريد ان اجهز لهُ متجرًا ليسافر بهِ الى بلاد الغربة مع ان الغربة كربة . فقالت لهُ زوجتهُ : ماذا يضرُّك من ذلك ان هذه عادة اولاد التجار فكلهم يتفاخرون بالاسفار والمكاسب . فقال لها : ان غالب التجار فقراء يطلبون كثرة المال واما انا فمالي كثير . فقالت لهُ : زيادة الخير لا تضرّ وان كنت انت لا تسمح لهُ بذلك فانا اجهز لهُ متجرًا من مالي . فقال التاجر : اني اخاف عليهِ من الغربة لانها بئست الكربة . قالت : لا بأس بالاغتراب الذي فيهِ الاكتساب والّا يذهب ولدنا ونطلبهُ فلا نراه ونفتضح بين الناس . فقبل التاجر كلام زوجته وجهز متجرًا لولده بتسعين الف دينار . واعطتهُ امهُ كيساً فيهِ اربعون فصاً من ثمين الجواهر اقلّ قيمة الواحد خمسمائة دينار وقالت : يا ولدي احتفظ على هذه الجواهر فانها تنفعك . فأخذ قمر الزمان جميع ذلك وسافر الى البصرة

(الليلة السابعة والستون بعد التسعمائة) . وكان قد وضع الجواهر في كمر وشدّه على وسطه . ولم يزل مسافرًا حتى لم يبقَ بينه وبين البصرة الّا مرحلة واحدة . فخرج عليهِ العرب وعرّوهُ وقتلوا رجاله وخدمه . فرقد بين قتيلين ولطخ روحه بالدم . فظنّ العرب انهُ مقتول فتركوه ولم يتقرب منهُ احد ثم اخذوا امواله وراحوا . فلما راح العرب الى حال سبيلهم قام قمر الزمان من بين القتلى ومشى وهو لا يملك شيئاً غير الفصوص التي على حزامه . ولم يزل سائرًا حتى دخل البصرة . فاتفق ان دخوله كان في يوم جمعة وكانت المدينة خالية من الناس كما اخبر الدرويش . فرأى الاسواق خالية والدكاكين مفتوحة وهي ممتلئة بالبضائع فاكل وشرب وصار يتفرج . فبينما هو كذلك اذ سمع النوبة تدقّ فاختفى في دكان الى ان جاءت البنات فتفرّج عليهنّ . وبعد حصة من الزمان ظهرت الناس وملأت الاسواق . فذهب الى السوق وتوجه الى رجل

الملبوس وفي عنقها عقد من الجواهر وفي صدرها قلائد من الذهب وفي يديها اساور تضيء كالنجوم وفي رجليها خلاخل من الذهب مرصّعة بالمعادن . والجواري قدامها وخلفها وعن يمينها وعن شمالها . وبين يديها جارية مقلدة بسيف عظيم قبضتهُ من زمرد وعلائقه من ذهب مرصع بالجواهر . فلما وصلت تلك الصبية الى الجهة التي قدامي حبست عنان الجواد وقالت : يا بنات اني قد سمعت حسّ شيء في داخل هذا الدكان ففتشنهُ لئلاَّ يكون فيهِ احد مستخفٍ ومراده ان يتفرَّج علينا ونحن مكشوفات الوجوه . ففتشنَ الدكان الذي قدام القهوة التي انا مستخفٍ فيها وبقيت انا خائفاً . فرأيتهنَّ قد خرجنَ برجل وقلنَ لها : يا سيدتنا قد رأينا هنا رجلًا وها هو بين يديكِ . فقالت للجارية التي معها السيف : ارمي عنقه . فتقدمت اليهِ الجارية وضربت عنقه . ثم تركنهُ مطروحاً على الارض ومضينَ . ففزعتُ انا لما رأيت هذه الحالة . وبعد ساعة ظهر الناس وصار كل من كان لهُ دكان يدخلها ودرجت الناس في الاسواق والتمّوا على المقتول يتفرَّجون عليهِ . فخرجت انا من المكان الذي كنت فيهِ سرًّا ولم ينتبه لي احد ولكن تملَّك قلبي محبة تلك الصبية . فصرت اتجسس عليها سرًّا فلم يخبرني احد عنها بخبر . ثم اني خرجت من البصرة . وفي قلبي من عشقها حسرة . فلما رأيت ابنك هذا رأيتهُ اشبه الناس بتلك الصبية فاذكرني بها وهذا سبب بكائي . ثم انهُ بكى بكاءً شديدًا ما عليهِ من مزيد وقال : يا سيدي بالله عليك ان تفتح لي الباب حتى اذهب الى حال سبيلي . ففتح لهُ الباب وخرج . هذا ما كان من امره

واما ما كان من امر قمر الزمان فانهُ لما سمع كلام الدرويش اشتغل بالهُ بتلك الصبية . فلما اصبح الصباح قال لابيه : كل اولاد التجار يسافرون الى البلاد لتحصيل المراد وليس منهم واحد الَّا وابوه يجهز لهُ بضاعة فيسافر بها ويربح فيها . ولاي شيء يا ابي لم تجهز لي تجارة حتى اسافر بها وانظر سعدي . فقال لهُ : يا ولدي ان التجار مقلّون من المال فيسفّرون اولادهم من اجل الفوائد والمكاسب وجلب الدنيا . واما انا فعندي اموال كثيرة وليس عندي طمع فكيف اغرّبك . وانا لا اقدر على فراقك ساعة .

فدخل عليهِ ابوهُ ومسح دموعه واخذ بخاطره وقال للدرويش: يا اخي حيث كنت على هذه الحالة لأي شيء تبكي وتتحسر حين رأيت ولدي. هل لهذا من سبب. قال لهُ: نعم. فقال لهُ: انا لما رأيتك تبكي عند رؤيته ظننت بك السوء فأمرت الولد بهذا الامر حتى اجرّبك واضمرت اني اذا رأيتك تطلب منهُ فاحشة ادخل عليك واقتلك. فلما رأيت ما وقع منك عرفت انك من الصلاح على غاية. ولكن بالله عليك ان تخبرني بسبب بكائك. فتنهد الدرويش وقال لهُ: يا سيدي لا تحرّك عليَّ ساكن الجراح. فقال: لا بدَّ ان تخبرني

(الليلة السادسة والستون بعد التسعمائة). فقال: اعلم انني درويش سياح في البلاد والاقطار لاعتبر بآثار خالق الليل والنهار. فاتفق اني دخلت مدينة البصرة في يوم جمعة ضحوة النهار فرأيت الدكاكين مفتوحة وفيها من سائر الاصناف والبضائع والمآكل والمشرب وهي خالية ليس فيها رجل ولا امرأة ولا بنت ولا ولد. وليس في الشوارع والاسواق كلاب ولا قطط ولا حسّ حسيس ولا انس انيس. فتعجبت من ذلك وقلت: يا ترى اين راح اهل هذه المدينة بقططهم وكلابهم وما فعل الله بهم. وكنت جائعاً فأخذت عيشاً سخناً من فرن خبّاز ودخلت دكان زيّات وبسست العيش بالسمن والعسل واكلت. وطلعت دكان شربات فشربت ما اردت. ورأيت القهوة مفتوحة فدخلتها ورأيت فيها البكارج على النار ممتلئة بالقهوة وليس فيها احد فشربت كفايتي وقلت: ان هذا لشيء عجيب كأنَّ اهل هذه المدينة اتاهم الموت فماتوا كلهم هذه الساعة او خافوا من شيء نزل بهم فهربوا وما قدروا ان يقفلوا دكاكينهم. فبينما انا افكر في هذا الامر واذا بصوت نوبة تدقّ فخفت واختفيت حصة من الزمان وصرت انظر من خلال الخروق فرأيت جواري كأنهنَّ الاقمار قد مشينَ في السوق زوجاً زوجاً من غير غطاء بل مكشوفات الوجوه وهنَّ اربعون زوجاً بثمانين جارية. ورأيت وليدة راكبة على جواد لا يقدر ان ينقل اقدامه مما عليهِ وعليها من الذهب والفضة والجواهر. وتلك الوليدة مكشوفة الوجه من غير غطاء وهي مزيّنة بافخر الزينة ولابسة افخر

الدرويش . فصار الدرويش ينظر اليهِ ويتحسر ويبكي . واذا كلّمهُ الولد يردّ عليهِ برفق وهو يرتعش ويلتفت الى الولد ويتنهد ويبكي الى ان اتى العشاء . فصار يأكل وعينه الى الولد ولا يفتر عن البكاء . فلما مضى ربع الليل وفرغ الحديث وجاء وقت النوم قال ابو الولد: يا ولدي تقيَّد بخدمة عمّك الدرويش ولا تخالفهُ . واراد ان يخرج فقال لهُ الدرويش: يا سيدي خذ ولدك معك او نم عندنا . قال: لا وها هو ولدي نائم عندك ربما تشتهي نفسك شيئاً فولدي يقضي حاجتك ويقوم بخدمتك . ثم خرج وخلاهما وقعد في قاعة ثانية فيها طاقة تطلّ على القاعة التي هما فيها . هذا ما كان من امر التاجر

واما ما كان من امر الولد فانهُ تقدم الى الدرويش وصار يناغشهُ . فاغتاظ الدرويش وقال لهُ: ما هذا الكلام يا ولدي اعوذ بالله من الشيطان الرجيم . اللهمّ ان هذا منكر لا يرضيك ابعد عني يا ولدي . ثم قام الدرويش من مكانه وقعد بعيداً عن الولد . فتبعهُ الولد وقال لهُ: لاي شيء يا درويش تحرم نفسك وانا قلبي يحبك . فازداد غيظ الدرويش وقال لهُ: ان لم تمتنع عني ناديت اباك واخبرهُ بخبرك . فقال لهُ: ان ابي يعرف انني بهذه الصفة ولا يمكن انهُ يمنعني . فقال لهُ: والله يا ولدي ما افعل ذلك ولو قطعت بالسيوف البواتر . ثم انهُ قام . فشدَّد عليهِ الغلام فانفلت منهُ الدرويش واستقبل القبلة وصار يصلي . فلما رآهُ يصلي تركه حتى صلَّى ركعتين وسلَّم . واراد ان يتقدم اليهِ فنوى الصلاة ثاني مرَّة وصلَّى ركعتين . ولم يزل يفعل هكذا ثالثاً ورابعاً وخامساً . فقال لهُ الولد: وما هذه الصلاة هل مرادك ان تطير على السحاب . اضعت حظنا وانت طول الليل في المحراب . فقال لهُ: يا ولدي اخزِ عنك الشيطان . وعليك بطاعة الرحمن . كل هذا وابوهُ ينظر بعينه ويسمع بأُذنه . فثبت عند ابي الولد ان الدرويش ما عنده فساد وقال في نفسه: لو كان هذا الدرويش مفسوداً ما كان يتحمل هذه المشقة كلها . ثم ان الولد صار يحاول الدرويش وكلما نوى الصلاة قطعها عليهِ حتى اغتاظ الدرويش غاية الغيظ على الولد واغلظ على الولد وضربهُ فبكى الولد .

اذا بشيخ ذي وقارٍ قد أهلْ معتمدًا في مشيهِ على مهلْ
يُرى عليهِ اثرٌ للزهدِ
قد مارس الايام والليالي وخاض في الحرام والحلالِ
وهام بالنساء والرجالِ ورقَّ حتى صار كالخلال
وعاد عظماً بالياً في جلدِ .

ثم تقدم الى الولد فاعطاهُ عرق ريحان . فمدَّ ابوه يده الى جيبه واخرج لهُ ما تيسر من الدراهم وقال: خذ نصيبك يا درويش واذهب الى حال سبيلك . فاخذ منهُ الدراهم وجلس على مصطبة الدكان قدام الولد وصار ينظر الى الولد ويبكي ويتحسر حسرات متتابعة . ودموعه كالعيون النابعة . فصارت الناس تنظر اليهِ وتعترض عليهِ . وبعضهم يقول: كل الدراويش فسَّاق . و بعضهم يقول: ان الدرويش في قلبه من عشق الولد احتراق . واما ابوهُ فانهُ لما عاين هذا الحال قام وقال : قم يا ولدي حتى نقفل الدكان ونروح الى بيتنا ولا ينبغي لنا في هذا اليوم بيع ولا شراء . الله تعالى يجازي امّك بما فعلت معنا فانها هي التي تسببت في هذا كله . ثم قال : يا درويش قم حتى اقفل الدكان . فقام الدرويش وقفل التاجر دكانه واخذ ولده ومشى . فتبعهما الدرويش والناس الى ان وصلا الى منزلهما . فدخل الولد المنزل والتفت التاجر الى الدرويش وقال لهُ : ما تريد يا درويش وما لي اراك تبكي . فقال: يا سيدي اريد ان اكون ضيفك في هذه الليلة والضيف ضيف الله تعالى . فقال: مرحباً بضيف الله ادخل يا درويش

(الليلة الخامسة والستون بعد التسعمائة) . فقال التاجر في نفسه: ان كان هذا الدرويش عاشقاً للولد وطلب منهُ فاحشة فلا بدَّ ان اقتله في هذه الليلة واخفي قبره . وان كان ما عنده فساد فان الضيف يأكل نصيبه . ثم انهُ ادخل الدرويش هو وقمر الزمان في قاعة وقال سرًّا لقمر الزمان : يا ولدي اجلس بجانب الدرويش بعد ان اخرج من عندكما . فان طلب منك فسادًا فانا اكون ناظرًا لكما من الطاقة المطلَّة على القاعة فانزل اليه واقتلهُ . ثم ان الولد لما اختلى بهِ الدرويش في تلك القاعة قعد بجانب

فقالت له زوجتهُ: توكل على الله ولا بأس على من يحفظهُ الله وخذه في هـذا اليوم معك الى الدكان. ثم انها ألبستهُ بدلة من افخر الملابس فصار فتنة للناظرين. وحسرة في قلوب العاشقين. واخذه ابوهُ معهُ ومضى بهِ الى السوق. فصار كل من رآهُ يفتتن بهِ ويتقدم اليهِ ويبوس يده ويسلم عليهِ. وصار ابوهُ يشتم الناس حيث تبعوهُ لقصد الفرجة. وصار البعض من الناس يقول: ان الشمس قد طلعت في المحلّ الفلاني واشرقت في السوق. والبعض يقول: مطلع البدر في الجهة الفلانية. والبعض يقول: ظهر هلال العيد على عباد الله. وصاروا يلمحون الى الولد بالكلام ويدعون لهُ. وقد حصل لابيهِ خجل من كلام الناس ولا يقدر ان يمنع احدًا منهم عن الكلام. وصار يشتم أمه ويدعو عليها لانها هي التي كانت سببًا في خروجه. والتفت ابوهُ فرأى الخلائق مزدحمين عليهِ خلفه وقدامه وهو ماش الى ان وصل الى الدكان. ففتح الدكان وجلس واجلس ولده قدامه. والتفت الى الناس فرآهم قد سدُّوا الطريق. وصار كل من مرَّ بهِ من رائحٍ وغادٍ يقف قدام الدكان وينظر الى ذلك الوجه الجميل ولا يقدر ان يفارقه وانعقد عليهِ اجماع النساء والرجال. فلما رأى الناس مزدحمين عليهِ وواقفين صفوفًا نساء ورجالاً لديه شاخصين لولده خجل غاية الخجل وصار متحيرًا في امره ولم يدرِ ماذا يصنع. فلم يشعر الّا ورجل درويش من السيّاحين وعليه شعار عباد الله الصالحين قد اقبل عليهِ من طرف السوق ثم تقدم الى الغلام وصار ينشد الاشعار. ويرخي الدموع الغزار. فلما رأى قمر الزمان جالسًا كأنهُ قضيب البان. نابت على كثيب من الزعفران. افاض دمع العين. وانشد هذين البيتين:

رأيت غصنًا على كثيب　　شبيهُ بدرٍ اذا تلالا
فقلت ما الاسم قال لؤلؤ　　فقلت لي لي فقال لا لا

ثم ان الدرويش صار يمشي الهوينا ويمسح شيبته بيده اليمنى. فانشقَّ لهيبته قلب الزحام. فلما نظر الى الغلام اندهش منهُ العقل والناظر. وانطبق عليهِ قول الشاعر:

فبينما ذاك المليح في محـلّ　　من وجههِ هلال عيد الفطر هلّ

حكاية قمر الزمان

ومما يحكى ايضاً ايها الملك السعيد انهُ كان في قديم الزمان رجل تاجر اسمهُ عبد الرحمن قد رزقه الله بنتاً وولدًا . فسمّى البنت كوكب الصباح لشدَّة حسنها وجمالها وسمّى الولد قمر الزمان لشدَّة حسنه . ولما نظر ما اعطاهما الله من الحسن والجمال والبهاء والاعتدال خاف عليهما من اعين الناظرين وألسنة الحاسدين ومكر الماكرين وتحيُّل الفاسقين فحجبهما عن الناس في قصر مدة اربع عشرة سنة ولم يرَهما احد غير والديهما وجارية تتعاطى خدمتهما . وكان والدهما يقرأ القرآن كما انزلهُ الله وكذلك امُّهما تقرأ القرآن . فصارت الامّ تقرئ بنتها والرجل يقرئ ولدهُ حتى حفظا القرآن وتعلما الخطّ والحساب والفنون والآداب من ابيهما وامهما ولم يحتاجا الى معلم . فلما بلغ الولد مبلغ الرجال قالت للتاجر زوجته : الى متى وانت حاجب ولدك قمر الزمان عن اعين الناس اهو بنت ام غلام . فقال لها : غلام . قالت : حيث كان غلاماً لِمَ لم تأخذهُ معك الى السوق وتقعده في الدكان حتى يعرف الناس ويعرفوه لاجل ان يشتهر عندهم انهُ ابنك وتعلمهُ البيع والشراء . وربما يحصل لك امر فيكون الناس قد عرفوا انهُ ولدك فيضع يده على مخلفاتك . واما اذا متَّ على هذه الحالة وقال للناس انا ابن التاجر عبد الرحمن فانهم لا يصدقونه بل يقولون ما رأيناك ولا نعرف ان لهُ ولدًا وتأخذ اموالك الحكام ويصير ولدك محروماً . وكذلك البنت مرادي ان اشهرها عند الناس لعلَّ احدًا كفؤاً لها يخطبها فتزوّجها لهُ ونفرح بها

(الليلة الرابعة والستون بعد التسعمائة) . فقال لها : مخافة عليهما من اعين الناس لاني محبّ لهما . والمحبّ شديد الغيرات . وقد احسن من قال هذه الابيات :

اغار عليك من نظري ومني ومنك ومن مكانك والزمانِ
ولو اني وضعتك في عيوني دواماً ما سئمتُ من التداني
ولو واصلتني في كل يومٍ الى يوم القيامة ما كفاني

داود وزوجني بها وامر بحمل جميع ما عندها اليَّ وزفّوها عليَّ في حجرتها. وبعد ثلثة ايام خرجتُ ونقلت جميع ذلك الى بيتي. فجميع ما تنظره يا امير المؤمنين في بيتي وتنكره كلهُ من جهازها. ثم انها قالت لي يوماً من الايام: اعلم ان المتوكل رجل كريم واخاف ان يتذكرنا او يذكرنا عندهُ احد من الحسّاد فاريد ان اعمل شيئاً يكون فيهِ الخلاص من ذلك. قلت: وما هو. قالت: اريد ان استأذنهُ في الحجّ والتوبة من الغناء. فقلت لها: نِعم الرأي الذي اشرتِ اليهِ. فبينما نحن في الحديث واذا برسول الخليفة قد جاءني في طلبها لانهُ كان يحبّ غناءها. فمضت وخدمتهُ. فقال لها: لا تنقطعي عنّا. فقالت: سمعاً وطاعةً. فاتفق انها ذهبت اليهِ في بعض الايام وكان قد ارسل اليها على جري العادة. فلم اشعر الّا وقد جاءت من عنده ممزّقة الثياب باكية العين. ففزعت من ذلك وقلت: انّا لله وانّا اليهِ راجعون. وتوهمت انهُ امر بالقبض علينا فقلت لها: هل المتوكل غضب علينا. فقالت. واين المتوكل ان المتوكل قد انقضى حكمهُ وامّحى رسمهُ. فقلت: اخبريني بحقيقة الامر. فقالت: انهُ كان جالساً وراء الستارة يشرب وعندهُ الفتح بن خاقان وصدقة بن صدقة. فهجم عليهِ ولده المنتصر هو وجماعة من الاتراك فقتلهُ. وانقلب السرور بالشرور. والحظّ الجميل بالبكاء والعويل. فهربت انا والجارية وسلمنا الله. ثم قمت في الحال يا امير المؤمنين وانحدرت الى البصرة. وجاءني الخبر بعد ذلك بوقوع الحرب بين المنتصر والمستعين. فخفت فنقلت زوجتي وجميع مالي الى البصرة. وهذه حكايتي يا امير المؤمنين لا زدتها حرفاً ولا نقصتها حرفاً. فجميع ما نظرتهُ في بيتي يا امير المؤمنين ممّا عليهِ اسم جدّك المتوكل هو من نعمته علينا لان اصل نعمتنا من اصولك الاكرمين وانتم اهل النعم ومعدن الكرم. ففرح الخليفة بذلك فرحاً شديداً وتعجب من حديثه. ثم اخرجت للخليفة الجارية واولادي منها فقبلوا الارض بين يديه. فتعجب من جمالهم واستدعى بدواة وكتب لنا برفع الخراج عن املاكنا عشرين سنة. ففرح الخليفة واتخذهُ نديماً الى ان فرّق الدهر بينهم. وسكنوا القبور بعد القصور. فسبحان الملك الغفور

فتعجب الخليفة من موافقة هذا الشعر لحاله غاية العجب . ومال به الى مصالحة الجارية الهاجرة الطرب . ثم خرج وقصد حجرتها . فسبقت جارية واخبرتها بقدوم الخليفة . فاستقبلتهُ وقبلت الارض بين يديه ثم قبلت قدميهِ فصالحها وصالحتهُ . هذا ما كان من امره

واما ما كان من امر شجرة الدرّ فانها جاءت اليَّ وهي فرحانة وقالت : اني صرت حرَّة بقدومك المبارك لعلَّ الله يعينني على ما ادبّرهُ حتى اجتمع بك في الحلال . فقلت : الحمد لله . فبينما نحن في الحديث واذا بخادمها قد دخل علينا فحدَّثناهُ بما جرى لنا . فقال : الحمد لله الذي جعل آخره خيرًا ونسأل الله ان يتمّ ذلك بخروجك سالمًا . فبينما نحن في الحديث واذا بالجارية اختها قد جاءت وكان اسمها فاتر . فقالت : يا اختي كيف نعمل حتى نخرجهُ من القصر سالمًا فان الله تعالى منَّ عليَّ بالعتق وصرت حرَّة ببركة قدومه . فقالت لها : ليس لي حيلة في خروجه الَّا بأن البسهُ ثياب النساء . ثم جاءت ببدلة من ثياب النساء فالبستنيها . ثم خرجتُ يا اميرَ المؤمنين في ذلك الوقت . فلما جئت الى وسط القصر واذا بامير المؤمنين جالس والخدم بين يديه فنظر اليَّ وانكرني غاية الانكار وقال لحاشيته : اسرعوا وأتوني بهذه الجارية الذاهبة . فلما أتوا بي رفعوا نقابي . فلما رآني عرفني وسألني فاخبرتهُ بالخبر ولم اخفِ عليهِ شيئًا . فلما سمع حديثي تفكرَ في امري . ثم قام من وقته وساعته ودخل حجرة شجرة الدر فقال : كيف تختارين عليَّ بعض اولاد التجار . فقبلت الارض بين يديه وحدثتهُ بحديثها من اوله الى آخره على وجه الصدق . فلما سمع كلامها رحمها ورقَّ قلبه لها وعذرها في العشق واحواله ثم انصرف . ودخل عليها خادمها وقال لها : طيبي نفسًا ان صاحبكِ لما حضر بين يدي الخليفة سألهُ فاخبرهُ كما اخبرتِهِ حرفًا بحرف . ثم رجع الخليفة واحضرني بين يديه وقال لي : ما حملك على التجاري على دار الخلافة . فقلت : يا امير المؤمنين حملني على ذلك جهلي والصبابة والاقبال على عفوك وكرمك . ثم بكيت وقبلت الارض بين يديه . فقال : عفوت عنكما . ثم امرني بالجلوس فجلست . فدعا بالقاضي احمد بن ابي

وحطتني في سرداب وطبقتهُ عليَّ وخرجت تقابل الخليفة فلاقتهُ ثم جلس . فوقفت بين يديه وخدمتهُ . ثم امرت باحضار الشراب . وكان الخليفة يحبّ جارية اسمها البنجة وهي امّ المعتزّ بالله . وكانت تلك الجارية قد هجرتهُ وهجرها . فلعزّ الحسن والجمال لا تصالحه والمتوكل لعزَّة الخلافة والملك لا يصالحها ولا يكسر نفسه لها مع ان في قلبه منها لهيب النار . ولكنهُ تشاغل عنها بنظائرها من الجواري والدخول اليهنّ في حجراتهنَّ . وكان يحبّ غناء شجرة الدرّ فأمرها بالغناء . فأخذت العود وشدَّت الاوتار . وغنَّت بهذه الاشعار :

عجبت لسعيِ الدهر بيني وبينها   فلما انقضى ما بيننا سكن الدهرُ
هجرتك حتى قيل لا يعرف الهوى   وزرتك حتى قيل ليس لهُ صبرُ

فلما سمعها الخليفة طرب طربًا شديدًا وطربتُ انا يا امير المؤمنين في السرداب ولولا لطف الله تعالى لصحتُ وافتضحنا . فقال الخليفة : تمنّي عليَّ يا شجرة الدرّ . فقالت : اتمنى عليك عتقي يا امير المؤمنين لما فيهِ من الثواب . فقال : انتِ حرَّة لوجه الله تعالى . فقبلتْ الارض بين يديه . فقال : خذي العود وقولي لنا شيئًا في شأن جاريتي التي انا متعلق بهواها والناس تطلب رضاي وانا اطلب رضاها . فأخذت العود وانشدت هذين البيتين :

ايا ربَّة الحسن التي اذهبت نسكي   على كل احوالي فلا بدَّ لي منكِ
فإمَّا بذلٍّ وهو أليق بالهوى   وامَّا بعزٍّ وهو أليق بالملكِ

فطرب الخليفة وقال : خذي العود وغنّي شعرًا يتضمن شرح حالي مع ثلاث جوارٍ ملكنَ قيادي ومنعنَ رقادي . وهنَّ انتِ وتلك الجارية الهاجرة . واخرى لا اسمّيها ليس لها مناظرة . فأخذت العود واطربت بالنغمات . وانشدت هذه الابيات :

ملك الثلاث الغانيات عناني   وحللنَ من قلبي اعزّ مكاني
ما لي مطاعٌ في البرّية كلها   واطيعهنَ وهنّ في عصياني
ما ذاك الّا ان سلطان الهوى   وبهِ غلبنَ اعزُّ من سلطاني

جئت خلفها الى الشاطئ واومأت لها الى الارض تعظيماً. وفي قلبها منك النار اكثر مما في قلبك منها. ولكن كيف وصلت الى ها هنا أبأمرها ام بغير امرها بل خاطرت بنفسك وما مرادك من الاجتماع بها. فقلت: والله يا سيدتي اني انا الذي خاطرت بنفسي وما غرضي من الاجتماع بها الّا النظر والاستماع لحديثها. فقالت: احسنت. فقلت: يا سيدتي الله شهيد على ما اقول ان نفسي لم تحدثني في شأنها بمعصية. فقالت: بهذه النية نجاك الله ووقعت رحمتك في قلبي. ثم قالت لجاريتها: يا فلانة امضي الى حجرة الدر وقولي لها: ان اختكِ تسلم عليكِ وتدعوكِ فتفضلي عندها في هذه الليلة على جري عادتكِ فان صدرها ضيق. فتوجهت اليها ثم عادت واخبرتها انها تقول: متعني الله بطول حياتكِ وجعلني فداكِ والله لو دعوتني الى غير هذا ما توقفت لكن يضرّني صداع الخليفة وانتِ تعلمين منزلتي عنده. فقالت للجارية: ارجعي اليها وقولي لها: انهُ لا بدَّ من حضوركِ لسرّ بينكِ وبينها. فتوجهت اليها الجارية وبعد ساعة جاءت مع الجارية ووجهها يضيء كانهُ البدر. فقابلتها واعتنقتها وقالت: يا ابا الحسن اخرج اليها وقبل يديها. وكنت في مخدع في داخل الحجرة فخرجت اليها يا امير المؤمنين. فلما رأتني قالت لي: كيف صرت بلباس الخليفة وزينته وبخوره. ثم قالت: حدثني بما جرى لك. فحدثتها بما جرى لي وبما قاسيته من خوف وغيره. فقالت يعزّ عليَّ ما قاسيتهُ من اجلي والحمد لله الذي جعل العاقبة الى السلامة وتمام السلامة دخولك في منزلي ومنزل اختي. ثم اخذتني الى حجرتها وقالت لاختها: اني قد عاهدتهُ ان لا اجتمع معهُ في الحرام. ولكن كما خاطر بنفسه وارتكب هذا الهول لأكوننَّ ارضاً لوطء قدميهِ وتراباً لنعليه

(الليلة الثالثة والستون بعد التسعمائة) . فقالت لها اختها: بهذه النية نجّاهُ الله تعالى. فقالت: سوف ترينَ ما اصنع حتى اجتمع معهُ في الحلال. فلا بدَّ ان ابذل مهجتي في التحيُّل على ذلك. فبينما نحن في الحديث واذا بضجة عظيمة. فالتفتنا فرأينا الخليفة قد جاء يريد حجرتها من كثرة ما هو كلف بها. فأخذتني يا امير المؤمنين

والطيب ووضع حبة الفول على حجرتي كعادته وفي هذه الساعة ارى ضوء شموع الخليفة وها هو مقبل. فقالت: ان هذا امر عجيب لان الترّبي بزيّ الخليفة لا يجسر عليه احد. ثم قرب الضوء مني فارتعدت اعضائي. واذا بخادم يصيح على الجواري ويقول: هاهنا. فانعطفوا الى حجرة من الحجر ودخلوا. ثم خرجوا ومشوا حتى وصلوا الى بيت صاحبتي. فسمعت الخليفة يقول: هذه حجرة مَن. فقالوا: هذه حجرة شجرة الدر. فقال: نادوها. فنادوها فخرجت وقبلت اقدام الخليفة. فقال لها: اتشربين الليلة. فقالت: ان لم يكن لحضرتك والنظرُ الى طلعتك فلا اشرب فانني لا اميل الى الشراب في هذه الليلة. فقال للخادم: قل للخازن يدفع لها العقد الفلاني. ثم امر بالدخول الى حجرتها. فدخلت بين يديه الشموع ودخل في حجرتها. واذا بجارية امامهم وضوء وجهها غالب على ضوء الشمعة التي بيدها فقربت مني وقالت: من هذا. ثم قبضت عليّ واخذتني الى حجرة من الحجر وقالت لي: من انت. فقبلت الارض بين يديها وقلت لها: اناشدكِ الله يا مولاتي ان تحقني دمي وترحميني وتتقربي الى الله بانقاذ مهجتي. وبكيت فزعاً من الموت. فقالت: لا شك انك لصّ. فقلت. لا والله ما انا لصّ فهل ترين عليّ اثر اللصوص. فقالت: اصدقني خبرك وانا اجعلك في امان. فقلت: انا عاشق جاهل احمق قد حملتني الصبابة وجهلي على ما ترين مني حتى وقعت في هذه الورطة. فقالت: قف هنا حتى اجيء اليك. ثم خرجت وجاءتني بثياب جارية من جواريها والبستني تلك الثياب في تلك الزاوية وقالت: اخرج خلفي. فخرجت خلفها حتى وصلت الى حجرتها وقالت: ادخل هنا. فدخلتُ حجرتها. فجاءت بي الى سرير وعليه فرش عظيم وقالت: اجلس لا بأس عليك اما انت ابو الحسن الخراساني الصيرفي. قلت: بلى. قالت: قد حقن الله دمك ان كنت صادقاً ولم تكن لصاً فانك تهلك لا سيما وانت في زيّ الخليفة ولباسه وبخوره. واما ان كنت ابا الحسن عليّ الخراساني الصيرفي فانك قد امنت ولا بأس عليك لانك صاحب شجرة الدر التي هي اختي فانها لا تقطع ذكرك ابداً وتخبرنا كيف اخذتْ منك المال ولم تتغير وكيف

ففرح بها . ثم جئت الى بيتي واخذت لهُ ملبوساً مرصعاً بالجواهر واليواقيت قيمتهُ ثلثة آلاف دينار وتوجهت به اليهِ فقبلهُ مني . ثم اخذني ودخل بي حجرة في داخل القصر وقال لي : فما اسمك بين التجار . فقلت له : رجل منهم . فقال : قد رابني امرك . فقلت : لماذا . قال : لانك اهديت لي شيئاً كثيراً ملكت بهِ قلبي وقد صحَّ عندي انك ابو الحسن الخراساني الصيرفي . فبكيت يا امير المؤمنين . فقال لي : لِمَ تبكي فوالله ان التي تبكي من اجلها عندها من الغرام بك اكثر مما عندك من الغرام بها واعظم . وقد شاع عند جميع جواري القصر خبرها معك . ثم قال لي : واي شيء تريد . فقلت : اريد انك تساعدني على بليتي . فوعدني الى غد . فمضيت الى داري . فلما اصبحت توجهت اليهِ ودخلت حجرته . فلما جاء قال : اعلم انها لما فرغت من خدمتها عند الخليفة بالامس ودخلت حجرتها حدثتها بحديثك جميعه وقد عزمت على الاجتماع بك . فاقعد عندي الى آخر النهار . فقعدت عندهُ . فلما جنَّ الليل واذا بالمملوك اتى ومعهُ قميص منسوج من الذهب وحلة من حلل الخليفة فالبسني اياها وبخرني فصرت اشبه الخليفة

(الليلة الثانية والستون بعد التسعمائة) . ثم اخذني الى محل فيهِ الحجر صفَّين من الجانبين وقال لي : هذه حجر الجواري الخاصّ فاذا مررت عليها فضع على كل باب من الابواب حبة من الفول لان من عادة الخليفة ان يفعل هكذا في كل ليلة الى ان تأتي الى الدرب الثاني الذي على يدك اليمنى فترى حجرة عتبة بابها من المرمر . فاذا وصلت اليها فمسها بيدك . وان شئت فعدّ الابواب فهي كذا وكذا باباً فادخل الباب الذي علامته كذا وكذا فتراك صاحبتك وتأخذك عندها . واما خروجك فان الله يهوّن عليَّ فيهِ ولو أُخرجك في صندوق . ثم تركني ورجع . وصرت امشي واعدّ الابواب واضع على كل باب حبة فول . فلما صرت في وسط الحجر سمعت ضجة عظيمة ورأيت ضوء شموع واقبل ذلك الضوء نحوي حتى قرب مني . فتأملتهُ فاذا هو الخليفة وحوله الجواري ومعهنَّ الشمع . فسمعت واحدة منهنَّ تقول لصاحبتها : يا اختي هل نحن لنا خليفتان ان الخليفة قد جاز على حجرتي وشممت منهُ رائحة العطر

تعب لي. ثم ودعتني وانصرفت. فجئت الى الشيخ العطار واخبرتهُ بما جرى لي. فجاء معي الى دار المتوكل فرأيتها هي المكان الذي دخلت فيهِ الجارية. فصار الشيخ العطار متحيرًا في حيلة يفعلها. ثم التفت فرأى خياطًا قبال الشباك المطلّ على الشاطئ وعنده صناع فقال: بهذا تنال مرادك ولكن افتق جيبك وتقدم اليهِ وقل لهُ ان يخيطه لك فاذا خاطهُ فادفع لهُ عشرة دنانير. فقلت لهُ: سمعًا وطاعةً. ثم توجهت الى ذلك الخياط واخذت معي شقتين من الديباج الرومي وقلت لهُ: فصل هاتين اربعة ملابس اثنتين فرجية واثنتين غير فرجية. فلما فرغ من تفصيل الملابس وخياطتها اعطيتهُ اجرتها زيادة عن العادة بكثير. ثم مدَّ يده اليَّ بتلك الملابس. فقلت: خذها لك ولمن حضر عندك. وصرت اقعد عنده واطيل القعود معهُ. ثم فصلت عنده غيرها وقلت لهُ: علقهُ على وجه الدكان لمن ينظره فيشتريه. ففعل. وصار كل من خرج من قصر الخليفة واعجبه شيء من الملابس وهبته لهُ حتى البواب. فقال لي الخياط يومًا من الايام: اريد يا ولدي ان تصدقني حديثك لانك فصلت عندي مائة حلة ثمينة وكل حلة تساوي جملة من المال ووهبت غالبها للناس وهذا ما هو فعل تاجر لان التاجر يحاسب على الدرهم. وما مقدار رأس مالك حتى تعطي هذه العطايا وما يكون مكسبك في كل عام. فاخبرني خبرًا صحيحًا حتى اعاونك على مرادك. فقلت: مرادي ان اتزوج بجارية من جواري قصر الخليفة. فقال: قبحهنَّ الله كم يفتنَّ الناس. ثم قال لي: هل تعرف اسمها. قلت: لا. فقال: صفها. فوصفتها لهُ: فقال: ويلاه هذه عوَّادة الخليفة المتوكل المحظية عنده. لكن لها مملوك فاجعل بينك وبينه صداقة لعلهُ يكون سببًا في اتصالك بها. فبينما نحن في الحديث واذا بالمملوك مقبل من باب الخليفة وهو كانهُ القمر في ليلة اربعة عشر وبين يديَّ الثياب التي خاطها لي الخياط وكانت من الديباج من سائر الالوان. فصار ينظر اليها ويتأمل. ثم اقبل عليَّ فقمت اليهِ وسلمت عليه. فقال: مَن انت. فقلت: رجل من التجار. قال: اتبيع هذه الثياب. قلت: نعم. فاخذ منها خمسة وقال: بكم هذه الخمسة. فقلت: هي هدية مني اليك عقد صحبة بيني وبينك.

فما هو الّا ان اراها لجــاءةً فابهتُ حتى لا اكاد اجيبُ

ثم وزنت لها الخمسمائة الدينار فاخذتها وانصرفت. فقمت وتبعتها بنفسي الى ان وصلتْ الى سوق الجواهر فوقفتْ على انسان فاخذت منهُ عقدًا والتفتت فرأتني فقالت: زن لي خمسمائة دينار. فلما نظرني صاحب العقد قام اليَّ وعظمني. فقلت لهُ: اعطها العقد وثمنهُ عليَّ. فقال: سمعًا وطاعةً. فاخذتْ العقد وانصرفتْ

(الليلة الحادية والستون بعد التسعمائة). فتبعتها حتى جاءت الى الدجلة ونزلت في مركب. فأومأتُ الى الارض لأُقبلهــا بين يديها فذهبتْ وضحكت. ومكثت واقفًا انظرها الى ان دخلت قصرًا. فتأملتــهُ فاذا هو قصر للخليفة المتوكل. فرجعت يا امير المؤمنين وقد حلَّ بقلبي كل همّ في الدنيــا وكانت قد اخذت مني ثلثة آلاف دينار. فقلت في نفسي: قد اخذت مالي وسلبت عقلي وربما تلفت نفسي في هواها. ثم رجعت الى داري وقد حدثت امي بجميع ما جرى لي. فقالت لي: يا ولدي اياك ان تتعرض لها بعد ذلك فتهلك. فلما رحت الى دكاني جاءني وكيلي الذي بسوق العطارين وكان شيخًا كبيرًا فقال لي: يا سيدي ما لي اراك متغير الحال يظهر عليك اثر الكآبة فحدثني بخبرك. فحدثتهُ بجميع ما جرى لي معها. فقال لي: يا ولدي ان هذه من جواري قصر امير المؤمنين وهي محظية الخليفة فاحتسب المال لله تعالى ولا تشغل نفسك بها. واذا جاءتك فاحذر ان تتعرض لك وأعلمني بذلك حتى ادبر امرًا لئلَّا يحصل لك تلف. ثم تركني وذهب وفي قلبي لهيب النار. فلما كان آخر الشهر واذا بها قد اقبلت عليَّ. ففرحت بها غاية الفرح. فقالت لي: ما حملك على انك تبعتني. فقلت لها: حملني على ذلك فرط الوجد الذي بقلبي. وبكيت بين يديها. فبكت رحمة لي وقالت: والله ما في قلبك شيء من الغرام الّا وفي قلبي اكثر منهُ. ولكن كيف اعمل والله ما لي من سبيــل. ثم دفعت اليَّ ورقة وقالت: خذ هذه الى فلان القلاني فانهُ وكيلي واقبض منهُ ما فيهــا. فقلت: ليس لي حاجة بمال ومالي وروحي فداكِ. فقالت: سوف ادبر لك امرًا يكون فيهِ وصولك اليَّ وان كان فيــه

ما كان مدَّخرًا عندها من جوهر ومعدن ولؤلؤ وذهب. ثم عادت لي املاكي التي كان وقع فيها التفريط وكثر مالي كما كان ومكثت على هذا الحال مدة. وجاء وكلاء ابي فاعطيتهم البضائع. ثم بنيت حجرة ثانية من داخل الدكان. فبينما انا قاعد فيها على عادتي يا امير المؤمنين واذا بجارية قد اقبلت عليَّ لم ترَ العيون اجمل منها منظرًا. فقالت: أهذه حجرة ابي الحسن عليّ بن احمد الخراساني. قلت لها: نعم. قالت: اين هو. قلت: هو انا. ولكن اندهش عقلي من فرط جمالها يا امير المؤمنين. ثم انها جلست وقالت لي: قل لغلامك يزن لي ثلثمائة دينار. فامرتهُ ان يزن لها ذلك المقدار فوزنهُ لها. فاخذتهُ وانصرفت وانا ذاهل العقل. فقال لي غلامي: أتعرفها. قلت: لا والله. قال: فلمَ قلتَ لي زن لها. فقلت: والله اني لم ادرِ ما اقول مما بهرني من حسنها وجمالها: فقام الغلام وتبعها من غير علمي. ثم رجع وهو يبكي وبوجههِ اثر ضربة. فقلت لهُ: ما بالك. فقال: اني تبعت الجارية لانظر اين تذهب. فلما احست بي رجعت وضربتني هذه الضربة فكادت ان تتلف وتقلع عيني. ثم مكثت شهرًا لم ارها ولم تأتِ وانا ذاهل العقل في هواها يا امير المؤمنين. فلما كان آخر الشهر واذا بها جاءت وسلمت عليَّ فكدت ان اطير فرحًا. فسألتني عن خبري وقالت: لعلك قلت في نفسك ما شأن هذه المحتالة كيف اخذت مالي وانصرفت. فقلت: والله يا سيدتي ان مالي وروحي ملك لكِ. فاسفرت عن وجهها وجلست لتستريح والحلي والحلل تلعب على وجهها وصدرها. ثم قالت لي: زن لي ثلثمائة دينار. فقلت: سمعًا وطاعةً. ثم وزنتُ لها الدنانير فاخذتها وانصرفت. فقلت للغلام: اتبعها فتبعها. ثم عاد لي وهو مبهوت. ومضت مدة وهي لم تأتِ. فبينما انا جالس في بعض الايام واذا بها قد اقبلت عليَّ وتحدثت ساعة ثم قالت لي: زن لي خمسمائة دينار فاني قد احتجت اليها. فاردت ان اقول لها: على اي شيء اعطيكِ مالي. فمنعني فرط الغرام من الكلام. وانا يا امير المؤمنين كلما رأيتها ترتعد مفاصلي ويصفرّ لوني وانسى ما اريد ان اقول واصير كما قال الشاعر:

الدكان التي بسوق الصيارف لاجل الخلوة فيها. وجعل الدكان لاجل البيع والشراء. وكان مالهُ يكثر عن العدّ. ويزيد عن الحدّ. ولم يكن له ولد غيري. وكان محبًا لي وشفوقًا عليّ. فلما حضرتهُ الوفاة دعاني واوصاني بوالدتي وبتقوى الله تعالى. ثم مات رحمهُ الله تعالى وابقى امير المؤمنين. فاشتغلت باللذات واكلت وشربت. ثم اتخذت الاصحاب والاصدقاء. وكانت امي تنهاني عن ذلك وتلومني عليه. فلم اسمع منها كلامًا حتى ذهب المال جميعه وبعت العقارات ولم يبقَ لي شيء غير الدار التي انا فيها. وكانت دارًا حسنة يا امير المؤمنين. فقلت لامي: اريد ان ابيع الدار. فقالت: يا ولدي ان بعتها تفتضح ولا تعرف لك مكانًا تأوي اليهِ. فقلت: هي تساوي خمسة آلاف دينار فاشتري من جملة ثمنها دارًا بالف دينار ثم اتجر بالباقي. فقالت: اتبيعني هذه الدار بهذا المقدار. قلت: نعم. فجاءت الى طابق وفتحتهُ واخرجت منهُ اناء من الصيني فيهِ خمسة آلاف دينار. فتخيل لي ان الدار كلها ذهب. فقالت لي: يا ولدي لا تظن ان هذا المال مال ابيك والله يا ولدي انهُ من مال ابي وكنت ادخرته لوقت الحاجة اليهِ فاني كنت في زمن ابيك غنية عن الاحتياج الى هذا المال. فاخذت المال منها يا امير المؤمنين وعدت لما كنت عليهِ من المأكل والمشرب والصحبة حتى نفدت الخمسة آلاف الدينار ولم اقبل من امي كلامًا ولا نصيحة. ثم قلت لها: مرادي ان ابيع الدار. فقالت: يا ولدي قد نهيتك عن بيعها لعلمي انك محتاج اليها فكيف تريد بيعها ثانيًا. فقلت لها: لا تطيلي عليّ الكلام فلا بدّ من بيعها. فقالت: بعني اياها بخمسة عشر الف دينار بشرط ان اتولّى امورك بنفسي. فبعتها لها بذلك المبلغ على ان تتولّى اموري بنفسها. فطلبت وكلاء ابي واعطت كل واحد منهم الف دينار وجعلت المال تحت يدها والاخذ والعطاء معها واعطتني بعضًا من المال لاتجر فيهِ وقالت لي: اقعد انت في دكان ابيك. ففعلت بما قالت أُمي يا امير المؤمنين وجئت الى الحجرة التي في سوق الصيارف. وجاء اصحابي وصاروا يشترون مني وابيع لهم وطاب لي الربح وكثر مالي. فلما رأتني امي على تلك الحالة الحسنة اظهرت لي

صاحب الدار على باب مقصورة بقضيب من الخيزران. واذا بباب المقصورة قد فتح وخرج منهُ ثلاث جوارٍ نهد ابكار. وجوههنَّ كالشمس في رابعة النهار. وتلك الجواري ما بين عوَّادة وجنكية ورقاصة. ثم قدم لنا النقل والفواكه. (قال ابن حمدون) فضرب بيننا وبين الثلاث الجواري ستارة من الديباج وشراريبها من الابريسم وحلقاتها من الذهب. فلم يلتفت الخليفة الى هذا جميعه وصاحب الدار لم يعلم من هو الذي عنده. فقال الخليفة لصاحب الدار: اشريف انت. قال: لا يا سيدي انما انا رجل من اولاد التجار أُعرف بين الناس بأبي الحسن عليّ بن احمد الخراساني. فقال لهُ الخليفة: أتعرفني يا رجل. قال: والله يا سيدي لم يكن لي معرفة باحد من جنابكم الكريم. فقال لهُ ابن حمدون: يا رجل هذا امير المؤمنين المعتضد بالله حفيد المتوكل على الله. فقام الرجل وقبل الارض بين يدي الخليفة وهو يرتعد من خوفه وقال: يا امير المؤمنين بحق آبائك الطاهرين ان كنت رأيت مني تقصيرًا او قلة ادب بحضرتك ان تعفو عني. فقال الخليفة: امَّا ما صنعتهُ معنا من الاكرام فلا مزيد عليهِ. واما ما انكرته عليك هنا فان اصدقتني حديثه واستقرَّ ذلك بعقلي نجوت مني. وان لم تعرّفني حقيقته اخذتك بحجة واضحة وعذبتك عذابًا لم اعذب احدًا مثله. قال: معاذ الله ان احدّث بالمحال. وما الذي انكرتهُ عليَّ يا امير المؤمنين. فقال الخليفة: انا من حين دخلت الدار وانا انظر الى حسنها واوانيها وفراشها وزينتها حتى ثيابك فاذا عليها اسم جدّي المتوكل على الله. قال: نعم. اعلم يا امير المؤمنين ايدك الله ان الحق شعارك والصدق رداؤك ولا قدرة لاحد على ان يتكلم بغير الصدق في حضرتك. فأمره بالجلوس فجلس. فقال لهُ: حدثني. فقال: اعلم يا امير المؤمنين ايدك الله بنصرهِ وحفَّك بلطائف امره انهُ لم يكن ببغداد احد أيسر مني ولا من ابي. ولكن اخلِ لي ذهنك وسمعك وبصرك حتى احدثك بسبب ما انكرتهُ عليَّ. فقال لهُ الخليفة: قل حديثك. فقال: اعلم يا امير المؤمنين انهُ كان ابي بسوق الصيارف والعطارين والبزّازين. وكان لهُ في كل سوق حانوت ووكيل وبضائع من سائر الاصناف. وكان لهُ حجرة من داخل

دليـل على كرم صاحب الدار ولا بدّ ان ندخل داره وننظر مروءته ويكون ذلك سبباً في نعمة تصل اليهِ منّا . ثم قال للخادم : استأذن سيدك في قدوم جماعة اغراب . وكان الخليفة في ذلك الزمان اذا اراد الفرجة على الرعية تنكّر في زي التجار . فدخل الخادم على سيده واخبره . ففرح وقام وخرج اليهما بنفسه . واذا بهِ جميل الوجه حسن الصورة وعليهِ قميص نيسابوري ورداء مذهب وهو مضمخ بالطيب وفي يده خاتم من الياقوت . فلما رآهما قال : اهلاً وسهلاً بالسادة المنعمين علينا غاية الانعام بقدومهم

(الليلة الموفية للستين بعد التسعمائة) . فلما دخلا تلـك الدار رأياها تنسي الاهل والاوطان . كانها قطعة من الجنان . ومن داخلها بستان فيهِ من سائر الاشجار . وهي تدهش الابصار . واماكنها مفروشة بنفائس الفرش . فجلسوا وجلس المعتضد يتأمل الدار والفرش . (قال ابن حمدون) فنظرت الى الخليفة فرأيت وجههُ قد تغير وكنت اعرف من وجهه حال الرضى والغضب . فلما رأيتـهُ قلت في نفسي : يا ترى ما باله غضب . ثم جاؤوا بطست من الذهب فغسلنا ايدينا . ثم جاؤوا بسفرة من الحرير وعليها مائدة من الخيزران . فلما انكشفت الاغطية عن الاواني رأينا طعـاماً كزهر الربيع في اعزّ الاوان صنواناً وغير صنوان . ثم قال صاحب الدار : بسم الله يا ساداتنا والله ان الجوع قد امضني فانعموا عليَّ بالاكل من هذا الطعـام كما هو اخلاق الكرام . وصار صاحب الدار يفسخ الدجاج ويضعهُ بين ايدينا ويضحك وينشد الاشعار ويورد الاخبار ويتكلم بلطائف ما يليق بالمجلس . (قال ابن حمدون) فاكلنا وشربنا . ثم نقلنا الى مجلس آخر يدهش الناظرين تفوح منهُ الروائح الزكية . ثم قدم لنا سفرة فاكهة جنية وحلويات شهيـة فزادت افراحنا وزالت اتراحنا . (قال ابن حمدون) ومع ذلك لم يزل الخليفة في عبوس . ولم يتبسم لما فيهِ فرح النفوس . مع ان عادته انهُ يحبّ اللهو والطرب ودفع الهموم . وانا اعرف انهُ غير حسود ولا ظـلوم . فقلت في نفسي : يا ترى ما سبب عبوسه . وعدم زوال بؤسه . ثم جاؤوا بطبق الشراب . ومجمع شمل الاحباب . واحضروا الشراب المروَّق وبواطي الذهب والبلور والفضـة . وضرب

اذهب في هذه الساعة واهجم على دار ابي القاسم الصندلاني وائتني بهِ وبالصبية. فمضى من ساعته وهجم على داره فرأى الصبية في وثاق من شعرها وهي في حالة التلف. فحلّها مسرور واتى بها وبالصندلاني. فلما رآها الرشيد تعجب من جمالها. ثم التفت الى الصندلاني وقال: خذوه واقطعوا يديه اللتين ضرب بهما هذه الصبية واصلبوهُ وسلموا امواله واملاكه الى ابراهيم. ففعلوا ذلك. فبينما هم كذلك واذا بابي الليث عامل البصرة والد السيدة جميلة قد اقبل عليهم يستغيث بالخليفة من ابراهيم بن الخصيب صاحب مصر ويشكو اليهِ انهُ اخذ ابنته. فقال لهُ الرشيد: انهُ كان سبباً في خلاصها من العذاب والقتل. وامر باحضار ابن الخصيب. فلما حضر قال لابي الليث: ألا ترضى ان يكون هذا الغلام ابن سلطان مصر بعلًا لابنتك. فقال: سمعًا وطاعةً لله ولك يا امير المؤمنين. فدعا الخليفة بالقاضي والشهود وزوّج الصبية بابراهيم بن الخصيب ووهب لهُ جميع اموال الصندلاني وجهزه الى بلاده. وعاش معها في اتم سرور. واوفى حبور. الى ان اتاهم هادم اللذات. ومفرق الجماعات. فسبحان الحيّ الذي لا يموت

حكاية الخليفة المعتضد بالله مع ابي الحسن الخراساني

ومما يحكى ايضاً ايها الملك السعيد ان المعتضد بالله كان عالي الهمة شريف النفس. وكان لهُ ببغداد ستمائة وزير وما كان يخفى عليهِ من امور الناس شيء. فخرج يوماً هو وابن حمدون يتفرجان على الرعايا ويسمعان ما يتجدد من اخبار الناس فحمي عليهما الحرّ والهجير. وقد انتهيا الى زقاق لطيف في شارع فدخلا ذلك الزقاق. فرأيا في صدر الزقاق دارًا حسنة شامخة البناء. تفصح عن صاحبها بلسان الثناء. فقعدا على الباب يستريحان. فخرج من تلك الدار خادمان كالقمرين في ليلة اربعة عشر. فقال احدهما لصاحبه: لو استأذن اليوم ضيف لان سيدي لم ياكل الا مع الضيفان وقد صرنا الى هذا الوقت ولم ارَ احدًا. فتعجب الخليفة من كلامهما وقال: ان هذا

الخليفة هارون الرشيد ومعهُ هدايا وتحف وصحبتــه كتاب يذكر لهُ فيهِ: ان ولدي قد فقد منذ سنة وقد سمعت انهُ ببغداد . والمقصود من انعام خليفة الله ان يفحص عن خبره ويجتهد في طلبه ويرسله اليَّ مع الحاجب . فلما قرأ الخليفة الكتاب أمر الوالي ان يبحث عن حقيقة خبره . فلم يزل الوالي والخليفة يسألان عنهُ حتى قيل لهُ: انهُ بالبصرة . فاخبر الخليفة بذلك . فكتب الخليفة كتاباً واعطاه للحاجب المصري وأمره ان يسافر الى البصرة وان يأخذ معهُ جماعة من اتباع الوزير . فمن حرص الحاجب على ولد سيده خرج من ساعته فوجد الغلام في نطع الدم مع الوالي. فلما رأى الوالي الحاجب وعرفهُ ترجّل اليهِ . فقال لهُ الحاجب: ما هذا الغلام وما شأنه . فاخبره بالخبر . فقــال الحاجب والحال انهُ لم يعرف انهُ ولد السلطان: ان وجه هذا الغلام وجه من لا يقتل . وأمره بحل وثاقه فحلَّهُ . فقال: قدّمه لي . فقدمه اليهِ وكان قد ذهب جماله من شدة ما قاساه من الاهوال . فقال لهُ الحــاجب: اخبرني بقضيتك يا غلام وما شأن هذه المقتولة معك . فلما نظر ابراهيم الى الحاجب عرفهُ فقال لهُ: ويلك اما تعرفني أما انا ابراهيم ابن سيدك فلعلك جئت في طلبي . فامعن الحــاجب فيهِ النظر فعرفه غاية المعرفة . فلما عرفه انـكبَّ على اقدامه . فلما رأى الوالي ما حصل من الحاجب اصفرَّ لونه . فقال لهُ الحاجب: ويلك يا جبار هل كان مرادك ان تقتل ابن سيدي الخصيب صاحب مصر . فقبل الوالي ذيل الحــاجب وقال لهُ: يا مولاي من اين اعرفه وانما رأيناه على هذه الصفة ورأينا الصبية مقتولة بجانبه . فقال لهُ: ويلك انك لا تصلح للولاية هذا غلام لهُ من العمر خمسة عشر عاماً وما قتل عصفوراً فكيف يقتل قتيلاً هلّا امهلته وسألتهُ عن حاله . ثم قال الحاجب والوالي: فتشوا على قاتل الصبية . فدخلوا الحمام ثانياً فرأوا قاتلها فاخذوه واتوا بهِ الى الوالي . فاخذه وتوجه بهِ الى دار الخــلافة واعلم الخليفة بما جرى . فأمر الرشيد بقتل قاتل الصبية . ثم أمر باحضار ابن الخصيب . فلما تمثل بين يديه تبسم الرشيد في وجهه وقال لهُ : اخبرني بقضيتك وما جرى لك . فحدثهُ بحديثه من اوله الى آخره . فعظم ذلك عنده فنادى مسروراً السياف وقال:

بسيوف ومطارق فخفت . فرأيت حماماً خرباً فتواريت فيهِ فعثرت رجلي في شيء . فوضعت يدي عليهِ فتلوثت بالدم فمسحتها في سروالي ولم اعلم ما هو . ثم مددت يدي اليهِ ثانياً فجاءت على القتيل وطلع رأسه في يدي فرميته وقلت : لا حول ولا قوة الا بالله العليّ العظيم . ثم دخلت زاوية من زوايا الحمام واذا بالوالي وقف على باب الحمام وقال : ادخلوا هذا المكان وفتشوا . فدخل منهم عشرة بالمشاعل . فمن خوفي دخلت وراء حائط فتأملت المقتول فرأيتهُ صبية ووجهها كالبدر ورأسها في ناحية وجثتها في ناحية وعليها ثياب ثمينة . فلما رأيتها وقعت الرجفة في قلبي . ودخل الوالي وقال : فتشوا في جهات الحمام . فدخلوا الموضع الذي انا فيهِ فنظرني رجل منهم فجاءني وبيده سكين طولها نصف ذراع . فلما قرب مني قال : سبحان الله خالق هذا الوجه الحسن . يا غلام من اين انت . ثم اخذ بيدي وقال : يا غلام لاي شيء قتلت هذه المقتولة . فقلت : والله ما قتلتها ولا اعرف من قتلها وما دخلت هذا المكان الا فزعاً منكم . واخبرتهُ بقصتي وقلت لهُ : بالله عليك لا تظلمني فاني مشغول بنفسي . فاخذني وقدمني الى الوالي . فلما رأى على يدي اثر الدم قال : هذا لا يحتاج الى بينة فاضربوا عنقه

(الليلة التاسعة والخمسون بعد التسعمائة) . فلما سمعت هذا الكلام بكيت بكاء شديداً وجرت مني دموع العين وانشدت هذين البيتين :

مشيناها خطىً كُتبت علينا ومن كُتبت عليهِ خطىً مشاها
ومن كانت منيتهُ بارضٍ فليس يموت في ارضٍ سواها

ثم شهقت شهقة فوقعت مغشياً عليَّ . فرقَّ لي قلب الجلاد وقال : والله ما هذا وجه من قتل . فقال الوالي : اضربوا عنقه . فاجلسوني في نطع الدم وشدُّوا على عينيَّ غطاء واخذ السياف سيفه واستأذن الوالي واراد ان يضرب عنقي . فصحت : وا غربتاه . واذا بخيلٍ قد اقبلت وقائل يقول : دعوهُ . امنع يدك يا سياف . وكان لذلك سبب عجيب وامرٍ غريب . وهو ان الخصيب صاحب مصر كان قد ارسل حاجبه الى

رجل شجاع بلحية مستديرة ووسط مشدود بمنطقة وفي احدى يديها قوس ونشاب وفي الاخرى سيف مجرَّد . وقالت لهُ : هل انت ابن الخصيب صاحب مصر . فقال لها ابراهيم : هو انا . فقالت لهُ : ومن انت حتى جئت تفسد بنات الملوك . قم كلم السلطان . (قال ابراهيم) فوقعت مغشياً عليَّ . واما الملاحون فانهم ماتوا في جلودهم من الخوف . فلما رأت ما حلَّ بي خلعت تلك اللحية ورمت السيف وحلَّت المنطقة فرأيتها هي السيدة جميلة . فقلت لها . والله انكِ قطعتِ قلبي . ثم قالت للملاحين : اسرعوا في سير المركب . فحلوا الشراع واسرعوا في السير . فما كان الَّا ايام قلائل حتى وصلنا الى بغداد واذا بمركب واقف على جانب الشط . فلما رآنا الملاحون الذين فيهِ صاحوا على الملاحين الذين معنا وصاروا يقولون : يا فلان ويا فلان نهنيكم بالسلامة . ثم دفعوا مركبهم على مركبنا فنظرنا فاذا فيهِ ابو القاسم الصندلاني . فلما رآنا قال : ان هذا هو مطلوبي امضوا في وداعة الله وانا أُريد التوجه الى غرض . وكان بين يديه شمعة . ثم قال لي : الحمد لله على السلامة هل قضيت حاجتك . قلت : نعم . فقرب الشمعة منا . فلما رأتهُ جميلة تغير حالها واصفر لونها . ولما رآها الصندلاني قال : اذهبوا في امان الله انا رائح الى البصرة في مصلحة للسلطان ولكن الهدية لمن حضر . ثم احضر علبة من الحلويات ورماها في مركبنا وكان فيها البنج . فقال ابراهيم : يا قرة عيني كلي من هذا . فبكت وقالت : يا ابراهيم اتدري من هذا . قلت : نعم هذا فلان . قالت : انهُ ابن عمي وكان سابقاً خطبني من والدي فما رضيت بهِ وهو متوجه الى البصرة فربما يعرف ابي بنا . فقلت : يا سيدتي هو لا يصل الى البصرة حتى نصل نحن الى الموصل . ولم يعلما بما هو مخبوء لهما في الغيب . فأكلتُ شيئاً من الحلاوة فما نزلت جوفي حتى ضربت الارض برأسي . فلما كان وقت السحر عطست فخرج البنج من منخري وفتحت عيني فرأيت نفسي عرياناً مرمياً في الخراب . فلطمت على وجهي وقلت في نفسي : ان هذه حيلة عملها عليَّ الصندلاني . فصرت لا ادري اين اذهب وما عليَّ سوى سروال . فقمت وتمشيت قليلاً واذا بالوالي اقبل عليَّ ومعهُ جماعة

أُذني لقد سبقت في عشقه بصري والاذن تعشق قبل العين احيانا

فالحمد لله الذي اراني وجهك. والله لو كان احد غيرك لكنت صلبت البستاني و بواب الخان والخياط ومن يلوذ بهم. ثم قالت لي: كيف احتال على شيء تأكلهُ من غير اطلاع جواري. فقلت لها: ان معي ما نأكل وما نشرب. ثم حللت الكارة بين يديها فأخذت دجاجة واكلت معي. ثم قدَّمت الشراب فشربنا. كل ذلك وهي عندي والجواري تغنّي. ثم قامت وقالت: قم الآن هيّئ لك مركباً وانتظرني في المحل الفلاني حتى اجيء اليك. فقلت: يا سيدتي ان معي مركباً وهو ملكي والملاَّحون في اجارتي وهم في انتظاري. فقالت: هذا هو المراد

(الليلة الثامنة والخمسون بعد التسعمائة) . ثم مضت الى الجواري وقالت لهنَّ: قمنَ بنا لنروح الى قصرنا. فقلنَ لها: كيف نقوم في هذه الساعة وعادتنا اننا نقعد ثلثة ايام. فقالت: اني اجد في نفسي ثقلاً عظيماً كاني مريضة واخاف ان يثقل عليَّ ذلك. فقلنَ لها: سمعاً وطاعةً. فلبسنَ ثيابهنَّ ثم توجهنَ الى الشاطئ ونزلنَ في الزورق . واذا بالبستاني قد اقبل على ابراهيم وما عنده علم بالذي جرى لهُ فقال: يا ابراهيم ما لك حظ في التلذذ برؤيتها فان من عادتها ان تقيم هنا ثلثة ايام وانا اخاف ان تكون رأتكَ. فقال ابراهيم: ما رأتني ولا رأيتها ولا خرجت من القبة. قال: صدقت يا ولدي فانها لو رأتكَ لكنا هلكنا. ولكن اقعد عندي حتى تأتي في الاسبوع الثاني وتراها وتشبع من النظر اليها. فقال ابراهيم: يا سيدي ان معي مالاً واخاف عليه وورائي رجال فاخاف ان يستغيبوني. فقال: يا ولدي انهُ يعز عليَّ فراقك . ثم عانقه وودعه. ثم ان ابراهيم توجه الى الخان الذي كان نازلاً فيهِ وقابل بواب الخان واخذ ماله . فقال لهُ بواب الخان: خبر خير ان شاء الله. فقال لهُ ابراهيم: اني ما وجدت الى حاجتي سبيلاً واريد ان ارجع الى اهلي. فبكى بواب الخان وودَّعه وحمل امتعته ووصله الى المركب . وبعد ذلك توجه الى المحل الذي قالت لهُ عليهِ وانتظرها فيهِ . فلما جنَّ الليل واذا بها قد اقبلت عليهِ وهي في زيّ

رأينا اطيب من هذا اليوم. فقال ابراهيم ابن الخصيب في نفسه: لا شكّ ان ابواب السماء قد فتحت واستجاب الله دعائي. ثم قبّل الجواري اقدامها وقلنَ لها: والله ما رأينا صدرك مشروحاً مثل هذا اليوم. فما زلنَ يرغبنها حتى اجابت الى مرغوبهنَّ وأتت في رقصها باسلوب غريب. وابتداع عجيب. حتى أنستنا رقص الحبب في الكؤوس. واذكرتنا ميل العمائم عن الرؤوس. وهي كما قال فيها الشاعر:

كما اشتهت خلقت حتى اذا اعتدلت في قالب الحسن لا طول ولا قصرُ
كأنها خلقت من ماء لؤلؤةٍ في كل جارحة من حسنها قمرُ

وكما قال الآخر:

وراقص مثل غصن البان قامتهُ تكاد تذهب روحي من تنقّلهِ
لا يستقرُّ لهُ في رقصهِ قدمٌ كأنما نار قلبي تحت ارجلهِ

(قال ابراهيم) فبينما انا انظر اليها اذ لاحت منها التفاتة اليَّ فرأتني. فلما نظرتني تغيَّر وجهها فقالت لجواريها: غنُّوا انتنَّ حتى اجيء اليكنَّ. ثم عمدت الى سكين قدر نصف ذراع واخذتها وأتت نحوي ثم قالت: لا حول ولا قوة الَّا بالله العليّ العظيم. فلما قربت مني غبت عن الوجود. فلما رأتني ووقع وجهها في وجهي وقعت السكين من يدها وقالت: سبحان مقلّب القلوب. ثم قالت لي: يا غلام طب نفساً ولك الامان مما تخاف. فصرت ابكي وهي تمسح دموعي بيدها وقالت: يا غلام اخبرني من انت وما جاء بك الى هذا المكان. فقبلت الارض بين يديها ولزمت ذيلها. فقالت: لا بأس عليك فوالله ما ملأت عيني من ذكر غيرك. فقل لي من انت: (قال ابراهيم) فحدَّثتها بحديثي من اوله الى آخره. فتعجبت من ذلك وقالت لي: يا سيدي اناشدك الله هل انت ابراهيم بن الخصيب. قلت: نعم. فانكبّت عليَّ وقالت: يا سيدي انت الذي زهدتني في الرجال لانني لما سمعت انهُ وجد في مصر صبي لم يكن على وجه الارض اجمل منهُ تعلّق قلبي بحبك لما بلغني عنك من الجمال الباهر. وصرت فيك كما قال الشاعر:

يا ابراهيم تفرَّج في البستان وكل من اثماره فان ميعاد حضور صاحبتك في غد . فصار ابراهيم يتنزَّه في البستان ويأكل من اثماره وبات ليلته عنده . فلما اصبح الصباح واضاء بنوره ولاح صلَّى ابراهيم الصبح . واذا بالبستاني جاءهُ وهو مصفرٌ اللون وقال لهُ : قم يا ولدي واصعد الى العريشة فان الجواري قد اتينَ ليفرشنَ المكان وهي تأتي بعدهنَّ . واحذر من ان تبصق او تمخط او تعطس فنهلك انا وانت

(الليلة السابعة والخمسون بعد التسعمائة) . فقام الغلام وصعد الى العريشة وذهب الخولي وهو يقول : رزقك الله السلامة يا ولدي . فبينما الغلام قاعد واذا بخمس جوارٍ اقبلنَ لم يرَ مثلهنَّ احد فدخلنَ القبة وخلعنَ ثيابهنَّ وغسلنَ القبة ورششنها بماء الورد واطلقنَ العود والعنبر وفرشنَ الديباج . واقبل بعدهنَّ خمسون جارية ومعهنَّ آلات الطرب وجميلة بينهنَّ من داخل خيمة حمراء من الديباج والجواري رافعات اذيال الخيمة بكلاليب من الذهب حتى دخلت القبة . فلم يرَ الغلام منها ولا من اثوابها شيئاً . فقال في نفسه : والله انهُ ضاع جميع تعبي ولكن لا بدَّ لي من ان اصبر حتى انظر كيف يكون الامر . فقدَّمت الجواري الاكل والشرب . ثم اكلنَ وغسلنَ ايديهنَّ ونصبنَ لها كرسيًّا فجلست عليهِ . ثم ضربنَ بآلات الملاهي جميعهنَّ وغنَّينَ باصوات مطربة لا مثل لهنَّ . ثم خرجت عجوز قهرمانة فصفقت ورقصت فجذبها الجواري . واذا بالستر قد رفع وخرجت جميلة وهي تضحك . فرآها ابراهيم وعليها الحليّ والحلل وعلى رأسها تاج مرصع بالدرّ والجوهر وفي جيدها عقد من اللؤلؤ وفي وسطها منطقة من قضبان الزبرجد وحبالها من الياقوت واللؤلؤ . فقام الجواري وقبلنَ الارض بين يديها وهي تضحك . (قال ابراهيم بن الخصيب) فلما رأيتها غبت عن وجودي واندهش عقلي وتحير فكري بما بهرني من جمال لم يكن على وجه الارض مثله . فقالت العجوز للجواري : ليقم منكنَّ عشرة يرقصنَ ويغنينَ . فلما رآهنَّ ابراهيم قال في نفسه : اشتهي ان ترقص السيدة جميلة . فلما انتهى رقص العشر جوارٍ اقبلنَ حولها وقلنَ : يا سيدتنا نشتهي ان ترقصي في هذا المجلس ليتمّ سرورنا بذلك لاننا ما

قبل الغلام يده . فقال لهُ : اجلس عندي حتى ادبّر لك امرًا . ثم اخذ بيد الغلام وادخلهُ البستان . فلما رأى ابراهيم ذلك البستان ظنّ انهُ الجنة ورأى الاشجار ملتفة والنخيل باسقة والمياه مندفقة والاطيار تناغي باصوات مختلفة . ثم ذهب بهِ الى قبَّة وقال لهُ : هذه التي تقعد فيها السيدة جميلة . فتأمل تلك القبة فوجدها من اعجب المنتزهات . وفيها سائر التصاوير بالذهب واللازورد وفيها اربعة ابواب يصعد اليها بخمس درجات وفي وسطها بركة ينزل اليها بدرج من الذهب وتلك الدرج مرصعة بالمعدن وفي وسط البركة سلسبيل من الذهب فيهِ صور كبار وصغار والماء يخرج من افواهها . فاذا صفقت الصور عند خروج الماء باصوات مختلفة تخيَّل لسامعها انهُ في الجنة . وحول القبة ساقية قواديسها من الفضة وهي مكسوة بالديباج . وعلى يسار الساقية شبَّاك من الفضة مطلّ على برج اخضر فيهِ من سائر الوحوش والغزلان والارانب . وعلى يمينها شبَّاك مطلّ على ميدان فيهِ من سائر الطيور وكلها تغرّد باصوات مختلفة تدهش السامع . فلما رأى الغلام ذلك اخذهُ الطرب وقعد في باب البستان وقعد البستاني بجانبه . فقال لهُ : كيف ترى بستاني . فقال لهُ الغلام : هو جنة الدنيا . فضحك البستاني . ثم قام وغاب عنهُ ساعة وعاد ومعهُ طبق فيهِ دجاج وسمان ومأكول مليح وحلوى من السكر فوضعهُ بين يدي الغلام وقال لهُ : كل حتى تشبع . (قال ابراهيم) فاكلت حتى اكتفيت . فلما رآني اكلت فرح وقال : والله هكذا شأن الملوك واولاد الملوك . ثم قال : يا ابراهيم اي شيء معك في هذه الكارة . فحللتها بين يديه . فقال . احملها معك فانها تنفعك اذا حضرت السيدة جميلة . فانها اذا جاءت لا اقدر ان ادخل لك بما تأكل . ثم قام واخذ بيدي واتى بي الى مكان قبال قبَّة جميلة . فعمل عريشة بين الاشجار وقال لهُ : اصعد هنا فاذا جاءت فانك تنظرها وهي لا تنظرك وهذا اكثر ما عندي من الحيلة وعلى الله الاعتماد . فاذا غنَّت فاشرب على غنائها . فاذا ذهبت فارجع من حيث جئت ان شاء الله مع السلامة . فشكره الغلام واراد ان يقبل يده فمنعهُ . ثم ان الغلام وضع الكارة في العريشة التي عملها لهُ . ثم قال لهُ البستاني :

فقال لهُ : الرأي لك . فاخذهُ وانحدر بهِ . فلما قرب من البستان قال : يا ولدي من هنا ما اقدر ان اعدّي . فان تعدَّيت هذا الحدّ هلكت انا وانت . فاخرج لهُ عشرة دنانير اخرى وقال لهُ : خذ هذه النفقة لتستعين بها على حالك . فاستحى منهُ وقال : سلمت الامر لله تعالى . وانحدر بهِ

(الليلة السادسة والخمسون بعد التسعمائة) . فلما وصل الى البستان نهض الغلام من فرحته ووثب من الزورق وثبة مقدار رمية رمح ورمى نفسه . فرجع الملّاح هاربًا . ثم تقدَّم الغلام فرأى جميع ما وصفهُ لهُ الاحدب من البستان ورأى بابه مفتوحًا وفي الدهليز سرير من العاج جالس عليهِ رجل احدب لطيف المنظر عليهِ ثياب مذهبة وفي يده دبوس من فضة مطلي بالذهب . فنهض الغلام مسرعًا وانكبَّ على يده وقبلها . فقال لهُ : من انت ومن اين أتيت ومن اوصلك الى هاهنا يا ولدي . وكان ذلك الرجل لما رأى ابراهيم بن الخصيب انبهر من جماله . فقال لهُ ابراهيم : يا عمّ انا صبي جاهل غريب . ثم بكى . فرقَّ لهُ واصعدهُ على السرير ومسح لهُ دموعه وقال لهُ : لا بأس عليك ان كنت مديونًا قضى الله دينك وان كنت خائفًا أمّن الله خوفك . فقال : يا عمّ ما بي خوف ولا عليَّ دين ومعي مال جزيل بحمد الله وعونه . فقال لهُ : يا ولدي ما حاجتك حتى خاطرت بنفسك وجمالك الى محلّ فيهِ الهلاك . فحكى لهُ حكايته وشرح لهُ امره . فلما سمع كلامه اطرق برأسه ساعة الى الارض وقال : هل الذي دلّك عليَّ الخياط الاحدب . قال لهُ : نعم . قال : هذا اخي وهو رجل مبارك . ثم قال : يا ولدي لولا ان محبتك نزلت في قلبي ورحمتك لهلكت انت واخي وبواب الخان وزوجته . ثم قال : اعلم ان هذا البستان ما على وجه الارض مثله وانهُ يقال لهُ بستان اللؤلؤة . وما دخله احد مدة عمري الّا السلطان وانا وصاحبته جميلة . واقمت فيهِ عشرين سنة فما رأيت احدًا جاء الى هذا المكان . وكل اربعين يومًا تأتي في المركب الى هاهنا وتصعد بين جواريها في حلة اطلس تحمل اطرافها عشر جوارٍ بكلاليب من الذهب الى ان تدخل . فلم ارَ منها شيئًا . ولكن انا ما لي الّا نفسي فاخاطر بها من اجلك . فعند ذلك

خلوة . ثم نهض الخياط واخذه بيده ودخل معهُ حجرة في داخل الدكان وقال لهُ : يا غلام حدثني . فحدثه بامره من اوله الى آخره . فبهت من كلامه وقال : يا غلام اتق الله في نفسك فان التي ذكرتها جبارة زاهدة في الرجال فاحفظ يا اخي لسانك والَّا فانك تهلك نفسك . فلما سمع الغلام كلامه بكى بكاء شديدًا ولزم ذيل الخياط وقال : اجرني يا عمّ فاني هالك وقد تركت ملكي وملك ابي وجدي وصرت في البلاد غريبًا وحيدًا فلما رأى الخياط ما حلَّ بهِ رحمهُ وقال : يا ولدي ما عندي الَّا نفسي فاخاطر بها في هواك فانك قد جرحت قلبي . ولكن في غد ادبّر لك امرًا يطيب بهِ قلبك . فدعا لهُ وانصرف الى الخان . فحدَّث بواب الخان بما قالهُ الاحدب . فقال لهُ : قد فعل معك جميلًا . فلما اصبح الصباح لبس الغلام افخر ثيابه واخذ معهُ كيسًا فيهِ دنانير واتى الى الاحدب . فسلم عليهِ وجلس ثم قال لهُ : يا عمّ انجز وعدي . فقال لهُ : قم في هذه الساعة وخذ ثلاث دجاجات سمان وثلاث اواق من السكر النبات وكوزين لطيفين واملأهما شرابًا وخذ قدحًا وضع ذلك في كارة وانزل بعد صلاة الصبح في زورق مع ملَّاح وقل لهُ : اريد ان تذهب بي تحت البصرة . فان قال لك : ما اقدر ان اعدي اكثر من فرسخ . فقل لهُ : الرأي لك . فاذا عدى فرغبهُ بالمال حتى يوصلك . فاذا وصلت فاول بستان تراه فانه بستان السيدة جميلة . فاذا رأيته فاذهب الى بابه ترى درجتين عاليتين عليهما فرش من الديباج وجالس عليهما رجل احدب مثلي . فاشكُ اليهِ حالك وتوسل بهِ فعساهُ ان يرثي لحالك ويوصلك الى ان تنظرها ولو نظرة من بعيد وما بيدي حيلة غير هذا . واما اذا لم يرثِ لحالك فقد هلكت انا وانت وهذا ما عندي من الرأي والامر الى الله تعالى . فقال الغلام : استعنت بالله ما شاء الله كان ولا حول ولا قوة الَّا بالله . ثم قام من عند الخياط الاحدب وذهب الى حجرته واخذ ما امرهُ بهِ في كارة لطيفة . ثم انهُ لما اصبح جاء الى شاطئ الدجلة واذا هو برجل ملَّاح نائم فايقظهُ واعطاهُ عشرة دنانير وقال لهُ : عدّني الى تحت البصرة . فقال لهُ : يا سيدي بشرط اني لا اعدي اكثر من فرسخ وان تجاوزته شبرًا هلكت انا وانت .

هذه الى حريمك . فاخذها منهُ ودفعها الى زوجته . فأتت معهُ ودخلت على الغلام فاذا هو يبكي . فقالت لهُ : فتّتَّ اكبادنا فعرّفنا بأيِّ مليحة تريدها وهي لا تكون الَّا جارية عندك . فقال : يا عمّ اعلم اني انا ابن الخصيب صاحب مصر واني متعلق بجميلة بنت الليث العميد . فقالت زوجة بواب الخان : الله الله يا اخي ان تترك هذا الكلام لئلَّا يسمع بنا احد فنهلك . فانهُ ما على وجه الارض اجبر منها ولا يقدر احد ان يذكر لها اسم رجل لانها زاهدة في الرجال . فيا ولدي اعدل عنها لغيرها . فلما سمع كلامها بكى بكاءً شديدًا . فقال لهُ بواب الخان : ما لي سوى روحي فانا اخاطر بها في هواك وادبّر لك امرًا فيهِ بلوغ مرادك . ثم خرجا من عنده . فلما اصبح الصباح دخل الحمام ولبس حلَّة من ملبوس الملوك . واذا ببواب الخان هو وزوجته قدما عليهِ وقالا لهُ : يا سيدي اعلم ان هنا رجلًا خياطًا احدب وهو خيَّاط السيدة جميلة . فاذهب اليهِ واخبرهُ بحالك فعساهُ يدلك على ما فيهِ وصولك الى اغراضك . فقام الغلام وقصد دكان الخياط الاحدب فدخل عليهِ فوجد عندهُ عشرة مماليك كأنهم الاقمار فسلم عليهم . فردُّوا عليهِ السلام وفرحوا بهِ واجلسوهُ وتحيروا في محاسنه وجماله . فلما رآهُ الاحدب اندهش عقله من حسن صورته . فقال لهُ الغلام : اريد ان تخيط لي جيبي . فتقدم الخياط واخذ فتلة من الحرير وخاطهُ . وكان الغلام قد فتق جيبه عمدًا . فلما خاطهُ اخرج لهُ خمسة دنانير واعطاها لهُ وانصرف الى حجرته . فقال الخياط : اي شيءٍ عملتهُ لهذا الغلام حتى اعطاني الخمسة دنانير . ثم بات ليلته يفكر في حسنه وكرمه . فلما اصبح الصباح ذهب الى دكان الخياط الاحدب ثم دخل وسلم عليهِ . فردَّ عليهِ السلام واكرمهُ ورحب بهِ . فلما جلس قال للاحدب : يا عمّ خِط لي جيبي فانهُ فُتق ثانيًا . فقال لهُ : يا ولدي على الرأس والعين . ثم تقدم وخاطهُ . فدفع لهُ عشرة دنانير . فاخذها وصار مبهوتًا من حسنه وكرمه ثم قال : والله يا غلام ان فعلك هذا لا بدَّ لهُ من سبب وما هذا خبر خياطة جيب . ولكن اخبرني عن حقيقة امرك . فقال : يا عمّ ما هذا محل الكلام فان حديثي عجيب وامري غريب . قال : فاذا كان الامر كذلك فقم بنا في

بالذهب وقال: يا غلام ان هذه الحجرة تصلح لك. فاخرج الغلام دينارين وقال لهُ: خذ هذين حلوان المفتاحِ. فاخذهما ودعا لهُ. وأمر الغلام الملاح بالذهاب الى المركب. ثم دخل الحجرة فاستمرَّ عنده بواب الخان وخدمه وقال لهُ: يا سيدي حصل لنا بك السرور. فاعطاه الغلام ديناراً وقال لهُ: هات لنا بهِ خبزاً ولحماً وحلوى وشراباً. فاخذهُ وذهب الى السوق ورجع اليهِ وقد اشترى ذلك بعشرة دراهم واعطاهُ الباقي. فقال لهُ الغلام: اصرفهُ على نفسك. ففرح بواب الخان بذلك فرحاً عظيماً. ثم ان الغلام اكل مما طلبه قرصاً واحداً بقليل من الادم وقال لبواب الخان: خذ هذا الى اهل منزلك. فاخذه وذهب بهِ الى اهل منزله وقال لهم: ما اظن ان احداً على وجه الارض اكرم من الغلام الذي سكن عندنا في هذا اليوم ولا احلى منهُ. فان دام عندنا حصل لنا الغنى. ثم ان بواب الخان دخل على ابراهيم فرآه يبكي. فقعد وصار يكبس رجليهِ ثم قبلهما وقال: يا سيدي لاي شيء تبكي لا ابكاك الله. فقال: يا عمّ اريد ان اشرب انا وانت في هذه الليلة. فقال لهُ: سمعاً وطاعةً. فاخرج لهُ خمسة دنانير وقال لهُ: اشترِ لنا بها فاكهة وشراباً. ثم دفع لهُ خمسة دنانير اخرى وقال لهُ: اشترِ لنا بهذه نقلاً ومشموماً وخمس دجاجات سمان واحضر لي عوداً. فخرج واشترى لهُ ما امره بهِ وقال لزوجته: اصنعي هذا الطعام وصفي لنا هذا الشراب. وليكن ما تصنعينه جيداً فان هذا الغلام قد عمّنا باحسانه. فصنعت زوجته ما امرها بهِ على غاية المراد

(الليلة الخامسة والخمسون بعد التسعمائة). ثم اخذهُ ودخل بهِ على ابراهيم ابن السلطان فاكلا وشربا وطربا. فبكى الغلام وانشد هذين البيتين:

يا صاحبي لو بذلت الروح مجتهداً ... وجملة المال والدنيا وما فيها

وجنة الخلد والفردوس اجمعها ... بساعة الوصل كان القلب شاريها

ثم شهق شهقة عظيمة وخرَّ مغشياً عليهِ. فتنهد بواب الخان. فلما افاق قال لهُ بواب الخان: يا سيدي ما يبكيك ومن هي التي تريدها بهذا الشعر فانها لا تكون الّا تراباً لاقدامك. فقام الغلام واخرج بقجة من احسن ملابس النساء وقال له: خذ

زاهدة في الرجال ولم تقدر ان تسمع ذكر رجل في مجلسها . وقد ذهبت الى عمي بقصد ان يزوجني بها وبذلت لهُ الاموال فلم يجبني الى ذلك . فلما علمت ابنته بذلك اغتاظت وارسلت اليَّ كلاماً من جملته انها قالت : ان كان لك عقل فلا تقم بهذه البلدة والَّا تهلك ويكون ذنبك في عنقك . وهي جبَّارة من الجبابرة . فخرجت من البصرة وانا منكسر الخاطر وعملت هذه الصورة في الكتب وفرقتها في البلاد لعلها تقع في يد غلام حسن الصورة مثلك فيتحيل في تزويجها واكون قد اخذت عليهِ العهد انهُ يريني اياها ولو نظرة من بعيد . فلما سمع ابراهيم بن الخصيب كلامه اطرق برأسه ساعة وهو يتفكر . فقال لهُ الصندلاني : يا ولدي اني ما رأيت ببغداد احسن منك . واظن انها اذا نظرتك تحبك . فهل يمكنك اذا اجتمعت بها وظفرت بها ان تريني اياها ولو نظرة من بعيد . فقال : نعم . فقال : اذا كان الامر كذلك فأقم عندي الى ان تسافر . فقال : لا اقدر على المقام فان في قلبي من عشقها نارًا زائدة . فقال لهُ : اصبر حتى اجهز لك مركبًا في ثلثة ايام لتذهب فيه الى البصرة . فصبر حتى جهز لهُ مركبًا ووضع فيهِ كل ما يحتاج اليهِ من مأكول ومشروب وغير ذلك . وبعد الثلثة الايام قال للغلام : تجهز للسفر فقد جهزت لك مركبًا فيهِ سائر ما تحتاج اليهِ والمركب ملكي والملاحون من اتباعي وفي المركب ما يكفيك الى ان تعود . وقد وصيت الملاحين ان يخدموك الى ان ترجع بالسلامة . فنهض الغلام ونزل في المركب وودَّعهُ وسار حتى وصل الى البصرة . فاخرج الغلام مائة دينار للملاحين . فقالوا لهُ : نحن اخذنا الاجرة من سيدنا . فقال لهم : خذوها انعاماً وانا لا اخبرهُ بذلك فاخذوها منهُ ودعوا لهُ . ثم دخل الغلام البصرة وسأل اين مسكن التجار . فقالوا لهُ : في خان يسمَّى خان حمدان . فمشى حتى وصل الى السوق الذي فيهِ الخان . فامتدَّت اليهِ الاعين بالنظر من فرط حسنه وجماله . ثم دخل الخان مع رجل ملاح وسأل عن البواب فدلُّوه عليه . فرآهُ شيخاً كبيرًا مهابًا . فسلم عليهِ فرد عليهِ السلام . فقال : يا عمّ هل عندك حجرة ظريفة . قال : نعم . ثم اخذهُ هو والملاح وفتح لهما حجرة ظريفة مزركشة

والامتعة ما يعجز عن وصفه اللسان. ثم صار يحييهِ وامر باحضار الطعام. فأتوا بمائدة من شغل صنعاء اليمن فوضعت واتوا بالطعام الواناً غريبة لم يوجد افخر منها ولا الذ. فاكل الغلام حتى اكتفى ثم غسل يديه. وصار الغلام ينظر الى الدار والفرش. ثم التفت الى الجراب الذي كان معهُ فلم يرهُ. فقال: لا حول ولا قوة الّا بالله العلي العظيم اكلت لقمة تساوي درهماً او درهمين فذهب مني جراب فيهِ ثلثون الف دينار. ولكن استعنت بالله. ثم سكت ولم يقدر ان يتكلم

(الليلة الرابعة والخمسون بعد التسعمائة). فقدَّم الشيخ الشطرنج وقال للغلام: هل تلعب معي. قال: نعم. فلعب فغلبه الشيخ. فقال الغلام: أحسنت. ثم ترك اللعب وقام. فقال لهُ: ما لك يا غلام. فقال: اريد الجراب. فقام واخرجه لهُ وقال: ها هو يا سيدي هل ترجع الى اللعب معي. قال: نعم. فلعب معهُ فغلبهُ الغلام. فقال الرجل: لما اشتغل فكرك بالجراب غلبتك. فلما جئت بهِ اليك غلبتني. ثم قال لهُ: يا ولدي اخبرني من اي البلاد انت. فقال: من مصر. فقال لهُ: وما سبب مجيئك الى بغداد. فاخرج لهُ الصورة وقال: اعلم يا عمّ اني ولد الخصيب صاحب مصر وقد رأيت هذه الصورة عند رجل كتبيّ فسلبت عقلي. فسألت عن صانعها فقيل لي: ان صانعها رجل بحارة الكرخ يقال لهُ ابو القاسم الصندلاني بدرب يعرف بدرب الزعفران. فاخذت معي شيئاً من المال وجئت وحدي ولم يعلم بحالي احد واريد من تمام احسانك ان تدلني عليهِ حتى اسألهُ عن سبب تصويره لهذه الصورة وصورة مَن هي. ومهما اراده مني فاني اعطيه اياه. فقال: والله يا ابني اني انا ابو القاسم الصندلاني وهذا امر عجيب كيف ساقتك المقادير اليَّ. فلما سمع الغلام كلامه قام اليهِ وعانقه وقبل راسه ويديه وقال لهُ: بالله عليك ان تخبرني بصورة مَن هي. فقال: سمعاً وطاعةً. ثم قام وفتح خزانة واخرج منها عدة كتب كان صور فيها هذه الصورة وقال: اعلم ياولدي ان صاحبة هذه الصورة ابنة عمي وهي في البصرة وابوها حاكم البصرة يقال لهُ ابو الليث وهي يقال لها جميلة وما على وجه الارض اجمل منها. ولكنها

لا تنزل في هذه الليلة الّا عندي. فاجابه الى قوله وبات عنده. فلما لاح الفجر اخذهُ البدوي ثم سار بهِ سريعاً في طريق قريب طمعاً في تلك الفرس التي وعده بها. وما زالا سائرين حتى وصلا الى حيطان بغداد. فقال لهُ البدوي: الحمد لله على السلامة يا سيدي هذه بغداد. ففرح الغلام فرحاً شديداً ونزل عن الفرس واعطاها للبدوي هي والمائة الدينار. ثم اخذ الجراب وسار يسأل عن حارة الكرخ وعن محل التجار. فساقهُ القدر الى درب فيهِ عشر حجر خمس تقابل خمساً. وفي صدر الدرب باب بمصراعين لهُ حلقة من فضة وفي الباب مصطبتان من الرخام مفروشتان باحسن الفرش وفي احداهما رجل جالس وهو مهاب حسن الصورة وعليهِ ثياب فاخرة وبين يديه خمسة مماليك كأنهم اقمار. فلما رأى الغلام ذلك عرف العلامة التي ذكرها لهُ الكتبي فسلم على الرجل. فردَّ عليهِ السلام ورحب بهِ واجلسه وسألهُ عن حاله. فقال لهُ الغلام: انا رجل غريب واريد من احسانك ان تنظر لي في هذا الدرب داراً لاسكن فيها. فصاح الرجل وقال: يا غزالة. فخرجت اليهِ جارية وقالت: لبيك يا سيدي. فقال: خذي معكِ بعض خدم واذهبوا الى حجرة ونظفوها وافرشوها وحطوا فيها جميع ما يحتاج اليهِ من آنية وغيرها لاجل هذا الشاب الحسن الصورة. فخرجت الجارية وفعلت ما امرها بهِ. ثم اخذه الشيخ واراه الدار. فقال لهُ الغلام: يا سيدي كم اجرة هذه الدار. فقال لهُ: يا صبيح الوجه انا ما آخذ منك اجرة ما دمت فيها. فشكره على ذلك. ثم ان الشيخ نادى جارية اخرى. فخرجت جارية كانها الشمس. فقال لها: هاتي الشطرنج. فاتت بهِ. ففرش المملوك الرقعة. وقال الشيخ للغلام: أتلعب معي. قال: نعم. فلعب معهُ مرات والغلام يغلبه. فقال: احسنت يا غلام ولقد كملت صفاتك والله ما في بغداد من يغلبني وقد غلبتني انت. ثم بعد ان هيأُوا الدار بالفرش وسائر ما يحتاج اليهِ سلم اليهِ المفاتيح وقال لهُ: يا سيدي ألا تدخل منزلي وتأكل عيشي فنتشرف بك. فاجابهُ الغلام الى ذلك ومشى معهُ. فلما وصلا الى الدار رأى داراً حسنة جميلة مزركشة بالذهب وفيها من جميع التصاوير وفيها من انواع الفرش

فصار يتردد اليهِ الى ان توفي الخليفة الى رحمة الله تعالى. فسبحان الذي لا يموت · ذي الملك والملكوت

حكاية ابراهيم بن الخصيب صاحب مصر

ومما يُحكى ايضاً ايها الملك السعيد ان الخصيب صاحب مصر كان لهُ ولد ولم يكن احسن منهُ. وكان من خوفه عليهِ لا يمكنه من الخروج الّا لصلاة الجمعة · فمرّ وهو خارج من صلاة الجمعة على رجل كبير وعندهُ كتب كثيرة. فنزل عن فرسه وجلس عنده وقلّب الكتب وتأملها فرأى فيها صورة امرأة تكاد ان تنطق لم يرَ احسن منها على وجه الارض فسلبت عقله وادهشت لبه. فقال لهُ: يا شيخ بعني هذه الصورة. فقبل الارض بين يديه ثم قال: يا سيدي بغير ثمن. فدفع لهُ مائة دينار واخذ الكتاب الذي فيهِ هذه الصورة فصار ينظر اليها ويبكي ليله ونهاره وامتنع من الطعام والشراب والمنام وقال في نفسه: لو سألت الكتبي عن صانع هذه الصورة من هو لربما اخبرني · فان كانت صاحبتها في الحياة خطبتها من اهلها. وان كانت صورة مطلقة تركت التولع بها ولا اعذب نفسي بشيء لا حقيقة له

(الليلة الثالثة والخمسون بعد التسعمائة) · فلما كان يوم الجمعة مرّ على الكتبي · فنهض اليهِ قائماً. فقال لهُ: يا عم اخبرني من صنع هذه الصورة. قال: يا سيدي صنعها رجل من اهل بغداد يقال لهُ ابو القاسم الصندلاني في حارة تسمَّى حارة الكرخ وما اعلم صورة من هي · فقام الغلام من عنده ولم يُعلم بحاله احدًا من اهل مملكته ثم صلى الجمعة وعاد الى البيت. فاخذ جراباً وملأهُ من الجواهر والذهب وقيمة الجواهر ثلاثون الف دينار. ثم صبر الى الصباح وخرج ولم يُعلم احدًا. ولحق قافلة فرأى بدوياً فقال لهُ: يا عمّ كم بيني وبين بغداد. فقال لهُ: يا ولدي اين انت واين بغداد ان بينك وبينها مسيرة شهرين. فقال لهُ: يا عمّ ان وصَّلتني الى بغداد اعطيتك مائة دينار وهذه الفرس التي تحتي وقيمتها الف دينار. فقال لهُ البدوي: الله على ما نقول وكيل ولكن

ثم استوت جالسة وقالت : والله يا سيدي ما كنت اظنّ اني ارى وجهك الّا ان كان مناماً . ثم انها عانقتني وبكت وقالت : يا ابا الحسن الآن آكل واشرب . فاحضروا الطعام والشراب . ثم صرت عندهم يا امير المؤمنين مدة من الزمان وعادت لما كانت عليهِ من الجمال . ثم ان اباها استدعى بالقاضي والشهود وجدّد كتابها عليَّ وعمل وليمة عظيمة وهي زوجتي الى الآن . ثم ان ذلك الفتى قام من عند الخليفة ورجع اليهِ بغلام بديع الجمال بقدّ ذي رشاقة واعتدال وقال لهُ : قبل الارض بين ايادي امير المؤمنين . فقبل الارض بين يدي الخليفة . فتعجب الخليفة من حسنه وسبح خالقه . ثم ان الرشيد انصرف هو وجماعته وقال : يا جعفر ما هذا الّا شيء عجيب ما رأيت ولا سمعت باغرب منهُ . فلما جلس الرشيد في دار الخلافة قال : يا مسرور . قال : لبيك يا سيدي . قال : اجعل في هذا الايوان خراج البصرة وخراج بغداد وخراج خراسان . فجمعهُ فصار مالاً عظيماً لا يحصي عدده الّا الله . ثم قال الخليفة : يا جعفر . قال : لبيك . قال : احضر لي ابا الحسن . قال : سمعاً وطاعةً . ثم احضره . فلما حضر قبل الارض بين يدي الخليفة وهو خائف ان يكون طلبهُ لهُ بسبب خطإٍ وقع منهُ وهو عندهُ بمنزله . فقال الرشيد : يا عماني . قال لهُ : لبيك يا امير المؤمنين خلد الله نعمه عليك . فقال : اكشف هذه الستارة . وكان الخليفة أمرهم ان يضعوا مال الثلثة اقاليم و يسبلوا عليهِ الستارة . فلما كشف العماني الستارة عن الايوان اندهش عقله من كثرة المال . فقال الخليفة : يا ابا الحسن اهذا المال اكثر ام الذي فاتك من قرص التعويذ . فقال : بل هنا يا امير المؤمنين اكثر باضعاف كثيرة . قال الرشيد : اشهدوا يا مَن حضر اني وهبت هذا المال لهذا الشاب . فقبل الارض واستحى وبكى من شدة الفرح بين يدي الرشيد . فلما بكى جرى الدمع من عينه على خده فرجع الدم الى محله فصار وجههُ كالبدر ليلة تمامه . فقال الخليفة : لا اله الّا الله سبحان من يغير حالاً بعد حال وهو باقٍ لا يتغير . ثم اتى بمرآة واراهُ وجهه فيها . فلما رآهُ سجد شكراً لله تعالى . ثم امر الخليفة ان يحمل اليهِ المال وسأله انه لا ينقطع عنهُ لاجل المنادمة .

مني يا امير المؤمنين وانصرف . فكان ذلك الامر سبباً للاصفرار الذي في وجهي . ثم اني توجهت الى بغداد ومعي جميع مالي وسكنت في الدار التي كنت فيها . فلما اصبح الصباح لبست ثيابي وجئت الى بيت طاهر بن العلاء لعلي ارى زوجتي فان حبها لم يزل يتزايد في قلبي . فلما وصلت الى داره رأيت الشبَّاك قد انهدم . فسألت غلاماً وقلت لهُ : ما فعل الله بالشيخ . فقال : يا اخي انهُ قدم عليهِ في سنة من السنين رجل تاجر يقال لهُ ابو الحسن العماني وتزوَّج بابنته واقام معها مدَّة من الزمان . ثم بعد ان ذهب مـاله اخرجهُ الشيخ من عنده مكسور الخاطر . وكانت الصبية تحبهُ حبّاً شديدًا . فلما فارقها مرضت مرضاً شديدًا حتى بلغت الموت . وعرف ابوها بذلك فأرسل خلفه في البلاد وقد ضمن لمن يأتي بهِ مائة الف دينار . فلم يرَهُ احد ولم يقع لهُ على اثر . وهي الى الآن مشرفة على الموت . قلت : وكيف حال ابيها . قال : باع الجواري من عظم ما اصابهُ . فقلت لهُ : هل ادلُّك على ابي الحسن العماني . فقال : بالله عليك يا اخي ان تدلّني عليهِ . فقلت لهُ : اذهب الى ابيهـا وقل لهُ : البشارة عندك فان ابا الحسن العماني واقف على الباب . فذهب الرجل يهرول كأنهُ بغـل انطلق من طاحون . ثم غاب ساعة وجاء وصحبته الشيخ . فلما رآني رجع الى داره واعطى الرجل مائة الف دينار . فأخذها وانصرف وهو يدعو لي . ثم اقبل الشيخ وعانقني وبكى وقال : يا سيدي اين كنت في هذه الغيبة . قد هلكت ابنتي من اجل فراقك فادخل معي الى المنزل . فلما دخلت سجد شكرًا لله تعالى وقال : الحمد لله الذي جمعنا بك . ثم دخل الى ابنته وقال لها : قد شفاكِ الله من هذا المرض . فقالت : يا ابتِ ما ابرأُ من مرضي الَّا اذا نظرت وجه ابي الحسن . فقال : اذا اكلت اكلة ودخلت الحمام جمعت بينكما . فلما سمعت كلامه قالت : اصحيح ما تقول . قال لها : والله العظيم ان الذي قلتهُ صحيح . فقالت : والله ان نظرت وجهه ما احتاج الى اكل . فقال لغلامه : احضر سيدك . فدخلتُ . فلما نظرت اليَّ يا امير المؤمنين وقعت مغشياً عليها . فلما افاقت انشدت هذا البيت :

وقد يجمع الله الشتيتين بعد ما يظنَّان كل الظن ان لا تلاقيا

ووضعهُ في جيبه . ثم قال لي : هل رضيت . قلت : نعم . فقال : اشهدوا عليهِ انهُ امضى البيع وقبض الثمن ثلاثين الف دينار . ثم انهُ التفت اليَّ وقال لي : يا مسكين والله لو اخَّرت البيع لزدناك الى مائة الف دينار بل الى الف الف دينار . فلما سمعت يا امير المؤمنين هذا الكلام نفر الدم من وجهي وعلا عليهِ هذا الاصفرار الذي انت تنظرهُ من ذلك اليوم . ثم قلت لهُ : اخبرني ما سبب ذلك وما نفع هذا القرص . فقال : اعلم ان ملك الهند لهُ بنت لم يرَ احسن منها وبها داء الصداع . فاحضر الملك ارباب الاقلام واهل العلوم والكهان فلم يرفعوا عنها ذلك . فقلت لهُ وكنت حاضرًا بالمجلس : ايها الملك انا اعرف رجلًا يسمَّى سعد الله البابلي ما على وجه الارض اعرف منهُ بهذه الامور فان رأيت ان ترسلني اليهِ فافعل . فقال : اذهب اليهِ . فقلت لهُ : احضر لي قطعة من العقيق . فاحضر لي قطعة كبيرة من العقيق ومائة الف دينار وهدية . فاخذت ذلك وتوجهت الى بلاد بابل . فسألت عن الشيخ فدلّوني عليهِ ودفعت لهُ المائة الف الدينار والهدية . فاخذ ذلك مني . ثم اخذ القطعة العقيق واحضر حكَّاكًا فعملها هذا التعويذ . ومكث الشيخ سبعة اشهر يرصد النجم حتى اختار وقتًا للكتابة وكتب عليهِ الطلاسم التي تنظرها

(الليلة الثانية والخمسون بعد التسعمائة) . ثم جئت بهِ الى الملك . فلما وضعهُ على ابنته برئت من ساعتها . وكانت مربوطة باربع سلاسل وكل ليلة تبيت عندها جارية فتصبح مذبوحة . فمن حين وضع عليها هذا التعويذ برئت لوقتها وفرح الملك بذلك فرحًا شديدًا وخلع عليَّ وتصدَّق بمال كثير ثم وضعهُ في عقدها . فاتفق انها نزلت يومًا في مركب هي وجواريها تتنزَّه في البحر . فمدَّت جارية يدها اليها لتلاعبها فانقطع العقد وسقط في البحر فعاد من ذلك الوقت العارض لابنة الملك . فحصل للملك ما حصل من الحزن . فاعطاني مالاً كثيرًا وقال لي : اذهب الى الشيخ ليعمل لها تعويذًا عوضًا عنهُ . فسافرت اليهِ فوجدتهُ قد مات . فرجعت الى الملك واخبرته . فبعثني انا وعشرة انفس نطوف في البلاد لعلّنا نجد لها دواء . فاوقعني الله بهِ عندك . فاخذهُ

وجميع ما عليهِ من الجواهر . فشكرتهُ على ذلك وجميع من حضر من التجــار اثنوا عليهِ . ثم اخذت ذلك ومضيت بهِ الى سوق الجواهر وقعدت ابيع واشــتري . وكان من جملة هذه المعادن قرص تعويذ صنعة المعلمين زنتــهُ نصف رطل . وكان احمر شديد الحمرة وعليهِ اسطر مثل دبيب النمل من الجانبين ولم اعرف منفعتــه . فبعت واشتريت مدة سنة كاملة . ثم اخذت قرص التعويذ وقلت : هذا لهُ عنــدي مدة لا اعرفه ولا اعرف منفعته . فدفعته الى الدلال فاخذه ودار بهِ ثم عاد وقال : ما دفع فيهِ احد من التجار سوى عشرة دراهم . فقلت : ما ابيعه بهذا القدر . فرماهُ في وجهي وانصرف . ثم عرضتهُ للبيع يوماً آخر فبلغ ثمنه خمسة عشر درهماً . فاخذتهُ من الدلال مغضباً ورميته عندي . فبينما انا جالس يوماً اذ اقبل عليَّ رجل فسلم عليَّ وقال لي : عن اذنك هل اقلب ما عندك من البضائع . قلت : نعم . وانا يا امير المؤمنين مغتاظ من كساد قرص التعويذ . فقلب الرجل البضاعة ولم يأخذ منها سوى قرص التعويذ . فلما رآه يا امير المؤمنين قبل يده وقال : الحمد لله . ثم قال : يا سيــدي اتبيع هذا . فازداد غيظي وقلت لهُ : نعم . فقال لي : كم ثمنه . فقلت لهُ : كم تدفع انت . قال : عشرين دينــاراً فتوهمت انهُ يستهزئُ بي فقلت : اذهب الى حال سبيلك . فقال لي : هو بخمسين ديناراً . فلم اخاطبهُ . فقال : بالف دينار . هذا كله يا امير المؤمنين وانا ساكت ولم اجبهُ هو يضحك من سكوتي ويقول : لاي شيءٍ لم تردَّ عليَّ . فقلت لهُ : اذهب الى حال سبيلك . واردت ان اخاصمهُ وهو يزيد الفاً بعد الف ولم اردَّ عليهِ حتى قال : اتبيعهُ بعشرين الف دينار . وانا اظنّ انهُ يستهزئُ بي . فاجتمع علينا الناس وكل منهم يقول لي : بعهُ وان لم يشترِ فنحن الكلّ عليهِ ونضربهُ ونخرجهُ من البلد . فقلت لهُ : هل انت تشتري او تستهزئُ . فقال : هل انت تبيع او تستهزئُ . قلت لهُ : ابيع . قال : هو بثلثين الف دينار خذها وأمض البيع . فقلت للحاضرين : اشهدوا عليهِ . ولكن بشرط ان تخبرني ما فائدته وما نفعه . قال : امضِ البيع وانا اخبرك بفائدته ونفعه . فقلت : بعتك . فقال : الله على ما نقول وكيل . ثم اخرج الذهب وقبضني اياه وأخذ التعويذ

العليّ العظيم . ثم اقمت في بغداد ثلثة ايام لم اذق طعامًا ولا شرابًا . وفي اليوم الرابع رأيت سفينة متوجهة الى البصرة فنزلت فيها واستكريت مع صاحبها الى ان وصلت الى البصرة فدخلت السوق وانا في شدة الجوع . فرآني رجل بقّال فقام اليَّ وعانقني لانهُ كان صاحبًا لي ولأبي من قبلي وسألني عن حالي . فاخبرتهُ بجميع ما جرى لي . فقال لي : والله ما هذه فعال عاقل ومع هذا الذي جرى لك فايّ شيءٍ في ضميرك تريد ان تفعله . فقلت لهُ : لا ادري ماذا افعل . فقال : اتجلس عندي وتكتب خرجي ودخلي ولك في كل يوم درهمان زيادة على اكلك وشربك . فاجبته الى ذلك واقمت عنده يا امير المؤمنين سنة كاملة ابيع واشتري الى ان صار معي مائة دينار . فاستأجرت غرفة على شاطئ البحر لعلَّ مركبًا يأتي ببضاعة فاشتري بالدنانير بضاعة واتوجه بها الى بغداد . فاتفق في بعض الايام ان المراكب جاءت وتوجه اليها جميع التجار يشترون . فرحت معهم واذا برجلين قد خرجا من بطن المركب ونصبا لهما كرسيين وجلسا عليهما . ثم اقبل التجار عليهما لاجل الشراء . فقالا لبعض الغلمان : احضروا البساط . فأحضروهُ وجاء واحد بخرج فاخرج منهُ جرابًا وفتحهُ وكبهُ على البساط . واذا بهِ يخطف البصر لما فيهِ من الجواهر واللؤلؤ والمرجان والياقوت والعقيق من سائر الالوان

(الليلة الحادية والخمسون بعد التسعمائة) . ثم ان واحدًا من الرجلين الجالسين على الكراسي التفت الى التجار وقال لهم : يا معشر التجار انا ما ابيع في يومي هذا لاني تعبان . فتزايدت التجار في الثمن حتى بلغ مقداره اربعمائة دينار . فقال لي صاحب الجراب وكان بيني وبينه معرفة قديمة : لماذا لم تتكلم ولم ترد مثل التجار . فقلت لهُ : والله يا سيدي ما بقي عندي شيءٌ من الدنيا سوى مائة دينار . واستحيت منهُ ودمعت عيني . فنظر اليَّ وقد عسر عليهِ حالي ثم قال للتجار : اشهدوا على اني بعت جميع ما في الجراب من انواع الجواهر والمعادن لهذا الرجل بمائة دينار وانا اعرف انهُ يساوي كذا وكذا الف دينار وهو هدية مني اليهِ . فاعطاني الخرج والجراب والبساط

مقسطاً عن كل شهر خمسة عشر الف دينار. واذا لم يمكنك ذلك تطلقها. فقلت لهُ: رضيت بهذا الشرط. واقمت يا امير المؤمنين عندها على هذه الحالة مدة من الزمان حتى نفد جميع مالي. فتذكرت وانا جالس معها مفارقتها فنزلت دموعي على خدّي كالانهار. وصرت لا اعرف الليل من النهار. فقالت: لايّ شيءٍ تبكي. فقلت لها: يا سيدتي من حين تزوجت بكِ وابوكِ يأخذ مني في كل يوم خمسمائة دينار وما بقي عنـدي شيء من المال. وقد صدق الشاعر حيث قال:

الفقر في اوطاننا غربةٌ والمال في الغربة اوطانُ

فقالت: اكتم سرّك واخفِ امرك وانا اعمل حيلة في اجتماعي بك الى ما شاء الله فان لك في قلبي محبة عظيمة. واعلم ان جميع مال ابي تحت يدي وهو لا يعرف قدره. فانا اعطيك في كل يوم كيساً فيهِ خمسمائة دينار وانت تعطيه لأبي وتقول لهُ: ما بقيت اعطي الدراهم الّا يوماً بيوم. وكلما دفعتهُ اليهِ فانهُ يدفعهُ اليَّ وانا اعطيه لك. ونستمرّ هكذا الى ما شاء الله. فشكرتها على ذلك وقبلت يدها. ثم اقمت عندها يا امير المؤمنين على هذه الحالة مدة سنة كاملة. فاتفق في بعض الايام انها ضربت جاريتها ضرباً وجيعاً. فقالت لها: والله لاوجعنَّ قلبكِ كما اوجعتني. ثم مضت تلك الجارية الى ابيها واعلمتهُ بامرنا من اوله الى آخره. فلما سمع طاهر بن العلاء كلام الجارية قام من ساعته ودخل عليَّ وانا جالس مع ابنته وقال لي: يا فلان. قلت لهُ: لبيك. قال: انك خدعتني ولم تتمم الشرط. ثم التفت الى غلمانه وقال: اخلعوا ثيابه. ففعلوا واعطوني ثياباً رديئة قيمتها خمسة دراهم ودفعوا لي عشرة دراهم. ثم قال لي: اخرج فانا لا اضربك ولا اشتمك واذهب الى حال سبيلك. وان اقمتَ في هذه البلدة كان دمك هدراً. فخرجت يا امير المؤمنين برغم انفي ولا اعلم اين اذهب وحلَّ في قلبي كل همّ في الدنيا واشغلني الوسواس وقلت في نفسي: كيف اجيء في البحر بمائة الف الف من جملتهـا ثمن ثلاثين مركباً ويذهب هذا كله في دار هذا الشيخ النحس وبعد ذلك اخرج من عنده عرياناً مكسور القلب. فلا حول ولا قوة الّا بالله

وحسن تركيبها. فاشتاقت نفسي اليها وتعلقت آمالي برؤيتها . فقمت وبعت العقارات والاملاك وبعت المراكب بمائة الف دينار وبعت العبيد والجواري وجمعت مالي فصار الف الف دينار غير الجواهر والمعادن . واكتريت مركباً وشحنتهُ باموالي وسائر متاعي وسافرت بهِ اياماً وليالي حتى جئت الى البصرة فاقمت بها مدة . ثم استأجرت سفينة وتزلت مالي فيها وسرنا منحدرين اياماً قلائل حتى وصلنا الى بغداد . فسألت اين تسكن التجار واي موضع اطيبُ للسكان . فقالوا : في حارة الكرخ . فجئت اليها واستأجرت داراً في درب يسمَّى درب الزعفران. ونقلت جميع مالي الى تلك الدار فأَقمت فيها مدة . ثم توجهت في بعض الايام الى الفرجة ومعي شيء من المال وكان ذلك اليوم يوم الجمعة. فأَتيت الى جامع يسمَّى جامع المنصور تقام فيه الجمعة . وبعد ان خلصنا من الصلاة خرجت مع الناس الى موضع يسمَّى قرن الصراط . فرأيت في ذلك المكان موضعاً عالياً جميلاً ولهُ روشن مطل على الشاطئ وهناك شبَّاك . فذهبت في جملة الناس الى ذلك المكان فرأَيت شيخاً جالساً وعليهِ ثياب جميلة وتفوح منهُ رائحة طيبة وقد سرَّح لحيته فافترقت على صدره فرقتين . كأَنها قضب من لُجين . وحوله اربع جوارٍ وخمسة غلمان . فقلت لشخص : ما اسم هذا الشيخ وما صنعته . فقال : هذا طاهر ابن العلاء رجل كريم سخي كل من دخل عنده يأكل ويشرب . فقلت لهُ : والله لا بدَّ ان ادخل على مثل هذا

(الليلة الموفية لخمسين بعد التسعمائة) . (ثم قال) فتقدمت اليهِ يا امير المؤمنين وسلمت عليهِ وقلت لهُ : يا سيدي ان لي عندك حاجة . فقال : ما حاجتك . قلت : اشتهي ان اكون ضيفك في هذه الليلة . فقال : حبًا وكرامةً . ثم اشار الى الجواري فأَتينَ بمائدة فيها من انواع اللحوم من دجاج وسمان وقطا وحمام فاكلنا حتى اكتفينا . وما رأيت في عمري الذ من ذلك الطعام . فلما اكلنا رفعت تلك المائدة وأُحضرت مائدة الشراب والمشموم والحلوى والفواكه . ثم اني قلت للشيخ : يا سيدي اني اتيتك خاطباً لابنتك . فقال لي : ما اعطيك اياها الَّا بشرط ان تعطيني مهرها

اسحق: يا سيدي اني لاعجب منها غاية العجب ولا املك نفسي من الطرب. وكان الرشيد مع ذلك كله ينظر الى صاحب الدار ويتأمل في محاسنه وظرف شمائله. فرأى في وجههِ اثر اصفرار. فالتفت اليهِ وقال لهُ: يا فتى. فقال: لبيك يا سيدي. قال: هل تعلم مَن نحن. قال: لا. فقال لهُ جعفر: أتحب ان نخبرك عن كل واحد باسمه. فقال: نعم. فقال جعفر: هذا امير المؤمنين وابن عمّ سيد المرسلين. وذكر لهُ بقية اسماء الجماعة. وبعد ذلك قال الرشيد: اشتهي ان تخبرني عن هذا الاصفرار الذي في وجهك هل هو مكتسب او اصلي من حين ولادتك. قال: يا امير المؤمنين ان حديثي غريب. وامري عجيب. لو كتب بالابر. على آماق البصر. لكان عبرة لمن اعتبر. قال: اعلمني بهِ لعل شفاؤك يكون على يدي. قال: يا امير المؤمنين أوزعني سمعك واخلِ لي ذرعك. قال: هات فحدثني فقد شوَّقتني الى سماعه. فقال: اعلم يا امير المؤمنين اني رجل تاجر من تجار البحر واصلي من مدينة عمان. وكان ابي تاجرًا كثير المال وكان لهُ ثلثون مركبًا تعمل في البحر اجرتها في كل عام ثلثون الف دينار. وكان رجلًا كريمًا وعلمني الخط وجميع ما يحتاج اليهِ الشخص

(الليلة التاسعة والاربعون بعد التسعمائة). فلما حضرتهُ الوفاة دعاني واوصاني بما جرت بهِ العادة. ثم توفاهُ الله تعالى الى رحمته. وابقى الله امير المؤمنين. وكان لابي شركاء يتجرون في ماله ويسافرون في البحر. فاتفق في بعض الايام اني كنت قاعدًا في منزلي مع جماعة من التجار اذ دخل عليَّ غلام من غلماني وقال: ياسيدي ان بالباب رجلًا يطلب الاذن في الدخول عليك. فأذنتُ لهُ. فدخل وهو حامل على رأسه شيئًا مغطى فوضعهُ بين يديَّ وكشفه. فاذا فيهِ فواكه بغير اوان ومُلح وطرائف ليست في بلادنا. فشكرته على ذلك واعطيتهُ مائة دينار وانصرف شاكرًا. ثم فرقت ذلك على كل من كان حاضرًا من الاصحاب. ثم سألت التجار من اين هذا. فقالوا: انهُ من البصرة واثنوا عليهِ. وصاروا يصفون حسن البصرة. واجمعوا على انهُ ليس في البلاد احسن من بغداد ومن اهلها. وصاروا يصفون بغداد وحسن اخلاق اهلها وطيب هوائها

يا سادتي ان كان لكم حاجة فاخبرونا بها حتى نتشرَّف بقضائها. قالوا: نعم فاننا ما جئنا منزلك الّا لاجل صوت سمعناه من وراء حائط دارك فاشتهينا ان نسمعه ونعرف صاحبته. فان رأيت ان تنعم علينا بذلك كان من مكارم اخلاقك ثم نعود من حيث جئنا. فقال: مرحباً بكم. ثم التفت الى جارية سوداء وقال: احضري سيدتكِ فلانة. فذهبت الجارية ثم جاءت ومعها كرسي فوضعته. ثم ذهبت ثانياً واتت ومعها جارية كانها البدر في تمامه فجلست على الكرسي

(الليلة الثامنة والاربعون بعد التسعمائة) ثم ان الجارية السوداء ناولتها خرقة من اطلس فاخرجت منها عوداً مرصعاً بالجواهر واليواقيت وملاويه من الذهب فشدَّت اوتاره لرنَّات المزاهر. وهي كما قال فيها وفي عودها الشاعر:

حضنتهُ كالأمّ الشفيقة بابنها ... في حجرها وجلت عليهِ ملاويهْ
ما حرَّكت يدها اليمين لجسِّهِ ... الّا واصلحت اليسار ملاويهْ

ثم ضمَّت العود الى صدرها وانحنت عليهِ انحناء الوالدة على ولدها وجسَّت اوتاره فاستغاث كما يستغيث الصبي بامه. ثم ضربت عليهِ وجعلت تنشد هذه الابيات:

جاد الزمان بمن احبُّ فأعتبا ... يا صاحبي فأدر كؤُوسكَ واشربا
من خمرةٍ ما مازجت قلب امرئٍ ... الّا واصبح بالمسرَّة مطربا
قام النسيم بحملها في كأسها ... ارأيت بدر التمّ يحمل كوكبا
كم ليلةٍ سامرت فيها بدرها ... من فوق دجلة قد اضاء الغيهبا
والبدر يجنح للغروب كانما ... قد مدَّ فوق الماء سيفاً مذهبا

فلما فرغت من شعرها بكت بكاء شديداً وصاح كل من في الدار بالبكاء حتى كادوا ان يهلكوا وما منهم احد الّا وغاب عن وجوده ومزق اثوابه ولطم على وجهه لحسن غنائها. فقال الرشيد: ان غناء هذه الجارية يدل على انها مفارقة. فقال سيدها: انها ثاكلة لامها وابيها. فقال الرشيد: ما هذا بكاء من فقد اباه وامه وانما هو شجو من فقد محبوبه. وطرب الرشيد من غنائها وقال لاسحق: والله ما رأيت مثلها. فقال

(الليلة السابعة والاربعون بعد التسعمائة) . فعند ذلك قام الرشيد من موضعه وصحبته جعفر واخوه الفضل واسحق النديم وابو نواس وابو دلف ومسرور السياف ودخلوا حجرة الثياب ولبسوا كلهم ملابس التجار وتوجهوا الى الدجلة ونزلوا في زورق مزركش بالذهب وانحدروا مع الماء حتى وصلوا الى الموضع الذي يريدونه . فسمعوا صوت جارية تغني على العود وتنشد :

اقول لهُ وقد حضر العقارُ وقد غنّى على الايك الهزارُ
الى كم ذا التأني عن سرورٍ أَفق ما العمرُ الّا مستعارْ

فلما سمع الخليفة هذا الصوت قال: يا جعفر ما احسن هذا الصوت . قال جعفر: يا مولانا ما طرق سمعي اطيب ولا احسن من هذا الغناء . ولكن يا سيدي ان السماع من وراء جدار نصف سماع فكيف بالسماع من خلف ستر . فقال: انهض بنا يا جعفر حتى نتطفل على صاحب هذا الدار لعلنا نرى المغنية عياناً . قال جعفر: سمعاً وطاعةً . فصعدوا من المركب واستأذنوا في الدخول . واذا بشاب مليح المنظر عذب الكلام فصيح اللسان قد خرج اليهم وقال: اهلًا وسهلًا يا سادة المنعمين عليَّ ادخلوا بالرحب والسعة . فدخلوا وهو بين ايديهم . فرأوا الدار باربعة اوجه وسقفها بالذهب وحيطانها منقوشة باللازورد وفيها ايوان بهِ سدلة جميلة وعليها مائة جارية كانهنَّ اقمار . فصاح عليهنَّ فنزلنَ عن اسرَّتهنَّ . ثم التفت ربُّ المنزل الى جعفر وقال: يا سيدي انا ما اعرف منكم الجليل من الاجلّ . بسم الله ليتفضل منكم من هو اعلى في الصدر ويجلس اخوانه كل واحد في مرتبته . فجلس كل واحد في منزلته وقام مسرور في الخدمة بين ايديهم . ثم قال لهم صاحب المنزل: يا اضيافي عن اذنكم هل أُحضر لكم شيئًا من المأكول . قالوا لهُ: نعم . فأمر الجواري باحضار الطعام . فاقبل اربع جوارٍ مشدودات الاوساط بين ايديهنَّ مائدة وعليها من غرائب الالوان مما درج وطار وسبح في البحار من قطا وسمان وافراخ وحمام . ومكتوب على حواشي السفرة من الاشعار ما يناسب المجلس . فاكلوا على قدر كفايتهم ثم غسلوا ايديهم . فقال الشاب :

كيف تصعب عليكم وتبكون وتحزنون . فما لنا في رفقتكم حاجة . ثم تركه وراح الى البحر . ثم ان عبد الله البرّي لبس حوائجه واخذ جواهره وتوجه الى الملك . فتلقاهُ باشتياق وفرح بهِ وقال لهُ : كيف انت يا نسيبي وما سبب غيابك عني هذه المدة . فاخبرهُ بقصته وما رآهُ من العجائب في البحر . فتعجب الملك من ذلك . ثم اخبرهُ بما قاله عبد الله البحري . فقال لهُ : انت الذي اخطأت في خبرك بهذا الخبر . ثم انهُ استمرَّ مدة من الزمان وهو يروح الى جانب البحر ويصيح على عبد الله البحري فلم يردّ عليهِ ولم يأتِ اليهِ . فقطع عبد الله البرّي الرجاء منهُ واقام هو والملك نسيبه واهلهما في اسرّ حال . وحسن اعمال . حتى اتاهم هادم اللذات . ومفرّق الجماعات . وماتوا جميعاً . فسبحان الحيّ الذي لا يموت . ذو الملك والملكوت . وهو على كل شيء قدير . وبعباده لطيف خبير

حكاية الخليفة هارون الرشيد مع ابي الحسن العماني

ومما يحكى ايضاً ان الخليفة هارون الرشيد ارق ذات ليلةٍ ارقاً شديداً . فاستدعى مسروراً فحضر . فقال : ائتني بجعفر بسرعة . فمضى واحضره . فلما وقف بين يديهِ قال : يا جعفر انهُ قد اعتراني في هذه الليلة ارق فمنع عني النوم ولا اعلم ما يزيلهُ عني . قال يا امير المؤمنين قد قالت الحكماء : دخول الحمام واستعمال الغناء يزيل الهم والفكر . فقال : يا جعفر اني فعلت هذا كلهُ فلم يزل عني شيئاً . وانما اقسم بآبائي الطاهرين ان لم تتسبب فيما يزيل عني ذلك لاضربنَّ عنقك . قال : يا امير المؤمنين هل تفعل ما اشير بهِ عليك . قال : وما الذي تشير بهِ عليَّ . قال : ان تنزل بنا في زورق وننحدر بهِ في بحر الدجلة مع الماء الى محل يسمَّى قرن الصراط لعلنا نسمع ما لم نسمع او ننظر ما لم ننظر فانهُ قد قيل : تفريج الهمّ بواحد من ثلاثة امور : ان يرى الانسان ما لم يكن رآه او يسمع ما لم يكن سمعه او يطأ ارضاً لم يكن وطئها . فلعل ذلك يكون سبباً لزوال القلق عنك يا امير المؤمنين

يكرمك ويردك الى البرّ. فقال عبد الله البرّي: الرأي رأيك فانا اتوكل على الله وامشي معك. ثم اخذهُ ومضى بهِ الى ان وصل الى الملك. فلما رآهُ الملك ضحك عليهِ وقال: مرحباً بالازعر. وصار كل من كان حول الملك يضحك عليهِ ويقول: إي والله انهُ ازعر. فتقدم عبد الله البحري الى الملك واخبره باحواله وقال لهُ: هذا من اولاد البرّ وصاحبي وهو لا يعيش بيننا لانهُ لا يحبّ اكل السمك الّا مقلياً او مطبوخاً. والمراد انك تأذن لي في ان اردّه الى البرّ. فقال لهُ الملك: حيث كان الامر كذلك وانهُ لا يعيش عندنا فقد اذنت لك في ان تردّه الى مكانه بعد الضيافة. ثم ان الملك قال: هاتوا لهُ الضيافة. فأتوا لهُ بسمك اشكالاً والواناً. فاكل امتثالاً لامر الملك. ثم قال لهُ الملك: تمنَّ عليَّ. فقال عبد الله البرّي: اتمنّى عليك ان تعطيني جواهر. فقال: خذوهُ الى دار الجواهر ودعوهُ ينتقي ما يحتاج اليه. فأخذه صاحبه الى دار الجواهر ونقى على قدر ما اراد. ثم رجع بهِ الى مدينتهِ واخرج لهُ صرّةً وقال لهُ: خذ هذه امانة اوصلها الى قبر النبي (صلعم). فاخذها وهو لا يعلم ما فيها. ثم خرج معهُ ليوصله الى البرّ فرأى في طريقه غناء وفرحاً وسماطاً ممدوداً من السمك والناس يأكلون ويغنّون وهم في فرح عظيم. فقال عبد الله البرّي لعبد الله البحري: ما لهؤلاء الناس في فرح عظيم هل عندهم عرس. فقال البحري: ليس عندهم عرس وانما مات عندهم ميت. فقال لهُ: هل انتم اذا مات عندكم ميت تفرحون لهُ وتغنون وتأكلون. قال: نعم. وانتم يا اهل البرّ ماذا تفعلون. قال البرّي: اذا مات عندنا ميت نحزن عليه ونبكي والنساء يلطمنَ وجوههنَّ ويشققنَ جيوبهنَّ حزناً على من مات. فحملق عبد الله البحري عينيه في عبد الله البرّي وقال لهُ: هات الامانة. فاعطاها لهُ. ثم اخرجهُ الى البرّ وقال لهُ: قد قطعت صحبتك وودّك فبعد هذا اليوم لا تراني ولا اراك. فقال لهُ: لماذا هذا الكلام. فقال لهُ: اما انتم يا اهل البرّ امانة الله. فقال البرّي: نعم. قال: فكيف لا يهون عليكم ان الله يأخذ امانته بل تبكون عليها وكيف اعطيك امانة النبي (صلعم). وانتم اذا اتاكم المولود تفرحون بهِ مع ان الله تعالى يضع فيهِ الروح امانة. فاذا اخذها

ولها وجه مدوَّر مثل القمر ولها شعر طويل وطرف كحيل وخصر نحيل ولها ذنب. فلما رأَت عبد الله البرّي مع ابيها قالت لهُ: يا ابي ما هذا الازعر الذي جئت بهِ معك. فقال لها: يا بنتي هذا صاحبي البرّي الذي كنت اجيء لكِ من عنده بالفاكهة البرّية. تعالي سلمي عليه. فتقدمت وسلمت عليهِ بلسان فصيح وكلام بليغ. فقال لها ابوها: هاتي زاداً لضيفنا الذي حلت علينا بقدومه البركة. فجاءَت لهُ بسمكتين كبيرتين كل واحدة منهما مثل الخاروف. فقال لهُ: كل. فأكل غصباً عنهُ من الجوع لانهُ سئم من اكل السمك وليس عندهم شيء غير السمك. فما مضى حصة الّا وامرأَة عبد الله البحري اقبلت وهي جميلة الصورة ومعها ولدان كل ولد في يده فرخ سمك يقرش فيهِ كما يقرش الانسان في الخيارة. فلما رأَت عبد الله البرّي مع زوجها قالت: اي شيء هذا الازعر. وتقدَّم الولدان واختهما وامهم وصاروا ينظرون الى عبد الله البرّي ويقولون: اي والله انهُ ازعر. ويضحكون عليهِ. فقال لهُ عبد الله البرّي: يا اخي هل انت جئت بي لتجعلني سخرية لاولادك وزوجتك

(الليلة السادسة والاربعون بعد التسعمائة). فقال لهُ عبد الله البحري: العفو يا اخي فان الذي لا ذَنب لهُ غير موجود عندنا. واذا وجد واحد من غير ذَنب يأخذهُ السلطان ليضحك عليهِ. ولكن يا اخي لا تؤاخذ هؤلاء الاولاد الصغار والمرأَة فان عقولهم ناقصة. ثم صرخ عبد الله البحري على عياله وقال لهم: اسكتوا. فخافوا وسكتوا. وجعل يأخذ بخاطره. فبينما هو يتحدث معهُ واذا بعشرة اشخاص كبار شداد غلاظ اقبلوا عليهِ وقالوا: يا عبد الله انهُ بلغ الملك ان عندك ازعر من زعر البرّ. فقال لهم: نعم وهو هذا الرجل فانهُ صاحبي اتاني ضيفاً ومرادي ان ارجعهُ الى البرّ. قالوا لهُ: اننا لا نقدر ان نروح الّا بهِ. فان كان مرادك كلاماً فقم وخذهُ واحضر بهِ قدام الملك والذي تقولهُ لنا قلهُ للملك. فقال عبد الله البحري: يا اخي العذر واضح ولا يمكننا مخالفة الملك. ولكن امضِ معي للملك وانا اسعى في خلاصك منهُ ان شاء الله. ولا تخف فانهُ متى رآك عرف انك من اولاد البرّ ومتى علم انك برّي فلا بدَّ انهُ

كل يوم على الف مدينة واريتك في كل مدينة الف اعجوبة ما اريتك قيراطاً من اربعة وعشرين قيراطاً من مدائن البحر وعجائبه. وانما فرّجتك على ديارنا وارضنا لا غير. فقال له: يا اخي حيث كان الامر كذلك يكفيني ما تفرجت عليه فاني سئمت من اكل السمك ومضى لي في صحبتك ثمانون يوماً وانت لا تطعمني صباحاً ومساء الّا سمكاً طريّاً لا مشوياً ولا مطبوخاً. فقال له: اي شيء يكون المطبوخ والمشوي. قال له عبد الله البرّي: نحن نشوي السمك في النار ونطبخه ونجعله اصنافاً ونصنع منهُ انواعاً كثيرة. فقال له البحري: ومن اين تأتي لنا النار فنحن لا نعرف المشوي ولا المطبوخ ولا غير ذلك. فقال لهُ البرّي: نحن نقليه بالزيت والشيرج. فقال لهُ البحري: ومن اين لنا الزيت والشيرج ونحن في هذا البحر لا نعرف شيئاً مما ذكرتهُ. قال: صدقت ولكن يا اخي قد فرجتني على مدائن كثيرة ولم تفرجني على مدينتك. قال لهُ: اما مدينتي فاننا فتناها بمسافة وهي قريبة من البرّ الذي اتينا منهُ وانما تركت مدينتي وجئت بك الى هنا لاني قصدت ان افرجك على مدائن البحر قال له: يكفيني ما تفرجت عليه ومرادي ان تفرجني على مدينتك. قال لهُ: وهو كذلك. ثم رجع بهِ الى مدينته. فلما وصل اليها قال له: هذه مدينتي. فرآها مدينة صغيرة عن المدائن التي تفرّج عليها. ثم دخل المدينة ومعهُ عبد الله البحري الى ان وصل الى مغارة قال لهُ: هذا بيتي وكل بيوت هذه المدينة كذلك مغارات كبار وصغار في الجبال. وكذلك جميع مدائن البحر على هذه الصفة. فان كل من اراد ان يصنع له بيتاً يروح الى الملك ويقول له: مرادي ان اتخذ بيتاً في المكان الفلاني. فيرسل الملك معهُ طائفة من السمك يسمون النقارين ويجعل كراهم شيئاً معلوماً من السمك ولهم مناقير تفتت الحجر الجلمود فيأتون الى الجبل الذي اراده صاحب البيت وينقرون فيهِ البيت وصاحب البيت يصطاد لهم من السمك ويلقمهم حتى تتم المغارة فيذهبون. وصاحب البيت يسكنهُ. وجميع اهل البحر على هذه الحالة لا يتعاملون مع بعضهم ولا يخدمون بعضهم الّا بالسمك وكلهم سمك. ثم قال له: ادخل. فدخل. فقال عبد الله البحري: يا بنتي. واذا بينتهِ اقبلت عليه

قال له: كثير. قال: وهل عليكم سلطان في البحر. قال: نعم. قال له: يا اخي اني رأيت في البحر عجائب كثيرة. قال له: واي شيء رأيت من العجائب اما سمعت صاحب المثل يقول: عجائب البحر اكثر من عجائب البرّ. قال: صدقت. ثم انهُ صار يتفرج على هذه البنات فرأى لهنَّ وجوهاً مثل الاقمار وشعوراً مثل شعور النساء ولكن لهنَّ اياد وارجل في بطونهنَّ ولهنَّ اذناب مثل اذناب السمك. ثم انهُ فرَّجهُ على اهل تلك المدينة وخرج بهِ ومشى قدامهُ الى مدينة اخرى فرآها ممتلئة خلائق اناثاً وذكوراً صورهم مثل صور البنات ولهم اذناب ولكن ليس عندهم بيع ولا شراء مثل اهل البرّ. فقال له: يا اخي على اي دين انتم. قال لهُ: ليس كلنا ملة واحدة فان فينا مسلمين موحدين وفينا نصارى ويهود وغير ذلك. والذي يتزوَّج منا خصوص المسلمين. فقال: انتم ما عندكم بيع ولا شراء فاي شيء يكون مهر نسائكم هل يعطونهنَّ جواهر ومعادن. قال لهُ: ان الجواهر احجار ليس لها عندنا قيمة وانما الذي يريد ان يتزوَّج يجعلون عليهِ شيئاً معلوماً من اصناف السمك يصطادهُ قدر الف او الفين او اكثر او اقل بحسب ما يحصل عليهِ الاتفاق بينه وبين ابي الزوجة. فلما يحضر المطلوب تجتمع اهل العريس واهل العروسة ويأكلون الوليمة ثم يدخلونه على زوجته وبعد ذلك يصطاد من السمك ويطعمها. واذا عجز تصطاد هي وتطعمه. قال: وان زنى بعضهم ببعض كيف يكون الحال. قال: ان الذي يثبت عليهِ هذا الامر ان كان انثى ينفوها الى مدينة البنات. فاذا كانت حاملًا من الزنى فانهم يتركونها الى ان تلد. فان ولدت بنتاً ينفوها معها وتسمى زانية بنت زانية. ولم تزل بنتاً حتى تموت. وان كان المولود ذكرًا فانهم يأخذونه الى الملك سلطان البحر فيقتله. فتعجب عبد الله البرّي من ذلك. ثم ان عبد الله البحري اخذه الى مدينة اخرى وبعدها اخرى وهكذا. وما زال يفرجه حتى فرجه على ثمانين مدينة وكل مدينة يرى اهلها لا يشبهون اهل غيرها من المدن. فقال له: يا اخي هل بقي في البحر مدائن. قال: واي شيء رأيت من مدائن البحر وعجائبه وحق النبي الكريم الرؤوف الرحيم لو كنت فرَّجتك الف عامٍ في

دهن جسمه من فرقه الى قدمه بهذا الدهن . ثم نزل في الماء وغطس وفتح عينيه فلم يضرُّه الماء فمشى يميناً وشمالاً . ثم جعل ان شاء يعلو وان شاء ينزل الى القرار ورأى ماء البحر مخيماً عليهِ مثل الخيمة ولا يضرُّه . فقال لهُ عبد الله البحري : ماذا ترى يا اخي . قال لهُ : ارى خيرًا يا اخي وقد صدقت فيما قلت فان الماء ما ضرَّني . قال لهُ : اتبعني . فتبعه وما زالا يمشيان من مكان الى مكان وهو يرى امامه وعن يمينه وعن شماله جبالاً من الماء فصار يتفرج عليها وعلى اصناف السمك وهي تلعب في البحر البعض كبير والبعض صغير وفيهِ شيء يشبه الجاموس وشيء يشبه البقر وشيء يشبه الكلاب وشيء يشبه الآدميين وكل نوع قربا منهُ يهرب حين يرى عبد الله البري . فقال للبحري : يا اخي ما لي ارى كل نوع قربنا منهُ يهرب منا . فقال لهُ : مخافة منك لان جميع ما خلقه الله تعالى يخاف من ابن آدم . وما زال عبد الله البرّي يتفرَّج على عجائب البحر حتى وصلا الى جبل عالٍ فمشى عبد الله البري بجانب ذلك الجبل فلم يشعر الَّا وصيحة عظيمة . فالتفت فرأى شيئاً اسود منحدرًا عليهِ من ذلك الجبل وهو قدر الجمل او اكبر وصار يصيح . فقال لهُ : ما هذا يا اخي . قال لهُ البحري : هذا الدندان فانهُ نازل في طلبي مراده ان يأكلني فصح عليهِ يا اخي قبل ان يصل الينا فيخطفني ويأكلني . فصاح عليهِ عبد الله البرّي واذا بهِ وقع ميتاً . فلما رآه ميتاً قال : سبحان الله وبحمده انا لا ضربتهُ بسيف ولا بسكين كيف هذه العظمة التي فيها هذا المخلوق ولم يحمل صيحتي بل مات . فقال لهُ عبد الله البحري : لا تعجب فوالله يا اخي لو كان من هذا النوع الف او الفان لم يحملوا صيحة ابن آدم . ثم مشيا الى مدينة فرأيا اهلها جميعاً بنات وليس فيهنَّ ذكور . فقال : يا اخي ما هذه المدينة وما هذه البنات . فقال لهُ : هذه مدينة البنات لان اهلها من بنات البحر . فان ملك البحر ينفيهم الى هذه المدينة وكل من غضب عليها من بنات البحر يرسلها الى هذه المدينة ولا تقدر ان تخرج منها . فان خرجتْ منها فان كل ما رآها من دواب البحر يأكلها واما غير هذه المدينة ففيهِ رجال وبنات . قال : هل في البحر مدن غير هذه المدينة .

نسمات البرّ فاموت. قال لهُ: وانا كذلك خلقت في البرّ ومسكني البرّ فاذا دخلت البحر يدخل الماء في جوفي ويخنقني فاموت. قال لهُ: لا تخف من ذلك فاني آتيك بدهن تدهن بهِ جسمك فلا يضرّك الماء. ولو كنت تقضي بقية عمرك وانت دائر في البحر وتنام وتقوم في البحر ولا يضرّك شيء. قال: اذا كان الامر كذلك فلا بأس هات لي الدهان حتى اجرّبه. قال: وهو كذلك. ثم اخذ المشنة ونزل في البحر وغاب قليلًا. ثم رجع ومعهُ شحم مثل شحم البقر لونهُ اصفر كلون الذهب ورائحتهُ زكية. فقال لهُ عبد الله البرّي: ما هذا يا اخي. فقال لهُ: هذا شحم كبد صنف من اصناف السمك يقال لهُ الدندان وهو اعظم اصناف السمك خلقة وهو اشدُّ اعدائنا علينا وصورته اكبر صورة توجد عندكم من دواب البرّ ولو رأى الجمل او الفيل لابتلعه. فقال لهُ: يا اخي وما يأكل هذا المشؤوم. فقال لهُ: يأكل من دواب البحر. اما سمعت انهُ يقال في المثل: مثل سمك البحر القوي يأكل الضعيف. قال: صدقت ولكن هل عندكم من هذا الدندان في البحر كثير. قال: عندنا شيء لا يحصيهِ الّا الله تعالى. قال عبد الله البرّي: اني اخاف اذا نزلت معك ان يصادفني هذا النوع فيأكلني. قال لهُ عبد الله البحري: لا تخف فانهُ متى رآك عرف انك ابن آدم فيخاف منك ويهرب. ولا يخاف من احد في البر مثل ما يخاف من ابن آدم لانهُ متى اكل ابن آدم مات من وقته وساعته فان شحم ابن آدم سمٌّ قاتل لهذا النوع. ونحن ما نجمع شحم كبده الّا من اجل ابن آدم اذا وقع في البحر غريقًا فانهُ تتغيَّر صورته وربما تمزّق لحمه فيأكل الدندان لظنهِ انهُ من حيوان البحر فيموت فنعثر بهِ ميتًا فنأخذ شحم كبده وندهن بهِ اجسامنا وندور في البحر. فاي مكان كان فيهِ ابن آدم اذا كان فيهِ مائة او مائتان او الف او اكثر من ذلك النوع وسمعوا صيحة ابن آدم فان الجميع يموتون لوقتهم من صيحته مرة واحدة ولا يقدر احد منهم ان ينتقل من مكانه

(الليلة الخامسة والاربعون بعد التسعمائة). فقال عبد الله البري: توكلت على الله. ثم خلع ما كان عليهِ من الملبوس وحفر في شاطئ البحر ودفن ثيابه وبعد ذلك

(الليلة الرابعة والاربعون بعد التسعمائة) . واستمرَّ عبد الله على تلك الحالة سنة كاملة وهو في كل يوم يأخذ المشنة ممتلئة فاكهة ويرجع بها ممتلئة جواهر ومعادن . ولما فرغت الفواكه من البساتين صار يأخذ زبيباً ولوزاً وبندقاً وجوزاً وتيناً وغير ذلك . وجميع ما يأخذ لهُ يقبلهُ منهُ ويردّ لهُ المشنة ممتلئة جواهر على عادته . فاتفق يوماً من الايام انهُ اخذ المشنة ممتلئة نقلاً على عادته فاخذها منه . وجلس عبد الله البري على الشاطئ وجلس عبد الله البحري في الماء قرب الشاطئ وصارا يتحدثان مع بعضهما ويتداولان الكلام بينهما حتى انجرّا الى ذكر المقابر . فقال البحري : يا اخي انهم يقولون ان النبي (صلعم) مدفون عندكم في البرّ . فهل تعرف قبره . قال : نعم . قال لهُ : في اي مكان هو . قال لهُ : في مدينة يقال لها طيبة . قال : وهل تزوره الناس اهل البرّ . قال : نعم . قال : هنيئاً لكم يا اهل البرّ بزيارة هذا النبي الكريم الرحيم الذي من زاره استوجب شفاعته . وهل انت زرته يا اخي . فقال : لا لاني كنت فقيراً ولا اجد ما انفقهُ في الطريق وما استغنيت الّا من حين عرفتك وتصدقت عليَّ بهذا الخير . ولكن لقد وجبت عليَّ زيارته بعد ان احجّ بيت الله الحرام وما منعني من ذلك الّا محبتك فاني لا اقدر ان افارقك يوماً واحداً . فقال لهُ : وهل تقدم محبتي على زيارة قبر محمد (صلعم) الذي يشفع فيك يوم العرض على الله وينجيك من النار وتدخل الجنة بشفاعته . وهل من اجل حب الدنيا تترك زيارة قبر نبيك محمد (صلعم) . فقال : لا والله ان زيارته مقدمة عندي على كل شيء ولكن اريد منك اجازة ان ازوره في هذا العام . قال : اعطيتك الاجازة بزيارته . واذا وقفت على قبره فأقرئهُ مني السلام . وعندي امانة فادخل معي في البحر حتى آخذك الى مدينتي وادخلك بيتي واضيفك واعطيك الامانة لتضعها على قبر النبي (صلعم) وقل لهُ : يا رسول الله ان عبد الله البحري يقرئك السلام وقد اهدى اليك هذه الهدية وهو يرجو منك الشفاعة من النار . فقال لهُ عبد الله البرّي . يا اخي انت خلقت في الماء ومسكنك الماء وهو لا يضرُّك فهل اذا خرجت منهُ الى البرّ يحصل لك ضرر . قال : نعم ينشف بدني وتهبّ عليَّ

الرطل تعال بعني · فيقول لهُ : انتظرني حتى ارجع اليك ولا يغمّ احدًا · ثم راح واجتمع بعبد الله البحري واعطاه الفاكهة وابدلها لهُ بالجواهر · ولم يزل على هذه الحالة وفي كل يوم يمرّ على فرن الخباز فيراه مقفولاً · ودام على ذلك مدة عشرة ايام · فلما لم يرَ الخباز ورأى فرنهُ مقفولاً قال في نفسه : ان هذا شيء عجيب · يا ترى اين راح الخباز · ثم انهُ سأل جاره فقال لهُ : يا اخي اين جارك الخباز فما فعل الله بهِ · قال : يا سيدي انهُ مريض لا يخرج من بيته · قال لهُ : اين بيته · قال لهُ : في الحارة الفلانية · فعمد اليهِ وسأل عنهُ · فلما طرق الباب طلّ الخباز من الطاقة فرأى صاحبهُ الصياد وعلى رأسه مشنة ممتلئة · فنزل اليهِ وفتح لهُ الباب · فدخل ورمى روحه عليه وعانقه وبكى وقال لهُ : كيف حالك يا صاحبي فاني كل يوم امرّ على الفرن فاراه مقفولاً · ثم سألت جارك فاخبرني انك مريض فسألت عن البيت لاجل ان اراك · فقال لهُ الخباز : جزاك الله عني كل خير فليس بي مرض وانما بلغني ان الملك اخذك لان بعض الناس كذب عليك وادّعى انك حرامي فخفت انا وقفلت الفرن واختفيت · قال : صدقت · ثم انهُ اخبره بقضيته وما وقع لهُ مع الملك وشيخ سوق الجواهر وقال لهُ : ان الملك قد زوّجني ابنته وجعلني وزيره · ثم قال لهُ : خذ ما في هذه المشنة نصيبك ولا تخف · ثم خرج من عنده بعد ان اذهب عنهُ الخوف وراح الى الملك بالمشنة فارغة · فقال لهُ الملك : يا نسيبي كانك ما اجتمعت برفيقك عبد الله البحري في هذا اليوم · فقال : رحت لهُ والذي اعطاه لي اعطيتهُ الى صاحبي الخباز فان لهُ عليّ جميلاً · قال : مَن يكون هذا الخباز · قال : انهُ رجل صاحب معروف وجرى لي معهُ في ايام الفقر ما هو كذا وكذا ولم يهملني يوماً ولا كسر خاطري · قال الملك : ما اسمهُ · قال : اسمهُ عبد الله الخباز وانا اسمي عبد الله البري وصاحبي اسمهُ عبد الله البحري · قال الملك : وانا اسمي عبد الله وعَبيد الله كلهم اخوان · فارسل الى صاحبك الخباز هاته لنجعله وزير ميسرة · فارسل اليه · فلما حضر بين يدي الملك البسهُ بدلة وزير وجعلهُ وزير الميسرة · وجعل عبد الله البري وزير الميمنة

عندي مثلها. فقال : يا ملك الزمان انا عندي مشنة ممتلئة منها وهو ان الامر كذا وكذا. واخبره بصحبته لعبد الله البحري وقال لهُ: انهُ قد صار بيني وبينهُ عهد على انني كل يوم املأ لهُ المشنة فاكهة وهو يملأها لي من هذه الجواهر. فقال لهُ : يا رجل هذا نصيبك ولكن المال يحتاج الى الجاه فانا ادفع عنك تسلط الناس عليك في هذه الايام. ولكن ربما عزلت او متّ وتولى غيري فانهُ يقتلك من اجل حب الدنيا والطمع. فمرادي ان ازوجك ابنتي واجعلك وزيري واوصي لك بالملك من بعدي حتى لا يطمع فيك احد بعد موتي. ثم ان الملك قال: خذوا هذا الرجل وادخلوه الحمام. فاخذوه وغسلوا جسده والبسوه ثيابًا من ثياب الملوك واخرجوه قدام الملك فجعلهُ وزيرًا لهُ. وارسل السعاة واصحاب النوبة وجميع نساء الاكابر الى بيته فالبسوا زوجتــه ملابس نساء الملوك هي واولادها واركبوها في تخت روان ومشت قدامها جميع نساء الاكابر والعساكر والسعاة واصحاب النوبة واتوا بها الى بيت الملك والطفل الصغير في حضنها. وادخلوا اولادها الكبار على الملك فاكرمهم واخذهم على حجره واجلسهم في جانبه وهم تسعة اولاد ذكور. وكان الملك معدوم الذرّية ما رزق غير تلك البنت التي اسمها امّ السعود. واما الملكة فانها اكرمت زوجة عبد الله البرّي وانعمت عليها وجعلتهــا وزيرة عندها. وامر الملك بكتب كتاب عبد الله البرّي على ابنته وجعل مهرها جميع ما كان عنده من الجواهر والمعادن وفتحوا باب الفرح. وأمر الملك ان ينادى بزينة المدينة من اجل فرح ابنته. وفي اليوم الثاني بعــد العرس طلّ الملك من الشباك فرأى عبد الله حاملًا على رأسه مشنة ممتلئة فاكهة. فقال لهُ: ما هذا الذي معك يا نسيبي والى اين تذهب. فقال: الى صاحبي عبد الله البحري. فقال لهُ: يا نسيبي ما هذا وقت الرواح الى صاحبك. فقال: اخاف ان اخلف معهُ الميعاد فيعدّني كذابًا ويقول لي: ان الدنيا ألهتك عني. قال: صدقت رح الى صاحبك اعانك الله. فمشى في البلد وهو متوجه الى صاحبه وكانت الناس قد عرفتهُ فصار يسمع الناس يقولون : هذا نسيب الملك رائح يبدل الاثمــار بالجواهر. والذي يكون جاهلًا بهِ ولا يعرفه يقول: يا رجل بكم

ووقف على دكان شيخ السوق وقال: اشترِ مني هذه الجواهر. فقال لهُ: ارني اياها. فأراهُ اياها. فقال لهُ: هل عندك غير هذا. قال: عندي مشنة ممتلئة. قال لهُ: اين بيتك. قال لهُ: في الحارة الفلانية. فاخذ منهُ الجواهر وقال لاتباعه: امسكوهُ فانهُ هو الحرامي الذي سرق مصالح الملكة زوجة السلطان. ثم أمرهم ان يضربوه فضربوه وكتفوه وقام الشيخ هو وجميع اهل سوق الجواهر وصاروا يقولون: مسكنا الحرامي. وبعضهم يقول: ما سرق متاع فلان الّا هذا الخبيث. وبعضهم يقول: ما سرق جميع ما في بيت فلان الّا هو. وبعضهم يقول كذا وبعضهم يقول كذا. كل ذلك وهو ساكت ولم يرد على احد منهم جواباً ولم يبد لهُ خطاباً حتى اوقفوهُ قدام الملك. فقال الشيخ: يا ملك الزمان لما سُرق عقد الملكة ارسلتَ اعلمتنا وطلبت منا وقوع الغريم فاجتهدت انا من دون الناس واوقعت لك الغريم وها هو بين يديك وهذه الجواهر خلصناها من يده. فقال الملك للطواشي: خذ هذه المعادن وأرها للملكة وقل لها: هل هذا متاعكِ الذي ضاع من عندكِ. فاخذها الطواشي ودخل بها قدام الملكة. فلما رأتها تعجبت منها وارسلت تقول للملك: اني رأيت عقدي في مكاني وهذا ما هو متاعي ولكن هذه الجواهر احسن من جواهر عقدي فلا تظلم الرجل وان كان يبيعها فاشترها منهُ لبنتك ام السعود لتضعها لها في عقد

(الليلة الثالثة والاربعون بعد التسعمائة). فلما رجع الطواشي واخبر الملك بما قالتهُ الملكة لعن شيخ الجواهرية هو وجماعته لعنة عاد وثمود. فقالوا: يا ملك الزمان انَّا كنَّا نعرف ان هذا الرجل صياد فقير فاستكثرنا ذلك عليه وقد ظننَّا انهُ سرقها. فقال: يا قبحاء اتستكثرون النعمة على مؤمن. فلايّ شيء لم تسأَلوهُ. ربما رزقهُ الله تعالى بها من حيث لا يحتسب فكيف تجعلونه حرامياً وتفضحونه بين العالم. اخرجوا لا بارك الله فيكم. فخرجوا وهم خائفون. هذا ما كان من امرهم

واما ما كان من امر الملك فانهُ قال: يا رجل بارك الله لك فيما انعم بهِ عليك وعليك الامان. ولكن اخبرني بالصحيح من اين لك هذه الجواهر فاني ملك ولم يوجد

عيشك ومصروفك ورح الى ان يأتيك الخير . فقال له : يا صاحبي قد اتاني الخير من فيض الله وقد بقي لك عندي جملة كثيرة ولكن خذ هذا . وقبض له قبضة من لؤلؤ ومرجان وياقوت وجواهر . وكانت تلك القبضة نصف ما معهُ . فاعطاها للخباز وقال لهُ : اعطني شيئاً من المعاملة اصرفهُ في هذا اليوم حتى ابيع هذه المعادن . فاعطاه كل ما كان تحت يده من الدراهم وجميع ما في المشنة التي كانت عنده من الخبز وفرح الخباز بتلك المعادن وقال للصياد : انا عبدك وخدامك . وحمل جميع العيش الذي عنده على رأسه ومشى خلفهُ الى البيت . فاعطى العيش لزوجته واولاده . ثم راح الى السوق وجاء باللحم والخضر وسائر اصناف الفاكهة وترك الفرن واقام طول ذلك اليوم وهو يتعاطى خدمة عبد الله البري ويقضي لهُ مصالحه : فقال له الصياد : يا اخي اتعبت نفسك . قال له الخباز هذا واجب عليَّ لاني صرت خدامك واحسانك قد غمرني . فقال لهُ : انت صاحب الاحسان عليَّ في الضيق والغلاء . وبات معهُ تلك الليلة على اكل طيب . ثم ان الخباز صار صديقاً للصياد . واخبر زوجته بوقعته مع عبد الله البحري ففرحت وقالت لهُ : اكتم سرَّك لئلَّا تتسلط عليك الحكام . فقال لها : ان كتمت سرّي عن جميع الناس فلا اكتمه عن الخباز . ثم انهُ اصبح في ثاني يوم وكان قد ملأ مشنة فاكهة من سائر الاصناف في وقت المساء ثم حملها قبل الشمس وتوجه الى البحر وحطها على جنب الشاطئ وقال : اين انت يا عبد الله يا بحري . واذا بهِ يقول لهُ : لبيك . وخرج اليهِ . فقدَّم له الفاكهة . فحملها ونزل بها وغطس في البحر وغاب ساعة زمانية . ثم خرج ومعهُ المشنة ملآنة من جميع اصناف المعادن والجواهر . فحملها عبد الله البري على رأسه وذهب بها . فلما وصل الى فرن الخباز قال لهُ : يا سيدي قد خبزت لك اربعين كف شريك وارسلتها الى بيتك وها انا اخبز العيش الخاص . فمتى خلص اوصلهُ الى البيت واروح لاجيء لك بالخضار واللحم فقبض لهُ من المشنة ثلاث قبضات واعطاه اياها وتوجه الى البيت وحط المشنة واخذ من كل صنفٍ من اصناف الجواهر جوهرة نفيسة . ثم ذهب الى سوق الجواهر

خلق الله تعالى . ولولا اني اخاف واخشى ان اكون من العاصين لقطعت شبكتك .
ولكن رضيت بما قدَّرهُ الله عليَّ . وانت اذا خلصتني تصير مالكًا لي وانا اصير اسيرك .
فهل لك ان تعتقني ابتغاء وجه الله تعالى وتعاهدني وتبقى صاحبي اجيئك كل يوم في
هذا المكان وانت تأتيني وتجيء لي معك بهدية من ثمار البرّ . فان عندكم عنبًا وتينًا
وبطيخًا وخوخًا ورمانًا وغير ذلك . وكل شيء تجيء بهِ اليَّ مقبول منك . ونحن عندنا
مرجان ولؤلؤ وزبرجد وزمرد وياقوت وجواهر . فانا املأ لك المشنة التي تجيء لي فيها
بالفاكهة معادن من جواهر البحر . فما تقول يا اخي في هذا الكلام . قال لهُ الصياد :
الفاتحة بيني وبينك على هذا الكلام . فقرأ كل منهما الفاتحة وخلصهُ من الشبكة . ثم
قال لهُ الصياد : ما اسمك . قال : اسمي عبد الله البحري . فاذا اتيت الى هذا المكان ولم
ترني فنادِ وقل : اين انت يا عبد الله يا بحري . فاكون عندك في الحال . وانت ما اسمك
(الليلة الثانية والاربعون بعد التسعمائة . فقال الصياد : اسمي عبد الله . قال :
انت عبدالله البرّي وانا عبدالله البحري فقف هنا حتى اروح وآتيك بهدية . فقال لهُ :
سمعًا وطاعةً . فراح عبد الله البحري في البحر . فعند ذلك ندم عبدالله البري على كونه
خلصه من الشبكة وقال في نفسه : من اين اعرف انهُ يرجع اليَّ وانما هو ضحك عليَّ
حتى خلصته ولو ابقيتهُ كنت افرّج عليهِ الناس في المدينة وآخذ عليـهِ الدراهم من
جميع الناس وادخل بهِ بيوت الاكابر . فصار يتندم على اطلاقه ويقول لنفسه : راح
صيدك من يدك . فبينما هو يتأسف على خلاصه من يده واذا بعبد الله البحري رجع
اليهِ ويداه مملوءتان لؤلؤًا ومرجانًا وزمردًا وياقوتًا وجواهر وقال لهُ : خذ يا اخي ولا
تؤاخذني فانه ما عنـدي مشنة لأملأها لك . فعند ذلك فرح عبد الله البـرّي
واخذ منهُ الجواهر وقال لهُ : كل يوم تأتي الى هذا المكان قبل طلوع الشمس . ثم
ودعهُ وانصرف ودخل البحر . واما الصياد فانهُ دخل المـدينة وهو فرحان ولم يزل
ماشيًا حتى وصل الى فرن الخباز وقال لهُ : يا اخي قد اتانا الخير فحاسبني . قال لهُ :
ما نحتاج الى حساب ان كان معك شيء . فأعطني وان لم يكن معك شيء . فخـذ

متى هذا الحال . والله اني ذُبت حياء من الخباز . فانا ما بقيت اروح الى البحر حتى لا اجوز على فرنه فانهُ ليس لي طريق الّا على فرنه وكلما جزت عليهِ يناديني ويعطيني العيش والعشرة الانصاف . فالى متى وانا اتداين منهُ . قالت لهُ : الحمد لله تعالى الذي عطف قلبه عليك فيعطيك القوت . واي شيء تكره من هذا . قال : بقي لهُ عليَّ قدر عظيم من الدراهم ولا بدَّ انهُ يطلب حقهُ . قالت لهُ زوجته : هل آذاك بكلام . قال : لا ولم يرضَ ان يحاسبني ويقول لي : حتى يأتيك الخير . قالت : فاذا طالبك قل لهُ : حتى يأتي الخير الذي نرتجيه انا وانت . فقال لها : متى يجيء الخير الذي نرتجيه . قالت لهُ : الله كريم . قال : صدقتِ . ثم حمل شبكته وتوجه الى البحر وهو يقول : يا رب ارزقني ولو بسمكة واحدة حتى اهديها الى الخبَّاز . ثم انهُ رمى الشبكة في البحر ثم سحبها فوجدها ثقيلة . فما زال يعالج فيها حتى تعب تعبًا شديدًا . فلما اخرجها رأى فيها حمارًا ميتًا منفوخًا ورائحتهُ كريهة فسئمت نفسه . ثم خلصهُ من الشبكة وقال : لا حول ولا قوة الّا بالله العليّ العظيم قد عجزت وانا اقول لهذه المرأة ما بقي لي رزق في البحر دعيني اترك هذه الصنعة . وهي تقول لي : الله كريم سيأتيك الخير . فهل هذا الحمار الميت هو الخير . ثم انهُ حصل لهُ غمّ شديد وتوجه الى مكان آخر ليبعد عن رائحة الحمار واخذ الشبكة ورماها وصبر عليها ساعة زمانية . ثم جذبها فرآها ثقيلة . فلم يزل يعالج فيها حتى خرج الدم من كفيه . فلما اخرج الشبكة رأى فيها آدميًا فظنَّ انهُ عفريت من عفاريت السيد سليمان الذين كان يحبسهم في قماقم النحاس ويرميهم في البحر فلما انكسر القمقم من طول السنين خرج منهُ ذلك العفريت وطلع في الشبكة . فهرب منهُ وصار يقول : الامان الامان يا عفريت سليمان . فصاح عليهِ الآدمي من داخل الشبكة وقال : تعال يا صياد لا تهرب مني فاني آدمي مثلك فخلصني لتنال اجري . فلما سمع كلامه الصياد اطمأنَّ قلبه وجاءهُ وقال لهُ : أما انت عفريت من الجنّ . قال : لا انما انا انسيّ مؤمن بالله ورسوله . قال لهُ : من رماك في البحر . قال لهُ : انا من اولاد البحر كنت دائرًا فرميت عليَّ الشبكة . ونحن اقوام مطيعون لاحكام الله ونشفق على

شي. تعال خذ عيشك وعشرة انصاف وانا اصبر عليك حتى يأتيك الخير وبعد ذلك هات لي بما استحقهُ عندك سمكاً

(الليلة الحادية والاربعون بعد التسعمائة) . فقال لهُ: آجرك الله تعالى وجزاك عنّي كل خير. ثم اخذ العيش والعشرة الانصاف الفضة وراح مسروراً واشترى لهُ ما تيسر ودخل على زوجته فرآها قاعدة تأخذ بخاطر الاولاد وهم يبكون من الجوع وتقول لهم: في هذا الوقت يأتي ابوكم بما تأكلونه. فلما دخل عليهم حطّ لهم العيش فاكلوا واخبر زوجته بما حصل لهُ. فقالت لهُ: الله كريم. وفي ثاني يوم حمل شبكته وخرج من داره وهو يقول: اسألك يا ربّ ان ترزقني في هـذا اليوم بما يبيّض وجهي مع الخبّاز. فلما وصل الى البحر صار يطرح الشبكة ويجذبها فلم يخرج فيها سمك. ولم يزل كذلك الى آخر النهار ولم يحصل شيئاً فرجع وهو في غمّ عظيم . وكان طريق بيته على فرن الخبّاز فقال في نفسه: من اين اروح الى داري ولكن اسرع خطوي حتي لا يراني الخبّاز. فلما وصل الى فرن الخباز رأى زحمة فاسرع في المشي من حيائه من الخباز حتى لا يراهُ. واذا بالخباز رفع بصره عليهِ فصاح وقال: يا صياد تعال خذ عيشك ومصروفك فانك نسيت. قال: لا والله ما نسيت وانما استحيت منك فاني لم اصطد سمكاً في هذا اليوم. فقال لهُ: لا تستحِ . اما قلت لك على مهلك حتى يأتيك الخير. ثم اعطاهُ العيش والعشرة الانصاف وراح الى زوجته واخبرها بالخبر. فقالت لهُ: الله كريم ان شاء الله تعالى يأتيك الخير وتوفيه حقه . ولم يزل على هذه الحالة مدة اربعين يوماً وهو في كل يوم يروح الى البحر من طلوع الشمس الى غروبها ويرجع بلا سمك ويأخذ عيشاً ومصروفاً من الخبـاز ولم يذكر لهُ السمك يوماً من الايام ولم يهملهُ مثل الناس بل يعطيه العشرة الانصاف والعيش. وكلما يقول لهُ: يا اخي حاسبني. يقول لهُ: رُح ما هذا وقت الحساب حتى يأتيك الخير فاحاسبك. فيدعو لهُ ويذهب من عنده شاكراً لهُ. وفي اليوم الحـادي والاربعين قال لامرأته: مرادي ان اقطع هذه الشبكة وارتاح من هذه العيشة . فقالت لهُ: لأي شي. . قال لها: كأن رزقي انقطع من البحر فالى

شيئاً اتقوت بهِ . فقال لها : ها انا سارح على بركة الله تعالى الى البحر في هذا اليوم على بخت هذا المولود الجديد حتى ننظر سعده . فقالت لهُ : توكل على الله . فاخذ الشبكة وتوجه الى البحر . ثم انهُ رمى الشبكة على بخت ذلك الطفل الصغير وقال : اللهمَّ اجعل رزقه يسيرًا غير عسير وكثيرًا غير قليل . وصبر عليها مدةً ثم سحبها فخرجت ممتلئة عفشاً ورملًا وحصًى وحشيشاً ولم يرَ فيها شيئاً من السمك لا كثيرًا ولا قليلًا . فرماها ثاني مرّةً وصبر عليها ثم سحبها فلم يرَ فيها سمكاً . فرمى ثالثاً ورابعاً وخامساً فلم يطلع فيهـا سمك . فانتقل الى مكان آخر وجعل يطلب رزقه من الله تعالى . ولم يزل على هذه الحالة الى آخر النهار فلم يصطد ولا صيرة . فتعجب في نفسه وقال : هل هذا المولود خلقهُ الله من غير رزق . فهذا لا يكون ابدًا لان الذي شقَّ الاشداق . تكفل لها بالارزاق . فالله تعالى كريم رزّاق . ثم انهُ حمل الشبكة ورجع مكسور الخـاطر وقلبه مشغول بعياله فانهُ تركهم بغير اكل ولاسيما زوجته نفساء . وما زال يمشي وهو يقول في نفسه : كيف العمل وماذا اقول للاولاد في هذه الليلة . ثم انهُ وصل قدام فرن خبَّاز فرأى عليهِ زحمة . وكان الوقت وقت غلاء . وفي تلك الايام لا يوجد عند الناس من المؤونة الَّا قليل . والناس يعرضون الفلوس على الخبَّاز ولا ينتبه لاحد منهم من كثرة الزحام . فوقف ينظر ويشمّ رائحة العيش السخن فصارت نفسه تشتهيهِ من الجوع . فنظر اليهِ الخبَّاز وصاح عليهِ وقال : تعال يا صياد . فتقدم الصياد اليهِ . فقال لهُ : اتريد عيشاً . فسكت . فقال لهُ : تكلم ولا تستحِ فالله كريم ان لم يكن معك دراهم فانا اعطيك واصبر عليك حتى يجيئك الخير . فقال لهُ : والله يا معلم ما معي دراهم لكن اعطني عيشاً كفاية عيالي وارهن عندك هذه الشبكة الى غد . فقال لهُ : يا مسكين ان هذه الشبكة دكانك وباب رزقك فاذا رهنتها فبأي شيء تصطاد . فاخبرني بالقدر الذي يكفيك . قال : بعشرة انصاف فضة . فاعطاهُ خبزًا بعشرة انصاف ثم اعطاهُ عشرة انصاف فضة وقال لهُ : خذ هذه العشرة الانصاف واطبخ لك بها طبخة فيبقى عندك عشرون نصف فضة وفي غد هات لي بهـا سمكاً . وان لم يحصل لك

فيها . فاتى ابو صير وفتحها فرأى فيها ابا قير قد دفعهُ البحر الى جهة اسكندرية . فاخرجهُ ودفنهُ بالقرب من اسكندرية . وعمل لهُ مزارًا واوقف عليهِ اوقافًا وكتب على باب الضريح هذه الابيات :

المرء يُعرف في الانام بفعلهِ ... وفعائل الحرّ الكريم كأَصلهِ
لا تستغيب فتستغاب فربما ... من قال شيئًا قيل فيهِ بمثلهِ
وتجنب الفحشاء لا تنطق بها ... ما دمت في جدّ الكلام وهزلهِ
فالكلب ان حفظ المكارم يُقتنى ... وغدا الهزبر مسلسلًا من جهلهِ
والبحر تعلو فوقه جيف الفلا ... والدرّ منبوذ باسفلِ رملهِ
ما كان عصفورٌ يزاحم باشقًا ... الّا لطيشتهِ وخفّةِ عقلهِ
في الجوّ مكتوبٌ على صحف الهوا ... من يفعل المعروف فاز بمثلهِ
اياك تجني سكّرًا من حنظلٍ ... فالشيء يرجع في المذاق لاصلهِ

ثم ان ابا صير اقام مدّة وتوفّاهُ الله . فدفنوهُ بجوار قبر رفيقه ابي قير . ومن اجل ذلك سمّي هذا المكان بأبي قير وابي صير واشتهر الآن بانهُ ابو قير . وهذا ما بلغنا من حكايتهما . فسبحان الباقي على الدوام . وبارادتهِ تصرف الليالي والايام

حكاية عبد الله البرّي مع عبد الله البحري

ومما يحكى ايضًا انهُ كان رجل صيّاد اسمهُ عبد الله وكان كثير العيال ولهُ تسعة اولاد وامهم . وكان فقيرًا جدًا لا يملك الّا الشبكة . وكان يروح كل يوم الى البحر ليصطاد . فاذا اصطاد قليلًا يبيعهُ وينفقهُ على اولاده بقدر ما رزقهُ الله . وان اصطاد كثيرًا يطبخ طبخة طيبة ويأخذ فاكهة . ولم يزل يصرف حتى لا يبقى معهُ شيء . ويقول في نفسه : رزق غدٍ يأتي في غد . فلما وضعت زوجته صاروا عشرة اشخاص وكان الرجل في ذلك اليوم لا يملك شيئًا ابدًا . فقالت لهُ زوجتهُ : يا سيدي انظر لي

الزمان ان هذا الدواء لا يضرّ ونحن نصنعهُ في بلادنا وهو من لوازم الحمام وانا كنت نسيتهُ . فلما اتاني الصبَّاغ واكرمتهُ ذكَّرني بهِ وقال لي : اعمل الدواء . وأرسل يا ملك الزمان هات بواب الخان الفلاني وصنائعية المصبغة واسأل الجميع عمَّا اخبرتك بهِ . فأرسل الملك الى بواب الخان والى صنائعية المصبغة . فلما حضر الجميع سألهم فاخبروهُ بالواقع . فارسل الى الصبَّاغ وقال : هاتوهُ حافياً مكشوف الرأس مكتفاً . وكان الصباغ جالساً في بيته مسروراً بقتل ابي صير . فلم يشعر الّا واعوان الملك هجموا عليهِ والضرب في قفـاهُ ثم كتفوهُ وحضروا بهِ قدام الملك . فرأى ابا صير جالساً في جنب الملك وبواب الخان وصنائعية المصبغة واقفين امامه . فقال لهُ بواب الخان : اما هذا رفيقك الذي سرقت دراهمه وتركته عندي في الحجرة ضعيفاً وفعلت معه ما هو كذا وكذا . وقال صنائعية المصبغة : اما هذا الذي امرتنا بالقبض عليهِ وضربنـاهُ . فتبين للملك قباحة ابي قير وانهُ يستحق ما هو اشدّ من تشديد منكر ونـكير . فقال الملك : خذوهُ وجرّسوهُ في المدينة والسوق وحطوهُ في زكيبة وارموهُ في البحر

(الليلة الموفية للاربعين بعد التسعمائة) . فقال ابو صير : يا ملك الزمان شفّعني فيهِ فاني سامحتهُ من جميع ما فعل بي . فقال الملك : ان كنت سامحتهُ في حقك فانا لا يمكن ان اسامحـهُ في حقي . ثم صاح وقال : خذوهُ . فاخذوهُ وجرّسوهُ وبعد ذلك وضعوهُ في زكيبة ووضعوا معهُ الجير ورموهُ في البحر فمات غريقاً حريقاً . وقال الملك : يا ابا صير تمنَّ عليَّ تعطَ . فقال لهُ : تمنيت عليك ان ترسلني الى بلادي فاني ما بقي لي رغبة في القعود هاهنا . فاعطاهُ شيئاً كثيراً زيادةً على ماله ونواله ومواهبهِ . ثم انعم عليهِ بغليون مشحون بالخيرات وكان بجريّته مماليك فوهبهم لهُ ايضاً بعد ان عرض عليهِ ان يجعله وزيراً فما رضي . ثم ودَّع الملك وسافر وجميع ما في الغليون ملكه حتى النوتيّة مماليكه . وما زال سائراً حتى وصل الى ارض اسكنـدرية ورسوا على جانب اسكندرية وخرجوا الى البرّ . فرأى مملوكٌ من مماليكه زكيبـة في جانب البر فقال : يا سيـدي ان في جنب شاطئ البرّ زكيبة كبيرة ثقيلة وفمهـا مربوط ولا ادري ما

فيهِ فأخذتهُ وجعلتهُ في اصبعي . فأتاني اثنان من خدَّام المطبخ وطلبا السمك . فأشرت لهما وانا لا ادري خاصية الخاتم فوقعت رؤوسهما . ثم اتى القبطان فعرف الخاتم وهو في اصبعي واخبرني برصده . فأتيت بهِ اليك لانك عملت معي معروفاً واكرمتني غاية الاكرام وما عملتهُ معي من الجميل لم يضع عندي . وهذا خاتمك فخذهُ . وان كنتُ فعلت معك شيئاً يوجب القتل فعرّفني بذنبي واقتلني وانت في حلّ من دمي . ثم خلع الخاتم من اصبعه وناولهُ للملك . فلما رأى الملك ما فعل ابو صير من الاحسان اخذ الخاتم منهُ وتختَّم بهِ وردَّت لهُ روحه وقام على اقدامه واعتنق ابا صير وقال : يا رجل انت من خواصّ اولاد الحلال فلا تؤاخذني وسامحني ممَّا صدر مني في حقك . ولو كان احدٌ غيرك ملك هذا الخاتم ما كان اعطاني اياه . فقال : يا ملك الزمان ان اردت ان اسامحك فعرّفني بذنبي الذي اوجب غضبك عليَّ حيث امرت بقتلي . فقال لهُ : والله انهُ ثبت عندي انك بريء وليس لك ذنب في شيء حيث فعلت هذا الجميل . وانما الصبَّاغ قد قال لي كذا وكذا . واخبرهُ بما قالهُ الصبَّاغ . فقال ابو صير : والله يا ملك الزمان انا لا اعرف ملك النصارى ولا عمري رحت بلاد النصارى ولا خطر ببالي اني اقتلك . ولكن هذا الصبَّاغ كان رفيقي وجاري في مدينة اسكندرية . وضاق بنا العيش هناك فخرجنا منها لضيق المعاش وقرأنا مع بعضنا فاتحة على ان العمَّال يطعم البطَّال وجرى لي معهُ كذا وكذا . واخبرهُ بجميع ما قد جرى لهُ مع ابي قير الصبَّاغ وكيف اخذ دراهمهُ وفاته ضعيفاً في الحجرة التي في الخان وان بواب الخان كان ينفق عليهِ وهو مريض حتى شفاهُ الله ثم طلع وسرح في المدينة بعدَّتهِ على العادة فبينما هو في الطريق اذ رأى مصبغة عليها ازدحام فنظر الى باب المصبغة فرأى ابا قير جالساً على مسطبة هناك فدخل ليسلم عليهِ فوقع لهُ منه ما وقع من الضرب والاساءة وادَّعى عليهِ انهُ حرامي وضربهُ ضرباً مؤلماً . واخبر الملك بجميع ما جرى لهُ من اوَّله الى آخره . ثم قال : يا ملك الزمان هو الذي قال لي اعمل الدواء وقدّمهُ للملك فان الحمام كامل في جميع الامور الَّا ان هذا الدواء مفقود منهُ . واعلم يا ملك

صدقت . فاني رأيتهُ نازلاً يبرق من قصر الملك حتى سقط في البحر وقت ان اشار اليك وقال لي ارمهِ . فانهُ لما اشار رميت الركيبة وكان سقط من اصبعه ووقع في البحر فابتلعته هذه السمكة وساقها الله اليك حتى اصطدتها. فهذا نصيبك. ولكن هل تعرف خواصّ هذا الخاتم. قال ابو صير: لا ادري لهُ خواصّ. فقال القبطان: اعلم ان عسكر ملكنا ما اطاعوه الّا خوفاً من هذا الخاتم لانهُ مرصود فاذا غضب الملك على احد واراد قتله يشير بهِ عليهِ فيقع رأسه من بين كتفيهِ. فان بارقة تخرج من هذا الخاتم ويتصل شعاعها بالمغضوب عليهِ فيموت لوقتهِ. فلما سمع ابو صير هذا الكلام فرح فرحاً شديداً وقال للقبطان: ردّني الى المدينة. فقال لهُ القبطان: اردك فاني ما بقيت اخاف عليك من الملك فانك متى اشرت بيدك واضمرت على قتله فان رأسه يقع بين يديك. ولو كنت تطلب قتل الملك وجميع العسكر فانك تقتلهم من غير عاقة. ثم انزلهُ في الزورق وتوجه بهِ الى المدينة

(الليلة التاسعة والثلثون بعد التسعمائة) . فلما وصل اليها طلع الى قصر الملك. ثم دخل الديوان فرأى الملك جالساً والعسكر بين يديه وهو في غمّ عظيم من شأن الخاتم ولم يقدر ان يخبر احداً من العسكر بضياع الخاتم. فلما رآهُ الملك قال لهُ: أما رميناك في البحر كيف فعلت حتى خرجت منهُ. فقال لهُ: يا ملك الزمان لما امرت برميي في البحر اخذني قبطانك وسار بي الى جزيرة وسألني عن سبب غضبك عليَّ وقال لي: اي شيء صنعت مع الملك حتى امر بموتك. فقلت لهُ: والله ما اعلم اني عملت معهُ شيئاً قبيحاً. فقال لي: ان لك مقاماً عظيماً عند الملك فلعلّ احداً حسدك ورمى فيك كلاماً عند الملك حتى غضب عليك. ولكن انا جئتك في حمّامك فاكرمتني. ففي نظير اكرامك اياي في حمّامك انا اخلصك وارسلك الى بلادك . ثم حطّ في الزورق حجراً عوضاً عني ورماهُ في البحر. ولكن حين اشرتَ لهُ عليَّ وقع الخاتم من يدك في البحر فابتلعتهُ سمكة . وكنت انا في الجزيرة اصطاد سمكاً فطلعت تلك السمكة في جملة السمك فاخذتها . وأردت ان اشويها فلما فتحت جوفها رأيت الخاتم

ارمهِ. واشار بيده واذا بشيء برق ثم سقط في البحر. واذا بالذي سقط في البحر خاتم الملك وكان مرصوداً بحيث اذا غضب الملك على احد واراد قتله يشير عليهِ باليد اليمنى التي فيها الخاتم فيخرج من الخاتم بارقة فتصيب الذي يشير عليهِ فيقع رأسه من بين كتفيه. وما اطاعته العساكر ولا قهر الجبابرة الَّا بسبب هذا الخاتم. فلما وقع الخاتم من اصبعه كتم امره ولم يقدر ان يقول خاتمي وقع في البحر خوفاً من العسكر ان يقوموا عليهِ فيقتلوه فسكت. هذا ما كان من امر الملك

واما ما كان من امر ابي صير فانهُ بعد ذهاب القبطان اخذ الشبكة وطرحها في البحر وسحبها فطلعت ملآنة سمكاً. ثم طرحها ثانياً فطلعت ملآنة سمكاً ايضاً. ولم يزل يطرحها وهي تطلع ملآنة سمكاً حتى صار قدامه كوم كبير من السمك. فقال في نفسه: والله ان لي مدة طويلة ما اكلت السمك. ثم انهُ نقى لهُ سمكة كبيرة سمينة وقال: لما يأتي القبطان اقول لهُ يقلي لي هذه السمكة لاتغذى بها. ثم انهُ ذبحها بسكين كانت معهُ فعلقت السكين في خيشومها فرأى خاتم الملك فيهِ لانها كانت ابتلعته ثم ساقتها القدرة الى تلك الجزيرة ووقعت في الشبكة. فاخذ الخاتم ولبسهُ في خنصره وهو لا يعلم ما فيهِ من الخواص. واذا بغلامين من خدام الطباخ اتيا لطلب السمك. فلما صارا عند ابي صير قالا: يا رجل اين راح القبطان. فقال: لا ادري. واشار بيده اليمنى واذا برأسي الغلامين وقعا من بين اكتافهما حين اشار اليهما وقال لا ادري. فتعجب ابو صير من ذلك وجعل يقول: يا ترى من قتلهما. وصعبا عليهِ وصار يتفكر في ذلك. واذا بالقبطان اقبل فرأى كوماً كبيراً من السمك ورأى الاثنين مقتولين ورأى الخاتم في اصبع ابي صير. فقال لهُ: يا اخي لا تحرك يدك التي فيها الخاتم فانك ان حركتها قتلتني. فتعجب من قوله لا تحرك يدك التي فيها الخاتم لانك ان حركتها قتلتني. فلما وصل اليهِ القبطان قال: من قتل هذين الغلامين. قال لهُ ابو صير: والله يا اخي لا ادري. قال: صدقت. ولكن اخبرني عن هذا الخاتم من اين وصل اليك. قال: رأيتهُ في خيشوم هذه السمكة. قال:

الخبيث وحطهُ في زكيبة وحطّ في الزكيبة قنطارين جيرًا من غير اطفاء واربط فمها عليهِ هو والجير ثم ضعها في الزورق وتعال تحت قصري فتراني جالسًا في شباكه وقل لي: هل ارميهِ. فاقول لك: ارمهِ. فاذا قلت لك ذلك فارمهِ حتى ينطفئ الجير عليهِ لاجل ان يموت غريقًا حريقًا. فقال لهُ: سمعًا وطاعةً. ثم اخذهُ من قدام الملك الى جزيرة قصاد قصر الملك وقال لابي صير: يا هذا انا جئت عندك مرة واحدة في الحمام فاكرمتني وقمت بواجبي وانبسطت منك كثيرًا وحلفت انك لم تأخذ مني اجرة وانا قد احببتك محبة شديدة فاخبرني ما قضيتك مع الملك واي شيء صنعت معهُ من المكاره حتى غضب عليك وأمرني ان تموت هذه الميتة الرديئة. فقال لهُ: والله ما عملت شيئًا وليس عندي علم بذنب فعلته معهُ يستوجب هذا

(الليلة الثامنة والثلثون بعد التسعمائة). فقال لهُ القبطان: ان لك عند الملك مقامًا عظيمًا ما نالهُ احد قبلك. وكل ذي نعمة محسود. فلعلّ احدًا حسدك على هذه النعمة ورمى في حقك بعض كلام عند الملك حتى ان الملك غضب عليك هذا الغضب. ولكن مرحبًا بك وما عليك من بأس. فكما انك اكرمتني من غير معرفة بيني وبينك فانا اخلصك. ولكن اذا خلصتك تقيم عندي في هذه الجزيرة حتى يسافر من هذه المدينة غليون الى ناحية بلادك فارسلك معهُ. فقبل ابو صير يد القبطان وشكرهُ على ذلك. ثم انهُ احضر الجير ووضعهُ في زكيبة ووضع فيها حجرًا كبيرًا قدر الرجل وقال: توكلت على الله. ثم ان القبطان اعطى ابا صير شبكة وقال لهُ: ارمِ هذه الشبكة في البحر لعلك تصطاد شيئًا من السمك لان سمك مطبخ الملك مرتب عليَّ في كل يوم وقد اشتغلت عن الصيد بهذه المصيبة التي اصابتك فأخاف ان تأتي غلمان الطباخ ليطلبوا السمك فلا يجدوه. فاذا كنت تصطاد شيئًا فانهم يجدونه حتى اروح اعمل الحيلة تحت القصر واجعل اني رميتك. فقال لهُ ابو صير: انا اصطاد ورُح انت والله يعينك. فوضع الزكيبة في الزورق وسار الى ان وصل تحت القصر فرأى الملك جالسًا في الشباك. فقال: يا ملك الزمان هل ارميهِ. فقال لهُ:

عليَّ قلب الملك . فقال لي الملك: اي شيء تطلب . فطلبت منهُ العتق فاعتقني وجئت الى هذه المدينة ورأيتهُ في الحمام فسألته وقلت لهُ: كيف كان خلاصك وخلاص زوجتك واولادك . فقال: لم ازل انا وزوجتي واولادي مأسورين حتى ان ملك النصارى عمل ديواناً فحضرت في جملة من حضر وكنت واقفاً من جملة الناس فسمعتهم فتحوا مذاكرة الملك الى ان ذكروا ملك هذه المدينة . فتأوه ملك النصارى وقال: ما قهرني في الدنيا الّا ملك المدينة الفلانية فكل من تحيل لي على قتله فاني اعطيهِ كل ما يتمنى . فتقدمت انا اليهِ وقلت لهُ: اذا تحيلت لك على قتله هل تعتقني انا وزوجتي واولادي . فقال لي: نعم اعتقكم واعطيك كلما تتمنى . ثم اني اتفقت انا واياه على ذلك وارسلني في غليون الى هذه المدينة وطلعت الى هذا الملك فبنى لي هذا الحمام . وما بقي عليَّ الّا ان اقتله واروح الى ملك النصارى وافدي اولادي وزوجتي واتمنى عليهِ . فقلت: وما الحيلة التي دبرتها في قتله حتى تقتله . قال لي: هي حيلة سهلة اسهل ما يكون فانهُ يأتي اليَّ في هذا الحمام . وقد اصطنعت لهُ شيئاً فيهِ سمٌ فاذا جاء اقول لهُ: خذ هذا الدواء وادهن بهِ فانهُ يسقط الشعر . فيأخذه ويدَّهن بهِ فيلعب السمّ فيهِ يوماً وليلةً حتى يسري الى قلبه فيهلكه والسلام . فلما سمعت منهُ هذا الكلام خفت عليك لان خيرك عليَّ . وقد اخبرتك بذلك . فلما سمع الملك هذا الكلام غضب غضباً شديداً وقال للصباغ: اكتم هذا السرّ . ثم طلب الرواح الى الحمام حتى يقطع الشك باليقين . فلما دخل الملك الى الحمام تعرَّى ابو صير على جري عادته وتقيد بالملك وكيسه وبعد ذلك قال: يا ملك الزمان اني عملت دواء لتنظيف الشعر . فقال: احضرهُ لي . فاحضرهُ بين يديه فرأى رائحتهُ كريهة فصحَّ عنده انهُ سمّ . فغضب وصاح على الاعوان وقال: امسكوهُ . فقبض عليهِ الاعوان وخرج الملك وهو ممتزج بالغضب ولا احد يعرف سبب غضبه . ومن شدة غضب الملك لم يخبر احداً ولم يتجاسر احد على ان يسأله . ثم انهُ لبس وطلع الديوان . ثم احضر ابا صير بين يديه وهو مكتف . ثم طلب القبطان فحضر . فلما حضر القبطان قال لهُ الملك: خذ هذا

رفيقي واوصيه عليك. فقال له: ما يحتاج الى وصية فان الحق موجود وقد احبني الملك هو وجميع دولته واعطاني كذا وكذا. واخبره بالخبر. ثم قال له: اقلع ثيابك خلف الصندوق وادخل الحمام وانا ادخل معك لاجل ان أكيسك. فخلع ما عليه ودخل الحمام ودخل معهُ ابو صير وكيّسهُ وصبّنهُ والبسهُ واشتغل بهِ حتى خرج. فلما خرج احضر لهُ الغداء والشربات وصار جميع الناس يتعجبون من كثرة اكرامه لهُ. ثم بعد ذلك اراد ابو قير ان يعطيه شيئاً فحلف انهُ لا يأخذ منهُ شيئاً وقال لهُ: استحِ من هذا الامر وانت رفيقي وليس بيننا فرق. ثم ان ابا قير قال لابي صير: يا رفيقي والله ان هذا الحمام عظيم ولكن صنعتك فيه ناقصة. فقال لهُ: وما نقصها. قال لهُ: الدواء الذي هو اعقد الزرنيخ والجير الذي يزيل الشعر بسهولة فاعمل هذا الدواء. فاذا اتى الملك فقدمهُ اليهِ وعلمهُ كيف يسقط بهِ الشعر فيحبك حبًّا شديدًا ويكرمك. فقال لهُ: صدقت ان شاء الله تعالى اصنع ذلك. ثم ان ابا قير خرج وركب بغلته وذهب الى الملك ودخل عليهِ وقال لهُ. انا ناصح لك يا ملك الزمان. فقال لهُ: وما نصيحتك. فقال: بلغني خبر وهو انك بنيت حماماً. قال: نعم قد اتاني رجل غريب فانشأتهُ لهُ كما انشأت لك هذه المصبغة وهو حمام عظيم وقد تزينت مدينتي بهِ. وصار يذكر لهُ محاسن ذلك الحمام. فقال لهُ ابو قير: وهل دخلتهُ. قال: نعم. قال: الحمد لله الذي نجاك من شرّ هذا الخبيث عدو الدين وهو الحمامي. فقال لهُ الملك: وما شأنه. قال ابو قير: اعلم يا ملك الزمان انك ان دخلته بعد هذا اليوم فانك تهلك. فقال لهُ: لاي شيء. فقال لهُ: ان الحمامي عدوك وعدوّ الدين فانهُ ما حملك على انشاء هذا الحمام الّا لان مراده ان يدخل عليك فيهِ السم فانهُ صنع لك شيئاً واذا دخلتهُ يأتيك بهِ ويقول لك: هذا دواء كل من دهن بهِ ابطهُ يرمي الشعر منهُ بسهولة. وليس هو بدواء بل هو داء عظيم وسمّ قاتل. وان هذا الخبيث قد وعدهُ سلطان النصارى انهُ ان قتلك يفكّ لهُ زوجته واولاده من الاسر. فان زوجته واولاده مأسورون عند سلطان النصارى وكنت مأسورًا معهُ في بلادهم. ولكن انا فتحت مصبغة وصبغت لهم الوانًا فاستعطفوا

هذا الحمام النفيس. فقال ابو قير في نفسه: لا بدَّ ان اروح مثل الناس وانظر هذا الحمام الذي اخذ عقول الناس. ثم انهُ لبس افخر ما كان عندهُ من الملابس وركب بغلة واخذ معهُ اربعة عبيد واربعة مماليك يمشون خلفه وقدامه وتوجه الى الحمام. ثم انهُ نزل في باب الحمام. فلما صار عند الباب شم رائحة العود الندّ ورأى ناساً داخلين وناساً خارجين ورأى المساطب ملآنة من الاكابر والاصاغر فدخل الدهليز. فرآه ابو صير فقام اليهِ وفرح بهِ. فقال لهُ ابو قير: هل هذا شرط اولاد الحلال وانا فتحت لي مصبغة وبقيت معلم البلد وتعرفت بالملك وصرت في سعادة وسيادة وانت لا تأتي عندي ولا تسأل عني ولا تقول اين رفيقي. وانا عجزت وانا افتش عليك وابعث عبيدي ومماليكي يفتشون عليك في الخانات وفي سائر الاماكن فلا يعرفون طريقك ولا احد يخبرهم بخبرك. فقال لهُ ابو صير: أما جئت اليك وجعلتني لصاً وضربتني وهتكتني بين الناس. فاغتمَّ ابو قير وقال: اي شيء هذا الكلام هل هو انت الذي ضربتك. فقال لهُ ابو صير: نعم هو انا. فحلف لهُ ابو قير الف يمين انهُ ما عرفهُ وقال: انما كان واحد شبيهك يأتي في كل يوم ويسرق قماش الناس فظننت انك هو. وصار يتندم ويضرب كفاً على كف ويقول: لا حول ولا قوَّة الّا بالله العليّ العظيم قد اسأْناك. ولكن يا ليتك عرّفتني بنفسك وقلت: انا فلان. فالعيب عندك لكونك لم تعرفني بنفسك خصوصاً وانا مدهوش من كثرة الاشغال. فقال لهُ ابو صير: سامحك الله يا رفيقي وهذا الشيء كان مقدرًا في الغيب والجبر على الله. ادخل اقلع ثيابك واغتسل وانبسط. فقال لهُ: بالله عليك ان تسامحني يا اخي. فقال لهُ: ابرأَ الله ذمتك وسامحك فانهُ كان امرًا مقدرًا عليَّ في الازل. ثم قال لهُ ابو قير: ومن اين لك هذه السيادة. فقال لهُ: الذي فتح عليك فتح عليَّ فاني طلعت على الملك واخبرتهُ بشأن الحمام فأمر لي ببنائه. فقال لهُ ابو قير: وكما انك معرفة الملك فانا الآخر معرفتهُ

(الليلة السابعة والثلثون بعد التسعمائة). وان شاء الله تعالى انا اخليهِ يحبك ويكرمك زيادة على هذا الاكرام من اجلي فانهُ لم يعرف انك رفيقي فانا اعرفهُ بانك

عبده او جاريته او مملوكه فليأخذه فانهم هدية مني اليكم . فامتثلوا امر الملك واخذ كل واحد منهم ما يخصه . فقال لهُ ابو صير : اراحك الله يا ملك الزمان كما ارحتني من هؤلاء الغيلان الذين لا يقدر ان يشبعهم الّا الله . فضحك من كلامه وصدق عليهِ . ثم اخذ اكابر دولته وذهب من الحمام الى سرايته . وبات تلك الليلة ابو صير وهو يصرد الذهب ويضعهُ في الاكياس ويختم عليهِ . وكان عندهُ عشرون عبداً وعشرون مملوكاً واربع جوارٍ برسم الخدمة . فلما اصبح الصباح فتح الحمام وارسل منادياً ينادي ويقول . كل من دخل الحمام واغتسل فانهُ يعطي ما تسمح بهِ نفسه وما تقتضيهِ مروءته . وقعد ابو صير عند الصندوق وهجمت عليهِ الزبونات وصار كل من طلع يحطّ الذي يهون عليه . فما امسى المساء حتى امتلأ الصندوق من خير الله تعالى . ثم ان الملكة طلبت دخول الحمام . فلما بلغ ابا صير ذلك قسم النهار من اجلها قسمين وجعل من الفجر الى الظهر قسم الرجال ومن الظهر الى الغروب قسم النساء . ولما اتت الملكة اوقف جارية خلف الصندوق وكان علّم اربع جوارٍ البلانة حتى صرنَ بلّانات ماهرات . فلما دخلت الملكة اعجبها ذلك وانشرح صدرها وحطت الف دينار . وشاع ذكره في المدينة وصار كل من دخل يكرمهُ سواء كان غنياً او فقيراً . فدخل عليهِ الخير من كل باب وتعرف باعوان الملك وصار لهُ اصحاب واحباب . وصار الملك يأتي اليهِ في الجمعة يوماً ويعطيهِ الف دينار وبقية ايام الجمعة للاكابر والفقراء وصار يأخذ بخاطر الناس ويلاطفهم غاية الملاطفة . فاتفق ان قبطان الملك دخل عليهِ في الحمام يوماً من الايام فقلع ابو صير ودخل معهُ وصار يكبسه ولاطفهُ ملاطفة زائدة . ولما خرج من الحمام عمل لهُ الشربات والقهوة . فلما اراد ان يعطيهُ شيئاً حلف انهُ لا يأخذ منهُ شيئاً . فحمل القبطان جميلته لما رأى من مزيد لطفه بهِ واحسانه اليه وصار متحيراً فيما يهديه الى ذلك الحمامي في نظير اكرامه لهُ . هذا ما كان من امر ابي صير

واما ما كان من امر ابي قير فانهُ سمع جميع الخلائق يلهجون بذكر الحمام وكل منهم يقول : ان هذا الحمام نعيم الدنيا بلا شك ان شاء الله يا فلان تدخل بنا غداً

شان ألّا بهِ فاذا اكرمناهُ بزيادة الاجرة ما هو كثير. فقالوا : اذا كنت تكرمهُ فاكرمه من مالك. واكرام الفقير من الملك بقلّة اجرة الحمام لاجل ان تدعو لك الرعية. واما الالف الدينار فنحن اكابر دولتك ولا تسمح انفسنا باعطائها فكيف تسمح بذلك نفوس الفقراء. فقال الملك : يا اكابر دولتي كل منكم يعطيه في هذه المرة مائة دينار ومملوكاً وجارية وعبداً. فقالوا : نعم نعطيه ذلك ولكن بعد هذا اليوم كل من دخل لا يعطيهِ ألّا ما تسمح بهِ نفسه. فقال : لا بأس بذلك. فجعلت الاكابر يعطيهِ كل واحد منهم مائة دينار وجارية ومملوكاً وعبداً. وكان عدد الاكابر الذين اغتسلوا مع الملك في هذا اليوم اربعمائة نفس

(الليلة السادسة والثلثون بعد التسعمائة). فصار جملة ما اعطوه من الدنانير اربعين الف دينار. ومن المماليك اربعمائة مملوك. ومن العبيد اربعمائة عبد. ومن الجواري اربعمائة جارية. وناهيك بهذه العطية. واعطاه الملك عشرة آلاف دينار وعشرة مماليك وعشر جوارٍ وعشرة عبيد. فتقدَّم ابو صير وقبل الارض بين ايادي الملك وقال لهُ : ايها الملك السعيد. صاحب الرأي الرشيد. اي مكان يسعني بهذه المماليك والجواري والعبيد. فقال لهُ الملك : انا ما أمرت دولتي بذلك ألّا لاجل ان نجمع لك مقداراً عظيماً من المال لانك ربما تفكرت بلادك وعيالك واشتقت اليهم واردت السفر الى اوطانك فتكون اخذت من بلادنا مقداراً جسيماً من المال تستعين بهِ على وقتك في بلادك. قال : يا ملك الزمان اعزَّك الله ان هذه المماليك والجواري والعبيد الكثيرة شان الملوك ولو كنت امرت لي بمال نقد لكان خيراً لي من هذا الجيش فانهم يأكلون ويشربون ويلبسون. ومهما حصلتهُ من المال لا يكفيهم في الانفاق عليهم. فضحك الملك وقال : والله انك قد صدقت فانهم صاروا عسكراً جرّاراً وانت ليس لك مقدرة على الانفاق عليهم. ولكن اتبيعهم لي كل واحد بمائة دينار. فقال : بعتك اياهم بهذا الثمن. فارسل الملك الى الخازندار ليحضر لهُ المال. فاحضره واعطاه ثمن الجميع بالتمام والكمال. ثم بعد ذلك انعم بهم على اصحابهم وقال : كل من يعرف

يا خلق الله عليكم بالحمام فانهُ يسمَّى حمام السلطان . فاقبلت عليهِ الخلائق وجعل يأمر المماليك ان يغسلوا اجساد الناس . وصارت النــاس ينزلون المغطس ويطلعون وبعد طلوعهم يجلسون في الايوان والمماليك تكبسهم مثل ما علمهم ابو صير. واستمرَّ الناس يدخلون الحمام ويقضون حاجتهم منهُ ثم يخرجون بلا اجرة مدة ثلثة ايام . وفي اليوم الرابع عزم الملك الى الحمام فركب هو واكابر دولتــه وتوجهوا الى الحمام فقلع ودخل . فدخل ابو صير وكيس الملك واخرج من جسده الوسخ مثل الفتائل وصار يريه لهُ ففرح الملك . وصار لوضع يده على بدنه صوت من النعومة والنظافة . وبعد ان غسل جسده مزج لهُ ماء الورد بماء المغطس فنزل الملك في المغطس ثم خرج وجسده قد ترطب فحصل لهُ نشاط عمره ما رآه . ثم بعد ذلك اجلسه في الايوان وصارت المماليك يكبسونه والمباخر تفوح بالعود الندّ . فقال الملك : يا معلم أهذا هو الحمام . قال : نعم . فقال لهُ : وحياة رأسي ان مدينتي ما صارت مدينة الَّا بهـذا الحمام . ثم قال لهُ : انت تأخذ على كل رأس اي شيء اجرة . قال ابو صير : الذي تأمر لي بهِ آخذه . فأمر لهُ بالف دينار وقال لهُ : كل من اغتسل عندك خذ منهُ الف دينار . فقال لهُ : العفو يا ملك الزمان ان الناس ليسوا سواء بل فيهم الغني وفيهم الفقير . واذا اخذت من كل واحد الف دينــار يبطل الحمام فان الفقير لا يقدر على الالف الدينار . قال الملك : وكيف تفعل في الاجرة . قال : اجعل الاجرة بالمروءة فكل من يقــدر على شيء وسمحت بهِ نفسه يعطيه فنأخذ من كل انسان على قدر حاله . فان الامر اذا كان كذلك تأتي الينا الخلائق والذي يكون غنيًّا يعطي على قدر مقامه والذي يكون فقيرًا يعطي على قدر ما تسمح بهِ نفسه . فاذا كان الامر كذلك يدور الحمام ويبقى لهُ شأن عظيم . واما الالف الدينار فانها عطية الملك ولا يقدر عليها كل احد . فصدق عليه اكابر الدولة وقالوا : هذا هو الحق يا ملك الزمان أتحسب ان الناس كلهم مثلك ايها الملك العزيز . قال الملك : ان كلامكم صحيح ولكن هذا رجل غريب فقير واكرامهُ واجب علينــا فانهُ عمل في مدينتنا هذا الحمام الذي عمرنا ما رأينا مثله ولا تزينت مدينتنا وصار لها

الحمام. فقال لهُ: وما يكون الحمام. فقال لهُ: موضع تغتسل فيهِ الناس ويزيلون ما عليهم من الاوساخ وهو من اطيب طيبات الدنيا. فقال لهُ: عليك بالبحر. قال: انا مرادي الحمام. قال لهُ: نحن لم نعرف الحمام كيف يكون فاننا كلنا نروح الى البحر حتى الملك اذا اراد ان يغتسل فانهُ يروح الى البحر. فلما علم ابو صير ان المدينة لم يكن فيها حمام واهلها لا تعرف الحمام ولا كيفيته مضى الى ديوان الملك ودخل عليهِ وقبل الارض بين يديه ودعا لهُ وقال لهُ: انا رجل غريب البلاد وصنعتي حمامي فدخلت مدينتك واردت الذهاب الى الحمام فما رأيت فيها ولا حماماً واحداً. والمدينة التي تكون بهذه الصفة الجميلة كيف تكون من غير حمام مع انهُ من احسن نعيم الدنيا. فقال لهُ الملك: اي شيء يكون الحمام. فصار يحكي لهُ اوصاف الحمام وقال لهُ: لا تكون مدينتك مدينة كاملة الَّا اذا كان بها حمام. فقال لهُ الملك: مرحباً بك. وألبسهُ بدلة ليس لها نظير واعطاه حصاناً وعبدين. ثم انعم عليه باربع جوارٍ ومملوكين وهيأ لهُ داراً مفروشة واكرمهُ اكثر من الصبّاغ وارسل معهُ البنائين وقال لهم: الموضع الذي يعجبهُ ابنوا لهُ فيهِ حماماً. فاخذهم وشق بهم في وسط المدينة حتى اعجبهُ مكان فاشار لهم عليهِ. فدوّروا فيهِ البناية وصار يرشدهم الى كيفيته حتى بنوا لهُ حماماً ليس لهُ نظير. ثم أمرهم بنقشه فنقشوه نقشاً عجيباً حتى صار بهجة للناظرين. ثم طلع الى الملك واخبره بفراغ بناء الحمام ونقشه وقال لهُ: انهُ لم يكن ناقصاً غير الفرش. فاعطاه الملك عشرة آلاف دينار فاخذها وفرش الحمام وصفّ فيهِ الفوط على الحبال. وصار كل من مرّ على باب الحمام يشخص لهُ ويحتار فكره في نقشه. وازدحمت الخلائق على ذلك الشيء الذي ما رأوا مثله في عمرهم وصاروا يتفرجون عليهِ ويقولون: اي شيء هذا. فيقول لهم ابو صير: هذا حمام. فيتعجبون منهُ. ثم انهُ سخن الماء ودوّر الحمام وعمل سلسيلًا في الفسقية يأخذ عقل كل من رآه من اهل المدينة. وطلب من الملك عشرة مماليك دون البلوغ. فاعطاه عشرة مماليك مثل الاقمار. فصار يكبسهم ويقول لهم: افعلوا مع الزبونات هكذا. ثم اطلق البخور وارسل منادياً ينادي في المدينة ويقول:

بالصنعة ونسيك. ولكن انت عملت معهُ معروفاً واكرمته وهو بطَّال فمتى رآك فرح بك واكرمك في نظر ما اكرمته. ثم انهُ تقدَّم الى جهة باب المصبغة فرأى ابا قير جالساً على مرتبة عالية فوق مصطبة في باب المصبغة وعليهِ بدلة من ملابس الملوك وقدامه اربعة عبيد واربعة مماليك بيض لابسين افخر الملابس ورأى الصنائعية عشرة عبيد واقفين يشتغلون لانهُ حين اشتراهم علَّمهم صنعة الصباغة وهو قاعد بين المخدات كانهُ وزير اعظم او ملك افخم لا يعمل شيئاً بيده وانما يقول لهم: افعلوا كذا وكذا. فوقف ابو صير قدامهُ وهو يظن انهُ اذا رآه يفرح بهِ ويسلّم عليهِ ويكرمه ويأخذ بخاطره. فلما وقعت العين في العين قال لهُ ابو قير: يا خبيث كم مرة وانا اقول لك لا تقف في باب هذا الدولاب. هل مرادك ان تفضحني مع الناس يا حرامي. امسكوهُ. فجرت خلفه العبيد وقبضوا عليهِ وقام ابو قير على حيله واخذ عصاً وقال: ارموه. فرموه فضربهُ على ظهره مائة ثم قلبوه فضربهُ على بطنه مائة وقال لهُ: يا خبيث يا خائن ان نظرتك بعد هذا اليوم واقفاً على باب هذه المصبغة ارسلتك الى الملك في الحال فيسلمك الى الوالي ليرمي عنقك. امشِ لا بارك الله لك. فذهب من عنده مكسور الخاطر بسبب ما حصل لهُ من الضرب والترذيل

(الليلة الخامسة والثلثون بعد التسعمائة). فقال الحاضرون لابي قير الصباغ: اي شيء عمل هذا الرجل. فقال لهم: انهُ حرامي يسرق اقمشة الناس فكم من مرة سرق مني من القماش وانا اقول في نفسي سامحه الله فانهُ رجل فقير ولم ارضَ ان اشوّش عليهِ واعطي الناس ثمن اقمشتهم وانهاهُ بلطف فلم ينتهِ. فان رجع مرة غير هذه المرة ارسلتهُ الى الملك فيقتله ويريح الناس من أذاه. فصار الناس يشتمونه بعد ذهابهِ. هذا ما كان من امر ابي قير

واما ما كان من امر ابي صير فانهُ رجع الى الخان وجلس يتفكر فيما فعل بهِ ابو قير. ولم يزل جالساً حتى برد عليهِ الضرب. ثم خرج وشقَّ في اسواق المدينة. فخطر بباله انهُ يدخل الحمام. فسأل رجلاً من اهل المدينة وقال لهُ: يا اخي من اين طريق

الحجرة فرآه مقفولاً وسمع انين المزين في داخلها ورأى المفتاح في الضبة. ففتح الباب ودخل فرأى المزين يئن . فقال لهُ . لا بأس عليك اين رفيقك . فقال لهُ : والله اني ما قمت من مرضي الَّا في هذا اليوم وصرت انادي وما احد يردّ عليَّ جواباً . بالله عليك يا اخي ان تنظر الكيس تحت رأسي وتأخذ منهُ خمسة انصاف وتشتري لي بها شيئاً اقتات بهِ فاني في غاية الجوع . فمدَّ يدهُ واخذ الكيس فرآهُ فارغاً فقال للمزين : ان الكيس فارغ ما فيهِ شيء . فعرف ابو صير المزين ان ابا قير اخذ ما فيهِ وهرب فقال لهُ : اما رأيت رفيقي . فقال لهُ : من مدة ثلاثة ايام ما رأيتهُ وما كنت اظن الَّا انك سافرت انت واياه . فقال لهُ المزين : ما سافرنا وانما طمع في فلوسي فاخذها وهرب حين رآني مريضاً . ثم انهُ بكى وانتحب . فقال لهُ بواب الخان : لا بأس عليك وهو يلقى فعله من الله . ثم ان بواب الخان راح وطبخ لهُ شوربة وغرف لهُ صحناً واعطاهُ اياه . ولم يزل يتعهده مدة شهرين وهو يكلفه من كيسه حتى عرق وشفاه الله من المرض الذي كان بهِ . ثم قام على اقدامه وقال لبواب الخان : ان اقدرني الله تعالى جازيتك على ما فعلت معي من الخير . ولكن لا يجازي الَّا الله من فضلهِ . فقال لهُ بواب الخان : الحمد لله على العافية انا ما فعلت معك ذلك الَّا ابتغاء وجه الله الكريم . ثم ان المزين خرج من الخان وشق في الاسواق فأتت بهِ المقادير الى السوق الذي فيهِ مصبغة ابي قير فرأى الاقمشة ملونة بالصباغ منشورة في باب المصبغة والخلائق مزدحمة يتفرجون عليها . فسأل رجلًا من اهل المدينة وقال لهُ : ما هذا المكان وما لي ارى الناس مزدحمين . فقال لهُ المسؤول : ان هذه مصبغة السلطان التي انشأها لرجل غريب اسمهُ ابو قير . وكلما صبغ ثوبًا نجتمع عليهِ ونتفرَّج على صباغه لان بلادنا ما فيها صبّاغون يعرفون صباغ هذه الالوان وجرى لهُ مع الصباغين الذين في البلد ما جرى . واخبره بما جرى بين ابي قير وبين الصباغين وانهُ شكاهم الى السلطان فاخذ بيده وبنى لهُ هذه المصبغة واعطاه كذا وكذا واخبره بكل ما جرى . ففرح ابو صير وقال في نفسه : الحمد لله الذي فتح عليهِ وصار معلماً والرجل معذور لعله التهى عنك

الى الملك . فاعطاه ثمن مكانهِ زيادة على ما يرضيهِ . ودارت فيهِ البناية . وصار ابو قير يقول للبنائين : ابنوا كذا وكذا وافعلوا كذا وكذا . حتى بنوا لهُ مصبغة ليس لها نظير. ثم حضر الى الملك واخبره بان المصبغة تمَّ بناؤها وانما تحتاج لثمن الصباغ من اجل ادارتها . فقال لهُ الملك : خذ هذهِ الاربعة آلاف الدينار واجعلها رأس مال وأرني ثمرة مصبغتك . فاخذها ومضى الى السوق فرأى النيلة كثيرة وليس لها ثمن فاشترى جميع ما يحتاج اليهِ من حوائج الصباغ . ثم ان الملك ارسل اليهِ خمسمائة شقة من القماش . فدوَّر الصبغ فيها وصبغها من سائر الالوان ثم نشرها قدام باب المصبغة . فلما مرَّ الناس عليها رأوا شيئًا عجيبًا عمرهم ما رأوا مثله . فازدحمت الخلائق على باب المصبغة وصاروا يتفرجون ويسأَلونه ويقولون لهُ : يا معلم ما اسم هذه الالوان فيقول لهم : هذا احمر وهذا اصفر وهذا اخضر . ويذكر لهم اسامي الالوان . فصاروا يأْتونهُ بشيء من القماش ويقولون لهُ : اصبغ لنا مثل هذا وهذا وخذ ما تطلب . ولما فرغ من صباغ قماش الملك اخذهُ وطلع بهِ الى الديوان . فلما رأى الملك ذلك الصباغ فرح بهِ وانعم عليهِ انعامًا زائدًا . وصار جميع العسكر يأتون اليه بالقماش ويقولون لهُ : اصبغ لنا هكذا . فيصبغ لهم على اغراضهم ويرمون عليهِ الذهب والفضة . ثم انهُ شاع ذكره وسميت مصبغته مصبغة السلطان ودخل عليهِ الخير من كل باب وجميع الصباغين لم يقدر احد منهم ان يتكلم معهُ وانما كانوا يأتونه ويقبلون يديه ويعتذرون اليه مما سبق منهم في حقه ويعرضون انفسهم عليه ويقولون لهُ : اجعلنا خدماء عندك . فلم يرضَ ان يقبل واحدًا منهم . وصار عندهُ عبيد وجوار وجمع مالاً كثيرًا . هذا ما كان من امر ابي قير

واما ما كان من امر ابي صير فانهُ لما قفل عليهِ ابو قير باب الحجرة بعد ان اخذ دراهمه راح وخلاه وهو مريض غائب عن الوجود . فصار مرميًا في تلك الحجرة والباب مقفول عليهِ واستمرَّ كذلك ثلاثة ايام . فانتبه بواب الخان الى باب الحجرة فرآه مقفولاً ولم يرَ احدًا من هذين الاثنين الى المغرب ولم يعلم لهما خبرًا . فقال في نفسه : لعلهما سافرا ولم يدفعا اجرة الحجرة او ماتا او ما خبرهما . ثم انهُ اتى الى باب

واعرف ان اصبغ سائر الالوان ومرادي ان تخدمني عنـدك بالاجرة وانا اعلمك جميع الالوان لاجل ان تفتخر بها على كل طائفة الصبّاغين . فقال لهُ : نحن لا نقبل غريباً يدخل في صنعتنا ابدًا . فقـال لهُ : واذا فتحت لي مصبغة وحدي . قال لهُ : لا يمكنك ذلك ابدًا . فتركهُ وتوجه الى الثاني . فقال لهُ كما قال لهُ الاول . ولم يزل ينتقل من صبّاغ الى صبّاغ حتى طاف على الاربعين معلماً فلم يقبلوهُ لا اجيرًا ولا معلماً . فتوجه الى شيخ الصبّاغين واخبرهُ . فقال لهُ : انا لا نقبل غريباً يدخل في صنعتنا . فحصل عند ابي قير غيظ عظيم وطلع يشكو الى ملك تلك المدينة وقال لهُ : يا ملك الزمان انا غريب وصنعتي الصباغة وجرى لي مع الصبّاغين ما هو كذا وكذا . وانا اصبغ الاحمر الواناً مختلفة كوردي وعنّابي . والاخضر الواناً مختلفة كزرعي وفستقي وزيتي وجناح الدرة . والاسود الواناً مختلفة كفحمي وكحلي . والاصفر الواناً مختلفة كنارنجي وليموني . وصار يذكر لهُ سائر الالوان . ثم قال : يا ملك الزمان كل الصبّاغين الذين في مدينتك لا يخرج من ايديهم ان يصبغوا شيئاً من هذه الالوان ولا يعرفون الّا صباغ الازرق ولم يقبلوني ان اكون عندهم معلماً ولا اجيرًا . فقال لهُ الملك : قد صدقت في ذلك ولكن انا افتح لك مصبغة واعطيك رأس مال وما عليك منهم وكل من تعرَّض لك شنقته على باب دكانه . ثم امر البنّائين وقال لهم : امضوا مع هذا المعلم وشقوا انتم واياهُ في المدينـة واي مكان اعجبهُ فاخرجوا صاحبه منهُ سواء كان دكاناً او خاناً او غير ذلك وابنوا لهُ مصبغة على مراده . ومهما امركم بهِ فافعلوهُ ولا تخالفوهُ فيما يقول . ثم ان الملك ألبسهُ بدلة مليحة واعطاهُ الف دينار وقال لهُ : اصرفها على نفسك حتى تتمّ البناية . واعطاهُ مملوكين من اجل الخدمة وحصاناً بعدَّة مزركشة . فلبس البدلة وركب الحصان وصار كأنهُ امير

(الليلة الرابعة والثلثون بعد التسعمائة) . واخلى لهُ الملك بيتـاً وامر بفرشه ففرشوهُ لهُ وسكن فيهِ . وركب في ثاني يوم وشقّ في المدينة والمهندسون قدامه . ولم يزل يتأمل حتى اعجبه مكان . فقال : هذا المكان طيب . فأخرجوا صاحبهُ منهُ واحضروه

على الاكل بلهفة فيأكل اكل من لا يشبع ولا يقنع ثم ينام. ولم يزل كذلك مدَّة اربعين يوماً اخرى. وكلما يقول لهُ ابو صير: اجلس ارتح واخرج تفسح في المدينة فانها فرجة وبهجة وليس لها نظير في المدائن. يقول لهُ ابو قير الصبَّاغ: لا تؤاخذني فاني دائخ. فلا يرضى ابو صير المزين ان يكدر خاطره ولا يسمعهُ كلمة تؤذيه. وفي اليوم الحادي والاربعون مرض المزين ولم يقدر ان يسرح. فسخر بواب الخان فقضى لهما حاجتها وأتى لهما بما يأكلان وما يشربان. كل ذلك وابو قير يأكل وينام. وما زال المزين يسخر بواب الخان في قضاء حاجته مدة اربعة ايام. وبعد ذلك اشتد المرض على المزين حتى غاب عن الوجود من شدَّة مرضه. واما ابو قير فانهُ احرقهُ الجوع فقام وفتش في ثيـاب ابي صير فرأى معهُ مقداراً من الدراهم فأخذهُ وقفل باب الحجرة على ابي صير ومضى ولم يعلم احداً. وكان البواب في السوق فلم يرهُ حين خروجه. ثم ان ابا قير عمد الى السوق وكسا نفسه ثياباً نفيسة وصار يدور في المدينة ويتفرج. فرآها مدينة ما وجد مثلها في المدائن وجميع ملبوسها ابيض وازرق من غير زيادة. فأتى الى صباغ فرأى جميع ما في دكانه ازرق. فاخرج لهُ محرمة وقال لهُ: يا معلم خذ هذه المحرمة واصبغها وخذ اجرتك. فقال لهُ: ان اجرة صباغ هذه عشرون درهماً. فقال لهُ: نحن نصبغ هذه في بلادنا بدرهمين. فقال لهُ: رح اصبغها في بلادكم واما انا فلا اصبغها الَّا بعشرين درهماً لا ننقص عن هذا القدر شيئاً. فقال له ابو قير: ايَّ لون تريد صبغها. قال لهُ الصبَّاغ: أصبغها زرقاء. قال لهُ ابو قير: انا مرادي ان تصبغها لي حمراء. قال لهُ: لا ادري صباغ الاحمر. قال: خضراء. قال: لا ادري صباغ الاخضر. قال: صفراء: قال: لا ادري صباغ الاصفر. وصار ابو قير يعدّد لهُ الالوان لوناً بعد لون. فقال لهُ الصبَّاغ: نحن في بلادنا اربعون معلماً لا يزيدون واحداً ولا ينقصون واحداً. واذا مات منَّا واحد نعلم ولده. وان لم يخلف ولدا نبقى ناقصين واحداً. والذي لهُ ولدان نعلم واحداً منهما. فان مات علمنا اخاهُ. وصنعتنا هذه مضبوطة ولا نعرف ان نصبغ غير الازرق من غير زيادة. فقال لهُ ابو قير الصبَّاغ: اعلم اني انا صبَّاغ

بنا. فقال لهُ: انا لا اقدر على المشي. فراح المزين وحده فرأى القبطان جالساً وقدَّامه سفرة فيها عشرون لوناً او اكثر وهو وجماعته ينتظرون المزين ورفيقه. فلما رآهُ القبطان قال لهُ: اين رفيقك. فقال لهُ: يا سيدي انهُ دائخ من البحر. فقال لهُ القبطان: لا بأس عليهِ ستزول عنهُ الدوخة تعال انت تعشَّ معنا فاني كنت في انتظارك. ثم ان القبطان عزل صحن كباب وحطَّ فيهِ من كل لون فصار يكفي عشرة. وبعد ان تعشَّى المزين قال لهُ القبطان: خذ هذا الصحن معك الى رفيقك. فأخذهُ ابو صير وأتى بهِ الى ابي قير فرآهُ يطحن بانيـابه فيما عنده من الاكل مثل الجمل. ويلحق اللقمة باللقمة على عجل. فقال لهُ ابو صير: أما قلت لك لا تأكل فان القبطان خيره كثير. فانظر اي شيء بعث اليك لما اخبرته انك دائخ. فقال له: هات. فناولهُ الصحن. فأخذهُ منهُ وهو ملهوف عليهِ وعلى غيره من الاكل مثل الكلب الكاشر او السبع الكاسر او الرخ اذا انقضَّ على الحمام. او الذي كاد ان يموت من الجوع ورأى شيئاً من الطعام. وصار يأكل. فتركهُ ابو صير وراح الى القبطان وشرب القهوة هناك. ثم رجع الى ابي قير فرآهُ قد اكل جميع ما في الصحن ورماهُ فارغاً. فاخذهُ واوصله الى بعض اتباع القبطان ورجع الى ابي قير ونام الى الصباح

(الليلة الثـالثة والثلثون بعد التسعمائة). فلما كان ثاني الايام صار ابو صير يحلق وكلما جاء لهُ شيء يعطيه لابي قير وابو قير يأكل ويشرب وهو قاعد لا يقوم الَّا لازالة الضرورة. وكل ليلة يأتي لهُ بصحن ملآن من عند القبطان. واستمرُّوا على هذه الحالة عشرين يوماً حتى رسا الغليون على مينا مدينة. فطلعـا من الغليون ودخلا تلك المدينة واخذا لهما حجرة في خان. وفرشها ابو صير واشترى جميع ما يحتاجان اليهِ وجاء بلحم وطبخهُ. وابو قير نائم من حين دخل الحجرة ولم يستيقظ حتى ايقظهُ ابو صير ووضع السفرة بين يديه. فلما افاق اكل وبعـد ذلك قال لهُ لا تؤاخذني فاني دائخ. ثم نام. واستمرَّ على هذه الحالة اربعين يوماً. وكل يوم يحمل المزين العدَّة ويدور في المدينة فيعمل بالذي فيهِ النصيب ويرجع فيجد ابا قير نائماً فينبههُ. وحين ينتبه يقبل

لهُ واحد: تعال يا اسطى احلق لي. فحلق لهُ. فلما حلق لذلك الرجل اعطاهُ نصف فضة. فقال لهُ المزين: يا اخي ليس لي حاجة بهذا النصف الفضة ولو كنت اعطيتني رغيفاً كان ابركَ لي في هذا البحر لان لي رفيقاً وزادنا شيء قليل. فاعطاهُ رغيفاً وقطعة جبن وملأَ لهُ الطاسة ماء حلوًا. فأخذ ذلك وأتى الى ابي قير وقال لهُ: خذ هذا الرغيف وكلهُ بالجبن واشرب ما في الطاسة. فأخذ ذلك منهُ وأكل وشرب. ثم ان ابا صير المزين بعد ذلك حمل عدَّته واخذ الخرقة على كتفه والطاسة في يده وشقَّ في الغليون بين الركاب. فحلق لانسان برغيفين ولآخر بقطعة جبن. ووقع عليهِ الطلب. وصار كل من يقول لهُ احلق لي يا اسطى يشرط عليهِ رغيفين ونصف فضة. وليس في الغليون مزين غيره. فما جاء المغرب حتى جمع ثلاثين رغيفاً وثلاثين نصفاً فضة وصار عندهُ جبن وزيتون وبطارخ. وصار كلما يطلب حاجة يعطونهُ اياها حتى صار عنده شيء كثير. وحلق للقبطان وشكا لهُ قلَّة الزاد في السفر. فقال لهُ القبطان: مرحباً بك هات رفيقك في كل ليلة وتعشيا عندي ولا تحملا همًّا ما دمتما مسافرَين معنا. ثم رجع الى الصبَّاغ فرآهُ لم يزل نائماً فايقظهُ. فلما افاق ابو قير رأى عند رأسه شيئاً كثيرًا من عيش وجبن وزيتون وبطارخ فقال لهُ: من اين لك ذلك. فقال: من فيض الله تعالى. فأراد ان يأكل. فقال لهُ ابو صير: لا تأكل يا اخي من هذا واتركه ينفعنا في وقت آخر. واعلم اني حلقت للقبطان وشكوت اليهِ قلَّة الزوادة. فقال لي: مرحباً بك هات رفيقك كل ليلة وتعشيا عندي. فأوَّل عشائنا عند القبطان في هذه الليلة. فقال لهُ ابو قير: انا دائخ من البحر ولا اقدر ان اقوم من مكاني فدعني اتعشى من هذا الشيء ورُح انت وحدك عند القبطان. فقال لهُ: لا بأس بذلك. ثم جلس يتفرج عليهِ وهو يأكل فرآهُ يقطع اللقمة كما يقطع الحجار من الجبل. ويبتلعها ابتلاع الفيل الذي لهُ ايام ما أكل ويلتهم اللقمة قبل ازدراد التي قبلها. ويحملق عينيهِ فيما بين يديه حملقة الغول. وينفخ نفخ الثور الجائع على التبن والفول. واذا بنوتي جاء وقال: يا اسطى يقول لك القبطان هات رفيقك وتعال للعشاء. فقال ابو صير لابي قير: اتقوم

الصنعة يا اخي. فقال لهُ ابو قير الصباغ: وانا ايضاً كرهت صنعتي من الكساد. ولكن يا اخي ما الداعي لاقامتنا في هذه البلد فانا وانت نسافر منها نتفرَّج في بلاد الناس وصنعتنا في ايدينا رائجة في جميع البلاد. فاذا سافرنا نشمّ الهواء ونرتاح من هذا الهمّ العظيم. وما زال ابو قير يحسن السفر لابي صير حتى رغب في الارتحال

(الليلة الثانية والثلثون بعد التسعمائة). ثم انهما اتفقا على السفر. وفرح ابو قير بان ابا صير رغب في ان يسافر وانشد قول الشاعر:

تغرَّب عن الاوطان في طلب العلا وسافر ففي الاسفار خمس فوائدِ
تفرُّج همٍّ واكتساب معيشةٍ وعلم وآداب وصحبة ماجدِ
وان قيل في الاسفار غمٌّ وكربةٌ وتشتيت شمل وارتكاب شدائدِ
فموت الفتى خير لهُ من حياته بدار هوان بين واشٍ وحاسد

وحين عزما على السفر قال ابو قير لابي صير: يا جاري نحن صرنا اخوين ولا فرق بيننا. فينبغي اننا نقرأ الفاتحة على ان عمَّالنا يكتسب ويطعم بطَّالنا ومهما فضل نضعهُ في صندوق. فاذا رجعنا الى الاسكندرية نقسمهُ بيننا بالحقّ والانصاف. قال ابو صير: وهو كذلك. وقرأا فاتحة على ان العمَّال يكتسب ويطعم البطَّال. ثم ان ابا صير قفل الدكان واعطى المفاتيح لصاحبها. وابو قير ترك المفتاح عند رسول القاضي وترك الدكان مقفولة مختومة. واخذا مصالحهما واصبحا مسافرين ونزلا في غليون في البحر المالح وسافرا في ذلك النهار وحصل لهما اسعاف. ومن تمام سعد المزين ان جميع من كان في الغليون لم يكن معهم احد من المزينين. وكان فيهِ مائة وعشرون رجلاً غير الريس والبحرية. ولمَّا حلُّوا قلوع الغليون قام المزين وقال للصبَّاغ: يا اخي هذا بحر نحتاج فيهِ الى الاكل والشرب وليس معنا الَّا قليل من الزاد. وربما يقول لي احد: تعال يا مزين احلق لي. فأحلق لهُ برغيف او بنصف فضة او بشربة ماء. فانتفع بذلك انا وانت. فقال لهُ الصبَّاغ: لا بأس. ثم حطَّ رأسه ونام. وقام المزين واخذ عدَّته والطاسة ووضع على كتفه خرقة تغني عن الفوطة لانهُ فقير وشقَّ بين الركاب. فقال

يريد صباغه يقم من دكان المزين ويقول: ما لك يا هذا. فيقول له: خذ اصبغ لي هذا الشيء. فيقول له: ايّ لون تطلبهُ. لانهُ مع هذه الخصال الذميمة كان يخرج من يده ان يصبغ سائر الالوان ولكنهُ لم يصدق مع احد ابدًا والشقاوة غالبة عليهِ. ثم يأخذ الحاجة منهُ ويقول له: هات الكراء لقدَّام وفي غد تعال خذها. فيعطيه الاجرة ويروح. وبعد ان يتوجه صاحب الشيء الى حال سبيلهِ يأخذ هو ذلك الشيء ويذهب الى السوق فيبيعه ويشتري بثمنه اللحم والخضار والدخان والفاكهة وما يحتاج اليهِ. واذا رأى احدًا واقفًا على الدكان من الذين اعطوهُ حاجة ليصبغها فلا يظهر اليهِ ولا يريه نفسه. ودام على هذه الحالة سنين. فاتفق لهُ في يوم من الايام انهُ اخذ حاجة من رجل جبَّار ثم باعها وصرف ثمنها. وصار صاحبها يجيء اليهِ في كل يوم فلم يرَهُ في الدكان. لانهُ متى رأى احدًا له عنده شيء يهرب منهُ في دكان المزين ابي صير. فلما لم يجدهُ ذلك الجبار في دكانه واعياه ذلك ذهب الى القاضي وأتاهُ برسول من طرفه وسمَّر باب الدكان بحضرة جماعة من المسلمين وختمها لانهُ لم يرَ فيها غير بعض مواجير مكسرة ولم يجد فيها شيئًا يقوم مقام حاجته. ثم اخذ الرسول المفتاح وقال للجيران: قولوا لهُ يجيء بحاجة هذا الرجل ويأتي ليأخذ مفتاح دكانه. ثم ذهب الرجل والرسول الى حالهما. فقال ابو صير لابي قير: ما داهيتك فان كل من جاء لك بحاجة تعدمهُ اياها. اين راحت حاجة هذا الرجل الجبار. قال. يا جاري انها سُرقت مني. قال ابو صير: عجائب. كل من اعطاك حاجة يسرقها منك لصّ هل انت معاد جميع اللصوص. ولكن اظنّ انك تكذب. فاخبرني بقصتك. قال: يا جاري ما احد سرق مني شيئًا. قال ابو صير: وما تفعل في متاع الناس. فقال له: كل من اعطاني حاجة ابيعها واصرف ثمنها. قال لهُ ابو صير: ايحلّ لك هذا من الله. قال لهُ ابو قير: انما افعل هذا من الفقر لان صنعتي كاسدة وانا فقير وليس عندي شيء. ثم صار يذكر له الكساد وقلة السبب. وصار ابو صير يذكر لهُ كساد صنعته ايضًا ويقول له: انا اسطى ليس لي نظير في هذه المدينة. ولكن لا يحلق عندي احد لكوني رجلًا فقيرًا. وكرهت هذه

الكراء اولاً ويوهمهُ انهُ يشتري بها اجزاء ليصبغ بها. فيعطيه الكراء مقدَّماً. فاذا اخذه منهُ يصرفهُ على اكل وشرب ثم يبيع القماش الذي اخذهُ بعد ذهاب صاحبه ويصرف ثمنهُ في الاكل والشرب وغير ذلك. ولا يأكل ألا طيباً من افخر الماكول ولا يشرب ألا من اجود ما يذهب العقول. فاذا اتاهُ صاحب القماش يقول لهُ: في غد تجيء اليَّ من قبل الشمس فتلقى حاجتك مصبوغة. فيروح صاحب الحاجة ويقول في نفسه: يوم من يوم قريب. ثم يأتيه في ثاني يوم على الميعاد. فيقول لهُ: تعال في غد فاني امس ما كنت فاضياً لانهُ كان عندي ضيوف فقمت بواجبهم حتى راحوا. وفي غد قبل الشمس تعال خذ قماشك مصبوغاً. فيروح ويأتيه في ثالث يوم. فيقول لهُ: اني كنت امس معذوراً لان زوجتي ولدت بالليل وطول النهار وانا اقضي مصالح. ولكن في غد من كل بدّ تعال خذ حاجتك مصبوغة. فيأتي لهُ على الميعاد. فيطلع لهُ بحيلة اخرى من حيث كان ويحلف لهُ

(الليلة الحادية والثلثون بعد التسعمائة). ولم يزل يعدهُ ويحلف اذا جاءهُ حتى يقلق الزبون ويقول لهُ: كم تقول لي في غد. اعطني حاجتي فاني لا اريد صباغاً. فيقول: والله يا اخي انا مستحي منك. ولكن اخبرك بالصحيح والله يؤذي كل من يؤذي الناس في امتعتهم. فيقول لهُ. اخبرني ماذا حصل. فيقول: اما حاجتك فاني صبغتها صباغاً ليس لهُ نظير ونشرتها على الحبل فسرقت ولا ادري من سرقها. فان كان صاحب الحاجة من اهل الخير يقل لهُ: يعوّض الله عليَّ. وان كان من اهل الشرّ يستمرّ معهُ في هتيكة وجرسة ولا يحصل منهُ شيئاً ولو اشتكاهُ الى الحاكم. ولم يزل يفعل هذه الفعال حتى شاع ذكرهُ بين الناس وصار الناس يحذر بعضهم بعضاً من ابي قير ويضربون بهِ الامثال وامتنعوا عنهُ جميعاً. وصار لا يقع معهُ ألا الجاهل بحاله. ومع ذلك لا بدَّ لهُ كل يوم من جرسة وهتيكة مع خلق الله تعالى. فحصل لهُ كساد بهذا السبب. فصار يأتي الى دكان جاره المزين ابي صير ويقعد في داخلها قصاد المصبغة وينظر الى باب المصبغة. فان رأى احداً جاهلاً بحاله واقفاً على باب المصبغة ومعهُ شيء

له وقال : ادام الله ايام الملك ان كان لا بدّ ان تفعل بهنَّ فعلة يهلاكهنَّ فافعل ما اقوله لك . فقال الملك : ما الذي تقوله لي . فقال له : الاصوب ان تأمر احدى محاظيك بان تأخذ النساء اللاتي خدعنكَ وتدخلهنَّ البيت الذي حصل فيهِ قتل الوزراء والحكماء وتسجنهنَّ هناك وتأمر ان يعطى لهنَّ قليل من الطعام والشراب بقدر ما يمسك ابدانهنَّ ولا يؤذن اليهنَّ في الخروج من ذلك الموضع اصلًا . وكل من ماتت بنفسها تبقى بينهنَّ على حالها الى ان يمتنَ عن آخرهنَّ . وهذا اقل جزائهنَّ لانهنَّ كنَّ سببًا لهذه الفتنة العظيمة بل وأصل جميع البلايا والفتن التي وقعت في الزمان . وصدق عليهنَّ قول القائل : ان من حفر بئرًا لاخيهِ وقع فيها ولو طالت سلامته . فقبل الملك رأيهُ وفعل كما قال له : وارسل خلف اربع محظيات جبارات وسلَّم اليهنَّ النساء وأمرهنَّ ان يدخلنهنَّ محل القتلى ويسجنهنَّ فيهِ واجرى لهنَّ طعامًا دنيئًا قليلًا وشرابًا رديئًا قليلًا . فكان من امرهنَّ انهنَّ حزنَّ حزنًا عظيمًا وندمنَ على ما فرط منهنَ وتأسفنَ تأسفًا كثيرًا . واعطاهنَّ الله جزاءهنَّ في الدنيا من الخزي واعدَّ لهنَّ العذاب في الآخرة . ولم يزلنَ في ذلك الموضع المظلم المنتن الرائحة وفي كل يوم تموت ناس منهنَّ حتى هلكنَ عن آخرهنَّ . وشاع خبر هذه الوقعة في جميع البلاد والاقطار . وهذا ما انتهى اليهِ امر الملك ووزرائه ورعيته والحمد لله مفني الامم . ومحي الرمم . المستحق للتجليل والاعظام . والتقديس على الدوام

حكاية ابي قير الصبَّاغ وابي صير المزيّن

ومما يحكى ايضًا ان رجلين كانا في مدينة الاسكندرية . وكان احدهما صبَّاغًا واسمهُ ابو قير . وكان الثاني مزيّنًا واسمهُ ابو صير . وكانا جارين لبعضهما في السوق . وكان دكان المزيّن في جانب دكان الصباغ . وكان الصباغ نصَّابًا كذَّابًا صاحب شرّ قوي كأنما صدغهُ منحوت من الجلمود . او مشتقّ من عتبة كنيسة اليهود . لا يستحي من عيبة يفعلها بين الناس . وكان من عادته انهُ اذا اعطاه احد قماشًا ليصبغهُ يطلب منهُ

ففعلوا ذلك في اسرع وقت. وامرهم ايضاً ان ينعموا على بقية من حضر بالانعامات الجزيلة وان يصرفوا كل واحد الى ارضهِ بعزّ واكرام. وامر عمّاله بالعدل في الرعية واوصاهم بالشفقة على الفقراء والاغنياء وامر باسعافهم من الخزنة على قدر درجاتهم. فدعا لهُ الوزراء بدوام العزّ والبقاء. ثم انهُ امر بزينة المدينة ثلاثة ايام شكرًا لله تعالى على ما حصل لهُ من التوفيق. هذا ما كان من امر الملك ووزيره ابن شماس في ترتيب المملكة وامرائها واعمالها

واما ما كان من امر النساء المحظيات من السراري وغيرهنّ اللاتي كنّ سبباً لقتل الوزراء وفساد المملكة بحيلهنّ وخداعهنّ فانهُ لما انصرف جميع من كان في الديوان من المدينة والقرى الى محله واستقامت امورهم امر الملك الوزير الصغير السنّ الكبير العقل الذي هو ابن شماس ان يحضر بقية الوزراء. فلما حضروا جميعاً بين يدي الملك اختلى بهم وقال لهم: اعلموا ايها الوزراء اني كنت حائدًا عن الطريق المستقيم مستغرقاً في الجهل معرضاً عن النصيحة ناقضاً للعهود والمواثيق مخالفاً لاهل النصح. وسبب ذلك كله ملاعبة هؤلاء النساء وخداعهنّ اياي وزخرفة كلامهنّ وباطلهنّ لي وقبولي لذلك لاني كنت اظنّ ان كلامهنّ نصح بسبب عذوبته ولينه فاذا هو سمّ قاتل. والآن قد تقرَّر عندي انهنّ لم يردنَ لي الّا الهلاك والتلف. فقد استحققنَ العقوبة والجزاء مني على جهة العدل حتى اجعلهنّ عبرة لمن اعتبر. لكن فما الرأي السديد في اهلاكهنّ. فاجابهُ الوزير ابن شماس قائلًا: ايها الملك العظيم الشأن انني قلت لك اولاً ان الذنب ليس مختصاً بالنساء وحدهنّ بل هو مشترك بينهنّ وبين الرجال الذين يطيعونهنّ. لكن النساء يستوجبنَ الجزاء على كل حال لامرين. الاول تنفيذ قولك لكونك الملك الاعظم. والثاني لتجاسرهنّ عليك وخداعهنّ لك ودخولهنّ فيما لا يعنيهنّ وما لا يصلحنَ للتكلم فيهِ. فهنّ احق بالهلاك ولكن كفاهنّ ما هو نازل بهنّ. ومن الآن اجعلهنّ بمنزلة الخدم. والامر لك في ذلك وغيره. ثم ان بعض الوزراء اشار على الملك بما قالهُ ابن شماس. وبعض الوزراء تقدم الى الملك وسجد

و يمتعك من الدنيا بفلاحها. ومن الآخرة بصلاحها. بمنّه وكرمه وخفيّ لطفه. آمين. انهُ على كل شيء قدير. وليس عليهِ امر عسير. واليهِ المرجع والمصير. فلما سمع الملك منهُ هذا الدعاء حصل عندهُ غاية الفرح ومال اليهِ كل الميل وقال لهُ: اعلم ايها الوزير انك صرت عندي في مقام الاخ والولد والوالد وليس يفصلني منك الَّا الموت وجميع ما تملكه يدي لك التصرُّف فيهِ. وان لم يكن لي خلف تجلس على تختي عوضاً عني فانت اولى من جميع اهل مملكتي فاوليك ملكي بحضرة اكابر مملكتي واجعلك وليَّ عهدي من بعدي ان شاء الله تعالى

(الليلة الموفية للثلاثين بعد التسعمائة). ثم بعد ذلك دعا بكاتبه فحضر بين يديه. فأمره ان يكتب الى سائر كبراء دولته بالحضور اليهِ واجهر بالنداء في مدينته للحاضرين الخاصّ والعامّ. وأمر ان يجتمع الامراء والقوَّاد والحجَّاب وسائر ارباب الخدم الى حضرة الملك وكذلك العلماء والحكماء. وعمل الملك ديواناً عظيماً وسماطاً لم يعمل مثله قطّ وعزم جميع الناس من الخاص والعام. فاجتمع الجميع على حظ واكل وشرب مدة شهر وبعد ذلك كسا جميع حاشيته وفقراء مملكته واعطى العلماء عطايا وافرة. ثم اختار جملة من العلماء والحكماء بمعرفة ابن شماس وادخلهم عليه وأمره ان ينتخب منهم سبعة ليجعلهم وزراء من تحت كلمته ويكون هو الرئيس عليهم. فعند ذلك اختار الغلام ابن شماس منهم اكبرهم سنّاً واكملهم عقلاً واكثرهم دراية واسرعهم حفظاً. ورأى من بهذه الصفة ستة اشخاص فقدمهم الى الملك والبسهم ثياب الوزراء وكلمهم قائلاً: انتم تكونون وزرائي تحت طاعة ابن شماس وجميع ما يقولهُ لكم او يأمركم بهِ وزيري هذا ابن شماس لا تخرجوا عنهُ ابداً ولو كان هو اصغركم سنّاً لانهُ اكبركم عقلاً. ثم ان الملك اجلسهم على كراسي مزركشة على عادة الوزراء واجرى عليهم الارزاق والنفقة. ثم أمرهم ان ينتخبوا من اكابر الدولة الذين اجتمعوا عنده في الوليمة من يصلح لخدمة المملكة من الاجناد ليجعل منهم رؤساء الوف ورؤساء مئين ورؤساء عشرات. ورتَّب لهم المرتبات واجرى اليهم الارزاق على عادة الكبراء.

وتواظب على ما يوجب دعاءهم لك لانك اذا دام لك ذلك صفا وقتك وعفا الله برحمتهِ عنك وجعلك مهاباً عند كل من يراك وتتـلاشى اعداؤك ويهزم الله تعالى جيوشهم وتصير عند الله مقبولاً وعند خلقه مهاباً محبوباً. فقال لهُ الملك: لقد احييت فؤادي ونورت قلبي بكلامك الحلو وجلوت عين بصيرتي بعد العمى. وانا عازم على ان افعل جميع ما ذكرته لي بمعونة الله تعالى واترك ما كنت عليهِ من البغي والشهوات واخرج نفسي من الضيق الى السعـة ومن الخوف الى الامن. وينبغي ان تكون بذلك فرحاً مسروراً لاني صرت لك ابناً مع كبر سني وصرت انت لي والداً حبيباً على صغر سنك. وصار من الواجب عليَّ بذل المجهود فيما تأمرني بهِ. وانا اشكر فضل الله تعالى وفضلك فان الله تعالى اولاني بك من النعم وحسن الهداية وسداد الرأي ما يدفع همي وغمي. وقد حصلت سلامة رعيتي على يديك باشرف معرفتك وحسن تدبيرك. فانت الآن مدبر لملكي لا اتشرف عليك بسوى الجلوس على الكرسي. وكلما تفعله جائز عليَّ ولا رادّ لكلمتك ولو كنت صغير السنّ لانك كبير العقـل كثير المعرفة. فاشكر الله الذي يسرك لي حتى هديتني الى سبيل الاستقامة بعد الاعوجاج المهلك. قال الوزير: ايها الملك السعيد اعلم انهُ لا فضل لي عليك في بذل النصيحة لك لان قولي وفعلي من بعض ما يلزمني حيث كنت غريس نعمتك. وليس هكذا انا وحدي بل والدي من قبلي مغمور بجزيل نعمتك. فنحن الجميع مقرّون بجميلك وفضلك. فكيف لا نقرّ بذلك وانت ايهـا الملك راعينا وحاكمنا ومحارب عنَّا اعداءنا ومتولّ حفظنا وحارسنا وباذل جهدك في سلامتنا. واننا لو بذلنا ارواحنا في طاعتك لم نقم بواجب شكرك. ولكن نتضرَّع الى الله تعالى الذي ولّاك علينا وحكمك فينـا ونسألهُ ان يهب لك العمر الطويل ويمنحك النجاح في جميع اعمالك ولا يمتحنك بمحنة في زمانك ويبلغك مرادك ويجعلك مهاباً الى حين مماتك ويبسط بالكرَم سواعدك حتى تقود كل عالم وتقهر كل معاند ويوجد بك في مملكتك كل عالم وشجاع وينزع منها كل جاهل وجبان ويرفع عن رعيتك الغـلاء والبلاء ويزرع بينهم الالفة والمحبة

كنت فيهِ من فرط الميل اليهنَّ واعرضت عن الاشتغال بالنساء جميعاً . ولكن ماذا اصنع فيهنَّ جزاء على ما فعلنَ لان قتل شماس والدك كان من كيدهنَّ ولم يكن ذلك مرادي ولا عرفت كيف جرى لي في عقلي حتى وافقتهنَّ على قتله . ثم تأوَّه وصاح قائلًا : وا اسفاه على فقد وزيري وسداد رأيه وحسن تدبيره وعلى فقد نظرائهِ من الوزراء ورؤساء المملكة وحسن آرائهم الصائبة الرشيدة . فاجابهُ الوزير قائلًا : اعلم ايها الملك ان الذنب ليس للنساء وحدهنَّ لانهنَّ مثل بضاعة مستحسنة تميل اليها شهوات الناظرين . فمن اشتهى واشترى باعوه ومن لم يشترِ لم يجبره احد على الشراء . لكن الذنب لمن اشترى وخصوصاً اذا كان عارفاً بمضرَّة تلك البضاعة . وقد حذرتك ووالدي من قبلي كان يحذرك ولم تقبل منهُ نصيحة . فاجابهُ الملك : اني اوجبت على نفسي الذنب كما قلت ايها الوزير ولا عذر لي الَّا التقادير الالهية . فقال الوزير : اعلم ايها الملك ان الله تعالى خلقنا وخلق لنا استطاعة وجعل لنا ارادة واختياراً فان شئنا فعلنا وان شئنا لم نفعل . ولم يأمرنا الله بفعل ضرر لئلَّا يلزمنا ذنب فيجب علينا حساب فيما يكون فعله صواباً لانهُ تعالى لا يأمرنا الَّا بخير على سائر الاحوال وانما ينهانا عن الشر . ولكن نحن بارادتنا نفعل ما نفعله صواباً كان او خطأً . فقال لهُ الملك : صدقت وانما كان خطائي مني لميلي الى الشهوات . وقد حذَّرتُ نفسي من ذلك مراراً وحذَّرني والدك شماس مراراً . فغلبت نفسي على عقلي . فهل عندك شيء يمنعني عن ارتكاب هذا الخطإِ حتى يكون عقلي غالباً على شهوات نفسي . فاجاب الوزير : نعم اني ارى شيئاً يمنعك من ارتكاب هذا الخطإِ وهو انك تنزع عنك ثوب الجهل وتلبس ثوب العدل وتعصِ هواك وتطيع مولاك وترجع الى سيرة الملك العادل ابيك وتعمل ما يجب عليك من حقوق الله تعالى وحقوق رعيتك وتحافظ على دينك وعلى رعيتك وعلى سياسة نفسك وعلى عدم قتل رعيتك وتنظر في عواقب الامور وتنزل عن الظلم والجور والبغي والفساد وتستعمل العدل والانصاف والخضوع وتمتثل اوامر الله تعالى وتلازم الشفقة على خليقته الذين استخلفك عليهم

وبعد ذلك قال الملك للوزير : ما الرأي عندك في اتقان المملكة واصلاح الرعية ورجوعها الى ما كانت عليهِ اولاً من وجود الرؤساء والمدبرين . فعند ذلك اجابهُ الوزير قائلًا : ايها الملك العزيز الشأن الرأي عندي انك قبل كل شيء تبتدئ بقطع امر المعاصي من قلبك وتترك ما كنت فيهِ من اللهو والعسف والاشتغال بالنساء . لانك ان رجعت الى اصل المعاصي تكون الضلالة الثانية اشدّ من الاولى . فقال الملك : وما هي اصل المعاصي التي ينبغي ان اقلع عنها . فاجابهُ ذلك الوزير الصغير السنّ الكبير العقل قائلًا : ايها الملك الكبير اعلم ان اصل المعصية اتباع هوى النساء والميل اليهنَّ وقبول رأيهنَّ وتدبيرهنَّ . لان محبتهنَّ تغيّر العقول الصافية وتفسد الطباع السليمة . والشاهد على قولي من دلائل واضحة لو تفكرت فيها وتتبعت وقائعها بامعان النظر لوجدت لك ناصحًا من نفسك واستغنيت عن قولي جملة . فلا تشغل قلبك بذكرهنَّ واقطع من ذهنك رسمهنَّ لان الله تعالى امر بعدم الاكثار منهنَّ على يد نبيهِ موسى . حتى قال بعض الملوك من الحكماء لولده : يا ولدي اذا استقمت في الملك من بعدي فلا تستكثر من النساء لئلَّا يضلّ قلبك ويفسد رأيك . وبالجملة فالاستكثار منهنَّ يفضي الى حبهنَّ وحبهنَّ يفضي الى فساد الرأي . والبرهان على ذلك ما جرى لسيدنا سليمان بن داود عليهما السلام الذي خصهُ الله بالعلم والحكمة والملك العظيم ولم يعطِ احدًا من الملوك التي تقدمت مثل ما اعطاهُ فكانت النساء سبباً لهفوة والده . ومثل هذا كثير ايها الملك وانما ذكرت لك سليمان لتعرف انهُ ليس لاحد ان يملك مثل ما ملك حتى اطاعهُ جميع ملوك الارض . واعلم ايها الملك ان محبة النساء اصل كل شرّ وليس لاحداهنَّ رأي . فينبغي للانسان ان يقتصر منهنَّ على قدر الضرورة ولا يميل اليهنَّ كل الميل فان ذلك يوقعهُ في الفساد والهلكة . فان اطعت قولي ايها الملك استقامت لك جميع امورك . وان تركتهُ ندمت حيث لا ينفعك الندم

(الليلة التاسعة والعشرون بعد التسعمائة) . فاجابهُ الملك قائلًا : لقد تركت ما

بذلك فرحاً شديداً . ثم ارسل الى الغلام ابن شماس واحضرهُ بين يديهِ واكرمهُ . وارسل الى رئيس المائة الفارس . ثم طلب الكتاب الذي احضرهُ من ملكه واعطاهُ للغلام . ففتحهُ وقرأهُ . فسرّ الملك بذلك سروراً كبيراً وصار يعاتب رئيس المائة الفارس . وهو يقبل يديه ويعتذر اليهِ ويدعو لهُ بدوام البقاء وخلود النعم عليهِ . فشكرهُ الملك على ذلك واكرمهُ اكراماً زائداً واعطاهُ واعطى جميع من معهُ ما يليق بهم وجهز معهم هدايا وامر الغلام ان يكتب ردّ الجواب . فعند ذلك كتب الغلام الجواب واحسن الخطاب واوجز في باب الصلح وذكر ادب الرسول ومن معهُ من الفرسان . فلما تم الكتاب عرضهُ على الملك . فقال لهُ الملك : اقرأهُ ايها الولد العزيز لكي نعرف ما كتب فيهِ . فعند ذلك قرأهُ الغلام بحضرة المائة فارس فاعجب الملك هو وكل من حضر نظامه ومعناه . ثم ختمهُ الملك وسلمهُ الى رئيس المائة الفارس وصرفهُ . وارسل معهُ من عسكره طائفة توصلهم الى اطراف بلادهم . هذا ما كان من امر الملك والغلام

واما ما كان من امر رئيس المائة فانهُ اندهش عقله مما رآهُ من امر الغلام ومعرفته وشكر الله تعالى على قضاء مصلحته بسرعة وعلى قبول الصلح . ثم انهُ سار الى ان وصل الى ملك اقصى الهند وقدَّم اليهِ الهدايا والتحف واوصل اليهِ العطايا وناولهُ الكتاب واخبرهُ بما نظر . ففرح الملك بذلك فرحاً شديداً وشكر الله تعالى واكرم رئيس المائة الفارس وشكر همته على فعله ورفع درجته وصار من ذلك الوقت في امن وأمان وطمأنينة وزيادة انشراح . هذا ما كان من امر ملك اقصى الهند

واما ما كان من امر الملك وردخان فانهُ استقام مع الله ورجع عن طريقته الرديئة وتاب الى الله توبة خالصة عمَّا كان فيهِ وترك النساء جملةً ومال بكليته الى صلاح مملكته والنظر بخوف الله الى رعيته . وجعل ولد شماس وزيراً عوضاً عن والده وصاحب الرأي المقدَّم عندهُ في المملكة وكاتماً لسرّه . وامر بزينة مدينته سبعة ايام وكذلك بقية المدائن . وفرحت الرعية بذلك وزال الخوف والرعب عنهم واستبشروا بالعدل والانصاف وابتهلوا بالدعاء للملك والوزير الذي ازال عنهُ وعنهم هذا الغمّ .

لتنظر عزائمك وما عندك من الشجاعة والامور العلمية والعملية والرموز الخفية وما انت منطوٍ عليهِ من الكمالات الكلية . ونسأل الله تعالى ان يبارك لك في مملكتك ويشيد حصون مدينتك ويزيد في سلطانك حيثما كنت حافظاً لنفسك فتتم امور رعيتك . وارسلهُ لهُ مع ساعٍ آخر. فقال الملك : والله العظيم ان في هذا لعجباً عظيماً كيف يكون هذا ملكاً عظيماً معتدًا للحرب بعد قتله لعلماء مملكته واصحاب رأيه ورؤساء جنده وتكون مملكته عامرة بعد ذلك ويخرج منها هذه القوة العظيمة . واعجب من هذا ان صغار مكاتبها يردُّون عن ملكها مثل هذا الجواب . لكن انا بسوء طمعي اشعلت هذه النار عليَّ وعلى اهل مملكتي ولا ادري من يطفئها الّا رأي وزيري هذا . ثم انهُ جهز هدية ثمينة وخدماً وحشماً كثيرة وكتب كتاباً مضمونه : بسم الله الرحمن الرحيم . اما بعدُ ايها الملك العزيز وردخان ولد الاخ العزيز جليعاد رحمهُ الله وابقاك . لقد حضر لنا جواب كتابنا فقرأناهُ وفهمنا ما فيهِ فرأينا فيهِ ما يسرّنا وهذا غاية طلبنا لك من الله . ونسألهُ ان يعلي شأنك ويشيد اركان مملكتك وينصرك على اعدائك الذين يريدون بك السوء . واعلم ايها الملك ان اباك كان لي اخاً وبيني وبينه عهود ومواثيق مدَّة حياته وما كان يرى منَّا الّا خيرًا وكنَّا نحن كذلك لا نرى منهُ الّا خيرًا . ولما توفي وجلست انت على كرسي مملكته حصل عندنا غاية الفرح والسرور . ولما بلغنا ما فعلت بوزرائك واكابر دولتك خشينا ان يصل خبر ذلك الى ملك غيرنا فيطمع فيك . وكنَّا نظنّ انك في غفلة عن مصالحك وحفظ حصونك مهملًا لامور مملكتك . فكاتبناك بما ننبهك بهِ . فلما رأيناك قد رددت لنا مثل هذا الجواب اطمأنَّ قلبنا عليك متَّعك الله بمملكتك وجعلك معانًا على شأنك والسلام . ثم جهز لهُ الهدية وارسلها اليهِ مع مائة فارس

(الليلة الثامنة والعشرون بعد التسعمائة) . فساروا الى ان اقبلوا على الملك وردخان وسلموا عليه . ثم اعطوهُ الكتاب فقرأهُ وفهم معناهُ . ثم انزل رئيس المائة الفارس في محلّ يصلح لهُ واكرمهُ وقبل الهدية منهُ وشاع خبرها عند الناس وفرح الملك

مثلك ويظفر بملكنا . بل ان الله تعالى اظفرني بك لكونك متعدياً وباغياً عليَّ بغير حق .
فاعلم انك قد استوجبت العـذاب من الله ومني . ولكن انا اخاف الله فيك وفي
رعيتك ولا اركب عليك الَّا بعد الانذار . فان كنت تخشى الله فعجل لي بارسال
خراج هذه السنة والَّا لا ارجع عن الركوب عليك ومعي الف الف ومائة الف مقاتل
كلهم جبابرة بافيال . فأُسردهم حول وزيرنا وآمرهُ ان يقيم على محاصرتك ثلاثة
سنوات نظير الثلاثة الايام التي امهلتها لقاصدك واتملَّك مملكتك بحيث لا اقتل منها احداً
غير نفسك ولا اسبي منها غير حريمك . ثم صوَّر الغلام في المكتوب صورته وكتب بجانبها :
ان هذا الجواب كتبهُ اصغر اولاد الكتَّاب . ثم ختمهُ وسلمهُ الى الملك . فاعطاه الملك
للساعي . فاخذهُ الساعي وقبل يدي الملك ومضى من عنده شاكرًا لله تعالى وللملك
على حلمه عليهِ وانطلق وهو يتعجب مماً رأى من حذق الغلام . فلما وصل الى ملكه وكان
دخوله عليهِ في اليوم الثالث بعد ثلاثة الايام المحدودة له . وكان الملك في ذلك الوقت
ناصب الديوان بسبب تأخير الساعي عن المدة المحدودة لهُ . فلما دخل عليهِ سجد بين
يديه ثم اعطاهُ الكتاب . فأخذهُ وسأل الساعي عن سبب ابطائه وعن احوال الملك
وردخان . فقصَّ عليهِ القصة وحكى لهُ جميع ما نظرهُ بعينه وسمعه بأُذنه . فاندهش عقل
الملك وقال للساعي : ويحك ما هذه الاخبار التي تخبرني بها عن مثل هذا الملك . فاجابهُ
الساعي قائلًا : ايها الملك العزيز ها انا بين يديك فافتح الكتاب واقرأهُ يظهر لك الصدق
من الكذب . فعند ذلك فتح الملك الكتاب وقرأهُ ونظر فيهِ صورة الغلام الذي كتبه
فأيقن بزوال ملكه وتحير فيما يكون من امره . ثم التفت الى وزرائه وعظماء دولته
واخبرهم بمـا جرى وقرأ عليهم الكتاب . فارتاعوا لذلك وارتعبوا رعباً عظيماً وصاروا
يسكنون روع الملك بكلام من ظاهر اللسان وقلوبهم تتمزَّق من الخفقان . ثم ان بديعاً
الوزير الكبير قال : اعلم ايها الملك ان الذي يقولهُ اخوتي من الوزراء لا فائدة فيهِ .
والرأي عندي انك تكتب لهذا الملك كتاباً وتعتذر اليهِ فيهِ وتقول له : انا محبٌّ لك
ولوالدك من قبلك وما ارسلنا اليك الساعي بهذا الكتاب الَّا على طريق الامتحان لك

القصاص . ولكن نحن نتحمل ذلك لاجل عود جوابك لهذا الملك الاحمق . والانسب ان لا يردّ لهُ جوابًا عنّا الّا اقلّ صبيان المكتب . ودعا بحضور ذلك الغلام لحضر . ولما دخل على الملك والساعي حاضر سجد لله ودعا للملك بدوام العزّ والبقاء . فعند ذلك رمى الملك الكتاب للغلام وقال لهُ : اقرأ هذا الكتاب واكتب جوابه بسرعة . فاخذ الغلام الكتاب وقرأه وتبسم بالضحك وقال للملك : هل ارسالك خلفي لاجل جواب هذا الكتاب . فقال لهُ : نعم

(الليلة السابعة والعشرون بعد التسعمائة) . فاجاب بمزيد السمع والطاعة واخرج الدواة والقرطاس وكتب : بسم الله الرحمن الرحيم . السلام على من فاز بالامان . ورحمة الرحمن . اما بعد فاني اعلمك ايها المدعوّ ملكًا كبيرًا اسمًا لا رسمًا انهُ قد وصل الينـــا كتابك وقرأناهُ وفهمنا ما فيهِ من الخرافات وغريب الهذيانات . فتحققنا جهلك وبغيك علينا . وقد مددت يديك الى ما لا تقدر عليهِ . ولولا ان الرأفة اخذتنا على خلق الله والرعية لما تأخرنا عنك . واما رسولك فانهُ خرج الى السوق ونشر اخبـــار كتابك على الخاصّ والعام فاستحق منّا القصاص . ولكن ابقيناهُ رحمة منّا لهُ لكونه معذورًا معك ولم نترك قصاصه وقارًا لك . فاما ما ذكرتهُ في كتابك من قتلي لوزرائي وعلمائي وكبراء مملكتي فان ذلك حقّ ولكن لسببٍ قام عنـــدي . وما قتلت من العلماء واحدًا الّا وعندي من جنسه الف اعلم منهُ وافهم واعقل . وليس عندي طفل الّا وهو ممتلئٌ من العلوم . وعندي عوضًا عن كل واحد من المقتولين من فضلاء نوعه ما لا اقدر ان احصيه . وكل واحد من عسكري يقاوم كردوسًا من عسكرك . واما من جهة المال فان عندي معمل الذهب والفضة . واما المعادن فانها عندي كقطع الحجارة . واما اهـــل مملكتي فاني لا اقدر ان اصف لك حسنهم وجمالهم وغناهم . فكيف تجاسرت علينا وقلت لنا ابنِ لي قصرًا في وسط البحر . فان هذا امر عجيب ولعلهُ ناشئٌ عن سخافة عقلك . لانهُ لو كان لك عقل لكنت فحصت عن دفعات الامواج وحركات الرياح وانا ابني لك القصر . واما زعمك انك تظفر بي فحاشَ لله من ذلك . كيف يبغي علينـــا

قالت القدماء: العفو من شيم الكرام. واعلم ان تأخير الجواب عنك ليس عجزًا منّا وانما هو لزيادة اشغالنا وقلة تفرّغنا لكتابة جواب ملككم. ثم اطلب الكتاب واقرأهُ ثانيًا. وبعد ان تفرغ من قراءته أكثر من الضحك وقل لهُ: هل معك كتاب غير هذا الكتاب فنكتب جوابًا لهُ ايضًا. فيقول لك: ليس معي كتاب غير هذا الكتاب. فأعد عليه القول وثانيًا وثالثًا. فيقول لك: ليس معي غيره اصلًا. فقل لهُ: ان ملككم هذا معدوم العقل حيث ذكر في هذا الكتاب كلامًا يريد بهِ تقويم نفوسنا لاجل ان نتوجه بعسكرنا اليهِ فنغزو بلاده ونأخذ مملكته. ولكن لا نؤاخذه في هذه المرة على اساءة ادبه بهذا المكتوب لانهُ قاصر العقل ضعيف الحزم. فالمناسب لمقدرتنا ان نُنذره اولًا ونحذره من ان يعود لمثل هذه الهذيانات. فان خاطر بنفسه وعاد الى مثلها استحقَّ البلاء عاجلًا. واظنّ ان الملك الذي ارسلك جاهل احمق غير مفكر في العواقب وليس لهُ وزير عاقل سديد الرأي يستشيره. ولو كان عاقلًا لاستشارَ وزيرًا قبل ان يرسل الينا مثل هذا الكلام السخرية. ولكن لهُ عندي جواب مثل كتابه وازيد وانا ادفع كتابه لبعض صبيان المكتب ليجيبه. ثم ارسِل اليَّ واطلبني. فاذا حضرت بين يديك فأذن لي بقراءة الكتاب وردّ جوابه. فعند ذلك انشرح صدر الملك واستحسن رأي الغلام واعجبتهُ حيلتهُ فانعم عليه وخوَّلهُ رتبة والده وصرفه مسرورًا. فلما انقضت الثلثة الايام التي جعلها مهلة للساعي جاء الساعي ودخل على الملك وطلب الجواب. فامهله الملك الى يوم آخر. فخرج الساعي الى آخر البساط وتكلم بكلام غير لائق مثل ما قال الغلام. ثم خرج الى السوق وقال: يا اهل هذه المدينة اني رسول ملك الهند الاقصى الى ملككم جئتهُ برسالة وهو يماطلني في جوابها وقد انقضت المدة التي حدَّدها لي ملكنا ولم يبقَ لملككم عذر فانتم تكونون شهداء على ذلك. فلما بلغ الملك هذا الكلام ارسل الى ذلك الساعي واحضره بين يديه وقال لهُ: ايها الساعي في اتلاف نفسه ألست ناقلًا كتاب من ملك الى ملك وبينهما اسرار فكيف تخرج بين الناس وتظهر اسرار الملوك على العامة. لقد استحقيت منّا

بجهلي . وسوء تدبير النساء وكيدهنَّ عظيم . ولكن اسألكَ ان تكون مسامحًا لي . واني جاعلك في موضع ابيك واعلى مقامًا من مقامه . واذا زالت هذه النقمة النازلة بنا طوقتك بطوق الذهب واركبتك اعزّ مركوب وأمرت المنادي ان ينادي قدّامك قائلًا : هذا الولد العزيز صاحب الكرسي الثاني بعد الملك . واما ما ذكرت من امر النساء فاني اضمرت الانتقام منهنَّ وجعلتهُ في الوقت الذي يريده الله تعالى . فاخبرني بما عندك من التدبير ليطمئنَّ قلبي . فاجابهُ الغلام قائلًا : اعطني عهدًا انك لا تخالف رأيي فيما اذكره لك وان اكون مما اخشاه في امان . فقال لهُ الملك : هذا عهد الله بيني وبينك اني لا اخرج عن كلامك وانك عندي صاحب المشورة ومهما امرتني بهِ فعلتهُ والشاهد بيني وبينك على ما اقول هو الله تعالى . فعند ذلك انشرح صدر الغلام واتسع عنده مجال الكلام فقال : ايها الملك ان التدبير والحيلة عندي انك تنظر الوقت الذي يحضر لك فيهِ الساعي طالبًا للجواب بعد المهلة التي امهلته اياها . فاذا حضر بين يديك وطلب الجواب ادفعهُ عنك وامهلهُ الى يوم آخر . فعند ذلك يعتذر اليك بان ملكهُ حدَّد عليهِ اياماً معلومة ويراجعك في كلامك . فاطرحهُ وامهلهُ الى يوم آخر ولا تعين لهُ ذلك اليوم فيخرج من عندك غضبان ويتوجه الى وسط المدينة ويتكلم جهرًا بين الناس ويقول : يا اهل المدينة اني ساعي ملك الهند الاقصى وهو صاحب بأس شديد وعزم يلين الحديد . وقد ارسلني بكتاب الى ملك هذه المدينة وحدَّد لي اياماً وقال : ان لم تحضر عقب الايام التي حدَّدتها لك حلَّت بك نقمتي . وها انا جئت الى ملك هذه المدينة واعطيتهُ الكتاب . فلما قرأهُ امهلني ثلثة ايام ثم يعطيني جواب ذلك الكتاب . فاجبتهُ الى ذلك لطفًا بهِ ورعايةً لخاطره . وقد مضت الثلثة الايام واتيت اطلب منهُ الجواب فأمهلني الى يوم آخر . وانا ليس عندي صبر . فها انا منطلق الى سيدي ملك الهند الاقصى واخبرهُ بما وقع لي . وانتم ايها القوم شاهدون بيني وبينه فعند ذلك يبلغك كلامه فارسل اليهِ واحضره بين يديك وكلمه بلطف وقل لهُ : ايها الساعي لاتلاف نفسه ما الذي حملك على ملامتنا بين رعيتنا لقد استحقيت منّا التلف عاجلًا . ولكن

فتعهد الملك ذلك المكان. ثم انهُ ودّع الغلام ورجع الى مملكته مسروراً

فلما استقرّ في بيته لبس ثيابه ودعا بالطعام والشراب ومنع عنهُ النساء. واكل وشرب وشكر الله تعالى وطلب منهُ النجاة والمعونة والمغفرة والعفو عمّا فعل بعلماء دولته ورؤسائهم. ثم تاب الى الله توبة خالصة وافترض على نفسه الصوم والصلاة الكثيرة بالنذر. ودعا باحد غلمانهُ الخواص ووصف لهُ مكان الغلام وامره ان ينطلق اليهِ ويحضرهُ بين يديه برفق. فمضى ذلك العبد الى الغلام وقال لهُ: ان الملك يدعوك لخيرٍ يصل اليك من قبله ويسألك سؤالاً ثم تعود في خيرٍ الى منزلك. فاجاب الغلام قائلاً: وما حاجة الملك التي دعاني من اجلها. قال لهُ الخادم: ان حاجة مولاي التي دعاك من اجلها هي سؤال وجواب. فقال لهُ الغلام: الف سمع والف طاعة لامر الملك. ثم سار معهُ حتى وصل الى الملك. فلما صار بين يديه سجد لله ودعا للملك بعد ان سلّم عليهِ فردّ الملك عليهِ السلام وأمره بالجلوس فجلس

(الليلة السادسة والعشرون بعد التسعمائة). فقال لهُ: هل تعرف من تكلم معك بالامس. قال الغلام: نعم. قال لهُ: فاين هو. فاجابهُ بقولهِ: هو الذي يكلمني في هذا الوقت. فقال لهُ الملك: لقد صدقت ايها الحبيب. ثم أمر الملك بوضع كرسي في جانب كرسيهِ واجلسهُ عليهِ وأمر باحضار اكل وشرب. ثم امتزجا في الحديث الى ان قال الملك للغلام: انك ايها الوزير حدّثتني بالامس حديثاً وذكرت فيهِ ان معك حيلة تدفع بها عنّا كيد ملك الهند. فما هي الحيلة وكيف التدبير في دفع شرّه عنّا. فاخبرني لكي اجعلك اول من يتكلم معي في الملك واصطفيك وزيرا لي واكون تابعاً لرأيك في كل ما اشرت بهِ عليّ واجيزك جائزة سنية. فقال لهُ الغلام: جائزتك لك ايها الملك والمشورة والتدبير عند نسائك اللاتي اشرنَ عليك بقتل والدي شماس مع بقية الوزراء. فلما سمع الملك منهُ ذلك خجل وتنهد وقال: ايها الولد الحبيب وهل شماس والدك كما ذكرت. فاجابهُ الغلام قائلاً: ان شماساً والدي حقّاً وانا ولدهُ صدقاً. فعند ذلك خشع الملك ودمعت عيناه واستغفر الله وقال: ايها الغلام اني فعلت ذلك

يحتل ملكنا فيما يمنعهُ منهُ وقع في الهلكة. وبعد هلاك ملكنا يأخذ هذا الملك ارزاقنا ويقتل رجالنا ويسبي حريمنا. فلما سمع الملك منهما هذا الكلام زاد اضطرابًا ومال اليهما وقال في نفسه: ان هذا الغلام لحكيم لكونه اخبر عن شيء لم يبلغه مني. فان الكتاب الذي جاء من ملك اقصى الهند عندي والسرّ معي ولم يطلع لحد على هذا الخبر غيري فكيف علم هذا الغلام بهِ. ولكن انا التجئ اليهِ واكلمه واسأل الله ان يكون خلاصنا لديه. ثم ان الملك دنا من الغلام بلطف وقال لهُ: ايها الولد الحبيب ما هذا الذي ذكرتهُ من اجل ملكنا فانهُ قد اساء كل الاساءة في قتل وزرائه وكبراء دولته. لكنهُ في الحقيقة قد اساء نفسهُ ورعيته. وانت صدقت فيما قلته. ولكن عرّفني ايها الولد من اين عرفت ان ملك الهند الاقصى كتب الى ملكنا كتابًا ووبخهُ فيهِ وقال لهُ هذا الكلام الصعب الذي قلتهُ. قال لهُ الغلام: قد علمت هذا من قول القدماء انهُ ليس يخفى على الله خافية. والخلق من بني آدم فيهم روحانية تظهر لهم الاسرار الخفية. فقال لهُ: صدقت يا ولدي ولكن هل لملكنا حيلة او تدبير يدفع بهِ عن نفسه وعن مملكته هذا البلاء العظيم. فاجاب الغلام قائلًا: نعم اذا ارسل الملك اليَّ وسألني ماذا يصنعه ليدفع بهِ عدوه وينجو من كيده اخبرتهُ بما فيهِ نجاته بقوة الله تعالى. قال لهُ الملك: ومن يُعلم الملك بذلك حتى يرسل اليك ويدعوك. فاجابهُ قائلًا: اني سمعت عنهُ انهُ يفتش على اهل الخبرة والرأي الرشيد. واذا ارسل اليَّ سرت معهم اليهِ وعرّفته بما فيهِ صلاحه ودفع البلاء عنهُ. وان اهمل هذا الامر العسير واشتغل بلهوه مع نسائه واردت اني اعلمه بما فيهِ نجاته وتوجهت اليهِ من تلقاء نفسي فانهُ يأمر بقتلي مثل اولئك الوزراء وتكون معرفتي بهِ سببًا لهلاكي وتستقلّ الناس بي ويستنقصون عقلي واكون من مضمون قول من قال: من كان علمهُ اكثر من عقله هلك ذلك العالم بجهله. فلما سمع الملك كلام الغلام تحقق حكمته وتبين فضيلته وتيقن ان النجاة تحصل لهُ ولرعيته على يديه. فعند ذلك اعاد الملك الكلام على الغلام وقال لهُ: من اين انت واين بيتك. فقال لهُ الغلام: ان هذا الحائط يوصل الى بيتنا.

بمن له رأي سديد يرشدني الى ما فيهِ خلاصي وقعت في المملكة العظيمة

(الليلة الخامسة والعشرون بعد التسعمائة) . ثم انهُ قام ودخل مرقده بعد ان نعى الوزراء والحكماء قائلًا: يا ليت هؤلاء الأسود عندي في هذا الوقت ولو ساعة واحدة حتى اعتذر اليهم وانظرهم واشكو اليهم امري وما حلَّ بي بعدهم. ولم يزل غريقًا في بحر الهمّ طول نهاره لا يأكل ولا يشرب. فلما جنَّ الليل قام وغيَّر لباسه ولبس ثيابًا رديئة وتنكَّر وخرج يسوح في المدينة لعلهُ يسمع من احد كلمة يرتاح بها. فبينما هو يطوف في الشوارع واذا هو بغلامين مختليين بانفسهما جالسين بجانب حائط وهما متساويان في السن. عمر كل واحد منهما اثنتا عشرة سنة. فسمعهما يتحدثان مع بعضهما. فدنا منهما الملك بحيث يسمع كلامهما ويفهمه. فسمع واحدًا منهما يقول للآخر: اسمع يا اخي ما حكاه لي والدي ليلة امس من اجل ما وقع لهُ في زرعه ويبسه قبل اوانه بسبب عدم المطر وكثرة البلاء الحاصل في هذه المدينة. فقال له الآخر: أتعرف ما سبب هذا البلاء. قال له: لا. فان كنت تعرفه انت فاذكره لي. فاجابهُ قائلًا: نعم اعرفه واخبرك بهِ. اعلم ان بعض اصحاب والدي قال لي ان ملكنا قد قتل وزراءه وعظماء دولته من غير ذنب جنوه بل من اجل حبه للنساء وميله اليهنَّ. وان الوزراء نهوهُ عن ذلك فلم ينتهِ وأمر بقتلهم طاعةً لنسائه حتى انهُ قتل شماس والدي وزيره ووزيرِ والده من قبله وكان صاحب مشورته. ولكن سوف تنظر ما يفعل الله بهِ بسبب ذنوبهم فسينتقم لهم منهُ. فقال الغلام: وما عسى ان يفعل الله بهِ بعد هلاكهم. قال لهُ: اعلم ان ملك الهند الاقصى قد استخفَّ بملكنا وبعث اليهِ كتابًا يوبخهُ فيهِ ويقول لهُ: ابنِ لي قصرًا في وسط البحر. وان لم تفعل ذلك فانا ارسل اليك اثني عشر كردوسًا كل كردوس فيهِ مائة الف مقاتل. وأجعل قائد هذه العساكر بديعًا وزيري فيأخذ ملكك ويقتل رجالك ويسبيك مع حريمك. فلما جاءهُ رسول ملك الهند الاقصى بهذا الكتاب امهلهُ ثلاثة ايام. واعلم يا اخي ان ذلك الملك جبار عنيد. ذو قوة وبأس شديد. وفي مملكتهِ خلق كثير. وان لم

الاوقات لا راحة لهُ لكونه لا ناله من الخير ربع ما يحصل لهُ من المشقة. وغاية المقصود للشخص الرفاهية والراحة. ونحن قد جعل الله بيننا وبينك المحبة والالفة ونخشى عليك ممن يصطادك من اعدائك فتهلك ونحرم من رؤية وجهك. فاجابها الدراج قائلًا: صدقتِ ولكن ما عندكِ من الرأي والحيلة في امري. فقالت لهُ: الرأي عندي ان تنتف سواعدكَ التي تسرع بطيرانكَ وتقعد عندنا مستريحًا وتأكل من اكلنا وتشرب من شربنا في هذه المسرحة الكثيرة الاشجار اليانعة الاثمار ونقيم نحن وانت في هذا الموضع المخصب ويتمتع كل منّا بصاحبه. فمال الدراج الى قولها وقصد الراحة لنفسه. ثم نتف ريشه واحدة بعد واحدة حكم ما استحسنه من رأي السلحفاة واستقرَّ عندهنَّ عائشًا معهنَّ ورضي باللذة اليسيرة والطرب الزائل. فبينما هم على تلك الحالة واذا بابن عرس قد مرَّ عليه فرمقهُ بعينه وتأمله فرآه مقصوص الجناح لا يستطيع النهوض. فلما رآه على تلك الحالة فرح بهِ فرحًا شديدًا وقال في نفسه: ان هذا الدراج سمين اللحم قليل الريش. ثم دنا منهُ ابن عرس وافترسه. فصاح الدراج وطلب النجدة من السلاحف فلم ينجدنهُ بل تباعدنَ عنهُ وانكمشنَ في بعضهنَّ لما رأينَ ابن عرس قابضًا عليهِ. وحيث رأينَ ابن عرس يعذبه خنقهنَّ البكاء عليهِ. فقال لهنَّ الدراج: هل عندكنَّ شيء غير البكاء. فقلنَ لهُ: يا اخانا ليس لنا قوة ولا طاقة ولا حيلة في امر ابن عرس. فحزن الدراج عند ذلك وقطع الرجاء من حياة نفسه وقال لهنَّ: ليس لكنَّ ذنب انما الذنب لي حيث اطعتكنَّ ونتفت اجنحتي التي اطير بها. فانا استحق الهلاك لمطاوعتي لكنَّ ولا ألومكنَّ في شيء.

وانا الآن لا الومكنَّ ايها النساء بل الوم نفسي واؤدبها حيث لم نتذكر انكنَّ سبب الهفوة التي حصلت من ابينا آدم ولاجلها خرج من الجنة. ونسيت انكنَّ اصل كل شرّ فاطعتكنَّ بجهلي وخطإِ رأيي وسوء تدبيري وقتلت وزرائي وحكام مملكتي الذين كانوا اليَّ نصحاء في كل الامور وكانوا عزّتي وقوّتي على كل امر اهمني. فانا الآن لم اجد عوضًا عنهم ولا ارى احدًا يقوم مقامهم. وان لم يفتح الله عليَّ

فلما اضرَّ بهِ ذلك حطَّ من طيرانه في تلك الجزيرة التي بها تلك السلاحف. فلما رأى السلاحف التجأ اليها وتزل عندها. وكانت السلاحف ترعى في جهات الجزيرة ثم ترجع الى مكانها. فلما رجعت من مسارحها الى مكانها رأت الدراج فيهِ. فلما رأتهُ اعجبها وزيَّنه الله لها فسبحت خالقها واحبت هذا الدراج حبًّا شديدًا وفرحت بهِ. ثم قال بعضها لبعض: لا شكَّ ان هذا من احسن الطيور فصارت كلها تلاطفه وتجنح اليهِ. فلما رأى منها عين المحبة مال اليها واستأنس بها وصار يطير الى اي جهة اراد وعند المساء يرجع الى المبيت عندها فاذا اصبح الصباح يطير الى حيث اراد. وصارت هذه عادته واستمرَّ على هذا الحال مدَّة من الزمان. فلما رأت السلاحف ان غيابه عنها يوحشها وتحققت انها لا تراهُ الَّا في الليل واذا اصبح طار مبادرًا ولا تشعر بهِ مع زيادة حبها لهُ قال بعضها لبعض: ان هذا الدراج قد احببناه وصار لنا صديقًا وما بقي لنا قدرة على فراقه. فما يكون من الحيلة الموصلة الى اقامته عندنا دائمًا لانهُ اذا طار يغيب عنَّا النهار كله ولا نراه الَّا في الليل. فاشارت عليها واحدة قائلة: استرحنَ يا اخواتي وانا اجعلهُ لا يفارقنا طرفة عين. فقال لها الجميع: ان فعلتِ ذلك صرنا لكِ كلنا عبيدًا. فلما حضر الدراج من مسرحه وجلس بينها تقرَّبت منهُ السلحفاة المحتالة ودعت لهُ وهنَّتهُ بالسلامة وقالت لهُ: يا سيدي اعلم ان الله قد رزقكَ منا المحبة وكذلك اودع قلبك محبتنا وصرت لنا في هذا القفر انيسًا. واحسن اوقات المحبين اذا كانوا مجتمعين. والبلاء العظيم في البعد والفراق. ولكنك تتركنا عند طلوع الفجر ولم تعد الينا الَّا عند الغروب فيصير عندنا وحشة زائدة. وقد شقَّ علينا ذلك كثيرًا ونحن في وجد عظيم بهذا السبب. فقال لها الدراج: نعم انا عندي محبة لكنَّ واشتياق عظيم اليكنَّ زيادة على ما عندكنَّ. وفراقكنَّ ليس سهلًا عندي. ولكن ما بيدي حيلة في ذلك لكوني طيرًا باجنحة فلا يمكنني المقام معكنَّ دائمًا لان هذا ليس من طبعي. فان الطير ذا الاجنحة ليس لهُ مستقرّ الَّا في الليل لاجل النوم واذا اصبح طار وسرح في ايّ موضع اعجبه. فقالت لهُ السلحفاة: صدقت ولكن ذو الاجنحة في غالب

نفسك فيهِ من البلاء حتى لم يبقَ لك طاقة ولا قوَّة على دفع من يصول عليك حين طغيت وافسدت. وان الله قد اعطاني النصر عليك وظفرني بك فاسمع كلامي وامتثل امري وابنِ لي قصرًا منيعاً في وسط البحر. وان لم تقدر على ذلك فاخرج من بلادك وفُز بنفسك. فاني باعث اليك من اقصى الهند اثني عشر كردوساً كل كردوس اثنا عشر الف مقاتل. فيدخلون بلادك وينهبون اموالك ويقتلون رجالك ويسبون حريمك. وأجعل قائدهم بديعاً وزيري وآمرهُ ان يرسخ عليها محاصرًا الى ان يملكها. وقد امرت هذا الغلام المرسَل اليك انهُ لا يقيم عندك غير ثلاثة ايام. فان امتثلت امري نجوتَ والَّا ارسلت اليك ما ذكرته لك. ثم ختم الكتاب واعطاهُ للرسول. فسار بهِ حتى وصل الى تلك المدينة ودخل على الملك واعطاهُ الكتاب. فلما قرأهُ الملك ضعفت قوَّته وضاق صدره والتبس عليهِ امره وتحقق الهلاك ولم يجد من يستشيره ولا من يستعين بهِ ولا من ينجده. فقام ودخل على زوجته وهو متغير اللون. فقالت لهُ: ما شأنك ايها الملك. فقال لها: لستُ اليوم بملك ولكني عبد الملك. ثم فتح الكتاب وقرأهُ عليها. فلما سمعتهُ اخذت في البكاء والنحيب وشقت ثيابها. فقال لها الملك: هل عندكِ شيء من الرأي والحيلة في هذا الامر العسير. فقالت لهُ: وما عند النساء من الحيلة في الحروب. والنساء لا قوَّة لهنَّ ولا رأي لهنَّ وانما القوَّة والرأي والحيلة للرجال في مثل هذا الامر. فلما سمع الملك منها ذلك الكلام حصل لهُ غاية الندم والتأسف والكآبة على ما فرط منهُ من قتل وزرائه واشراف رعيته وتمنَّى الموت لنفسه قبل ان يرد عليه مثل هذا الخبر الفظيع

(الليلة الرابعة والعشرون بعد التسعمائة). ثم قال لنسائه: لقد وقع لي منكنَّ ما وقع للدرَّاج مع السلاحف. فقلنَ لهُ. وكيف كان ذلك

حكاية الدرَّاج والسلاحف

فقال الملك: زعموا ان سلاحف كانت في جزيرة من الجزائر. وكانت تلك الجزيرة ذات اشجار واثمار وانهار. فاتفق ان درَّاجاً اجتاز بها يوماً وقد اصابهُ الحرّ والتعب.

ذلك اني اقعد في هذا المقعد في هذه المقصورة في غد وآذن لهم بالدخول عليَّ واحدًا بعد واحد وان يدخلوا من باب ويخرجوا من آخر . فقفوا انتم العشرة بين يديَّ فاهمين لاشارتي . وكلما يدخل واحد فخذوهُ وادخلوا بهِ هذا البيت واقتلوهُ وأخفوا جثته . فقالوا: سمعًا لقولك وطاعةً لامرك . فعند ذلك احسن اليهم وصرفهم وبات . فلما اصبح طلبهم وامر بنصب السرير ثم لبس ثياب الملك واخذ في يده كتاب القضاء وامر بفتح الباب ففتح . واوقف العشرة العبيد بين يديه ونادى المنادي: من كان لهُ حكومة فليحضر الى بساط الملك . فأتى الوزراء والقوَّاد والحجَّاب ووقف كل واحد في مرتبته . ثم امر بالدخول واحدًا بعد واحد . فدخل شماس الوزير اولاً كما هي عادة الوزير الاكبر . فلما دخل واستقرَّ قدَّام الملك لم يشعر الَّا والعشرة العبيد محتاطون بهِ واخذوه وادخلوهُ البيت وقتلوهُ . واقبلوا على باقي الوزراء ثم العلماء ثم الصلحاء فصاروا يقتلونهم واحدًا بعد واحد حتى فرغوا من الجميع . ثم دعا بالجلَّادين وامرهم بحطّ السيف في من بقي منهم من اهل الشجاعة وقوَّة البأس . فلم يتركوا احدًا ممن يعرفون ان لهُ شهامة الَّا قتلوهُ ولم يتركوا الَّا سفلة الناس ورعاعهم . ثم طردوهم ولحق كل واحد منهم بأهله . ثم بعد ذلك اختلى الملك بلذَّاته واعطى نفسه شهواتها واتَّبع البغي والجور والظلم حتى سبق من تقدَّمهُ من اهل الشرّ . وكانت بلاد هذا الملك معدن الذهب والفضة والياقوت والجواهر . وجميع من حوله من الملوك يحسدونه على هذه المملكة ويتوقعون لهُ البلاء . فقال في نفسه بعض الملوك المجاورين لهُ : اني ظفرت بما كنت اريد من اخذ هذه المملكة من يد هذا الولد الجاهل بسبب ما حصل من قتله لاكابر دولته واهل الشجاعة والنجدة الذين كانوا في ارضه . فهذا هو وقت الفرصة وانتزاع ما في يده لكونه صغيرًا ولا دراية لهُ بالحرب ولا رأي لهُ ولم يبقَ عندهُ من يرشدهُ ولا يعضدهُ . فانا اليوم افتح معهُ باب الشرّ وهو اني اكتب لهُ كتابًا واعبث بهِ فيهِ وأُبكّتهُ على ما حصل منهُ وانظر ما يكون من جوابه . فكتب لهُ مكتوبًا مضمونه : بسم الله الرحمن الرحيم . اما بعد فقد بلغني ما فعلت بوزرائك وعلمائك وجبابرتك وما اوقعت

غير عالمين بما انا فيهِ من المرض . فاخرج اليهم وأعلمهم بحالي وما انا فيهِ واعتذر اليهم عني فاني تابع لما يقولون وفاعل لما يحبُّون . فاصلح هذا الامر واضمن لهم عني ذلك فانك نصيح لي ولوالدي من قبلي وعادتك الاصلاح بين الناس . وان شاء الله تعالى في غد اخرج اليهم ولعلَّ مرضي ان يزول عني في هذه الليلة ببركة صالح نيتي وما اضمرهُ لهم من الخير في سريرتي . فسجد شماس لله ودعا للملك وقبل يديه وفرح بذلك وخرج الى الناس واخبرهم بما سمعهُ من الملك ونهاهم عمَّا ارادوه واعلمهم بالعذر من سبب امتناع الملك عن الخروج . واخبرهم انهُ وعدهُ في غد بالخروج اليهم وانهُ يصنع لهم ما يحبُّون . فانصرفوا عند ذلك الى منازلهم . هذا ما كان من امرهم

(الليلة الثالثة والعشرون بعد التسعمائة) . واما ما كان من امر الملك فانهُ بعث الى العشرة العبيد الجبابرة الذين اختارهم من جبابرة ابيهِ وكانوا ذوي عزم جليد وبأس شديد وقال لهم : قد علمتم ما كان لكم عند والدي من الحظوة ورفعة الشأن والاحسان اليكم مع لطفه بكم واكرامه اياكم . فانا اتركم بعده عندي في درجة ارفع من تلك الدرجة وسأُعرّفكم سبب ذلك وانتم في امان الله مني . ولكن اسألكم عن مسألة هل تكونون معي فيها طائعين لامري فيما اقولهُ لكم كاتمين لسرّي عن جميع الناس ولكم مني الاحسان فوق ما تريدون حيث امتثلتم امري . فاجابهُ العشرة من فم واحد وكلام متوارد قائلين : جميع ما تأْمرنا بهِ يا سيدنا نحن بهِ عاملون ولا نخرج عمَّا تشير بهِ علينا مطلقًا وانت وليّ امرنا . فقال لهم : احسن الله لكم . فانا الآن اعرّفكم سبب اختصاصكم لمزيد الاكرام عندي . وهو انكم قد علمتم ما كان يفعلهُ ابي باهل مملكته من الاكرام وما عاهدهم عليهِ من امري واقرارهم لهُ بانهم لا ينكثون لي عهدًا ولا يخالفون امري . وقد نظرتم ما كان منهم بالأمس حيث اجتمعوا جميعًا حولي يريدون قتلي . وانا اريد ان اصنع بهم امرًا . وذلك اني نظرت ما كان منهم بالأمس فرأيت انهم لا يزجرهم عن مثله الَّا نكالهم . فلا بدّ ان اوكلكم بقتل من اشير لكم بقتله سرًا حتى ادفع الشرّ والبلاء عن بلادي بقتل اكابرهم ورؤسائهم . وطريقة

عليَّ لافعله وما الحيلة في هذا الامر. فقالت لهُ: الرأي عندي انك تعصب رأسك بعصابة وتظهر نفسك انك مريض. ثم ترسل الى الوزير شماس فيحضر اليك ويرى حالك الذي انت فيهِ. فاذا حضر فقل لهُ: قد اردت الخروج الى الناس في هذا اليوم فمنعني هذا المرض فاخرج الى الناس واخبرهم بما انا فيهِ واخبرهم اني في غد اخرج اليهم وأقضي حوائجهم وأنظر في احوالهم. ليطمئنوا ويسكن غيظهم. واذا اصبحتَ فاستدعِ بعشرة من عبيد ابيك يكونون من اهل البأس والقوة وتكون آمناً على نفسك منهم ويكونون سامعين لقولك طائعين لامرك كاتمين لسرّك حافظين لودّك. ثم اوقفهم على رأسك وأمرهم ان لا يمكنوا احدًا من الدخول عليك الَّا واحدًا بعد واحد. فاذا دخل واحد فقل لهم: خذوه واقتلوه. واذا اتفقوا معك على ذلك فأصبح ناصباً كرسيك في ديوانك وافتح بابك. فانهم اذا رأوكِ فتحت الباب طابت نفوسهم واتوا لك بقلبٍ سليم واستأذنوا في الدخول عليك. فأذن لهم في الدخول واحدًا بعد واحد كما قلت لك وافعل بهم مرادك. ولكن ينبغي ان تبدأ بقتل شماس الكبير اولهم فانهُ هو الوزير الاعظم وهو صاحب الامر فاقتلهُ اولًا. ثم بعد ذلك اقتل الجميع واحدًا بعد واحدًا ولا تبقِ منهم من تعرف انهُ ينكث لك عهدًا وكذلك كل من تخاف صولته. فانك اذا فعلت بهم ذلك فانهم لا يبقى لهم قوة عليك وتستريح منهم الراحة الكلية ويصفو لك الملك وتعمل ما تحبّ. واعلم انهُ لا حيلة لك انفع من هذه الحيلة. فقال لها الملك: ان رأيكِ هذا سديد وامركِ فيهِ رشيد. فلا بدَّ ان اعمل ما ذكرتِ. ثم أمر بعصابة فشدَّ بها رأسه وتضاعف وارسل الى شماس. فلما حضر بين يديهِ قال لهُ: يا شماس قد علمت اني لك محب ولرأيك مطيع وانت لي كالاخ والوالد دون كل احد. وتعرف اني اقبل منك جميع ما أمرتني بهِ. وقد كنت امرتني بالخروج الى الرعية والجلوس لاحكامهم وتحققت انها نصيحة منك لنا. وقد اردت الخروج اليهم بالامس فعرض لي هذا المرض ولست استطيع الجلوس. وقد بلغني ان اهل المملكة متنغصون من عدم خروجي اليهم وهمّوا ان يفعلوا بي ما لا يليق من شرّهم. فانهم

واصطاد اسدًا وسلخ جلده وحشاه تبنًا. ثم اتى بهِ ونصبهُ على محلّ عالٍ في البرية بحيث يراه الراعي ويتحققه. ثم اقبل اللص على الراعي وقال لهُ: ان هذا الاسد قد ارسلني اليك يطلب عشاءه من هذه الغنم. فقال لهُ الراعي: واين الاسد. فقال لهُ اللص: ارفع بصرك ها هو واقف. فرفع الراعي رأسهُ فرأى صورة الاسد

(الليلة الثانية والعشرون بعد التسعمائة). فلما رآها ظنّ انها اسد حقيقة ففزع منها فزعًا شديدًا واخذهُ الرعب وقال للّصّ: يا اخي خذ ما شئت ليس عندي مخالفة. فاخذ اللصّ من الغنم حاجته. وازداد طمعه في الراعي بسبب شدّة خوفه فصار كل قليل يأتي اليهِ ويرعبه ويقول لهُ: ان الاسد يحتاج الى كذا وقصده ان يفعل كذا. ثم يأخذ من الغنم كفايته. ولم يزل اللص مع الراعي على هذه الحالة حتى افنى غالب الغنم

وانما قلت لك هذا الكلام ايها الملك لئلَّا يغترّ كبراء دولتك هؤلاء بحلمك ولين جانبك فيطمعوا فيك. والرأي السديد ان يكون موتهم اقرب مما يفعلونه بك. فقبل الملك قولها وقال: اني قبلت منكِ هذه النصيحة ولست مطيعًا لمشورتهم ولا خارجًا اليهم. فلما اصبح الصباح اجتمع الوزراء واكابر الدولة ووجهاء الناس وحمل كل واحد منهم سلاحه معهُ وتوجهوا الى بيت الملك ليهجموا عليهِ ويقتلوه ويولّوا غيره. فلما وصلوا الى بيت الملك سألوا البواب ان يفتح لهم الباب فلم يفتح لهم. فارسلوا ليحضروا نارًا فيحرقوا بها الابواب ثم يدخلوا. فسمع البواب منهم هذا الكلام فانطلق بسرعة واعلم الملك ان الخلق مجتمعون على الباب وقال لهُ: انهم سألوني ان افتح لهم فأَبيت فارسلوا ليحضروا نارًا فيحرقوا بها الابواب ثم يدخلوا عليك ويقتلوك. فماذا تأمرني. فقال الملك في نفسه: اني وقعت في الهلكة العظيمة. ثم ارسل خلف المرأة فحضرت. فقال: ان شماسًا لم يخبرني بشيء. الَّا وقد وجدته صحيحًا. وقد حضر الخاص والعام من الناس يريدون قتلي وقتلكم. ولما لم يفتح لهم البواب ارسلوا ليحضروا النار فيحرقوا الابواب فيحترق البيت ونحن داخله فماذا تشيرين علينا. فقالت لهُ المرأة: لا بأس عليك ولا يهولنَّك امرهم فان هذا زمان يقوم فيهِ السفهاء على ملوكهم. فقال لها الملك: فما تشيرين به

طلب الفرار من قدامه. فجرى الاسد خلفه وقبض عليهِ ومزَّقه قطعاً ومكَّن الثعالب من فريستهم

فمن هذا عرفنا انهُ لا ينبغي لاحد من الملوك ان يتهاون في امر رعيته. فاقبل نصيحتي وصدّق القول الذي قلتهُ لك. واعلم ان اباك قبل وفاته قد اوصاك بقبول النصيحة. وهذا آخر كلامي معك والسلام. فقال الملك: اني سامع منك وفي غد ان شاء الله تعالى اطلع اليهم. فخرج شماس من عنده واخبرهم بان الملك قبل نصيحته ووعده انهُ في غد يخرج اليهم. فلما سمعت زوجة الملك ذلك الكلام منقولاً عن شماس وتحققت انهُ لا بدَّ من خروج الملك الى الرعية اقبلت على الملك مسرعة وقالت لهُ: ما اكثر تعجبي من اذعانك وطاعتك لعبيدك. اما تعلم ان وزراءك هؤلاء عبيدٌ لك. فلاي شيء رفعتهم هذه الرفعة العظيمة حتى اوهمتهم انهم هم الذين اعطوك هذا الملك ورفعوك هذه الرفعة وانهم اعطوك العطايا مع انهم لم يقدروا ان يفعلوا معك ادنى مكروه. فكان من حقك عدم الخضوع لهم بل من حقهم الخضوع لك وتنفيذ امورك. فكيف تكون مرعوباً منهم هذا الرعب العظيم. وقد قيل: اذا لم يكن قلبك مثل الحديد لا تصلح ان تكون ملكاً. وهؤلاء غرَّهم حلمك حتى تجاسروا عليك ونبذوا طاعتك مع انهُ ينبغي ان يكونوا مقهورين على طاعتك مجبورين على الانقياد اليك. فان انت سارعت لقبول كلامهم واهملتهم على ما هم فيهِ وقضيت لهم ادنى حاجة على غير مرادك ثقّلوا عليك وطمعوا فيك وتصير لهم هذه عادة. فان اطعتني لا ترفع لاحد منهم شأناً ولا تقبل لاحد منهم كلاماً ولا تطمعهم في التجاسر عليك فتصير مثل الراعي واللص. فقال لها الملك: وكيف كان ذلك.

حكاية الراعي واللص

قالت: زعموا انهُ كان رجل راعي غنم في برية وكان محافظاً على رعاتها. فأتاه لص ذات ليلة يريد ان يسرق من غنمه شيئاً فرآه محافظاً عليها لا ينام ليلاً ولا يغفل نهاراً. فصار يحاوله طول ليله فلم يظفر منهُ بشيء. فلما اعيتهُ الحيلة انطلق الى البرية

اقوى الناس وابوه سابقاً كان سلطاناً علينا ونحن نرجو من الله ان يعدل بيننا . ثم انهم توجهوا اليهِ واخبروه بما صار اليهِ رأيهم وقالوا : لقد حكّمناك بيننا لاجل ان تعطي كل واحد منا ما يقوته في كل يوم على قدر حاجته لئلاً يبغي قوينا على ضعيفنا فيهلك بعضنا بعضاً . فاجابهم الذئب الى قولهم وتعاطى امورهم وقسم عليهم في ذلك اليوم ما كفاهم . فلما كان من الغد قال الذئب في نفسه : ان قسمة هذا الجمل بين هؤلاء العاجزين لا يعود عليَّ منها شيء . الّا الجزء الذي جعلوه لي . وان اكلتهُ وحدي فهم لا يستطيعون لي ضرًا مع انهم غنم لي ولاهل بيتي . فمن الذي يمنعني عن اخذ هذا لنفسي . ولعلَّ الله مسببه لي بغير جميلة منهم . فالاحسن لي ان اختصَّ بهِ دونهم ومن هذا الوقت لا اعطيهم شيئاً . فلما اصبح الثعالب جاؤوا اليهِ على العادة يطلبون منهُ قوتهم . فقالوا لهُ : يا ابا سرحان اعطنا مؤنة يومنا . فاجابهم قائلاً : ما بقي عندي شيء اعطيه لكم . فذهبوا من عنده على اسوإ حال . ثم قالوا : ان الله اوقعنا في همّ عظيم مع هذا الخائن الخبيث الذي لا يتقي الله ولا يخافه . وليس لنا حول ولا قوة . ثم قال بعضهم لبعض : انما حمله على هذا الامر ضرورة الجوع فدعوه اليوم يأكل حتى يشبع وفي غد نذهب اليهِ . فلما اصبحوا توجهوا اليهِ وقالوا لهُ : يا ابا سرحان انما ولَّيناك علينا لاجل ان تدفع لكل واحد منا قوته وتنصف الضعيف من القوي . واذا فرغ تجتهد لنا في تحصيل غيره ونصير دائماً تحت كنفك ورعايتك وقد مسّنا الجوع ولنا يومان ما أكلنا فاعطنا مؤنتنا وانت في حلّ من جميع ما تتصرَّف فيهِ من دون ذلك . فلم يردّ عليهم جواباً بل ازداد قسوة . فراجعوه فلم يرجع . فقال بعضهم لبعض : ليس لنا حيلة الّا اننا ننطلق الى الاسد ونرمي انفسنا عليهِ ونجعل لهُ الجمل . فان احسن لنا بشيء منهُ كان من فضله والّا فهو أحقّ بهِ من هذا الخبيث . ثم انطلقوا الى الاسد واخبروه بما حصل لهم مع الذئب . ثم قالوا لهُ : نحن عبيدك وقد جئناك مستجيرين بك لتخلصنا من هذا الذئب ونصير لك عبيداً . فلما سمع الاسد كلام الثعالب اخذتهُ الحمية وغار لله تعالى ومضى معهم الى الذئب . فلما رأى الذئب الاسد مقبلاً

الصلاحية والحكمة والفصاحة. فليت شعري من الذي حوّلك ونقلك من العلم الى الجهل ومن الوفاء الى الجفاء ومن اللين الى القسوة ومن قبولك مني الى اعراضك عني. فكيف انصحك ثلاث مرات ولا تقبل نصيحتي واشير عليك بالصواب وتخالف مشورتي. فاخبرني ما هذه الغفلة وما هذا اللهو ومَن اغراك عليه. اعلم ان اهل مملكتك قد تواعدوا على انهم يدخلون عليك ويقتلونك ويعطون ملكك لغيرك. فهل لك قوة على جميعهم والنجاة من ايديهم. او تقدر على حياة نفسك بعد قتلها. فان كنت اعطيت هذا كله امنت من قبله فلا حاجة لك بكلامي. وان كانت حاجتك الى الدنيا والملك فأفق لنفسك واضبط ملكك واظهر للناس قوة بأسك واعلمهم باعذارك. فانهم يريدون انتزاع ما في يدك وتسليمه الى غيرك. وقد عزموا على العصيان والمخالفة وصار دليل ذلك ما يعلمونه من صغر سنك ومن انكبابك على اللهو والشهوات. فان الحجارة اذا طال مكثها في الماء متى اخرجت منهُ وضربَ بعضها بعضاً انقدحت منها النار. والآن رعيتك خلق كثير وهم يتوازرون عليك ويريدون نقل الملك منك الى غيرك ويبلغون فيك ما يريدونه من هلاكك. ويكون مثلك مثل الثعلب والذئب

(الليلة الحادية والعشرون بعد التسعمائة). فقال الملك: وكيف كان ذلك

حكاية الثعالب والذئب

قال: زعموا ان جماعةً من الثعالب خرجوا ذات يوم يطلبون ما يأكلون. فبينما هم يجولون في طلب ذلك واذا هم بجمل ميت. فقالوا في انفسهم: قد وجدنا ما نعيش بهِ زمانًا طويلًا ولكن نخاف ان يبغي بعضنا على بعض ويميل القويّ بقوته على الضعيف فيهلك الضعيف منّا. فينبغي لنا ان نطلب حكمًا يحكم بيننا ونجعل لهُ نصيبًا فلا يكون للقويّ سلاطة على الضعيف. فبينما هم يتشاورون في شأن ذلك واذا بذئب أقبل عليهم. فقال بعضهم لبعض: ان أصاب رأيكم فاجعلوا هذا الذئب حكمًا بيننا لانهُ

فقد عرفت ان في باطنك مرضاً خفياً. فان انت اطعتني فداوِ نفسك. فقال التاجر: واين اجد من يعرف دوائي. فقال لهُ اللص: انما المداوي هو الله ولكن الطبيب مثلي يعالج المريض على قدر امكانه. فقال لهُ التاجر: ارني الآن دوائي واعطني منهُ شيئاً. فاعطاهُ سفوفاً فيهِ صبر كثير وقال لهُ: استعمل هذا في هذه الليلة. فاخذهُ منهُ. ولما كان الليل تعاطى منهُ شيئاً فرآهُ صبراً كريه الطعم فلم ينكر منهُ شيئاً. فلما تعاطاهُ وجد منهُ خفة في تلك الليلة. فلما كانت الليلة الثانية جاء اللص ومعهُ دواء فيهِ صبر اكثر من الاول فاعطاهُ منهُ شيئاً. فلما تعاطاهُ اسهلهُ تلك الليلة ولكنهُ صبر على ذلك ولم ينكرهُ. فلما رأى اللص ان التاجر اعتنى بقوله واستأمنه على نفسه وتحقق انهُ لا يخالفه انطلق وجاءهُ بدواء قاتل واعطاهُ لهُ. فاخذهُ منهُ التاجر وشربهُ. فعند ما شرب ذلك الدواء نزل ما كان في بطنه وتقطعت امعاؤهُ واصبح ميتاً. فقام اللصوص واخذوا جميع ما كان للتاجر

واني ايها الملك ما قلت لك هذا الَّا لاجل انك لا تقبل من هذا المخادع كلاماً فتلحقك امور تهلك بها نفسك. فقال الملك: صدقتِ فانا لا اخرج اليهم. فلما اصبح الصباح اجتمع الناس وجاؤا الى باب الملك وقعدوا اكثر النهار حتى يئسوا من خروجه. ثم رجعوا الى شماس وقالوا لهُ: ايها الفيلسوف الحكيم والماهر العليم اما ترى هذا الولد الجاهل لا يزداد الَّا كذباً علينا. وان اخراج الملك من يده واستبدال غيره بهِ فيهِ الصواب فتنتظم بذلك احوالنا وتستقيم امورنا. ولكن ادخل اليهِ ثالثاً واعلمهُ انهُ لا يمنعنا من القيام عليهِ ونزع الملك منهُ الَّا احسان والده الينا وما اخذه علينا من العهود والمواثيق. ونحن مجتمعون في غد عن آخرنا بسلاحنا ونهدم باب هذا الحصن. فان خرج الينا وصنع لنا ما نحب فلا بأس والَّا دخلنا عليهِ وقتلناهُ وجعلنا الملك في يد غيره. فانطلق الوزير شماس ودخل على الملك وقال لهُ: ايها الملك المنهمك في شهواتهِ ولهوهِ ما هذا الذي تصنعه بنفسك. فيا هل ترى من يغريك على هذا. فان كنت انت الجاني على نفسك فقد زال ما نعهده لك من

شماس الى الحاضرين من كبراء المملكة واعلمهم بما قال الملك . فبلغ المرأة ما قالهُ شماس فدخلت على الملك وقالت لهُ : انما الرعية عبيد للملك . والآن رأيت انك ايها الملك عبد لرعيتك بحيث تهابهم وتخاف شرّهم . وهم انما يريدون ان يختبروا باطنك فان وجدوك ضعيفاً تهاونوا بك وان وجدوك شجاعاً هابوك . وكذلك يفعل وزراء السوء بملكهم لان حيَلهم كثيرة . وقد اوضحت لك حقيقة كيدهم . فان وافقتهم على ما يريدون اخرجوك من امرك الى مرادهم ولم يزالوا ينقلونك من امر الى امر حتى يوقعوك في الهلكة . ويكون مثلك مثل التاجر واللصوص . فقال الملك : وكيف كان ذلك . قالت :

حكاية التاجر واللصوص

بلغني انهُ كان تاجر لهُ مال كثير . فانطلق بتجارة ليبيعها في بعض المدن . فلما انتهى الى مدينة اكترى لهُ بها منزلاً ونزل فيهِ . فنظرهُ لصوص كانوا يراقبون التجار لسرقة متاعهم . فانطلقوا الى منزل ذلك التاجر واحتالوا في الدخول عليهِ فلم يجدوا لهم سبيلًا الى ذلك . فقال لهم رئيسهم : انا اكفيكم امره . ثم انهُ انطلق فلبس ثياب الاطباء وجعل على عاتقه جراباً فيهِ شيء من الدواء واقبل ينادي : من يحتاج الى طبيب . حتى وصل الى منزل ذلك التاجر فرآهُ جالساً على غدائه فقال لهُ : اتريد لك طبيباً . فقال لهُ : لست محتاجاً الى طبيب ولكن اقعد وكل معي . فقعد اللص مقابله وجعل يأكل معهُ . وكان ذلك التاجر جيد الاكل . فقال اللص في نفسه : لقد وجدت فرصتي . ثم التفت الى التاجر وقال لهُ : لقد وجب عليَّ نصيحتك لما حصل لي من احسانك وليس يمكن ان اخفي عليك نصيحة . وهو اني اراك رجلًا كثير الاكل وهذا سببه مرض في معدتك . فان لم تبادر بالسعي على دوائك والّا آل امرك الى الهلاك . فقال التاجر : ان جسمي صحيح ومعدتي سريعة الهضم وان كنت جيد الاكل فليس ببدني مرض ولله الحمد والشكر . فقال لهُ اللص : انما ذلك بحسب ما يظهر لك والّا

الصباح . فلما اصبح الصباح قام الوزير وجمع ارباب الدولة مع من حضر معهم من الرعية . ثم جاؤوا الى باب الملك مستبشرين فرحين . فلم يفتح لهم الباب ولم يخرج اليهم ولم يأذن لهم بالدخول عليهِ . فلما يئسوا من ذلك قالوا لشماس : ايها الوزير الفاضل والحكيم الكامل اما ترى حال هذا الصبي الصغير السنّ القليل العقل الذي قد جمع الى ذنوبهِ الكذب . فانظر وعده لك كيف اخلفهُ ولم يوفِ بما وعد وهذا ذنب يجب ان تضيفه الى ذنوبه . ولكن نرجو ان تدخل اليهِ ثانياً وتنظر ما السبب في تأخيره ومنعه عن الخروج . فانّا غير منكرين على طباعه الذميمة مثل هذا الامر فانهُ بلغ غاية القساوة . ثم ان شماساً توجه اليهِ ودخل عليهِ وقال : السلام عليك ايها الملك . ما لي اراك قد اقبلت على شيء يسير من اللذّة وتركت الامر الكبير الذي ينبغي الاعتناء بهِ . وكنت مثل الذي لهُ ناقة وهو منطوٍ على لبنها فألهاهُ حسن لبنها عن ضبط زمامها فأقبل يوماً على حلبها ولم يعتنِ بزمامها . فلما احسّت الناقة بترك الزمام جذبت نفسها وطلبت الفضاء . فصار الرجل فاقد اللبن والناقة مع ان ضرر ما لقيه اكثر من نفعه

فانظر ايها الملك فيما فيهِ صلاح نفسك ورعيتك . فانهُ ليس ينبغي للرجل ان يديم الجلوس على باب المطبخ من اجل حاجته الى الطعام . ولا ينبغي لهُ ان يكثر الجلوس مع النساء من اجل ميله اليهنّ . وكما ان الرجل يبتغي من الطعام ما يدفع ألم الجوع ومن الشراب ما يدفع ألم العطش كذلك ينبغي للرجل العاقل ان يكتفي من هذه الاربعة والعشرون ساعة بساعتين في امور جسده في كل نهار ويصرف الباقي في مصالح نفسه وفي مصالح رعيته

(الليلة الموفية للعشرين بعد التسعمائة) . واعلم انهُ ليس ينبغي للرجل ان يسمع من امرأة كلاماً ولا يطيعها في امر ولا يقبل لها رأياً في مشورة . فاياك ان تلبس ثوب الجهل بعد ثوب الحكمة والعلم . او تتبع الرأي الفاسد بعد معرفتك للرأي الرشيد النافع . فلا تتبع لذّة يسيرة مصيرها الى الفساد ومآلها الى الخسران الزائد الشديد . فلما سمع الملك ذلك من شماس قال لهُ : انا في غد اخرج اليهم ان شاء الله تعالى . فخرج

حكاية اللصوص والفتى

ذكروا ان سبعة من اللصوص خرجوا ذات يوم يسرقون على عادتهم. فمرّوا على بستان فيهِ جوز رطب فدخلوا ذلك البستان. واذا هم بولد صغير واقف بينهم فقالوا لهُ: يا فتى هل لك ان تدخل معنا هذا البستان وتطلع هذه الشجرة وتأكل من جوزها كفايتك وترمي لنا منها جوزًا. فاجابهم الفتى الى ذلك ودخل معهم

(الليلة التاسعة عشرة بعد التسعمائة) . فلما اصعدوهُ قالوا: يا فتى لا تلمس من الشجرة شيئًا لئلّا يراك احد فيؤذيك . فقال الفتى: وكيف افعل . فقالوا لهُ: اقعد في وسطها وحرّك كل غصن منها تحريكًا قويًا حتى يتناثر ما فيهِ فنلتقطهُ . واذا فرغ ما فيها وترلت الينا فخذ نصيبك ممَّا التقطناهُ . فلما صعد الفتى على الشجرة صار يحرّك كل غصن وحدهُ والجوز يتناثر منهُ واللصوص يجمعونهُ . فبينما هم كذلك واذا بصاحب الشجرة واقف عندهم وهم على ذلك الحال . فقال لهم: ما لكم ولهذه الشجرة . فقالوا لهُ: لم ناخذ منها شيئًا غير اننا مررنا بها فرأينا هذا الولد فوقها فاعتقدنا انهُ صاحبها فطلبنا منهُ ان يطعمنا منها فهزَّ بعض الاغصان حتى انتثر منها الجوز . ونحن ما لنا ذنب . فقال صاحب الشجرة للغلام: فما تقول انت . فقال: كذب هؤلاء . ولكن انا اقول لك الحق وهو اننا اتينا جميعًا الى هنا فأمروني بالصعود على هذه الشجرة لاهزّ الاغصان كي ينتثر عليهم الجوز فامتثلت امرهم . فقال صاحب الشجرة: لقد ألقيت نفسك في بلاء عظيم . وهل انتفعت بأكل شيء منها . فقال الغلام: ما اكلت منها شيئًا . فقال لهُ صاحب الشجرة: لقد علمت الآن حماقتك وجهلك وهو انك سعيت في تلف نفسك لاصلاح غيرك . ثم قال للصوص: ما لي عليكم سبيل امضوا الى حال سبيلكم . وقبض على الولد وعاقبهُ

وهكذا وزراؤك واهل دولتك يريدون ان يهلكوك لاصلاح امرهم ويفعلون بك مثل ما فعل اللصوص بالفتى . فقال الملك: حقّ ما قلتهِ ولقد صدقتِ في خبركِ فانا لا اخرج اليهم ولا اترك لذّاتي . ثم بات مع زوجتهِ في ارغد عيش الى ان اصبح

كيف تركت سبيل النجاة وادخلت نفسك في هذه الهلكة وانت تعرف من قديم انهُ ما دخل ها هنا احد وسلم. فما الذي منعك عن رمي ما في يدك ونجاة نفسك فكنت تنقذ روحك ولا تقع في هذا الهلاك الذي لا نجاة منهُ. والآن ليس احد منا ينقذك من هذه الهلكة. فقطع الرجل الرجاء من حياته وفقد ما كان بيده مما حملته نفسه عليهِ وهلك هلاكاً عظيماً

وما ضربت لك ايها الملك هذا المثل الّا لاجل ان تضع هذا الامر الحقير الذي فيهِ اللهو عن مصالحك وتنظر فيما انت متقلده من سياسة رعيتك والقيام بنظام ملكك حتى لا يرى احد فيك عيباً. قال الملك: فما الذي تأمرني بهِ. قال شماس: اذا كان في غد وانت بخير وعافية فأذن للناس بالدخول عليك وانظر في احوالهم واعتذر اليهم ثم عِدهم من نفسك بالخير وحسن السيرة. فقال الملك: يا شماس انك تكلمت بالصواب واني فاعل ما نصحتني بهِ في غد ان شاء الله تعالى. فخرج شماس من عنده واعلم الناس بكل ما ذكره لهُ. فلما اصبح الصباح خرج الملك من حجابه واذن للناس في الدخول عليهِ وصار يعتذر اليهم ووعدهم انهُ يصنع لهم ما يحبون. فرضوا بذلك وانصرفوا وسار كل واحد الى منزله. ثم ان بعض نساء الملك وكانت احبهنَّ اليهِ واكرمهنَّ عنده قد دخلت عليهِ فرأتهُ متغير اللون متفكرًا في اموره بسبب ما سمعه من كبير وزرائه. فقالت لهُ: ما لي اراك ايها الملك قلق النفس هل تشتكي شيئاً. فقال لها: لا وانما استغرقتني اللذات عن شؤوني فما لي ولهذهِ الغفلة عن احوالي وعن احوال رعيتي. وان بقيت على ذلك فعن قليل يخرج ملكي عن يدي. فاجابتهُ قائلةً: اني اراك ايها الملك مع عمالك ووزرائك مغشوشاً فانهم انما يريدون نكايتك وكيدك حتى لا تحصل لك من ملكك هذه اللذة ولا تغنم نعيماً ولا راحة بل يريدون ان تقضي عمرك في اندفاع المشقة عنهم حتى ان عمرك يفنى بالنصب والتعب وتكون مثل الذي قتل نفسه لاصلاح غيره او تكون مثل الفتى واللصوص. قال الملك: وكيف كان ذلك. فقالت:

ان الله تعالى رزقك من العلم والحكمة على حداثة سنك ما لم يرزقه احدًا من الملوك قبلك . وان الله تمم لك ذلك بالملك . وان الله يحب انك لا تخرج عمَّا خولك اياهُ الى غيره بسبب عصيانك لهُ . فلا تحاربه بذخائرك بل ينبغي ان تكون لوصاياهُ حافظًا ولاموره طائعًا . لاني قد رأيتك منذ ايام قلائل نسيت اباك ووصيته ورفضت عهده وأضعت نصحه وكلامه وزهدت عدله واحكامه ولم تذكر نعمة الله عليك ولم تقيدها بشكره . قال الملك : وكيف ذلك وما سببه . قال شماس : سببه انك تركت تعهد امور مملكتك وما قلدك الله اياه من امور رعيتك . واقبلت على النفس فيما حسَّنتهُ لك من قليل شهوات الدنيا . وقد قيل : ان اصلاح الملك والدين والرعية مما ينبغي للملك ان يحافظ عليهِ . والرأي عندي ايها الملك ان تحسن النظر في عاقبتك فانك تجد السبيل الواضح الذي فيهِ النجاة . ولا تقبل على اللذة القليلة الفانية الموصلة الى ورطة الهلاك فيصيبك ما اصاب صياد السمك . فقال لهُ الملك : وكيف كان ذلك . قال شماس :

حكاية صياد السمك

قد بلغني ان صيادًا قد اتى الى نهر ليصطاد منهُ على عادته . فلما وصل الى النهر ومشى على الجسر ابصر سمكة عظيمة فقال في نفسه : ليس لي حاجة بالمقام ها هنا فانا امشي واتبع هذه السمكة الى حيث تذهب حتى آخذها وهي تغنيني عن الصيد مدة ايام . فتعرَّى من ثيابه ونزل خلف السمكة . فاخذه جريان الماء الى ان ظفر بالسمكة وقبض عليها . ثم التفت فوجد نفسه بعيدًا عن الشاطئ . فلما رأى ما قد صنع بهِ جريان الماء لم يترك السمكة ويرجع بل خاطر بنفسه وقبض عليها بيديه وترك جسده سابحًا مع جريان الماء . فما زال يسحبه الماء الى ان رماه في وسط دوَّامة لا يدخلها احد ويخلص منها . فصار يصيح ويقول : انقذوا الغريق . فاتاه ناس من الحافظين على النهر وقالوا لهُ : ما شأنكَ وما دهاك حتى القيت نفسك في هذا الخطر العظيم . فقال لهم : انا الذي تركت السبيل الواضح الذي فيهِ النجاة واقبلت على الهوى والهلكة . فقالوا : يا هذا

واياماً لا نراهُ ولا يبرز الينـــا من عنده امر لا للوزير ولا لغيره. ولا يمكن ان ترتفع اليهِ حاجة ولا ينظر في حكومة ولا يتعهد حال احد من رعيته لغفلته عنهم. واننـــا قد اتينا اليك لنخبرك بحقيقة الامور لانك اكبرنا واكمل منا وليس ينبغي ان يكون بلاء في ارض انت مقيم بها لانك أقدر احد على اصلاح هذا الملك. فانطلق وكلمه لعله يقبل كلامك ويرجع الى الله. فقام شماس ومضى الى حيث اجتمع بمن يمكنهُ الوصول اليهِ وقال لهُ: ايها الولد الجيد اسألك ان تستأذن لي في الدخول للملك لان عندي امراً اريد ان انظر وجهه واخبره بهِ واسمع ما يجيبني بهِ عنهُ. فاجاب الغلام قائلاً: والله يا سيدي من منذ شهر لم يأذن لاحد في الدخول عليهِ ولا انا. فطول هذه المدة ما رأيت لهُ وجهاً. ولكن ادلّك على من يستأذنه لك وهو انك تتعلق بالوصيف الفلاني الذي يقوم على رأسه ويأخذ لهُ الطعام من المطبخ. فاذا خرج الى المطبخ ليأخذ الطعام اسألهُ عمَّا بدا لك فانهُ يفعل لك ما تريد. فانطلق شماس الى باب المطبخ وجلس قليلاً واذا بالوصيف قد اقبـــل واراد الدخول في المطبخ. فكلمهُ شماس قائلاً لهُ: يا بُنيَّ احبّ ان اجتمع بالملك لاخبره بكلام يخصه. فمن فضلك اذا فرغ من غدائهِ وطابت نفسه ان تكلمه لي وتأخذ لي منهُ اذناً بالدخول عليهِ لكي اكلمه بما يليق بهِ. فقال الوصيف: سمعاً وطاعةً. فلما اخذ الوصيف الطعام وتوجه بهِ الى الملك واكل منـــهُ وطابت نفسهُ قال لهُ الوصيف: ان شماساً واقف بالباب يريد منك الاذن في الدخول عليك ليعلمـــك بامورٍ تختص بك. ففزع الملك وارتاب من ذلك وامر الوصيف بادخاله عليه

(الليلة الثامنة عشرة بعد التسعمائة). فخرج الوصيف الى شماس ودعاه الى الدخول. فلما دخل على الملك خرَّ لله ساجداً وقبل يدي الملك ودعا لهُ. فقال الملك: ما اصابك يا شماس حتى طلبت الدخول عليَّ. فقال: ان لي مدة لم ارَ وجه سيدي الملك وقد اشتقت اليك كثيراً فها انا شاهدت طلعتك وجئت اليك بكلام اذكره لك ايها الملك المؤيد بكل نعمة. فقال لهُ: قل ما بدا لك. فقال شماس: اعلم ايها الملك

بعده : اياكم ومخالفة امر ملككم وترك الاستماع لكبيركم فان في ذلك هلاكاً لارضكم وتفريقاً لجمعكم وضرراً لابدانكم وتلفاً لاموالكم فتشمت بكم اعداؤكم. وها انتم علمتم ما عاهدتموني عليهِ فهكذا يكون عهدكم مع هذا الغلام. والميثاق الذي بيني وبينكم يكون ايضاً بينكم وبينه . وعليكم بالسمع والطاعة لامره لان في ذلك صلاح احوالكم . واثبتوا معهُ على ما كنتم معي فتستقيم اموركم ويحسن حالكم. وها هوذا ملككم وولي نعمتكم والسلام . ثم بعد هذا اشتدت بهِ سكرات الموت والتجم لسانه فضمَّ ابنهُ اليهِ وقبله وشكر الله ثم قضى نحبه وطلعت روحه . فناح عليهِ جميع رعيته واهل مملكته . ثم انهم كفنوهُ ودفنوهُ باكرام وتبجيل واعظام . ثم رجعوا والغلام معهم فالبسوهُ حلة الملك وتوَّجوه بتاج والده والبسوهُ الخاتم في اصبعه واجلسوه على سرير الملك. فسار الغلام فيهم بسيرة ابيهِ من الحلم والعدل والاحسان مدة يسيرة. ثم تعرضت لهُ الدنيا وجذبتهُ بشهواتها فاستغنم لذاتها واقبل على زخارف امورها وترك ما كان قلده ابوهُ من المواثيق ونبذ الطاعة لوالده واهمل مملكته ومشى فيما فيهِ هلاكه واشتدَّ فيهِ حبّ النساء. فصار لا يسمع بامرأة حسناء الَّا ويرسل اليها ويتزوَّج بها . فجمع من النساء عدداً اكثر مما جمع سليمان بن داود ملك بني اسرائيل واشتغل بهنَّ وصار لا يسأل عن ملكه ولا عن حكمه ولا ينظر في مظلمة من يشكو اليهِ من رعيته واذا كاتبوهُ فلا يردّ لهم جواباً . فلما رأوا منهُ ذلك وعاينوا ما هو منطوٍ عليهِ من ترك النظر في امورهم واهمالهِ لامور دولته وامور رعيته تحققوا انهم عن قليل يحلّ بهم البلاء. فشقَّ ذلك عليهم واقبل بعضهم على بعض يتلاومون . فقال بعضهم لبعض : امشوا بنا الى شماس كبير وزرائه نقصّ عليهِ امرنا ونعرفه ما يكون من امر هذا الملك لينصحه والَّا فعن قليل يحلّ بنا البلاء. فانَّ هذا الملك قد دهشتهُ الدنيا بلذاتها وختنتهُ باشطانها . فقاموا واتوا شماساً وقالوا لهُ : ايها العالم الحكيم ان هذا الملك قد ادهشتهُ الدنيا بلذاتها وختنتهُ باشطانها فاقبل على الباطل وسعى في فساد مملكته وبفساد المملكة تفسد العامة ويصير امرنا الى الهلاك. وسببه اننا نمكث شهراً

فخرجوا ونادوا الناس القريبين واجهروا بالنداء الناس البعيدين حتى حضروا باجمعهم ودخلوا على الملك . ثم قالوا لهُ: كيف انت ايها الملك وكيف ترى لنفسك من مرضك هذا . قال لهم الملك: ان مرضي هذا هو الذي فيهِ القاضية وقد نفذ السهم بما قدره الله تعالى عليَّ وانا الآن في آخر يوم من ايام الدنيا واول يوم من ايام الآخرة . ثم قال لابنه : ادنُ مني . فدنا منهُ الغلام وهو يبكي بكاء شديدًا حتى كاد ان يبلّ فراشه والملك قد دمعت عيناه وبكى كل من حضر . ثم قال الملك لولده: لا تبكِ يا ابني فاني لست باول من جرى لهُ هذا المحتوم لانه سائر على جميع ما خلقه الله . فاتقِ الله واعمل خيرًا يسبقك الى الموضع الذي تقصده جميع الخلائق . ولا تطع الهوى واشغل نفسك بذكر الله في قيامك وقعودك ويقظتك ونومك . واجعل الحق نصب عينك . وهذا آخر كلامي معك والسلام

(الليلة السابعة عشرة بعد التسعمائة) . فقال الغلام لابيهِ . قد علمت يا ابتِ اني لم ازل لك مطيعًا ولوصيتك حافظًا ولامرك منفذًا ولرضاك طالبًا وانت لي نِعم الاب فكيف اخرج بعد موتك عمَّا ترضى بهِ وانت بعد حسن تربيتي مفارق لي ولا اقدر على ردّك عليَّ . فاذا حفظت وصيتك صرت بها سعيدًا وصار لي النصيب الاكبر . فقال لهُ الملك وهو في غاية الاستغراق من سكرات الموت: يا بُنيَّ الزم عشر خصال ينفعك الله بها في الدنيا والآخرة . وهنَّ : اذا اغتظت فاكتم غيظك . واذا بُليت فاصبر . واذا نطقت فاصدق . واذا وعدتَ فاوفِ . واذا حكمت فاعدل . واذا قدرت فاعفُ . واكرم قوّادك . واصفح عن اعدائك . وابذل معروفك لعدوّك . وكفَّ اذاك عنهُ . والزم ايضًا عشر خصال اخرى ينفعك الله بها في اهل مملكتك . وهي: اذا قسمت فاعدل . واذا عاقبت بحق فلا تجر . واذا عاهدت فاوفِ بعهدك . واقبل النصح . واترك المجاجة . والزم الرعية بالاستقامة على الشرائع والسنن الحميدة . وكن حاكمًا عادلاً بين الناس حتى يحبك كبيرهم وصغيرهم ويخافك عاتيهم ومفسدهم . ثم قال للحاضرين من العلماء والامراء الذين كانوا حاضرين عهده لولده بالملك من

الدنيا وما فيها. وتيقناً ان الآخرة خيرٌ لنا وانفع. قال الغلام: ايها العالم قد زالت هذه الظلمة التي كانت على قلبي بمصباحك المضيء. وارشدتني الى السُبل التي سلكتها من اتّباع الحق واعطيتني سراجاً انظر بهِ. فعنـد ذلك قام احد الحكماء الذين كانوا بالحضرة وقال: انهُ اذا كان زمان الربيع فلا بدَّ ان يطلب الارنب مع الفيل مرعًى. وقد سمعت منكما اشياء من المسائل والتفاسير ما لم ارَ اني اسمعـه ابداً. فدعاني ذلك الى ان اسألكما عن شيء. فاخبراني ما خير مواهب الدنيا. قال الغلام: صحة الجسم ورزق حلال وولد صالح. قال: فاخبراني ما الكبير وما الصغير. قال الغلام: اما الكبير فهو ما صبر لهُ اصغر منهُ. واما الصغير فهو ما صبر لاكبر منـهُ. قال: فاخبراني ما الاربعـة اشياء التي تجتمع الخلائق فيها. قال الغلام: تجتمع الخلائق في الطعـام والشراب ولذة النوم وفي سكرات الموت. قال: فما الثلثة اشياء التي لا يقدر احد على تنحية القباحة عنها. قال الغلام: الحماقة وخسة الطبع والكذب. قال: فاي الكذب احسن مع انهُ كلهُ قبيح. قال الغلام: الكذب الذي يضع عن صاحبه الضرر ويجرّ نفعاً. قال: واي الصدق قبيح وان كان كلهُ حسناً. قال الغلام: كبر الانسان بما عنـده واعجابه. قال: وما اقبح القبيح. قال الغلام: اذا أُعجب الانسان بما ليس عنـده. قال: فاي الرجال احمق. قال الغلام: من كان ليس لهُ همة الّا في شيء يضعـه في بطنه. قال شماس: ايها الملك انت ملكنا ولكن نحب ان تعهد لولدك بالملك من بعدك ونحن الحول والرعية. فعند ذلك حثَّ الملك من حضر من العلماء والناس على ان ما سمعوهُ منهُ يحفظونه ويعملون بهِ. وأمرهم ان يمتثلوا امر ابنه فانهُ جعله وليّ عهده من بعده ليكون خليفة على ملك والده. واخذ العهد على جميع اهل مملكته من العلماء والشجعان والشيوخ والصبيان وبقية الناس ان لا يتخالفوا عليهِ ولا ينكثوا عليهِ امره

فلما اتى على ابن الملك سبع عشرة سنة مرض الملك مرضاً شديداً حتى اشرف على الموت. فلما ايقن الملك ان الموت قد نزل به قال لاهله: هذا داء الموت قد نزل بي. فادعوا لي اقاربي وولدي واجمعوا لي اهل مملكتي حتى لا يبقى منهم احد الّا ويحضر.

بانهُ اذا اكل منها يكون عاصياً . وذلك من طريق العدل والانصاف لئلّا يكون لآدم حجة يحتجّ بها على ربّه . فلما ان سقط في الورطة والهفوة وعظمت عليهِ المعيرة والمعتبة جرى ذلك في نسله من بعده . فبعث الله تعالى الانبياء والرسل واعطاهم كتباً فاعلمونا بالشرائع وبينوا لنا ما فيها من المواعظ والاحكام وفصلوهُ لنا واوضحوا لنا السبيل الموصل وبينوا لنا ما يجب ان نفعلهُ وما يجب ان نتركهُ فنحن مسلطون بالاستطاعة . فمن عمل بهذه الحدود قد اصاب وربح . ومن تعدَّى هذه الحدود وعمل بغير هذه الوصايا قد خالف وخسر في الدارين . وهذه سبيل الخير والشرّ . فقد علمت ان الله قادر على جميع الاشياء وما خلق الشهوات لنا الّا برضاه وارادته . وامرنا ان ناخذها على وجه الحلال لتكون لنا خيرًا . واذا استعملناها على وجه الحرام فانها تكون لنا شرًّا . فما اصابنا من حسنة فمن الله تعالى . وما اصابنا من سيئة فمن انفسنا معاشر المخلوقين لا من الخالق تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا

(الليلة السادسة عشرة بعد التسعمائة) . ثم ان الغلام ابن الملك جليعاد لما سأل الوزير شماس عن هذه المسائل وردّ لهُ اجوبتها قال لهُ : ما وصفته لي مما ينسب الى الله تعالى ومما يُنسب الى خلقه قد فهمتـــه . فاخبرني عن هذا الامر الذي حيَّر عقلي فرط التعجب منهُ . فاني عجبتُ من ولد بني آدم وغفلتهم عن الآخرة وتركهم الذكرى لها ومحبتهم للدنيا وقد علموا انهم يتركونها ويخرجون منهــا وهم صاغرون . قال شماس : نعم فان الذي تراهُ من تغيرها وغدرها باهلها دليل انهُ لا يدوم لصاحب النعيم نعيمه ولا لصاحب البلاء بلاؤه . فليس يأمن صاحبها تغيرهــا وان كان قادرًا عليها ومغتبطاً بها فلا بدَّ ان يتغير حاله ويسرع اليهِ الانتقال وليس الانسان منهــا على ثقة ولا ينتفع بما هو فيهِ من زخرفها . وحيث عرفنا ذلك عرفنا ان اسوأ الناس حالًا من اغترَّ بها وسها عن الآخرة . وان ذلك النعيم الذي قد اصابه لا يعادل ذلك الخوف والمشقة والاهوال التي تحصل لهُ بعد الانتقال منها . وعلمنا انهُ لو كان العبد يعلم ما يصيبــه عند حضور الموت وفراقه ما هو فيهِ من اللذات والنعيم لكان رفض

بالعدل والانصاف والاحسان . وقد خلق الانسان لمحبته وركب فيهِ النفس المطبوعة على الميل الى الشهوات وجعل لهُ الاستطاعة وجعل هذه الحواسّ الخمس سبباً للنعيم او الجحيم . قال الغلام : وكيف ذلك . قال شماس : لانهُ خلق اللسان للنطق واليدين للعمل والرجلين للمشي والبصر للنظر والاذنين للسماع . وقد اعطى كل واحدة من هذه الحواس استطاعة وهيجها على العمل والحركة وامر كل واحدة منها ان لا تعمل الّا برضاه . والذي يرضيه من النطق الصدق وترك ما هو ضدّه الذي هو الكذب . ومماً يرضيه من البصر صرف النظر الى ما يحبهُ الله وترك ضده وهو صرف النظر الى ما يكرههُ الله كالنظر الى الشهوات . ومماً يرضيهِ من السمع ان لا يستمع الّا الى الحق كالموعظة وما في كتب الله وترك ضده وهو ان يستمع الى ما يوجب سخط الله . ومماً يرضيه من اليدين ان لا يقبضا ما خولهما الله بل يصرفاهُ على وجهٍ يرضيه وترك ضده وهو الامساك او صرف ما خولهما الله في معصية . ومماً يرضيهِ من الرجلين ان يكون سعيهما في الخير كقصد التعليم وترك ضده وهو ان يمشيا في غير سبيل الله . وما سوى ذلك من الشهوات التي يعملها الانسان فانهُ يصدر من الجسد بامر الروح . ثم الشهوة التي تصدر من الجسد نوعان شهوة التناسل وشهوة البطن . فالذي يرضي الله من شهوة التناسل انها لا تكون الّا حلالاً . ويسخطه ان تكون حراماً . واما شهوة البطن الاكل والشرب . والذي يرضي الله من ذلك ان لا يتعاطى منهُ كل احد الّا ما احلّهُ الله لهُ قليلًا كان او كثيراً ويحمد الله ويشكره . والذي يغضب الله منهُ ان يتناول ما ليس لهُ بحق . وما سوى ذلك من هذه الاحكام باطل . وقد علمت ان الله خلق كل شيء ولا يرضى الّا بالخير . وامر كل عضو من اعضاء الجسد ان يفعل ما اوجبه عليهِ لانهُ هو العليم الحكيم . قال الغلام : فاخبرني هل سبق في علم الله جلّت قدرته ان آدم يأكل من الشجرة التي نهاهُ الله عنها حتى كان من امره ما كان وبذلك خرج من الطاعة الى المعصية . قال شماس : نعم ايها العالم قد سبق ذلك في علم الله تعالى قبل ان يخلق آدم . وبيان ذلك ودليله ما تقدم لهُ من التحذير عن الاكل واعلامه

ارادته . ألا ترى انهُ قادر على صرف خلقه عن هذه المعصية والزامهم المحبة دائماً . قال شماس : ان الله تعالى جلَّ اسمهُ عادل منصف رؤوف باهل محبته قد بين لهم طريق الخير ومنحهم الاستطـاعة والقدرة على فعل ما ارادوا من الخير . فان عملوا بخلاف ذلك صاروا في الهلاك والمعصية . قال الغلام : اذا كان الخالق هو الذي منحهم الاستطاعة وهم بسببها قادرون على فعل ما ارادوا فلاي شيء لم يحـل بينهم وبين ما يريدون من الباطل حتى يردهم الى الحق . قال شماس : ذلك لعظيم رحمته وباهر حكمته لانهُ كما سبق منهُ لابليس السخط ولم يرحمهُ كذلك سبقت منهُ لآدم الرحمة بالتوبة فرضي عنهُ بعد سخطه عليهِ . قال الغلام : هذا هو الحق بعينه لانهُ هو المجـازي لكل احد على عمله وليس خالق غير الله لهُ القدرة على كل شيء . ثم قال الغلام : هل خلق الله ما يحبّ او ما لا يحبّ او انما خلق ما يحب لا غيره . قال شماس : قد خلق كل شيء ولم يرضَ الّا ما يحبّ . قال الغلام : ما بال هذين الشيئين احدهما يرضي الله ويوجب الثواب لصاحبـه والآخر يغضب الله فيحلّ العذاب بصاحبه . قال شماس : بيّن لي هذين الامرين وفهمني اياهما حتى اتكلم في شأنهما . قال الغلام : هما الخير والشرّ المركبان في الجسم والروح . قال شماس : ايها العاقل اراك قد علمت ان الخير والشرّ من الاعمال التي يعملها الجسد والروح فسمّي الخير منها خيرًا لكونه فيهِ رضى الله . وسمّي الشرّ شرًّا لكونه فيهِ سخط الله . وقد وجب عليك ان تعرف الله وترضيه بفعل الخير لانهُ امرنا بذلك ونهانا عن فعل الشرّ . قال الغلام : اني ارى هـذين الشيئين اعني الخير والشرّ انما يعملهما الحواس الخمس المعروفـة في جسد الانسان وهي محلّ الذوق الناشئ عنهُ الكلام والسمع والبصر والشمّ واللمس . فاحبّ ان تعرفني هل هذه الحواس الخمس خلقت للخير جميعاً ام للشرّ . قال شماس : افهم ايها الانسان بيان ما سألت عنهُ وهو الحجة الواضحة وضعها في ذهنك واشربها قلبك . وهو ان الحق تبارك وتعالى خلق الانسان بالحق وطبعه على حبه ولم يصدر عنهُ مخلوق الّا بالقدرة العلية المؤثرة في كل حادث . ولا ينسب تبارك وتعالى الّا الى الحكم

لا يحبهُ مخالفاً لمقتضى اصل خلقته من حبّ الحق مستوجباً لسخط ربّه عليهِ . ونرى بعضهم مقيماً على رضى خالقه وطاعته مستوجباً للرحمة والثواب . فما سبب الاختلاف الحاصل بينهم . قال شماس : ان اول نزول هذه المعصية بالخلق انما كان بسبب ابليس الذي كان اشرف ما خلق الله جلّ اسمهُ من الملائكة والانس والجنّ وكان مطبوعاً على المحبة لا يعرف غيرها . فلما انفرد بهذا الامر داخلهُ العجب والعظمة والتجبر والتكبر عن الايمان والطاعة لامر خالقه . فردَّهُ الله دون الخلائق جميعهم واخرجهُ من المحبة وصيّر مثواهُ الى نفسه في المعصية . فحين علم ان الله جلّ اسمه لا يحبّ المعصية ورأى آدم وما هو فيهِ من ذلك الحق والمحبة والطاعة لخالقه داخلهُ الحسد فاستعمل الحيلة في صرفه لآدمٍ عن الحق ليكون مشتركاً معهُ في الباطل . فلزم آدم العقوبة لميله الى المعصية التي زيّنها لهُ عدوّهُ وانقيادهِ الى هواه حيث خالف وصية ربّه بسبب عروض الباطل . ولما علم الخالق جلّ ثناؤه وتقدست اسماؤه ضعف الانسان وسرعة ميله الى عدوّه وتركه الحقّ جعل لهُ الخالق برحمته التوبة لينهض بها من ورطة الميل الى المعصية ويحمل سلاح التوبة فيقهر بهِ عدوّه ابليس وجنوده ويرجع الى الحق الذي هو مطبوعٌ عليهِ . فلما نظر ابليس ان الله جلّ ثناؤهُ وتقدست اسماؤهُ قد جعل لهُ امدًا ممتدًا بادر الى الانسان بالمحاربة وادخل عليهِ الحيل ليخرجه من نعمة ربه ويجعلهُ شريكاً لهُ في السخط الذي استوجبه هو وجنوده . فجعل الله جلّ ثناؤهُ للانسان استطاعة للتوبة وامرهُ ان يلزم الحق ويداوم عليهِ ونهاهُ عن المعصية والخلاف وألهمهُ ان لهُ على الارض عدوًّا محارباً لا يفتر عنهُ ليله ولا نهاره . فبذلك استحقّ الانسان ثواباً ان لازم الحق الذي جبلت طبيعته على حبه . وعقاباً ان غلبتهُ نفسه ومالت بهِ الى الشهوات

(الليلة الخامسة عشرة بعد التسعمائة) . ثم ان الغلام لما سأل شماس عن المسائل المتقدمة واجابهُ عنها قال لهُ بعد ذلك : اخبرني باي قوة استطاع الخلق ان يخالفوا خالقهم وهو في غاية العظمة كما وصفتَ مع انهُ لا يقهرهُ شيء . ولا يخرج عن

للحق حتى يشتبه بهِ ويلتبس على المخلوقين فيحتاجون الى الفصل بينهما. وهل الخالق عزَّ وجلَّ محبٌ لهذا الباطل ام باغض لهُ. فان قلت انهُ محبٌ للحقِّ وبهِ خلق خلقه وباغضٌ للباطل فمن اين دخل هذا الذي يبغضهُ الخالق على ما يحبهُ وهو الحقّ. قال شماس: ان الله لما خلق الانسان بالحقّ ولم يكن الانسان محتاجاً الى توبة حتى دخل الباطل على الحقّ الذي هو مخلوق بهِ بسبب الاستطـاعة التي جعلها الله في الانسان وهي الارادة والميل المسمَّى بالكسب فلما دخل البـاطل على الحق بهذا الاعتبار التبس الباطل بالحق بسبب ارادة الانسان واستطاعته والكسب الذي هو الجزء الاختياري مع ضعف طبيعة الانسان. فخلق الله لهُ التوبة لتصرف عنهُ ذلك الباطل وتثبتهُ على الحقّ. وخلق لهُ العقوبة ان هو اقام على ملابسة الباطل. قال الغلام: فاخبرني ما سبب عروض هذا البـاطل للحق حين التبس بهِ وكيف وجبت العقوبة على الانسان حتى احتاج الى التوبة. قال شماس: ان الله لما خلق الانسان بالحقّ جعلهُ محبًّا لهُ ولم يكن لهُ عقوبة ولا توبة واستمرَّ كذلك حتى ركَّب الله فيهِ النفس التي هي من كمال الانسانية مع ما هي مطبوعة عليهِ من الميـل الى الشهوات. فنشأ من ذلك عروض الباطل والتباسه بالحقّ الذي خلق الانسان بهِ وطبع على حبه. فلما صار الانسان الى هذه الغاية زاغ عن الحق بالمعصية ومن زاغ عن الحق انما يقع في الباطل. قال الغلام: ان الحق انما دخل عليهِ الباطل بالمعصية والمخالفة. قال شماس: وهو كذلك لان الله يحبّ الانسان. ومن زيادة محبته لهُ خلق الانسان محتاجاً اليهِ وذلك هو الحق بعينه. ولكن ربما استرخى الانسان عن ذلك بسبب ميـل النفس الى الشهوات ومال الى الخـلاف فصار الى ذلك الباطل بالمعصية التي بها عصى ربّه فاستوجب العقوبة. وبازاحة الباطل عنه بتوبته ورجوعه الى محبة الحق استوجب الثواب. قال الغلام: اخبرني عن مبدإ المخالفة مع ان الخلق مرجعهم جميعًا الى آدم وقد خلقهُ الله بالحق فكيف جلب المعصية لنفسه ثم قرنت معصيته بالتوبة بعد تركيب النفس فيهِ ليكون عاقبتهُ الثواب او العقاب. ونحن نرى بعض الخلق مقيماً على المخـالفة مائلًا الى ما

العجيبة فان شئت ان تعرف قدرته تبارك وتعالى على ايجاد الاشياء. فأطل الفكر في اصناف الخلق فانك ستجد آيات وعلامات دالّة على كمال قدرته وانهُ قادر على ان يخلق الاشياء من لا شيء. بل اوجدها بعد العدم المحض لان العناصر التي هي مادة الاشياء كانت عدماً محضاً. وقد اوضحت لك ذلك حتى لا تكون في شكٍّ منهُ. ويبين لك ذلك آية الليل والنهار فانهما يتعاقبان حتى اذا ذهب النهار وجاء الليل خفي علينا النهار ولم نعرف لهُ مقرًّا. واذا ذهب الليل بظلمته ووحشته جاء النهار ولم نعرف لليل مقرًّا. واذا اشرقت علينا الشمس لا نعرف اين يطوى نورها واذا غربت لم نعرف مستقرَّ غروبها. وامثال ذلك من افعال الخالق عزَّ اسمهُ وجلّت قدرته كثير مما يحير افكار الاذكياء من الخلائق. قال الغلام: ايها العالم انك عرّفتني من قدرة الخالق ما لا يستطاع انكاره. ولكن اخبرني كيف ايجاده لخلقه. قال شماس: انما الخلق مخلوق بكلمته التي هي موجودة قبل الدهر وبها خلق جميع الاشياء. قال الغلام: ان الله تعاظم اسمه وارتفعت قدرته انما اراد ايجاد الخلق قبل وجودهم. قال شماس: وبارادته خلقهم بكلمته فلولا ان لهُ نطقًا واظهر كلمة لم تكن الخليقة موجودة

(الليلة الرابعة عشرة بعد التسعمائة). ثم قال لهُ شماس: يا بني انهُ لا يخبرك احد من الناس بغير ما قلتهُ الّا بتحريف الكلام الوارد في الشرائع عن موضعه وصرف الحقائق عن وجوهها. ومن ذلك قولك ان الكلمة لها استطاعة اعوذ بالله من هذه العقيدة. بل قولنا في الله عزَّ وجلَّ انهُ خلق الخلق بكلمته معناهُ انهُ تعالى واحد في ذاته وصفاته وليس معناهُ ان كلمة الله لها قدرة بل القدرة صفة لله كما ان الكلام وغيره من صفات الكمال صفات لله تعالى شأنه وعزَّ سلطانه فلا يوصف هو دون كلمته ولا توصف كلمته دونهُ. فالله جلَّ ثناؤه خلق بكلمته جميع خلقه وبغير كلمته لم يخلق شيئاً. وانما خلق الاشياء بكلمته الحقّ فبالحق نحن مخلوقون. قال الغلام: قد فهمت من امر الخالق وعزّة كلمته ما ذكرت وقبلت ذلك منك بفهم. ولكني سمعتك تقول انما خلق الخلق بكلمته الحق والحق ضدّ الباطل فمن اين عرض الباطل وكيف يمكن عروضه

خصال: الاستعداد لطلب رزقه. والتنزُّه على ان يكون كَلًّا على الناس. والخروج عن عهدة الملامة. قال شماس: اخبرني عن باب طلب المعيشة. قال الغلام: يستحلّ الانسان ما احلَّهُ الله ويحرم ما حرَّمهُ الله عزَّ وجلَّ. وانقطع بينهما الكلام لما وصلا الى هذا الحدّ

ثم قام شماس هو ومن حضر من العلماء وسجدوا للغلام وعظموهُ وبجلوهُ وضمَّهُ ابوهُ الى صدره. ثم بعد ذلك اجلسهُ على سرير الملك وقال: الحمد لله الذي رزقني ولدًا تقرّ بهِ عيناي في حياتي. ثم قال الغلام لشماس ومن حضر من العلماء: ايها العالم صاحب المسائل الروحانية ان لم يكن فتح الله عليَّ من العلم الّا بشيء قليل فاني قد فهمت قصدك في قبولك مني ما اتيت به جوابًا عمَّا سألتني سواء كنتُ بهِ مصيبًا او مخطأً ولعلك صفحت عن خطاهُ. وانا اريد ان اسألك عن شيء عجز عنهُ رأيي وضاق منهُ ذرعي وكَلَّ عن وصفه لساني لانهُ اشكل عليَّ اشكال الماء الصافي في الاناء الاسود. فأُحبّ منك ان تشرحهُ لي حتى لا يكون شيء منهُ مبهمًا على مثلي فيما يستقبل مثل ابهامه عليَّ فيما مضى. لان الله كما جعل الحياة بالماء والقوة بالطعام وشفاء المريض بمداواة الطبيب جعل شفاء الجاهل بعلم العالم فانصت الى كلامي. قال شماس: ايها المضيء العقل صاحب المسائل الصالحة من شهد لهُ العلماء كلهم بالفضل لحسن تفصيلك للاشياء وتقسيمك اياها وحسن اصابتك في اجابتك عمَّا سألتك عنهُ قد علمتُ انك لستَ تسألني عن شيء الّا وانت في تأويله اصوب رأيًا واصدق مقالاً لان الله قد اتاك من العلم ما لم يؤتِ احدًا من الناس فاخبرني عن هذه الاشياء التي تريد ان تسألني عنها. قال الغلام: اخبرني عن الخالق جلت قدرته من اي الاشياء خلق الخلق ولم يكن قبل ذلك شيء. وليس يُرى في هذه الدنيا شيء الّا وهو مخلوق من شيء. والباري تبارك وتعالى قادر على ان يخلق الاشياء من لا شيء. ولكن اقتضت ارادته مع كمال القدرة والعظمة انهُ لم يخلق شيئًا الّا من شيء. قال الوزير شماس: اما صنَّاع الآلات من النجار وغيره من الصنائع لا يقدرون على ابتداع شيء الّا من شيء. اذ هم مخلوقون. واما الخالق الذي صنع العالم بهذه الصنعة

السرّ عند جميع الناس من اداء الامانة . قال شماس : فاخبرني عن حسن الخلق مع الاهل والاقارب . قال الغلام : انهُ لا راحة لبني آدم الّا بحسن الخلق . ولكن ينبغي ان يصرف الى الاهل ما يستحقونهُ والى الاخوان ما يجب لهم . قال : فاخبرني ما الذي يجب ان يصرفهُ الى الاهل . قال : اما الذي يصرفهُ للوالدين فخفض الجناح وحلاوة اللسان ولين الجانب والاكرام والوقار . واما الذي يصرفهُ للاخوان فالنصيحة وبذل المال ومساعدتهم على اسبابهم والفرح لفرحهم والاغضاء عمّا يقع منهم من الهفوات . فاذا عرفوا منهُ ذلك قابلوهُ بأعزّ ما عندهم من النصيحة وبذلوا الانفس دونهُ . فاذا كنت من اخيك على ثقة فابذل لهُ ودّك وكن مساعداً لهُ على جميع اموره

(الليلة الثالثة عشرة بعد التسعمائة) . فقال لهُ الوزير شماس : اني ارى الاخوان صنفين اخوان ثقة واخوان معاشرة . اما اخوان الثقة فانهُ يجب لهم ما وصفت . فاسألك عن غيرهم من اخوان المعاشرة . قال الغلام : اما اخوان المعاشرة فانك تصيب منهم لذّة وحسن خلق وحلاوة لفظ وحسن معاشرة . فلا تقطع منهم لذّاتك بل ابذل لهم مثل ما يبذلونه لك وعاملهم بمثل ما يعاملونك بهِ من طلاقة الوجه وعذوبة اللسان فيطيب عيشكُ ويكون كلامك مقبولاً عندهم . قال شماس : قد عرفنا هذه الامور كلها . فاخبرني عن الارزاق المقدَّرة للخلق من الخالق هل هي مقسومة بين الناس والحيوان لكل واحدٍ رزقٌ الى تمام اجله . واذا كان الامر كذلك ما الذي يحمل طالب المعيشة على ارتكاب المشقة في طلب ما عرف انهُ ان كان مقدَّرًا لهُ فلا بدَّ من حصوله وان لم يرتكب مشقة السعي . وان لم يكن مقدَّرًا لهُ فلا يتحصل لهُ ولو سعى اليهِ غاية السعي . فهل يترك السعي ويكون على ربّه متوكلًا ولجسده ونفسه مريحًا . قال الغلام : انّا قد رأينا ان لكل احد رزقًا مقسوماً واجلًا محتوماً . ولكن لكل رزق طريق واسباب . فصاحب الطلب يصيب في طلبه الراحة بترك الطلب ومع ذلك لا بدَّ من طلب الرزق . غير ان الطالب على ضربين . اما ان يصيب واما ان يُحرم . فراحة المصيب في الحالتين اصابة رزقه وكون عاقبة طلبه حميدة . وراحة المحروم في ثلاث

شماس : قد بيَّنت لي ما سألتك عنهُ من حقّ الملك والرعية . فاخبرني هل بقي للرعية شي؛ على الملك غير ما قلت . قال الغلام : نعم حق الرعية على الملك اوجب من حق الملك على الرعية . وهو ان ضياع حقهم عليهِ اضرّ من ضياع حقه عليهم لانهُ لا يكون هلاك الملك وزوال ملكه ونعمته الّا من ضياع حق الرعية . فمن تولّى ملكاً يجب عليهِ ان يلازم ثلاثة اشياء وهي : اصلاح الدين واصلاح الرعية واصلاح السياسة . فبملازمة هذه الثلثة يدوم ملكه . قال : فاخبرني كيف ينبغي ان يستقيم في اصلاح الرعية . قال : باداء حقهم واقامة سننهم واستعمال العلماء والحكماء لتعليمهم وانصاف بعضهم من بعض وحقن دمائهم والكفّ عن اموالهم وتخفيف الثقل عنهم وتقوية جيوشهم . قال : فاخبرني ما حق الوزير على الملك . قال الغلام : ليس على الملك حق لاحد من الناس اوجب من الحق الواجب عليهِ للوزير لثلاث خصال : الاولى للذي يصيبهُ معهُ عند خطإ الرأي والانتفاع العام للملك والرعية عند سداد الرأي . والثانية ليعلم الناس حسن منزلة الوزير عند الملك فتنظر اليهِ الرعية بعين الاجلال والتوقير وخفض الجناح . والثالثة ان الوزير اذا شاهد ذلك من الملك والرعية دفع عنهم ما يكرهونهُ ووفى لهم بما يحبونه . قال شماس : قد سمعت جميع ما قلتهُ لي من صفات الملك والوزير والرعية وقبلتهُ منك . فاخبرني ما ينبغي لحفظ اللسان عن الكذب والسفاهة وسبّ العرض والافراط في الكلام . قال الغلام : ينبغي للانسان ان لا يتكلم الّا بالخير والحسنات ولا ينطق في شأن ما لا يعنيه . ويترك النميمة ولا ينقل عن احد حديثاً سمعهُ منهُ لعدوّه . ولا يطلب لصديقه ولا لعدوّه ضرراً عند سلطانه . ولا يعبأ بمن يرتجي خيره ويتقي شرّه الّا الله تعالى لانه هو الضارّ النافع على الحقيقة . ولا يذكر لاحد عيباً ولا يتكلم بجهل لئلّا يلزمهُ الوزر والاثم من الله والبغض بين الناس . واعلم ان الكلام مثل السهم اذا نفذ لا يقدر احد على ردّه . وليحذر ان يودع سره عند من يفشيه فربما يقع في ضرر افشائه بعد ان يكون على ثقة من الكتمان . وان يكون مخفياً لسرّه عن صديقه اكثر من اخفائه عن عدوّه فان كتمان

له واستئناسه به وتذلله اليه قال في نفسه: ان هذا الاسد قد خضع اليَّ وملكتهُ وما ارى الّا اني اركبهُ واسلخ جلده مثل غيره من الوحوش . فتجاسر الصياد ووثب على ظهر الاسد وطمع فيه. فلما رأى الاسد ما صنع الصياد غضب غضباً شديداً ثم رفع يده وضرب الصياد فدخلت مخالبه في امعائه ثم طرحهُ تحت قوائمه ومزّقهُ تمزيقاً . فمن ذلك علمت انهُ ينبغي للوزير ان يكون عند الملك على حسب ما يرى من حاله ولا يتجاسر عليه لفضل رأيه فيتغيَّر الملك عليهِ

(الليلة الثانية عشرة بعد التسعمائة) . قال شماس: فاخبرني ما الذي يتزيَّن بهِ الوزير عند الملك. قال الغلام: اداء الامانة التي فوّض اليه امرها من النصيحة وسداد الرأي وتنفيذه لاوامره. قال لهُ شماس: امَّا ما ذكرت من ان حقّ الملك على الوزير ان يجتنب سخطه ويفعل ما يقتضي رضاه ويهتمَّ بما قلدهُ اياهُ فانهُ امر واجب. ولكن اخبرني ما الحيلة اذا كان الملك انما رضاهُ بالجور وارتكاب الظلم والعسف فما حيلة الوزير اذا هو ابتلي بعشرة ذلك الملك الجائر . فانهُ ان اراد ان يصرفهُ عن هواهُ وشهوته ورأيه فلا يقدر على ذلك. وان هو تابعهُ على هواهُ وحسَّن لهُ رأيه حمل وزر ذلك وصار للرعية عدوًّا . فما تقول في هذا. فاجاب الغلام قائلًا: ان ما ذكرت ايها الوزير من الوزر والاثم انما هو اذا تابعهُ على ما ارتكبهُ من الخطا . ولكن يجب على الوزير اذا شاورهُ الملك في مثل هذا ان يبين لهُ طريق العدل والانصاف. ويحذرهُ من الجور والاعتساف. ويعرفهُ حسن السيرة في الرعية ويرغبهُ فيما في ذلك من الثواب ويحذرهُ عمَّا يلزمهُ من العقاب. فان مال وعطف الى كلامه حصل المراد والّا فلا حيلة لهُ الّا بمفارقته اياهُ بطريقة لطيفة لان في المفارقة لكل واحد منهما الراحة. قال الوزير: فاخبرني ما حقّ الملك على الرعية وما حقّ الرعية على الملك . قال: الذي يأمرهم بهِ يعملونه بنيَّة خالصة ويطيعونه فيما يرضيه ويرضي الله ورسوله . وحقّ الرعية على الملك حفظ اموالهم وصون حريمهم. كما ان للملك على الرعية السمع والطاعة وبذل الانفس دونهُ واعطاؤهُ واجب حقه وحسن الثناء عليهِ بما اولاهم من عدله واحسانه . قال

قال: العمل الصالح. قال: فاذا فعل الرجل ذلك شغله عن معاشه. فكيف يفعل في المعيشة التي لا بدَّ لهُ منها. قال الغلام: ان نهاره اربعة وعشرون ساعة فينبغي لهُ ان يجعل منها جزءًا واحدًا في طلب المعيشة وجزءًا واحدًا للدعة والراحة ويصرف الباقي في طلب العلم. لان الانسان اذا كان عاقلًا وليس عندهُ علم فانما هو كالارض المجدبة التي ليس فيها موضع للعمل والغرس والنبات. فاذا لم تُهيَّأ للعمل وتُغرس لا ينفع فيها ثمر. واذا هُيِّئت للعمل وغُرست انبتت ثمرًا حسنًا. كذلك الانسان بغير علم لا نفع بهِ حتى يغرس فيهِ العلم فاذا غرس فيهِ العلم اثمر. قال شماس: فاخبرني عن العلم بغير عقل ما شأنه. قال: كعلم البهيمة التي تعلمت اوان مطعمها ومشربها واوان يقظتها ولا عقل لها. قال شماس: قد اوجزت في الاجابة عن ذلك ولكن قد قبلت منك هذا الكلام. فاخبرني كيف ينبغي ان اتوقَّى السلطان. قال الغلام: لا تجعل لهُ عليك سبيلًا. قال: وكيف استطيع ان لا اجعل لهُ عليَّ سبيلًا وهو مسلَّط عليَّ وزمام امري بيده. قال الغلام: انما سلطانه عليك بحقوقهِ التي قبلك. فاذا اعطيته حقه فلا سلطان لهُ عليك. قال شماس: ما حقّ الملك على الوزير. قال: النصيحة والاجتهاد في السرّ والعلانية والرأي السديد وكتم سرّه وان لا يخفي عنهُ شيئًا مما هو حقيق بالاطلاع عليهِ وقلّة الغفلة عمَّا قلدهُ اياهُ من قضاء حوائجه وطلب رضاهُ بكل وجه واجتناب سخطه عليهِ. قال شماس: فاخبرني ما الذي يفعلهُ الوزير مع الملك. قال الغلام: اذا كنت وزيرًا للملك واحببت ان تسلم منهُ فليكن سمعك وكلامك له فوق ما يؤملهُ منك وليكن طلبك منهُ لحاجة على قدر منزلتك عنده. واحذر ان تنزل نفسك منزلة لم يرك لها اهلًا فيكون ذلك منك مثل الجرأة عليهِ. فاذا اغتررت بحلمه ونزّلت نفسك منزلة لم يرك لها اهلًا تكون مثل الصياد الذي يصطاد الوحوش فيسلخ جلودها لحاجته اليها ويطرح لحومها. فجعل الاسد يأتي الى ذلك المكان فيأكل من تلك الجيفة. فلما كثر تردُّدهُ الى ذلك المحلّ استأنس بالصياد وألفهُ. واقبل الصياد يرمي اليهِ ويمسح بيده على ظهره وهو يلعب بذيله. فعند ما رأى الصياد سكون الاسد

قال الغلام : انما العلم من التعلُّم . واما الرأي فانهُ من التجارب . واما الذهن فانهُ من التفكر . وثباتها واجتماعها في العقل . فمن اجتمعت فيهِ هذه الثلاث الخصال كان كاملًا ومن جمع اليهنَّ تقوى الله كان مصيباً . قال شماس : صدقت وقد قبلت منك ذلك . فاخبرني عن العالِم العليم ذي الرأي السديد والفطنة الوقّادة والذهن الفائق الرائق هل يغيّرهُ الهوى والشهوة عن هذه الحالات التي ذكرت . قال الغلام : ان هاتين الخصلتين اذا دخلتا على الرجل غيّرتا علمه وفهمه ورأيه وذهنه . وكان مثل العقاب الكاسر الذي عن القنص محاذر المقيم في جوّ السماء لفرط حذقه . فبينما هو كذلك اذ نظر رجلًا صيادًا قد نصب شركه . فلما فرغ الرجل من نصب الشرك وضع فيهِ قطعة لحم . فعند ذلك ابصر العقاب قطعة اللحم فغلب عليهِ الهوى والشهوة حتى نسي ما شاهد من الشرك ومن سوء الحال لكل من وقع من الطير . فانقضَّ من جوّ السماء حتى وقع على قطعة اللحم فاشتبك في الشرك . فلما جاء الصيَّاد رأى العقاب في شركه فتعجب عجباً شديدًا وقال : انا نصبت شركي ليقع فيهِ حمام او نحوه من الطيور الضعيفة فكيف وقع فيهِ هذا العقاب . وقد قيل : ان الرجل العاقل اذا حمله الهوى والشهوة على امر يتدبر عاقبة ذلك الامر بعقله فيمتنع مما حسَّناهُ ويقهر بعقله شهوته وهواه . فاذا حملهُ الهوى والشهوة على امر ينبغي ان يجعل عقله مثل الفارس الماهر في فروسيته اذا ركب الفرس الارعن فانهُ يجذبهُ باللجام الشديد حتى يستقيم ويمضي معهُ على ما يريد . واما من كان سفيهاً لا علم لهُ ولا رأي عندهُ والامور مشتبهة عليهِ والهوى والشهوة مسلطان عليهِ فانه يعمل بشهوته وهواه فيكون من الهالكين ولا يكون في الناس اسوأ حالاً منهُ . قال شماس : صدقت فيما قلت وقد قبلت ذلك منك . فاخبرني متى يكون العلم نافعاً والعقل لوبالِ الهوى والشهوة دافعاً . قال الغلام : اذا صرفهما صاحبهما في طلب الآخرة . لان العقل والعلم كليهما نافعان ولكن ليس ينبغي لصاحبهما ان يصرفهما في طلب الدنيا الّا بمقدار ما يحصل بهِ قوته منها ويدفع عن نفسه شرها ويصرفهما في عمل الآخرة . قال : فاخبرني ما احقّ ان يلزم الانسان ويشغل بهِ قلبه .

ظهره ويدنيك من الشجرة التي تعجبك اثمارها حتى اذا ادناك منها تجني انت ما اصبت من الثمار . فقام الاعمى وحمل المقعد وجعل المقعد يهديه الى السبيل حتى ادناه الى شجرة فصار المقعد يأخذ منها ما احبّ . ولم يزل ذلك دأبهما حتى افسدا ما في البستان من الشجر . واذا بصاحب البستان قد جاء وقال لهما : ويحكما ما هذه الفعال . ألم اعاهدكما على ان لا تفسدا في هذا البستان . فقالا لهُ : قد علمت اننا لم نقدر أن نصل الى شيء من الاشياء لان احدنا مقعد لا يقوم والآخر اعمى لا يبصر ما بين يديه . فما ذنبنا . فقال لهما صاحب البستان : لعلّكما تظنّان اني لست ادري كيف صنعتما وكيف افسدتما في بستاني . كأني بك ايها الاعمى قد قمتَ وحملت المقعد على ظهرك وصار يهديك السبيل حتى اوصلتهُ الى الشجر . ثم انهُ اخذهما وعاقبهما عقوبة شديدة واخرجهما من البستان . فالاعمى مثال للجسد لانهُ لا يبصر الّا بالنفس . والمقعد مثال للنفس التي لا حركة لها الّا بالجسد . واما البستان فانهُ مثال للعمل الذي يجازى بهِ العبد . والناظر مثال للعقل الذي يأمر بالخير وينهى عن الشرّ . فالجسد والروح مشتركان في الثواب والعقاب . قال لهُ شماس : صدقت وقد قبلت قولك هذا . فاخبرني ايّ العلماء عندك احمد . قال الغلام : من كان بالله عالمًا وينفعهُ علمهُ . قال شماس : ومَن ذلك . قال الغلام : من يلتمس رضى ربّه ويتجنب سخطه . قال : فأيّهم افضل . قال الغلام : من كان بالله اعلم . قال شماس : فمَن اشدّهم اختبارًا . قال : من كان على العمل بالعلم صبارًا . قال شماس : اخبرني من ارقّهم قلبًا . قال : اكثرهم استعدادًا للموت وذكرًا واقلّهم املًا . لان من ادخل على نفسه طوارق الموت كان مثل الذي ينظر في المرآة الصافية فانهُ يعرف الحقيقة ولا تزداد المرآة الّا صفاء وبريقًا . قال شماس : اي الكنوز احسن . قال : كنوز السماء . قال : فاي كنوز السماء احسن . قال : تعظيم الله وتحميده . قال : فاي كنوز الارض افضل . قال : اصطناع المعروف

(الليلة الحادية عشرة بعد التسعمائة) . فقال شماس : صدقت وقد قبلت قولك هذا . فاخبرني عن الثلثة المختلفة العلم والرأي والذهن وعن الذي يجمع بينها .

الرجل بماله جميعه جواهر وانطلق الى صاحبه. فالملك العادل مثال للآخرة. والجواهر التي بارض الملك الجائر مثال لمحسنات والعمل الصالح . والرجل صاحب المال مثال لمن طلب الدنيا. والمال الذي معهُ مثال لحياة الانسان. فلما رأيت ذلك علمت انهُ ينبغي لمن يطلب المعيشة في الدنيا ان لا يخلّي يوماً عن طلب الآخرة . فيكون قد ارضى الدنيا بما ناله من خصب الارض وارضى الآخرة بما يصرف من حياته في طلبها . قال شماس : فاخبرني هل الجسد والروح سواء في الثواب والعقاب او انما يختصّ بالعقاب صاحب الشهوات وفاعل الخطيئات . قال الغلام: قد يكون الميل الى الشهوات والخطيئات موجباً للثواب بحبس النفس عنها والتوبة منها . والامر بيد من يفعل ما يشاء. وبضدها تتميز الاشياء. على ان المعاش لا بدَّ منهُ للجسد ولا جسد ألّا بالروح. وطهارة الروح باخلاص النية في الدنيا والالتفات الى ما ينفع في الآخرة . فهما فرسا رهان. ورضيعا لبان. ومشتركان في الاعمال. وباعتبار النية تفصيل الاجمال. وكذلك الجسد والروح مشتركان في الاعمال وفي الثواب والعقاب . وذلك مثل الاعمى والمقعد اللذين اخذهما رجل صاحب البستان وادخلهما بستانه وامرهمـا ان لا يفسدا فيهِ ولا يصنعا فيهِ امرًا يضرّ بهِ. فلما طابت اثمار البستان قال المقعد للاعمى : ويحك اني ارى اثمارًا طيبة وقد اشتهيتها ولست اقدر على القيام اليها لآكل منها. فقم انت لانك صحيح الرجلين واتنا منها بما نأكل. فقال الاعمى: ويحك قد ذكرتها لي وقد كنت عنها غافلًا ولست اقدر على ذلك لاني لست ابصرها فما الحيلة في تحصيل ذلك. فبينما هما كذلك اذ اتاهما الناظر على البستان وكان رجلًا عالمًا. فقال لهُ المقعد: ويحك يا ناظر انا قد اشتهيت شيئاً من هذه الثمار ونحن كما ترى انا مقعد وصاحبي هذا اعمى لا يبصر شيئاً فما حيلتنا. فقال لهما الناظر: ويحكما ألستما تعلمان ما قد عاهدكما عليهِ صاحب البستان من انكما لا تتعرّضا لشيء مما يؤثر فيهِ الفساد. فانتهيا ولا تفعلا. فقالا لهُ: لا بدَّ لنا من ان نصيب من هذه الثمار ما نأكلهُ فاخبرنا بما عندك من الحيلة. فلما لم ينتهيا عن رأيهما قال لهما . الحيلة في ذلك ان يقوم الاعمى ويحملك ايهـا المقعد على

الملك الجائر ذات اشجار واثمار ونبات . وكان ذلك الملك لا يدع احدًا من التجار الّا اخذ ماله وتجارته وهم صابرون على ذلك لِما يصيبون من خصب تلك الارض في المعيشة . واما الملك العادل فانهُ بعث رجلًا من اهل ارضه واعطاهُ مالاً وافرًا وامرهُ ان ينطلق بهِ الى ارض الملك الجائر ليبتاع بهِ جواهر منها . فانطلق ذلك الرجل بالمال حتى دخل تلك الارض . فقيل للملك : انهُ جاء الى ارضك رجل تاجر ومعهُ مال كثير يريد ان يبتاع بهِ جواهر منها . فأرسل اليهِ واحضرهُ وقال لهُ : من انت ومن اين اتيت ومن جاء بك الى ارضي وما حاجتك . فقال لهُ : اني من ارض كذا وكذا وان ملك تلك الارض اعطاني مالاً وامرني ان ابتاع لهُ بهِ جواهر من هذه الارض فامتثلت امره وجئت . فقال لهُ الملك : ويحك اما علمت صنعي باهل ارضي من اني آخذ مالهم في كل يوم فكيف تأتيني بمالك وها انت مقيم في ارضي منذ كذا وكذا . فقال لهُ التاجر: ان المال ليس لي منهُ شيء . وانما هو امانة تحت يدي حتى اوصله الى صاحبه . فقال لهُ : اني لست بتاركك تأخذ معيشتك من ارضي حتى تفدي نفسك بهذا المال جميعه او تهلك

(الليلة العاشرة بعد التسعمائة) . فقال الرجل في نفسه : قد وقعت بين ملكين وقد علمت ان جور هذا الملك عامّ على من اقام بارضه . فان لم ارضهِ كان هلاكي وذهاب المال لا بدَّ منها ولم اصب حاجتي . وان اعطيتهُ جميع المال كان هلاكي عند الملك صاحب المال لا بدَّ منهُ . وليس لي حيلة سوى اني اعطيه من هذا المال جزءًا يسيرًا وارضيه بهِ وادفع عن نفسي وعن هذا المال الهلاك . واصيب من خصب هذه الارض قوت نفسي حتى ابتاع ما اريد من الجواهر واكون قد ارضيتهُ بما اعطيتهُ وآخذ نصيبي من ارضه هذه واتوجه الى صاحب المال بحاجته . فاني ارجو من عدله وتجاوزه ما لا اخاف معهُ عقوبة فيما أخذه هذا الملك من المال خصوصاً اذا كان يسيرًا . ثم ان التاجر دعا للملك وقال لهُ : ايها الملك انا افتدي نفسي وهذا المال بجزء صغير من منذ دخلت ارضك حتى اخرج منها . فقبل الملك منهُ ذلك وخلَّى سبيله سنة . فاشترى

من اين علمت ان نعيم الآخرة هو الدائم من الكونين. قال الغلام: علمت ذلك من انها دار الجزاء على الاعمال التي اعدَّها الباقي بلا زوال. قال شماس: اخبرني اي اهل الدنيا احمد عملًا. قال الغلام: من يؤثر آخرته على دنياه. قال شماس: ومَن الذي يؤثر آخرته على دنيـاه. فقال الغلام: من كان يعلم انهُ في دار منقطعة وانهُ ما خلق الَّا للفناء وانهُ بعد الفناء يُحاسب وانهُ لو كان في هذه الدنيا احد مخلد ابدًا لا يؤثر الدنيا على الآخرة. قال شماس: اخبرني هل تستقيم آخرة بغير دنيا. قال الغلام: من لم يكن لهُ دنيا فلا آخرة لهُ. ولكن رأيت الدنيا واهلها والمعاد الذي هم صائرون اليه كمثل اهل هؤلاء الضياع الذين ابتنى لهم امير بيتًا ضيقًا وادخلهم فيهِ وامرهم بعمل يعملونهُ. وضرب لكل واحد منهم اجلًا ووكَّل بهِ شخصًا. فمن عمـل منهم ما أُمر بهِ اخرجهُ الشخص الموكـل بهِ من ذلك الضيق. ومن لم يعمل ما أُمر به وقد انقضى الاجل المضروب لهُ عُوقب. فبينما هم كذلك اذ رشح لهم من شقوق البيت عسل. فلما اكلوا من ذلك العسل وذاقوا طعمهُ وحلاوته توانوا في العمل الذي أُمروا بهِ ونبـذوهُ وراء ظهورهم وصبروا على ما هم فيهِ من الضيق والغمّ مع ما علموا من تلك العقوبة التي هم صائرون اليها وقنعوا بتلك الحلاوة اليسيرة. وصار الموكل لا يدع احدا منهم اذا جاء اجله الَّا ويخرجهُ من ذلك البيت. فعرفنا ان الدنيا دار تتحيّر فيها الابصار وضرب لاهلها فيها الآجال. فمن وجد الحلاوة القليلة التي تكون في الدنيا واشغل نفسه بها كان من الهالكين. حيث آثر امر دنياه على آخرته. ومن يؤثر امر آخرته على دنياه ولم يلتفت الى تلك الحلاوة القليلة كان من الفائزين. قال شماس: قد سمعتُ ما ذكرت من امر الدنيا والآخرة وقبلت ذلك منك. ولكني قد رأيتها مسلَّطين على الانسان فلا بدَّ لهُ من ارضائهما معًا وهما مختلفان. فان اقبل العبـد على طلب المعيشة فذلك اضرار بروحه في المعاد. وان اقبل على الآخرة كان ذلك اضرارًا بجسده. وليس لهُ سبيل الى ارضاء المتخالفين معًا. قال الغلام: انهُ من حصل المعيشة في الدنيا تقوّيه على الآخرة. فاني رأيتُ امر الدنيا والآخرة مثل ملكين عادلٍ وجائرٍ. وكانت ارض

وفاق جميع العلماء والحكماء الذين في زمانه . فأتى بهِ العلماء الى الملك والده وقالوا لهُ : اقرّ الله عينك ايها الملك بهذا الولد السعيد وقد اتيناك بهِ بعد ان تعلم كل علم حتى لم يكن احد من علماء الوقت وحكمائه بلغ ما بلغه . ففرح الملك بذلك فرحاً شديداً وزاد في شكر الله تعالى وخرَّ ساجداً لهُ عزَّ وجلَّ وقال : الحمد لله على نعمه التي لا تحصى . ثم دعا بشماس الوزير وقال لهُ : اعلم يا شماس ان العلماء قد اتوني واخبروني ان ابني هذا قد تعلم كل علم ولم يبقَ من العلوم علم الَّا وقد علموهُ لهُ حتى فاق من تقدَّمه في ذلك فما تقول يا شماس . فسجد عند ذلك لله عزَّ وجلَّ وقبل يد الملك وقال : أَبت الياقوتة ولو كانت في الجبل الاصمّ الَّا ان تكون مضيئة كالسراج . وابنك هذا جوهرة فما تمنعهُ حداثته من ان يكون حكيماً . والحمد لله على ما اولاه . وانا ان شاء الله تعالى في غد اسألهُ واستنطقهُ بما عندهُ في مجمع اجمعهُ لهُ من خواصّ العلماء والامراء

(الليلة التاسعة بعد التسعمائة) . فلما سمع الملك جليعاد كلام شماس امر جهابذة العلماء واذكياء الفضلاء ومهرة الحكماء ان يحضروا الى قصر الملك في غد فحضروا جميعاً . فلما اجتمعوا على باب الملك اذن لهم بالدخول . ثم حضر شماس الوزير وقبل يدي ابن الملك . فقام ابن الملك وسجد لشماس . فقال لهُ شماس : ليس يجب على شبل الاسد ان يسجد لاحد من الوحوش ولا ينبغي ان يقترن النور بالظلام . قال الغلام : ان شبل الاسد لما رأى وزير الملك سجد لهُ . فعند ذلك قال شماس : اخبرني ما الدائم المطلق وما كوناهُ وما الدائم من كونيهِ . قال الغلام : اماَّ الدائم المطلق فهو الله عزَّ وجلَّ لانهُ أول بلا ابتداء وآخر بلا انتهاء . واما كوناهُ فالدنيا والآخرة . واما الدائم من كونيهِ فهو نعيم الآخرة . قال شماس : صدقت فيما قلت وقبلتهُ منك . غير اني احبّ ان تخبرني من اين علمت ان احد الكونين هو الدنيا وثانيهما هو الآخرة . قال الغلام : لان الدنيا خُلقت ولم يكن من شيء كائن فآل امرها الى الكون الاول . غير انهـا عرض سريع الزوال مستوجب الجزاء على الاعمال وذلك يستدعي اعادة الفاني فالآخرة هي الكون الثاني . قال شماس : صدقت فيما قلت وقبلتهُ منك . غير اني احبّ ان تخبرني

لله تعالى والثناء عليهِ بسبب نعمته وفضله . وانا اشكر الله لاني انما انا عبد مأمور وقلبي بيده ولساني تابع لهُ راضٍ بما حكم عليَّ وعليهم بأيّ شيء صار . وقد قال كل واحد منهم ما خطر بباله من امر هذا الغلام وذكروا ما كان من متجدّد النعمة علينا حين بلغت من السنّ حدًّا يغلب معهُ اليأس وضعف اليقين . والحمد لله الذي نجانا من الحرمان . واختلاف الحكام كاختلاف الليل والنهار . وقد كان ذلك انعامًا عظيمًا عليهم وعلينا . فنحمد الله تعالى الذي رزقنا هذا الغلام سميعًا مطيعًا وجعلهُ وارثًا من الخلافة محلًّا رفيعًا . نسألهُ من كرمه وحلمه ان يجعلهُ سعيد الحركات موفقًا للخيرات حتى يصير ملكًا وسلطانًا على رعيته بالعدل والانصاف . حافظًا لهم من هلكات الاعتساف بمنه وكرمه وجوده

فلما فرغ الملك من كلامه قام الحكماء والعلماء وسجدوا لله وشكروا الملك وقبلوا يديه وانصرف كل واحد منهم الى بيته . فعند ذلك دخل الملك بيته وابصر الغلام ودعا لهُ وسمَّاهُ وردخان . فلما مضى لهُ من العمر اثنتا عشرة سنة اراد الملك ان يعلمهُ العلوم فبنى لهُ قصرًا في وسط المدينة وبنى فيهِ ثلثمائة وستين مقصورة وجعل الغلام فيهِ ورتَّب لهُ ثلثة من الحكماء والعلماء وامرهم ان لا يغفلوا عن تعليمه ليلًا ولا نهارًا وان يجلسوا معهُ في كل مقصورة يومًا ويحرصوا على ان لا يكون علم الَّا ويعلمونه اياهُ حتى يصير بجميع العلوم عارفًا . ويكتبوا على باب كل مقصورة ما يعلمونهُ لهُ فيها من اصناف العلوم ويرفعوا اليهِ في كل سبعة ايام ما عرفهُ من العلوم . ثم ان العلماء اقبلوا على الغلام وصاروا لا يفترون عن تعليمه ليلًا ولا نهارًا ولا يؤخرون عنهُ شيئًا مما عندهم من العلوم . فظهر للغلام من ذكاء العقل وجودة الفهم وقبول العلم ما لم يظهر لاحد قبله وجعلوا يرفعون للملك في كل اسبوع مقدار ما تعلمهُ ولده واتقنه . فكان الملك يستظهر من ذلك علمًا حسنًا وادبًا جميلًا . وقال العلماء : انا ما رأينا قطّ من أُعطي فهمًا مثل هذا الغلام . فبارك الله لك فيهِ ومتعك بحياته . فلما اتمَّ الغلام مدَّة اثنتي عشرة سنة حفظ من كل علم احسنه .

الذي يسّر لها هذا المكان وأمّن خوفها من الهوامّ . فمكثت على هذه الحال مدّة من الزمان وهي شاكرة لله على راحتهـا واتصال رزقها . فامتحنها خالقها بأن اخرجها لينظر شكرها وصبرها فارسل اليها ريحًا عاصفة شرقية فحملتها ببيتها ورمتها في البحر فجرّتهـا الامواج الى البرّ . فعند ذلك شكرت الله تعالى على سلامتها وجعلت تعاتب الريح قائلةً لها : ايتها الريح لِمَ فعلتِ بي ذلك وما الذي حصل لكِ من الخير في نقلي من مكاني الى هنا وقد كنت آمنة مطمئنة في بيتي بأعلى ذلك الباب . فقالت لها الريح : انتهي عن العتاب فاني سأرجع بكِ واوصلكِ الى مكانكِ كما كنتِ اوّلاً . فلبثت العنكبوت صابرة على ذلك راجية ان ترجع الى مكانها حتى ذهبت ريح الشمال ولم ترجع بها . وهبّت ريح الجنوب فمرّت بهـا واختطفتها وطـارت بها الى جهة ذلك البيت . فلما مرّت بهِ عرفتهُ فتعلقتْ بهِ

ونحن نسأل الله الذي اثاب الملك على وحدته وصبره ورزقهُ هذا الغـلام بعد يأسه وكبر سنه ولم يخرجهُ من هذه الدنيا حتى رزقهُ قرّة عينٍ ووهب لهُ ما وهب من الملك والسلطان فرحم رعيته واولاهم نعمته . فقال الملك : الحمد لله فوق كل حمد والشكر لهُ فوق كل شكر . لا اله الّا هو خالق كل شيء . الذي عرفنا بنور آثاره جلال عظمته . يؤتي الملك والسلطان من يشاء من عباده في بلاده لانهُ ينتخب منهم من يشاء ليجعلـهُ خليفة ووكيلًا على خلقه ويأمرهُ فيهم بالعدل والانصاف واقامة الشرائع والسنن والعمل بالحقّ والاستقامة في امورهم على ما احبّ واحبّوا . فمن عمل منهم بما امر الله كان لخلقِهِ مصيبًا ولأمر ربّه مطيعًا فيكفيه هول دنياه ويحسن جزاءهُ في أخراه انهُ لا يُضيع اجر المحسنين . ومن عمل منهم بغير ما امر الله اخطأَ خطأً بليغًا وعصى ربّه وآثر دنياهُ على أُخراه فليس لهُ في الدنيا مأثر ولا في الآخرة نصيب . لان الله لا يمهل اهل الجور والفساد ولا يهمل احدًا من العباد . وقد ذكر وزراؤنا هؤلاء ان من عدلنا بينهم وحسن تصرّفنا معهم انعم الله علينا وعليهم بالتوفيق لشكره المستوجب لمزيد انعامه . وكل واحد منهم قال ما ألهمهُ الله في ذلك وبالغوا في الشكر

واهلكت الكبار والصغار ما عدا الحاوي . فترك الحاوي الدار وخرج

فلما تحققتُ ذلك ايها الملك السعيد علمت ان الانسان ليس له ان يتمنى شيئاً غير الذي لم يُرِد الله تعالى بل يطيب نفساً بما قدَّرهُ الله لهُ واراده . وها انت ايها الملك مع غزارة علمك وجودة فهمك اقرّ الله عينك بحضور ولد لك بعد اليأس وطيّب قلبك . ونحن نسأل الله تعالى ان يجعلهُ من الخلفاء العادلين المرضيين لله تعالى والرعية

ثم قام الوزير السابع وقال : ايها الملك اني قد علمت وتحققت ما ذكرهُ لك اخوتي هؤلاء الوزراء العلماء الحكماء وما تكلموا بهِ في حضرتك ايها الملك وما وصفوهُ من عدلك وحسن سيرتك وما تميَّزت بهِ عمَّن سواك من الملوك حيث فضلوك عنهم . وذلك من بعض الواجب علينا ايها الملك . واما انا فأقول : الحمد لله الذي تولَّاك لنعمته واعطاك صلاح الملك برحمتهِ واعانك وايَّانا على ان تريدهُ شكرًا . وما ذاك الَّا بوجودك . وما دمتَ فينا لم نتخوَّف جورًا ولا نبغي ظلماً ولا يستطيع احد ان يستطيل علينا مع ضعفنا . وقد قيل : ان احسن الرعايا من كان ملكهم عادلاً . وشرّهم من كان ملكهم جائرًا . وقيل ايضاً : السكنى مع الأسود الكواسر ولا السكنى مع السلطان الجائر . فالحمد لله تعالى على ذلك حمدًا دائماً حيث انعم علينا بوجودك ورزقك هذا الولد المبارك بعد اليأس والطعن في السنّ . لان اجلَّ العطايا في الدنيا الولد الصالح . وقد قيل : من لا ولد لهُ لا عاقبة لهُ ولا ذكر . وانت بقويم عدلك وحسن ظنك بالله تعالى أُعطيت هذا الولد السعيد فجاءك هذا الولد المبارك منَّةً من الله تعالى علينا وعليك بحسن سيرتك وجميل صبرك . وصار فيك ذلك مثل ما صار في العنكبوت والريح . فقال الملك : وما حكاية العنكبوت والريح

حكاية العنكبوت والريح

(الليلة الثامنة بعد التسعمائة) . قال الوزير : اعلم ايها الملك ان عنكبوتاً تعلَّقت في باب مترخٍ عالٍ وعملت لها بيتاً وسكنت فيهِ بأمان . وكانت تشكر الله تعالى

صنعته. وكان عنده سلّة كبيرة فيها ثلاث حيّات لم يعلم بها اهل بيته. وكان كل يوم يخرج يدور بها في المدينة ويتسبب بها لتحصيل رزقه ورزق عياله ويرجع عند المساء في بيته ويضع الاحناش في السلّة سرًّا. وعند الصباح يأخذها ويدور بها في المدينة. فكان هذا دأبه على الدوام ولم يعلم اهل بيته بما في السلّة. فاتفق انهُ لما عاد الحاوي الى بيته على جري عادته سألتهُ زوجتهُ وقالت لهُ: ما في هذه السلّة. فقال لها الحاوي: وما مرادكِ منها. أليس الزاد عندكم كثيرًا زائدًا. فاقنعي بما قسم الله لكِ ولا تسألي عن غيره. فسكتت عنهُ تلك المرأة وصارت تقول في نفسها: لا بدَّ لي ان افتش هذه السلّة واعرف ما فيها. وصمّمت على ذلك واعلمت اولادها وأكّدت عليهم ان يسألوا والدهم عن تلك السلّة ويلحّوا عليهِ في السؤال لاجل ان يخبرهم. فعند ذلك تعلّق خاطر الاولاد بأنَّ فيها شيئًا يؤكل. فصار الاولاد كل يوم يطلبون من ابيهم ان يريهم ما في السلّة. وكان ابوهم يدافعهم ويراضيهم وينهاهم عن هذا السؤال. فمضت لهم مدّة وهم على ذلك الحال وامّهم تحثّهم على ذلك. ثم اتفقوا معها على انهم لا يذوقون طعامًا ولا يشربون شرابًا لوالدهم حتى يبلغهم طلبتهم ويفتح لهم السلّة. فبينما هم كذلك ذات ليلة اذ حضر الحاوي ومعهُ شيء كثير من الاكل والشرب فقعد ودعاهم ليأكلوا معهُ. فأبوا الحضور اليهِ وبيّنوا لهُ الغيظ. فجعل يلاطفهم بالكلام الحسن ويقول لهم: انظروا ماذا تريدون حتى اجيء بهِ اليكم اكلاً او شربًا او ملبوسًا. فقالوا لهُ: يا والدنا ما نريد منك الّا فتح هذه السلّة لننظر ما فيها والّا قتلنا انفسنا. فقال لهم: يا اولادي ليس لكم فيها خير وانما فتحها ضرر لكم. فعند ذلك ازدادوا غيظًا. فلما رآهم على هذه الحالة اخذ يهدّدهم ويشير لهم بالضرب ان لم يرجعوا عن تلك الحالة. فلم يزدادوا الّا غيظًا ورغبةً في السؤال. فعند ذلك غضب عليهم واخذ عصًا ليضربهم بها فهربوا قدّامه في الدار. وكانت السلّة حاضرة لم يخفها الحاوي في مكان. فخلّت المرأة الرجل مشغولاً بالاولاد وفتحت السلّة بسرعة لكي تنظر ما فيها. واذا بالحيّات قد خرجت من السلّة ولدغت المرأة اولاً فقتلتها. ثم دارت في الدار

اذا سرح وسرح الغربان يستفرد بأحدها ويضربهُ ويأكل دماغه وعينيهِ ويترك الباقي. ولم يزل يفعل معها هكذا حتى فطنت بهِ فرأت غالبها قد هلك فأيقنت بالهلاك وقال بعضها لبعض: كيف نصنع وقد هلك اكثرنا وما انتبهنا حتى هلك اكابرنا فينبغي لنا ان نتحفظ لانفسنا. فلما اصبحت نفرت منهُ وتفرّقت من حوله

ونحن الآن نخشى ان يقع لنا مثل هذا ويصير علينا ملك غيرك. ولكن قد منّ الله علينا بهذه النعمة ووجّهك الينا. ونحن واثقون الآن بالصلاح وجمع الشمل والامن والامانة والسلامة في الوطن. فتبارك الله العظيم ولهُ الحمد والشكر والثناء الجميل. وبارك الله للملك ولنا معشر الرعية ورزقنا واياهُ السعادة العظمى وجعلهُ سعيد اوقت قائم الجدّ

ثم قام الوزير السادس وقال: هنّأك الله ايها الملك بأحسن الهناء في الدنيا والآخرة. فقد تقدَّم من قول المتقدمين انّ من صلّى وصام وقام بحقوق الوالدين وعدل في حكمه لقي ربّه وهو راضٍ عنهُ. وقد وُليت علينا فعدلت فكنت في ذلك سعيد الحركات. فنسأل الله تعالى ان يجزل ثوابك ويأجرك على احسانك: وقد سمعت ما قال هذا العالم فيما نتخوف من حرمان حظنا بعدم الملك او بوجود ملك آخر لا يكون نظيره فيعظم اختلافنا بعده ويقع البلاء في الاختلاف. واذا كان الامر على ما ذكرنا فالواجب علينا ان نبتهل الى الله تعالى بالدعاء لعلّهُ يهب للملك ولدًا سعيدًا ويجعلهُ وارثًا للملك بعده. ثم بعد ذلك ربما كان الذي يحبّهُ الانسان من الدنيا ويشتهيه مجهول العاقبة لهُ. وحينئذٍ لا ينبغي للانسان ان يسأل ربه امرًا لا يدري عاقبته. لانهُ ربما كان ضرر ذلك اقرب اليهِ من نفعه فيكون هلاكه في مطلوبه ويصيبه مثل ما اصاب الحاوي وزوجته واولاده واهل بيته

(الليلة السابعة بعد التسعمائة). قال الملك: وما حكاية الحاوي واولاده وزوجته واهل بيته

حكاية الحاوي واهل بيته

فقال الوزير: اعلم ايها الملك انهُ كان انسان حاوي وكان يربّي الحيات وهذه كانت

ايامك ووهب لك هذه العطية الصالحة التي هي هذا الولد السعيد بعد اليأس . وصار لنا بذلك الفرح الدائم والسرور الذي لا ينقطع . لاننا قبل ذلك كنّا في همٍّ شديد وغمٍّ زائد بسبب عدم ولد لك وفي افكار فيما انت منطوٍ عليهِ من عدلك ورأفتك بنا وخوفاً ان يقضي الله عليك بالموت ولم يكن لك من يخلفك ويرث الملك من بعدك فيختلف رأينا ويقع بيننا الشقاق ويصير بيننا ما صار للغراب . فقال الملك : وما حكاية الغراب

حكاية الغراب

فاجابه الوزير قائلًا : اعلم ايها الملك السعيد انهُ كان في بعض البراري وادٍ متسع وكان بهِ انهار واشجار واثمار . وبهِ اطيار تسبح الله الواحد القهار خالق الليل والنهار . وكان من جملة الطيور غربان وكانت في اطيب عيش . وكان المقدَّم عليها والحاكم بينها غراب رؤوف بها شفوق عليها وكانت معهُ في امان وطمأنينة . ومن حسن تصرُّفها فيما بينها لم يكن احد من الطيور يقدر عليها . فاتفق ان مقدّمها توفي وجاءهُ الامر المحتوم على سائر الخلق . فحزنت عليهِ حزناً شديداً . ومن زيادة حزنها انهُ لم يكن فيها احد مثلهُ يقوم مقامه . فاجتمعت جميعاً وائتمرت فيما بينهــا على من يقوم عليها بحيث يكون صالحاً . فطائفة منها اختارت غراباً وقالت : ان هذا يصلح ان يكون ملكاً علينا . وآخري اختلفت فيهِ ولم تُردهُ . فوقع بينها الشقاق والجدال وعظمت الفتنة بينها . وبعد ذلك حصل بينها توافق وتعاهدت على ان تنام تلك الليلة ولا يبكر احد الى السروح في طلب المعيشة غداً بل تصبر جميعاً الى الصبــاح . وعند طلوع الفجر تكون مجتمعة في موضع واحد ثم تنظر الى كل طير يسبق في الطيران . وقالت : انهُ هو الذي يكون مأموراً من الله علينا ومختاراً عندنا للملك فنجعلهُ ملكاً علينا ونوليه امرنا . فرضيت كلها بذلك وعاهد بعضها بعضاً واتفقت على هذا العهد . فبينما هي على ذلك الحال اذ طلع باز فقالت لهُ : يا ابا الخير نحن اخترناك والياً علينا لتنظر في امرنا . فرضي الباز بما قالتهُ وقال لها : ان شاء الله تعــالى سيكون لك مني خير عظيم . ثم انها بعد ما ولَّتهُ عليها صار كل يوم

فلما سمع ذلك الملك الظالم من السائح هذا الكلام حصل عنده تغيّر مزاج فقال: ايها الجاهل ترعنا عنك ثوبك لكي تذلّ وحيث وقع منك مثل هذا الصياح عندي فانا اترع نفسك منك. ثم امر بسجنه. فلما دخل السجن جعل يندم على ما وقع منهُ من الجواب وعنَّف نفسه حيث لم يترك ذلك ويفوز بروحه. فلما كان نصف الليل قام على قدميهِ وصلّى صلاة مطوَّلة وقال: يا الله انك انت الحكم العدل تعلم بحالي وما انطوى عليهِ امري مع هذا الملك الجائر. وانا عبدك المظلوم اسألك من فيض رحمتك ان تنقذني من يد هذا الملك الظالم وتحلّ بهِ نقمتك لانك لا تغفل عن ظلم كل ظالم. فان كنت تعلم انهُ ظلمني فاحلل نقمتك عليهِ في هذه الليلة وانزل بهِ عذابك لان حكمك عدل وانت غياث كل ملهوف يا من لهُ القدرة والعظمة الى آخر الدهر. فلما سمع السجَّان دعاء هذا المسكين صار جميع ما فيهِ من الاعضاء مرعوباً. فبينما هو كذلك واذا بنار اتَّقدت في القصر الذي فيهِ الملك فاحرقت جميع ما فيهِ حتى باب السجن ولم يخلص سوى السجان والسائح. فانطلق السائح وسار هو والسجَّان ولم يزالا سائرَين حتى وصلا الى غير تلك المدينة. واما مدينة الملك الظالم فانها احترقت عن آخرها بسبب جور ملكها

واما نحن ايها الملك السعيد فما نمسي ونصبح الَّا ونحن داعون لك وشاكرون الله تعالى على فضله بوجودك مطمئنين بعدلك وحسن سيرتك. وكان عندنا غمّ كثير لعدم ولدٍ لك يرث ملكك خوفاً من ان يصير علينا ملك غيرك من بعدك. والآن قد انعم الله بكرمه علينا وازال عنَّا الغمّ واتانا بالسرور بوجود هذا الغلام المبارك. فنسأل الله تعالى ان يجعلهُ خليفة صالحة ويرزقهُ العزّ والسعادة الباقية والخير الدائم

(الليلة السادسة بعد التسعمائة). ثم قام الوزير الخامس وقال: تبارك الله العظيم مانح العطايا الصالحة والمواهب السنية. وبعدُ فاننا تحققنا ان الله ينعم على من يشكرهُ ويحافظ على دينه. وانت ايها الملك السعيد الموصوف بهذه المناقب الجليلة والعدل والانصاف بين رعيتك بما يرضي الله تعالى. فلاجل ذلك اعلى الله شأنك واسعد

حكاية ابن الملك السائح

فقال الوزير: اعلم ايها الملك انهُ كان في بلاد الغرب ملك جائر في حكمه ظالم غاشم عاسف مضيع لرعاية رعيته وجميع من يدخل في مملكته. فكان لا يدخل في مملكته احد الّا وتأخذ عمّاله منهُ اربعة اخماس مالهِ ويبقون لهُ الخمس لا غير. فقدَّر الله تعالى انهُ كان لهُ ولد سعيد موفَّق. فلما رأى احوال الدنيا غير مستقيمة تركها وخرج سائحًا عابدًا لله تعالى من صغره ورفض الدنيا وما فيها وخرج في طاعة الله تعالى يسرح في البراري والقفــار ويدخل المدن. ففي بعض الايام دخل تلك المدينة فلما وقف على المحافظين اخذوهُ وفتشوهُ فلم يروا معهُ شيئًا سوى ثوبين احدهما جديد والآخر عتيق. فنزعوا منهُ الجديد وتركوا لهُ العتيق بعد الاهانة والتحقير. فصار هو يشكو ويقول: ويحكم ايها الظالمون انا رجل فقير وسائح وما عسى ان ينفعكم من هذا الثوب واذا لم تعطوهُ لي ذهبت للملك وشكوتكم اليهِ. فاجابوهُ قائلين: انما فعلنا ذلك بامر الملك فما بدا لك ان تفعلهُ فافعلهُ. فصار السائح يمشي الى ان وصل الى بلاد الملك واراد الدخول فمنعهُ الحجَّاب. فرجع وقــال في نفسه: ما لي الّا اني ارصدهُ حتى يخرج واشكو اليهِ حالي وما اصابني. فبينما هو على تلك الحالة ينتظر خروج الملك اذ سمع احد الاجناد يخبر عنه. فأخذ يتقدَّم قليلًا قليلًا حتى وقف قبال الباب فما شعر الّا والملك خارج. فعارضهُ السائح ودعا لهُ بالنصر واخبرهُ بما وقع لهُ من المحافظين وشكا اليهِ حالهُ واخبرهُ انهُ رجل من اهل الله رفض الدنيــا وخرج طالبًا رضاء الله تعالى فصار سائحًا في الارض وكل من وفد عليهِ من النــاس احسن اليهِ بما امكنهُ وصار يدخل كل مدينة وكل قرية وهو على هذه الحالة. ثم قال: فلما دخلتُ هذه المدينة ترجيت ان يفعل بي اهلها مثل ما يفعل بغيري من السائحين. فعارضني اتبــاعك ونزعوا احد اثوابي وألهفوني ضربًا. فانظر في شأني وخذ بيدي وخلص لي ثوبي وانا لا اقيم بهذه المدينة ساعة واحدة. فأجاب الملك الظالم قائلًا: من اشار عليك بدخولك هذه المدينة وانت غير عالم بما يفعل ملكها. فقال: بعد ان آخذ ثوبي افعل بي مرادك.

المذكور . فادركه الصيادان فوجداه ميتاً فأخرجا السهم الذي اصابهُ في قلبه . فلم يخرج الّا العود وبقي السهم مشعباً في بطن حمـار الوحش . فلما كان المساء خرج الثعلب من وطنه وهو يتضجر من الضعف والجوع فرأى حمار الوحش على بابه طريحاً ففرح فرحاً شديدًا حتى كاد ان يطير من الفرح فقـال : الحمد لله الذي يسَّر لي شهوتي من غير تعب لاني كنت لا اؤمل اني اصيب حمار وحش ولا غيره . ولعلَّ الله اوقع هذا وساقهُ اليَّ في موضعي . ثم وثب عليه وشقَّ بطنه وادخل رأسه وصار يجول بفمه في امعائه الى ان وجد القلب فالتقمه بفمه وابتلعهُ . فلما صار داخل حلقه اشتبك شعب السهم في عظم رقبته ولم يقدر على ادخاله في بطنـه ولا على اخراجه من حلقه وأيقن بالهلاك وقال : حقًّا لا ينبغي لمخلوق ان يطلب لنفسه فوق ما قسمهُ الله له . لانني لو قنعت بما قسمهُ الله لي لما صرت الى الهلاك

فلهذا ايها الملك ينبغي للانسان ان يرضى بما قسمهُ الله له ويشكر نعمهُ عليـهِ ولا يقطع رجاءهُ من مولاه . وها انت ايها الملك بحسن نيتك واسداء معروفك رزقك الله ولدًا بعد اليأس . فنسأل الله تعالى ان يرزقهُ عمرًا طويلًا وسعادة دائمة . ويجعلهُ خلفاً مباركًا موفياً بعهدك من بعدك بعد طول عمرك

(الليلة الخامسة بعد التسعمائة) . ثم قام الوزير الرابع وقال : ان الملك اذا كان فهيماً عالماً بابواب الحكمة والاحكام والسياسة مع صلاح النية والعـدل في الرعية واكرام من يجب اكرامه وتوقير من يجب توقيره والعفو عند القدرة فيما لا بدَّ منهُ ورعاية الرؤساء والمرؤوسين والتخفيف عنهم والانعام عليهم وصونِ دمائهم وستر عوراتهم والوفاء بعهدهم كان حقيقاً بالسعادة الدنيوية والاخروية . فان ذلك مماً يعيذه منهم ويعينه على ثبات ملكه ونصرته على اعدائه وبلوغ مأموله مع زيادة نعمة الله عليهِ وتوفيقه لشكره والفوز بعنايته . وان الملك اذا كان بخلاف ذلك فانهُ لم يزل في مصائب وبلايا هو واهل مملكته لكون جورهِ على الغريب والقريب . ويصير فيهِ ما صار لابن الملك السائح . فقال الملك : وكيف كان ذلك

والله تعالى قسم لك المحبة وجعلها في قلوب اهل مملكتك . فلهُ الشكر ولهُ الحمد منّا ومنك لكي يزيد نعمته عليك وعلينا بك . واعلم ايها الملك ان الانسان لا يستطيع شيئاً الّا بامر الله تعالى وانهُ هو المعطي وكل خير عند شخصٍ اليهِ ينتهي . قسم النعم على عبيده كما يحبّ . فمنهم من اعطاهُ مواهب كثيرة ومنهم من شغله بتحصيل القوت ومنهم من جعلهُ رئيساً ومنهم من جعلهُ زاهدًا في الدنيا راغباً اليهِ لانهُ هو الذي قال : انا الضارّ النافع . اشفي وامرض واغني وافقر واميت واحيي وبيدي كل شيء والي المصير . فواجب على جميع الناس شكره . وانت ايها الملك من السعداء الابرار كما قيل : ان اسعد الابرار من جمع الله لهُ بين خيري الدنيا والآخرة ويقنع بما قسم الله لهُ ويشكرهُ على ما اقامهُ . ومن تعدّى وطلب غير ما قدّر الله لهُ وعليهِ يشبه حمار الوحش والثعلب . قال الملك : وما حديثهما

حكاية حمار الوحش والثعلب

قال الوزير : اعلم ايها الملك ان ثعلباً كان يخرج كل يوم من وطنه ويسعى على رزقه . فبينما هو ذات يوم في بعض الجبال واذا بالنهار قد انقضى وقصد الرجوع فاجتمع على ثعلب رآهُ ماشياً . وصار كل منهما يحكي لصاحبه حكايته مع ما افترسه . فقال احدهما : انني بالامس وقعت في حمار وحش وكنت جائعاً وكان لي ثلاثة ايام ما اكلت ففرحت بذلك وشكرت الله تعالى الذي سخرهُ لي . ثم اني عمدت الى قلبه فاكلتهُ وشبعت . ثم رجعت الى وطني . ومضى عليَّ ثلاثة ايام لم اجد شيئاً آكلهُ ومع ذلك انا شبعان الى الآن . فلما سمع الثعلب الحكاية حسده على شبعه وقال في نفسه : لا بدّ لي من اكل قلب حمار الوحش . فترك الاكل اياماً حتى انهزل واشرف على الموت وقصر سعيه واجتهاده وربض في وطنه . فبينما هو في وطنه ذات يوم من الايام واذا بصيادَين ماشيين قاصدَين الصيد فوقع لهما حمار وحش فأقاما النهار كله في اثره طردًا . ثم ان بعضهما رماهُ بسهم مشعب فاصابهُ ودخل جوفه واتصل بقلبه فقتلهُ مقابل وكر الثعلب

ماهرًا وعالمها خبيرًا عاملًا بعلمه . ونحن الآن متنعمون بهذه السعادة . وكنَّا قبل ذلك قد وقعنا في اليأس من حصول ولد لك يرث ملكك . ولكن الله جلَّ اسمهُ لم يخيب رجاءك وقبل دعاءك لحسن ظنك بهِ وتسليم امرك اليهِ . فنعم الرجاء رجاؤك . وقد صار فيك ما صار للغراب والحية . فقال الملك : كيف ذلك وما حكاية الغراب والحية

حكاية الغراب والحية

فقال الوزير : اعلم ايها الملك انهُ كان غراب ساكن في شجرة هو وزوجته في ارغد عيش الى ان بلغا زمان تفريخهما وكان زمن القيظ . فخرجت حية من وكرها وقصدت تلك الشجرة فتعلقت بفروعها الى ان صعدت الى عشّ الغراب وربضت فيهِ ومكثت مدَّة ايام الصيف وصار الغراب مطرودًا لا يجد لهُ فرصة ولا موضعًا يرقد فيهِ . فلما انقضت ايام الحرّ ذهبت الحية الى موضعها . فقال الغراب لزوجته : نشكر الله تعالى الذي نجانا وخلصنا من هذه الآفة ولو كنَّا حُرمنا من الزاد في هذه السنة لان الله تعالى لا يقطع رجاءنا . فنشكرهُ على ما منَّ علينا من السلامة وصحة ابداننا وليس لنا اتكال الَّا عليهِ . واذا اراد الله وعشنا الى العام القابل عوّض الله علينا نتاجنا . فلما كان وقت تفريخهما خرجت الحية من موضعها وقصدت الشجرة . فبينما هي متعلقة ببعض اغصانها وهي قاصدة عشّ الغراب على العادة واذا بحدأة قد انقضَّت عليها وضربتها في رأسها فخدشتها فعند ذلك سقطت الحية على الارض مغشيًا عليها وطلع عليها النمل فأكلها . وصار الغراب مع زوجته في سلامة وطمأنينة وفرَّخا اولادًا كثيرة وشكرا الله على سلامتهما وعلى حصول الاولاد

ونحن ايها الملك يجب علينا شكر الله على ما انعم بهِ عليك وعلينا بهذا المولود المبارك السعيد بعد اليأس وقطع الرجاء . احسن الله ثوابك وعاقبة امرك

(الليلة الرابعة بعد التسعمائة) . ثم قام الوزير الثالث وقال : ابشر ايها الملك العادل بالخير العاجل والثواب الآجل . لان كل من تحبهُ اهل الارض تحبهُ اهل السماء .

الاشياء وجعل لكل شخص عمرًا محدودًا ورزقًا مقسومًا بقدرته الالهية. فكيف نحمل همَّ شيء هو في الغيب مسطور. والرأي عندي انهُ لم يكن شيء احسن من الطلب من الله تعالى. فينبغي ان كل واحد منَّا يصلح سريرته مع ربّه في سرّه وعلانيته ويدعو الله ان يخلصنا وينقذنا من الشدائد لان الله تعالى لا يخيب رجاء من توكل عليهِ ولا يردّ طلب من توسل اليهِ. فاذا اصلحنا احوالنا استقامت امورنا وحصل لنا كل خير ونعمة. واذا جاء الشتاء وغمر ارضنا بدعاء صالحنا فلا يهدم الخير الذي بناهُ. فالرأي ان نصبر وننتظر ما يفعلهُ الله بنا. فان كان يحصل لنا موت على العادة استرحنا. وان كان يحصل لنا ما يوجب الهرب هربنا ورحلنا من ارضنا الى حيث يريد الله. فاجاب السمك جميعه من فم واحد: صدقت يا سيدنا جزاك الله عنَّا خيرًا. وتوجه كل واحدة منهنَّ الى موضعها. فما مضى الَّا ايام قلائل واتاهنَّ الله بمطر شديد حتى ملأ محلّ الغدير زيادة عمَّا كان اولاً

وهكذا نحن ايها الملك كنَّا يئسين من ان يكون لك ولد. وحيث منَّ الله علينا وعليك بهذا الولد المبارك فنسأل الله تعالى ان يجعلهُ ولدًا مباركًا وان يقرّ بهِ عينك ويجعلهُ خليفة صالحة ويرزقنا منهُ مثل ما رزقنا منك فان الله تعالى لا يخيب من قصدهُ ولا ينبغي لاحد ان يقطع رجاءهُ من رحمة الله

ثم قام الوزير الثاني وسلم على الملك. فاجابهُ الملك قائلًا: وعليكم السلام. فقال ذلك الوزير: ان الملك لا يسمَّى ملكًا الَّا اذا اعطى وعدل وحكم واكرم واحسن سيرته مع رعيته باقامة الشرائع والسنن المألوفة بين الناس وانصف بعضهم من بعض وحقن دماءهم وكفَّ الاذى عنهم. ويكون موصوفًا بعدم الغفلة عن فقرائهم واسعاف اعلاهم وادناهم واعطائهم الحقّ الواجب لهم حتى يصيروا جميعًا داعين لهُ ممتثلين لامره. لانهُ لا شك ان الملك الذي بهذه الصفة محبوب عند الرعية فيكتسب من الدنيا علاها ومن الآخرة شرفها ورضى خالقها. ونحن معاشر العبيد معترفون لك ايها الملك بان جميع ما وصفناهُ عندك. كما قيل: خير الامور ان يكون ملك الرعية عادلاً وحكيمًا

يملكهُ في يده . وكثير من الناس يقدّمون اولادهم الى الملوك خدماً فيصيرون عندهم بمنزلة العبيد لاجل ان يمنعوا عنهم الاعداء . واما نحن فلم يطأ بلادنا اعداء في زمن ملكنا لهذه النعمة الكبرى والسعادة العظمى التي لم يقدر الواصفون على وصفها وانما هي فوق ذلك . وانت ايها الملك حقيق بانك اهل لهذه النعمة العظيمة ونحن تحت كنفك وفي ظلّ جناحك احسن الله ثوابك وادام بقاءك . لاننا كنّا قبل ذلك نجدُّ في الطلب من الله تعالى ان يمنّ علينا بالاجابة ويبقيك لنا ويعطيك ولداً صالحاً تقرّ بهِ عيناك . والله سبحانه وتعالى قد تقبّل منّا واستجاب دعاءنا واتانا بالفرج القريب مثل ما اتى لبعض السمك في غدير الماء . فقال الملك : وما حكاية السمك وكيف ذلك

حكاية السمك

(الليلة الثالثة بعد التسعمائة) . فقال شماس : اعلم ايها الملك انهُ كان في بعض الاماكن غدير ماء وكان فيهِ بعض سمكات . فعرض لذلك الغدير انهُ قلَّ ماؤهُ وصار ينضمّ بعضهُ الى بعض ولم يبقَ من الماء ما يسعفها فكادت ان تهلك وقالت : ما عسى ان يكون من امرنا وكيف نحتال ومَن نستشيرهُ في نجاتنا . فقامت سمكة منهنَّ وكانت اكبرهنَّ عقلاً وسنّاً وقالت : ما لنا حيلة في خلاصنا الّا الطلب من الله . ولكن نلتمس الرأي من السرطان فانهُ اكبرنا . فهلمَّ بنا اليهِ لننظر ما يكون من رأيه لانهُ اكثر منّا معرفة بحقائق الكلام . فاستحسنَّ رأيها وجئنَ باجمعهنَّ الى السرطان فوجدنهُ رابضاً في موضعه وليس عندهُ علم ولا خبر ممّا هنَّ فيهِ . فسلمنَ عليهِ وقلنَ لهُ : يا سيدنا اما يعنيك امرنا وانت حاكمنا ورئيسنا . فأجابهنَّ السرطان قائلاً : وعليكنَّ السلام . ما الذي بكنَّ وما تردنَ . فقصصنَ عليهِ قصتهنَّ وما دهاهنَّ من امر نقص الماء وانهُ متى نشف حصل لهنَّ الهلاك . ثم قلنَ لهُ : وقد جئناك منتظرات رأيك وما يكون فيهِ النجاة لانك كبيرنا واعرَف منّا . فعند ذلك اطرق برأسهِ مليّاً ثم قال : لا شك ان عندكنَّ نقص عقل ليأسكنَّ من رحمة الله تعالى وكفالته بأرزاق خلائقه جميعاً . ألم تعلمنَ ان الله سبحانه وتعالى يرزق عباده بغير حساب وقدّر ارزاقهم قبل ان يخلق شيئاً من

اشرت ولقد صارت رتبتك عندي على ما تحبّ ولم تزل مقبولاً . فسجد شماس لله وللملك ودعا لهُ بدوام النعم وقال لهُ : ادام الله ايامك واعلى شأنك واعلم انني لستُ اكتم عنك شيئاً لا في السرّ ولا في العلانية ورضاك رضاي وغضبك غضبي وليس لي فرح الّا بفرحك ولا يمكنني ان ابيت وانت ساخط عليّ لان الله تعالى رزقني بكل خير باكرامك اياي . فأسألُ الله تعالى ان يحرسك بملائكته ويحسن ثوابك عند لقائهِ . فابتهج الملك عند ذلك . ثم قام شماس وانصرف من عند الملك . ثم بعد مدّة وضعت زوجة الملك غلاماً ذكرًا فنهض المبشرون الى الملك وبشروهُ بغلام . ففرح بذلك فرحاً شديدًا وشكر الله شكرًا جزيلًا وقال : الحمد لله الذي رزقني ولدًا بعد اليأس وهو الشفوق الرؤوف على عباده . ثم ان الملك كتب الى سائر اهل مملكته ليعلمهم بالخبر ويدعوهم الى منزله . فحضر لهُ الامراء والرؤساء والعلماء وارباب الدولة الذين تحت امره . هذا ما كان من امر الملك

واما ما كان من امر ولده فانهُ قد دقّت لهُ البشائر والافراح في سائر المملكة واقبل اهلها الى الحضور من سائر الاقطار واقبل اهل العلوم والفلسفة والادباء والحكماء ودخلوا جميعهم الى الملك ووصل كل منهم الى حدّ مقامه . ثم اشار الى الوزراء السبعة الكبار الذين رئيسهم شماس ان يتكلم كل واحد منهم على قدر ما عنده من الحكمة في شأن ما هو بصدده . فابتدأ رئيسهم الوزير شماس واستأذن الملك في الكلام فاذن لهُ . فقال : الحمد لله الذي انشأنا من العدم الى الوجود المنعم على عباده الملوك اهل العدل والانصاف بما اولاهم من الملك والعمل الصالح وبما اجراه على ايديهم لرعيتهم من الرزق وخصوصاً ملكنا الذي احيا بهِ موات بلادنا بما اسداهُ الله علينا من النعم ورزقنا من سلامته برخاء العيش والطمأنينة والعدل . فأي ملك يصنع باهل مملكته ما صنع هذا الملك بنا من القيام بمصالحنا واداء حقوقنا وانصاف بعضنا من بعض وقلة الغفلة عنّا وردّ مظالمنا . ومن فضل الله على الناس ان يكون ملكهم متعهدًا لامورهم وحافظاً لهم من عدوّهم لان العدو غاية قصده ان يقهر عدوّه وان

السمن والعسل وكان السمن في ذلك البلد غالياً . وكان الناسك يجمع الذي يجيء اليهِ في جرَّة عندهُ حتى ملأها وعلقها فوق رأسه خوفًا واحتراسًا . فبينما هو ذات ليلة من الليالي جالس على فراشه وعصاه في يده اذ عرض لهُ فكر في امر السمن وغلائه فقال في نفسه: ينبغي ان ابيع هذا السمن الذي عندي جميعه واشتري بثمنه نعجة واشارك عليها احدًا من الفلَّاحين . فانها في اول عام تلد ذكرًا وانثى وثاني عام تلد انثى وذكرًا . ولا تزال هذه الغنم تتوالد ذكورًا واناثًا حتى تصير شيئًا كثيرًا . واقسم حصتي بعد ذلك وابيع ما شئت واشتري الارض الـفلانية وانشئ فيها غيطًا وابني فيها قصرًا عظيمًا واقني ثيابًا وملبوسًا واشتري عبيدًا وجواري واتزوَّج بنت التاجر الفلاني واعمل عرسًا ما صار مثله قطّ واذبح الذبائح واعمل الاطعمة الفاخرة والحلويات والملبسات وغيرها واجمع فيهِ اهل الملاعب وارباب الفنون وآلات السماع واجهز الازهار والمشمومات واصناف الرياحين وادعو الاغنياء والفقراء والعلماء والرؤساء وارباب الدولة . وكل من طلب شيئًا احضرتهُ اليهِ . واجهز انواع المأكل والمشرب واطلق مناديًا ينادي: من يطلب شيئًا ينالهُ . وبعد ذلك ادخل على عروستي بعد جلائها واتمتع بحسنها وجمالها وآكل واشرب واطرب واقول لنفسي: قد بلغتِ مناكِ . وأستريح من النسك والعبادة . وبعد ذلك تحمل زوجتي وتلد غلامًا ذكرًا فافرح بهِ واعمل لهُ الولائم واربيهِ في الدلال واعلمهُ الحكمة والادب والحساب واشهر اسمهُ بين الناس وافتخر بهِ عند ارباب المجالس وآمرهُ بالمعروف فلا يخالفني وانهاه عن الفاحشة والمنكر واوصيه بالتقوى وفعل الخير واعطيهِ العطايا الحسنة السنية . فان رأيتهُ لزم الطاعة زدتهُ عطايا صالحة . وان رأيتهُ مال الى المعصية انزل عليهِ بهذه العصا . ورفعها ليضرب بها ولده فاصابت جرة السمن التي فوق رأسه فكسرتها . فعند ذلك نزلت بشقافها عليهِ وساح السمن على رأسه وعلى ثيابه وعلى لحيته وصار عبرةً

فلاجل ذلك ايها الملك لا ينبغي للانسان ان يتكلم على شيء قبل ان يصير . فقال لهُ الملك: لقد صدقت فيما قلت ونعم الوزير انت لكونك بالصدق نطقت وبالخير

شماس احبَّ ان لا يكتم عليك شيئًا فيما رمزهُ اليك وذلك رشدٌ منهُ لانهُ قد قيل: اكثر الناس خوفًا اوسعهم علمًا واغبطهم خيرًا . فأذعن الملك عند ذلك وامر لهم باكرام جزيل ثم صرفهم وقام ودخل مكانه وصار يتفكر في عاقبة امره . ثم ان بعض نسائه وكانت اكرمهنَّ عندهُ واحبَّهنَّ اليهِ حبلت . فلما مضى لها نحو اربعة اشهر تحرَّك الحمل في بطنها ففرحت بذلك فرحًا شديدًا واعلمت الملك بذلك . فقال : صدقَت رؤياي والله المستعان . ثم انهُ انزلها احسن المنازل واكرمها غاية الاكرام واعطاها انعامًا جزيلًا وخوَّلها بشيء كثير . وبعد ذلك دعا ببعض الغلمان وارسلهُ ليحضر شماسًا . فلما حضر حدَّثهُ الملك بما صار من حمل زوجته وهو فرحان قائلًا : قد صدقت رؤياي واتصل رجائي فلعلَّ ذلك الحمل يكون ولدًا ذكرًا ويكون وارثًا لملكي . فما تقول يا شماس في ذلك . فسكت شماس ولم ينطق بجواب . فقال لهُ الملك : ما لي اراك لا تفرح لفرحي ولا تردّ لي جوابًا يا ترى هل انت كاره لهذا الامر يا شماس . فسجد عند ذلك شماس بين يدي الملك وقال : ايها الملك اطال الله عمرك ما الذي ينفع المستظلّ بشجرة اذا كانت النار تخرج منها . وما لذَّة شارب الخمر الصافي اذا حصل لهُ بها الشرق . وما فائدة الناهل من الماء العذب البارد اذا غرق فيهِ . وانما انا عبد الله ولك ايها الملك . ولكن قد قيل : ثلاثة اشياء لا ينبغي للعاقل ان يتكلم بها الّا اذا تمّت : المسافر حتى يرجع من سفره . والذي في الحرب حتى يقهر عدوه . والمرأة الحامل حتى تضع حملها

(الليلة الثانية بعد التسعمائة) . فاعلم ايها الملك ان التكلم في شأن شيء لم يتمّ مثل الناسك المدفوق على رأسه السمن . فقال لهُ الملك : وكيف حكاية الناسك وما جرى لهُ . فقال لهُ :

حكاية الناسك

اعلم ايها الملك انهُ كان انسان عند شريف من اشراف بعض المدن وكان للناسك جراية في كل يوم من رزق ذلك الشريف وهي ثلاثة ارغفة مع قليل من

وهذا آخر كلامي معك. فحصل للفأر خوف من الله تعالى ونزلت في قلبه الرحمة وقال في نفسه: من اراد المعونة من الله تعالى على عدوّه فليصنع معهُ رحمةً وخيرًا. وانا متوكل على الله في هذا الامر وأُنقذ السنور من هذا الهلاك لاكسب اجره. فعند ذلك خرج الفأر الى السنور وادخلهُ في وكره سحبًا. فاقام عنده الى ان اشتدَّ واستراح وتعافى قليلًا فصار يتأسف على ضعفه وذهاب قوّته وقلّة اصدقائه. فصار الفأر يترفق بهِ ويأخذ بخاطره ويتقرَّب منهُ ويسعى حوله. واما السنور فانهُ زحف الى الوكر حتى ملك المخرج خوفًا ان يخرج منهُ الفأر. فلما اراد الخروج قرب من السنور على عادته. فلما صار قريبًا منهُ قبض عليهِ واخذه بين اظافيره وصار يعضهُ وينثره ويأخذهُ في فمه ويرفعهُ عن الارض ويرميه ويجري وراءه وينهشهُ ويعذّبه. فعند ذلك استغاث الفأر وطلب الخلاص من الله وجعل يعاتب السنور ويقول: اين العهد الذي عاهدتني بهِ واين اقسامك التي اقسمت بها. أهذا جزائي منك وقد ادخلتك وكري واستأمنتك على نفسي. ولكن صدق من قال: من اخذ عهدًا من عدوّه لا يبتغي لنفسه نجاة. ومن قال: من سلَّم نفسه لعدوّه كان مستوجبًا لنفسه الهلاك. ولكن توكلت على خالقي فهو الذي يخاصني منك. فبينما هو على تلك الحالة مع السنور وهو يريد ان يهجم عليهِ ويفترسه واذا برجل صيَّاد معهُ كلاب جارحة معوّدة على الصيد. فمرَّ منها كلب على باب الوكر فسمع فيهِ معركة كبيرة فظنَّ ان فيه ثعلبًا يفترس شيئًا. فاندفع الكلب منحدرًا ليصطادهُ فصادف السنور فجذبهُ اليهِ. فلما وقع السنور بين يدي الكلب التهى بنفسه واطلق الفأر حيًا ليس فيهِ جرح. واما هو فانهُ خرج بهِ الكلب الجارح بعد ان قطع عصبه ورماهُ ميتًا. وصدق في حقهما قول من قال: مَن رحم رُحم آجلًا. ومَن ظلم ظُلم عاجلًا

هذا ما جرى لهما ايها الملك. فلذلك لا ينبغي لاحد ان ينقض عهد من استأمنهُ. ومن غدر وخان يحصل لهُ مثل ما حصل للسنور. لانهُ كما يدين الفتى يُدان ومن يرجع الى الخير ينل الثواب. ولكن لا تحزن ايها الملك ولا يشقّ عليك ذلك لان ولدك بعد ظلمه وعسفه ربما يعود الى حسن سيرتك. وان هذا العالِم الذي هو وزيرك

رحمةً بان تقرني في وكرك هذه الليلة لاني ضعيف الحال من كبر سني وذهاب قوتي ولست اقدر على الحركة وقد توغلت في هذا الغيط هذه الليلة. وكم مرةً دعوت بالموت على نفسي لكي استريح. وها انا على بابك طريح من البرد والمطر. واسألك بالله من صدقتك ان تأخذ بيدي وتدخلني عندك وتؤويني في دهليز وكرك لاني غريب ومسكين. وقد قيل: من آوى بمنزله غريبًا مسكينًا كان مأواهُ الجنة يوم الدين. فانت يا اخي حقيق بان تكسب اجري وتأذن لي في ان ابيت عندك هذه الليلة الى الصباح ثم اروح الى حال سبيلي

(الليلة الاولى بعد التسعمائة). فلما سمع الفأر كلام السنور قال لهُ: كيف تدخل وكري وانت لي عدوٌ بالطبع ومعاشك من لحمي واخاف ان تغدر بي لان ذلك من شيمتك لانهُ لا عهد لك. وقد قيل: لا ينبغي الامان للرجل الزاني على المرأة الحسناء ولا للفقير العائل على المال ولا للنار على الحطب. وليس بواجبٍ عليَّ ان استأمنك على نفسي. وقد قيل: عداوة الطبع كلما ضعف صاحبها كانت اقوى. فاجاب السنور قائلًا بأخمد صوت واسوإ حال: ان الذي قلتهُ من المواعظ حقٌ ولست انكر عليك ولكن اسألك الصفح عمَّا مضى من العداوة الطبيعية التي بيني وبينك لانهُ قد قيل: من صفح عن مخلوق مثله صفح خالقه عنهُ. وقد كنت قبل ذلك عدوًا لك وها انا اليوم طالب صداقتك. وقد قيل: اذا اردت ان يكون عدوك صديقًا لك فافعل معهُ خيرًا. وانا يا اخي اعطيك عهد الله وميثاقه اني لا اضرك ابدًا. ومع هذا ليس لي قدرة على ذلك. فثق بالله وافعل خيرًا واقبل عهدي وميثاقي. فقال الفأر: كيف اقبل عهد من تأسست العداوة بيني وبينه وعادته ان يغدر بي. ولو كانت العداوة بيننا على شيء من الاشياء غير الدم لهانَ عليَّ ذلك ولكنها عداوة طبيعية بين الارواح. وقد قيل: من استأمن عدوهُ على نفسه كان كمن ادخل يده في فم الافعى. فقال السنور وهو ممتلئ غيظًا: قد ضاق صدري وضعفت نفسي وها انا في النزع وعن قليل اموت على بابك ويبقى اثمي عليك لانك قادر على نجاتي مما انا فيه

يكون فيه شيء . لا احب تفسيره في هذا الوقت لانهُ غير موافق لتفسيره . ففرح الملك بذلك فرحاً عظيماً وزاد سروره وذهب عنهُ فزعه وطابت نفسه وقال : ان كان الامر كذلك من حسن تأويل هذا المنام فكمّل لي تأويله اذا جاء الوقت الموافق لكمال تأويله . فالذي لا ينبغي تأويله الآن ينبغي ان تؤوّله لي اذا آن اوانه لاجل ان يكمل فرحي لاني لا ابتغي بذلك غير رضى الله سبحانه وتعالى . فلما رأى شماس من الملك انهُ مصمم على تمام تفسيره احتجّ لهُ بحجة دفع بها عن نفسه . فعند ذلك دعا الملك بالمنجمين وجميع المعبرين للاحلام الذين في مملكته . فحضروا جميعاً بين يديه وقص عليهم ذلك المنام وقال لهم : اريد منكم ان تخبروني بصحة تفسيره . فتقدم واحد منهم واخذ اذناً من الملك بالكلام . فلما اذن لهُ قال : اعلم ايها الملك ان وزيرك شماساً ليس بعاجز عن تفسير ذلك وانما هو احتشم منك وسكن روعك ولم يظهر لك جميع التأويل بالكلية ولكن اذا اذنت لي بالكلام تكلمت . فقال لهُ الملك : تكلم ايها المفسر بلا احتشام واصدق في كلامك . فقال المفسر : اعلم ايها الملك انهُ يظهر منك غلام يكون وارثاً لملكك عنك بعد طول حياتك ولكنهُ لا يسير في الرعية بسيرك بل يخالف رسومك ويجور على رعيتك ويصيبهُ ما اصاب الفأر مع السنور فاستعاذ بالله تعالى . فقال الملك : وما حكاية السنور والفأر

حكاية السنور والفأر

فقال المفسر : اطال الله عمر الملك ان السنور وهو القطّ سرح ليلة من الليالي الى شيء يفترسهُ في بعض الغيطان فما وجد شيئاً وضعف من شدّة البرد والمطر الذي صار في تلك الليلة فأخذ يحتال لنفسه بشيء يفوز بهِ . فبينما هو دائر على تلك الحالة اذ رأى وكرًا في اسفل شجرة فدنا منهُ وصار يتشمم ويدندن حتى احسّ بان داخل الوكر فأرًا . فحاولهُ وهمّ بالدخول عليه لكي يأخذه . فلما احسّ بهِ الفأر اعطاهُ قفاه وصار يزحف على يديه ورجليه لكي يسدّ باب الوكر عليه . فعند ذلك صار السنور يصوّت صوتاً ضعيفاً ويقول لهُ : لِمَ تفعل ذلك يا اخي وانا ملتجئ اليك لتفعل معي

من الرحمة وخفض الجناح للرعية . وكان ذلك الملك عادلاً في مملكته حافظاً لرعيته مواصلاً كبيرهم وصغيرهم بالاحسان وما يليق بهم من الرعاية والعطايا والامان والطمأنينة ومخففاً للخراج عن كامل الرعية . وكان محباً لهم كبيراً وصغيراً ومعاملاً لهم بالاحسان اليهم والشفقة عليهم . واتى بحسن سيرته بينهم بما لم يأتِ بهِ احد قبله . ومع هذا كلهِ لم يرزقهُ الله تعالى بولد فشقَّ ذلك عليهِ وعلى اهل مملكته . فاتفق ان الملك كان مضطجعاً في ليلة من الليالي وهو مشغول الفكر في عاقبة امر مملكته . ثم غلب عليه النوم فرأى في منامهِ كأنهُ يصبّ ماء في اصل شجرة وحول تلك الشجرة اشجار كثيرة واذا بنار قد خرجت من تلك الشجرة واحرقت جميع ما كان حولها من الاشجار

(الليلة الموفية للتسعمائة) . فعند ذلك انتبه الملك من منامه فزعاً مرعوباً واستدعى احد غلمانه وقال لهُ : اذهب بسرعة وأتني بشماس الوزير عاجلاً . فذهب الغلام الى شماس وقال لهُ : ان الملك يدعوك في هذه الساعة لانهُ انتبه من نومه مرعوباً فارسلني اليك لتحضر عنده عاجلاً . فلما سمع شماس كلام الغلام قام من وقته وساعته وتوجه الى الملك ودخل عليهِ فرآهُ قاعداً على فراشه فسجد بين يديه داعياً لهُ بدوام العزّ والنعم وقال لهُ : لا احزنك الله ايها الملك ما الذي اقلقك في هذه الليلة وما سبب طلبك اياي بسرعة . فاذن لهُ الملك بالجلوس فجلس وصار الملك يقصّ عليهِ ما رآهُ قائلاً : اني رأيت في ليلتي هذه مناماً اهالني وهو كأني اصبّ ماء في اصل شجرة وحول تلك الشجرة اشجار كثيرة . فبينما انا في هذه الحالة واذا بنار قد خرجت من اصل تلك الشجرة واحرقت جميع ما حولها من الاشجار . ففزعت من ذلك واخذني الرعب فانتبهت عند ذلك وارسلت دعوتك لكثرة معرفتك وتعبيرك للرؤيا ولما اعلمهُ من اتساع علمك وغزارة فهمك . فاطرق شماس برأسه ساعة ثم تبسم . فقال لهُ الملك : ماذا رأيت يا شماس اصدقني الخبر ولا تخفِ عني شيئاً : فاجابهُ شماس وقال لهُ : ايها الملك ان الله تعالى خوّلك واقرّ عينك . وامر هذه الرؤيا يؤول الى كل خير . وهو ان الله تعالى يرزقك ولداً ذكراً يكون وارثاً للملك عنك من بعد طويل عمرك . غير انهُ

البكاء والحزن . فقالت : انا ألبس السواد واجعل لي قبرًا في جانب هذه الدار فأُقيم عند ذلك القبر واتوب عن الغناء . فمكنّاها من ذلك وهي على تلك الحالة الى الآن . ثم اخذوني معهم . فلما وصلت الى الدار رأيتها على تلك الحالة . فلما رأتني شهقت شهقة عظيمة حتى ظننت انها ماتت . ثم قال لي الهاشمي : خذها . فقلت : نعم ولكن اعتقها كما وعدتني وزوّجني بها . ففعل ذلك ودفع الينا امتعة نفيسة وثيابًا كثيرة وفرشًا وخمسمائة دينار وقال : هذا مقدار ما اردت اجراءه لكما في كل شهر ولكن بشرط المنادمة وسماع الجارية . ثم أخلى لنا دارًا وامر بان يُنقل اليها جميع ما نحتاج اليه . فلما توجهت الى تلك الدار وجدتها قد غُمرت بالفرش والقماش وحملت اليها الجارية . ثم انني جئت الى البقّال واخبرتهُ بجميع ما حصل لي وسألتهُ ان يجعلني في حلّ من طلاق ابنته من غير ذنب ودفعت اليها مهرها وما يلزمني واقمت مع الهاشمي على ذلك سنتين وصرت صاحب نعمة عظيمة وعادت لي حالتي التي كنت فيها انا والجارية في بغداد وقد فرج الله الكريم عنا واسبغ جزيل النعم علينا وجعل مآل صبرنا الى الظفر بالمراد . فله الحمد في المبدإ والمعاد . والله اعلم

حكاية الملك جليعاد وابنهِ وردخان والوزير شماس

ومما يحكى أيضًا انهُ كان في قديم الزمان وسالف العصر والاوان ملك في بلاد الهند وكان ملكًا عظيمًا طويل القامة حسن الصورة حسن الخلق كريم الطبائع محسنًا للفقراء محبا للرعية ولجميع اهل دولته وكان اسمهُ جليعاد . وكان في مملكته اثنان وسبعون ملكًا وللبلاده ثلاثمائة وخمسون قاضيًا وكان لهُ سبعون وزيرًا وقد جعل على كل عشرة من عسكره رئيسًا . وكان اكبر وزرائه شخص يقال لهُ شماس وكان عمره اثنتين وعشرين سنة وكان حسن الخلق والطباع لطيفًا في كلامه لبيبًا في جوابه حاذقًا في جميع اموره حكيمًا مدبرًا رئيسًا مع صغر سنه عارفًا بكل حكمة وادب . وكان الملك يحبه محبة عظيمة ويميل اليهِ لمعرفته بالفصاحة والبلاغة واحوال السياسة ولما اعطاهُ الله

في ذلك والتفت فما رأيت احدًا ونسيت ان اسأل الهاشمي عن اسمه واين داره بالبصرة وباي شي، يُعرف وبقيت حيرانًا وكانَّ ما كنت فيهِ من الفرح بلقاءِ الجارية منام

(الليلة التاسعة والتسعون بعد الثمانمائة) . ولم ازل متحيرًا حتى اجتاز بي مركب عظيم فنزلت فيه ودخلت البصرة . وما كنت اعرف بها احدًا ولا اعرف بيت الهاشمي . فجئت الى بقَّال واخذت منهُ دواة وورقة وقعدت اكتب فاستحسن خطي . ورأى ثوبي دنسًا فسألني عن امري فاخبرتهُ اني غريب فقير . فقال : اتقيم عندي ولك في كل يوم نصف درهم واكلك وكسوتك وتضبط لي حساب دكاني . فقلت لهُ : نعم . واقمت عندهُ وضبطت امره ودبَّرت لهُ دخله وخَرجه . فلما كان بعد شهر رأى الرجل دخله زائدًا وخرجه ناقصًا فشكرني على ذلك . ثم انهُ جعل لي في كل يوم درهمًا الى ان حال الحول فدعاني ان اتزوَّج بابنتــه ويشاركني في الدكان . فاجبته الى ذلك ولزمت الدكان الَّا اني منكسر الخاطر والقلب ظـاهر الحزن . وكان البقَّال يشرب ويدعوني الى ذلك فامتنع حزنًا . فمكثت على تلك الحالة مدَّة سنتين . فبينما انا في الدكان واذا بجماعة معهم طعام وشراب . فسألت البقَّال عن القضية فقال : هذا يوم المتنعمين يخرج فيهِ اهل الطرب واللعب والفتيان من ذوي النعمة الى شاطئ البحر يأكلون ويشربون بين الاشجار على نهر الابلة . فدعتني نفسي الى الفرجة على هذا الامر وقلت في نفسي : لعلّي اذا شاهدت هؤلاء الناس اجتمع بمن احبّ . فقلت للبقَّال : اني اريد ذلك . فقال : شأنك والخروج معهم . ثم جهز لي طعامًا وشرابًا وسرت حتى وصلت الى نهر الابلة فاذا النـــاس منصرفون فاردت الانصراف معهم واذا برئيس السفينة التي كان فيها الهاشمي والجارية بعينه وهو سائر في نهر الابلة . فصحت عليهم . فعرفني هو ومن معهُ واخذوني عندهم وقالوا لي : هل انت حيٌّ . وعانقوني وسألوني عن قصتي فاخبرتهم بها . فقالوا لي : انَّا ظننَّا انهُ قوي عليك السكر وغرقت في الماء . فسألتهم عن حال الجارية فقالوا : انها لما علمت بفقدك مزَّقت ثيابها واحرقت العود واقبلت على اللطم والنحيب . فلما رجعنا مع الهاشمي الى البصرة قلنا لها : اتركي هذا

الامرين ولما اردت الرجوع الى وطني قلت في نفسي: اسمع شيئاً من غناء بغداد. فاشتريت هذه الجارية ولم اعلم انكما على هذه الحالة . فانا اشهد الله على ان هذه الجارية اذا وصلت الى البصرة اعتقها وازوّجك اياها واجري لكما ما يكفيكما وزيادة ولكن على شرط اني اذا اردت السماع يُضرب لها ستارة وتغنّي من خلف الستارة . وانت من جملة اخواني وندماني . ففرحت بذلك . ثم ان الهاشمي ادخل رأسه في الستارة وقال لها: ايرضيكِ ذلك . فاخذت تدعو له وتشكره . ثم استدعى بغلام له وقال له: خذ بيد هذا الشاب وانزع ثيابه والبسهُ ثياباً فاخرة وبخّره وقدّمهُ الينا . فأخذني الغلام وفعل بي ما امره سيده وقدّمني اليهِ . فوضع بين يديَّ الشراب مثل ما وضعه بين ايديهما . ثم اندفعت الجارية تغني باحسن النغمات وتنشد هذه الابيات:

عيّروني بان سكبت دموعي حين جاء الحبيب للتوديع
لم يذوقوا طعم الفراق ولا ما احرقت لوعة الاسى من ضلوعي
انما يعرف الغرام كئيبٌ ساقطٌ القلب بين تلك الربوعِ

(قال) فطرب القوم من ذلك طرباً شديداً وزاد فرحِ الفتى بذلك حتى اخذت العود من الجارية وضربت بهِ على احسن النغمات . وانشدت هذه الابيات:

اسأل العرف ان سألت كريماً لم يزل يعرف الغنى واليسارا
فسؤال الكريم يورث عزّاً وسؤال اللئيم يورث عارا
واذا لم يكن من الذلّ بدّاً فألقِ بالذلّ ان سألت الكبارا
ليس اجلالك الكريم بذلّ انما الذلّ ان تجلّ الصغارا

ففرح القوم بي وزاد فرحهم . ولم يزالوا في فرح وسرور وانا اغني ساعة والجارية ساعة الى ان جئنا الى بعض السواحل فرست السفينة هناك وصعد كل من فيها وصعدت انا ايضاً وكنت سكراناً فقعدت فغلبني النوم فنمتُ . ورجعت الرُكاب الى السفينة وانحدرت بهم ولم يعلموا بي لانهم كانوا سكارى . وكنت دفعت النفقة الى الجارية ولم يبقَ معي شيء . ووصلوا الى البصرة ولم أنتبه الّا من حرّ الشمس . فقمت

ووقفت بالاطلال اسأل عنهمُ والدارُ قفرٌ والمنازل بلقعُ

ثم وقعتْ مغشياً عليها وارتفع البكاء من الناس وصرختُ انا ووقعتُ مغشياً عليَّ وضجَّ الملاحون مني . فقال بعض غلمان الهاشمي : كيف حملتم هذا المجنون . ثم قال بعضهم لبعض : اذا وصلتم الى بعض القرى فأخرجوهُ واريحونا منهُ . فحصل لي من ذلك همٌّ عظيم وعذاب أليم فتجلدت غاية التجلد وقلت في نفسي : لا حيلة لي في الخلاص من ايديهم الّا اذا اعلمتها بمكاني من السفينة لتمتنع من اخراجي . ثم سرنا حتى وصلنا الى قرب ضيعة فقال صاحب السفينة : اصعدوا بنا الى الشاطئ . فطلع القوم وكان ذلك وقت المساء . فقمت حتى صرت خلف الستارة واخذتُ العود وغيرت الطرق طريقة بعد طريقة وضربتُ على الطريقة التي قد تعلمَتها مني ثم رجعتُ الى موضعي من السفينة

(الليلة الثامنة والتسعون بعد الثامنمائة) . وبعد ذلك نزل القوم من الشاطئ ورجعوا الى مواضعهم في السفينة وقد انبسط القمر على البرّ والبحر . فقال الهاشمي للجارية : بالله عليكِ لا تنغصي علينا عيشنا . فأخذتْ العود وجستهُ بيدها وشهقت فظنوا ان روحها قد خرجت ثم قالت : والله ان استاذي معنا في هذه السفينة . فقال الهاشمي : والله لو كان معنا ما ضيَّعتهُ من معاشرتنا لانهُ ربما كان يخفف ما بكِ فننتفع بغنائكِ ولكن كونهُ في السفينة امرٌ بعيد . فقالت : لا اقدر على ضرب العود وتقليب الاهوية ومولاي معنا . قال الهاشمي : نسأل الملّاحين . فقالت : افعل . فسألهم وقال : هل حملتم معكم احدًا . فقالوا : لا . وخفت ان ينقطع السؤال فضحكت وقلت : نعم انا استاذها وعلّمتها حين كنت سيّدها . فقالت : والله ان هذا كلام مولاي . فجاءني الغلمان واخذوني الى الهاشمي . فلما رآني عرفني فقال : ويحك ما هذا الذي انت فيهِ وما اصابك حتى صرت في هذه الحالة . فحكيت لهُ ما جرى من امري وبكيت وعلا نحيب الجارية من خلف الستارة وبكى الهاشمي هو واخوته بكاء شديدًا رأفةً بي ثم قال : والله ما دنوت من هذه الجارية ولا سمعت لها غناء الى اليوم وانا رجل قد وسع الله عليَّ وانما وردتُ بغداد لسماع الغناء وطلب ارزاقي من امير المؤمنين وقد بلغت

يجمعك بجاريتك . فسمعت منهُ وقد قوي عزمي وزال عني بعض همي وعزمت على ان اقصد ارض واسط لان لي بها اقارب . فخرجت الى ساحل البحر فرأيت سفينة راسية والبحرية ينقلون اليها امتعة وقماشًا فاخرًا فسألتهم ان يأخذوني معهم . فقالوا: ان هذه السفينة لرجل هاشمي لا يمكننا اخذك على هذه الصورة . فرغّبتهم في الاجرة . فقالوا : ان كان ولا بدّ فاقلع هذه الثياب الفاخرة التي عليك والبس ثياب الملّاحين واجلس معنا كأنك واحد منّا . فرجعت واشتريت شيئًا من ثياب الملّاحين ولبستهُ وجئت الى السفينة وكانت متوجهة الى البصرة فنزلت معهم . فما كان الّا ساعة حتى رأيت جاريتي بعينها ومعها جاريتان تخدمانها فسكن ما كان عندي من الغيظ وقلت في نفسي : ها انا اراها واسمع غناءها الى البصرة . فما اسرع ان جاء الهاشمي راكبًا ومعهُ جماعة فنزلوا في تلك السفينة وانحدرت بهم واخرج الطعام فاكل هو والجارية واكل الباقون في وسط السفينة . ثم قال الهاشمي للجارية : كم هذا التمنع عن الغناء ولزوم الحزن والبكاء . ما انتِ اوّل من فارق من يحبّ . فعلمت ما كان عندها من امر حبي . ثم ضرب ستارة على الجارية في جانب السفينة واستدعى الذين كانوا في ناحيتي وجلس معهم خارج الستارة . فسألت عنهم فاذا هم اخوته . ثم اخرج لهم ما يحتاجون اليهِ من الخمر والنقل . ولم يزالوا يحثّون الجارية على الغناء الى ان استدعت بالعود واصلحتهُ واخذت تغني فانشدت هذين البيتين:

بان الخليط بمن احبّ فادلجوا   وعن السرى بمناي لم يتحرّجوا
والصبّ بعد ان استقلّ ركابهم   جمر الغضا في قلبهِ يتأجّجُ

ثم غلبها البكاء ورمت العود وقطعت الغناء . فتنغص القوم ووقعتُ انا مغشيًا عليّ فظنّ القوم اني قد صُرعت فصار بعضهم يقرأ في اذني . ولم يزالوا يلاطفونها و يطلبون منها الغناء الى ان اصلحت العود واخذت تغني فانشدت

فوقفت اندب ظاعنين تحمّلوا   هم في الفؤاد وان نأوا وترحّلوا

وقالت ايضًا:

وتشرب. فكره ذلك هو والجارية. فقالت لهُ جاريته: قد رأيت لك رأيًا. قال: وما هو. قالت: تبيعني ونخلص من هذه الشدَّة انا وانت واكون في نعمة فان مثلي ما يشتريه الَّا ذو نعمة وبذلك اكون سببًا في رجوعي اليك. فاطلعها الى السوق فكان اوَّل من رآها رجل هاشمي من اهل البصرة وكان ذلك الرجل اديبًا ظريفًا كريم النفس فاشتراها بالف وخمسمائة دينار. (قال ذلك الفتى صاحب الجارية) فلما قبضت الثمن ندمت وبكيت انا والجارية وطلبت الاقالة فلم يرضَ. فوضعت الدنانير في الكيس وانا لا ادري اين اذهب لان بيتي موحش منها وحصل لي من البكاء واللطم والنحيب ما لم يحصل لي قطّ. فدخلت بعض المساجد وقعدت ابكي فيهِ واندهشت حتى صرت لا اعلم بنفسي. فنمت وتركت الكيس تحت رأسي كالمخدَّة فلم اشعر الَّا وانسان قد جذبهُ من تحت رأسي ومضى يهرول. فانتبهت فزعًا مرعوبًا فلم اجد الكيس فقمت اجري خلفه واذا برجلي مربوطة في حبل فوقعت على وجهي وصرت ابكي وألطم وقلت في نفسي: فارقتك روحك وضاع مالك

(الليلة السابعة والتسعون بعد الثمانمائة). وزاد بي الحال فجئت الى الدجلة وحملت ثوبي على وجهي والقيت نفسي في البحر. ففطن بي الحاضرون وقالوا: ان ذلك لعظيم همٍّ حصل لهُ. فرموا ارواحهم خلفي واطلعوني وسألوني عن امري فاخبرتهم بما حصل لي فتأسفوا لذلك. ثم جاءني شيخ منهم وقال: قد ذهب مالك وكيف تتسبب في ذهاب روحك فتكون من اهل النار. قم معي حتى ارى منزلك. ففعلت ذلك. فلما وصلنا الى منزلي قعد عندي ساعة حتى سكن ما بي. فشكرتهُ على ذلك ثم انصرف. فلما خرج من عندي كدت ان اقتل روحي فتذكرت الآخرة والنار فخرجت من بيتي هاربًا الى بعض الاصدقاء فاخبرتهُ بما جرى لي. فبكى رحمة لي واعطاني خمسين دينارًا وقال: اقبل رأيي واخرج في هذه الساعة من بغداد واجعل هذه نفقة لك الى ان يشتغل قلبك عن حبها وتسلو عنها. وانت من اولاد اهل الانشاء والكتابة وخطك جيد وادبك بارع فاقصد من شئت من العمَّال واطرح نفسك عليهِ لعلَّ الله

لي : ما لك وما الذي اصابك . فقلت : جاء رسول الملك يأخذ الاسارى جميعهم وطلبوكِ مني . فقالت : لا بأس عليك اوصلني الى الملك وانا اعرف الذي اقوله بين يديه . (قال) فاخذتها واحضرتها قدام السلطان الملك الناصر ورسول ملك الافرنج جالس عن يمينه وقلت : هذه المرأة التي عندي . فقال لها الملك الناصر والرسول : اتروحين الى بلادكِ ام الى زوجكِ فقد فكَّ الله اسركِ انتِ وغيركِ . فقالت للسلطان : انا قد اسلمت وتزوجت وحملت كما ترون وما بقيت الافرنج تنتفع بي . فقال الرسول : ايُّما احبّ اليكِ أهذا المسلم او زوجكِ الفارس فلان . فقالت له كما قالت للسلطان . فقال الرسول لمن معهُ من الافرنج : هل سمعتم كلامها . قالوا : نعم . ثم قال لي الرسول : خذ امرأتك وامضِ بها . فمضيت بها . ثم انهُ ارسل خلفي عاجلاً وقال : ان أمّها ارسلت اليها معي وديعة وقالت : ان بنتي اسيرة وهي عريانة ومرادي ان توصل اليها هذا الصندوق . فخذهُ وسلمهُ اليها . فتسلمت الصندوق ومضيت بهِ الى الدار واعطيتهُ لها . ففتحتهُ فرأت فيهِ قماشها بعينه ووجدت الصرَّتين الذهب والخمسين ديناراً والمائة ديناراً . فرأيت الجميع برباطي لم يتغير منها شيء . وحمدت الله تعالى . وهؤلاء الاولاد منهـا وهي تعيش الى الآن وهي التي عملت لكم هذا الطعام . فتعجبنا من حكايته وما حصل لهُ من الحظ . والله اعلم

حكاية البغدادي مع جاريته

ومما يحكى ايضاً انهُ كان في قديم الزمان رجل ببغداد من اولاد اهـل النعم ورث عن ابيهِ مالاً جزيلاً . وكان اشترى جارية وكانت تحبهُ كما يحبها . ولم يزل ينفق عليها الى ان ذهب جميع مالهِ ولم يبقَ منه شيء . فطلب شيئاً من اسباب المعاش يتعيش فيهِ فلم يقدر . وكان ذلك الفتى في ايام غناه يحضر مجالس العارفين بصناعة الغناء . فبلغ فيها الغاية القصوى . فاستشار بعض اخوانه فقال لهُ : انا لا اعرف لك صنعة احسن من ان تغني انت وجاريتك فتأخذ على ذلك المال الكثير وتأكل

من شدَّة المحبة لانها اخذت قلبي ومالي. ثم خرجت وسرت حتى وصلت الى دمشق وبعت البضاعة التي أخذتها من عكاء باقصى ثمن لانقطاع وصولها بسبب انقضاء مدَّة الهدنة ومنَّ الله سبحانه وتعالى عليَّ بكسب جيد وصرت اتجر في جواري السبي ليذهب ما بقلبي من الافرنجية ولازمت التجارة فيهنَّ. فمضت عليَّ ثلاث سنوات وانا بتلك الحالة. وجرى للملك الناصر مع الافرنج ما جرى من الوقائع ونصرهُ الله عليهم وأسر جميع ملوكهم وفتح بلاد الساحل باذن الله تعالى. فاتفق انهُ جاءني رجل وطلب مني جارية للملك الناصر. وكان عندي جارية حسناء فعرضتها عليهِ فاشتراها لهُ مني بمائة دينار فأوصلني تسعين دينارًا وبقي لي عشرة دنانير فلم يجدوها في خزنته ذلك اليوم لانهُ انفق الاموال جميعها في حرب الافرنج. فاخبروهُ بذلك فقال الملك: امضوا بهِ الى الخزانة التي فيها السبي وخيّروهُ بين بنات الافرنج ليأخذ واحدة منهنَّ في العشرة دنانير

(الليلة السادسة والتسعون بعد الثمانمائة) . فاخذوني وتوجهوا بي الى خزنة السبي . فنظرت ما فيها وتأملت في جميع السبي فرأيت الجارية الافرنجية التي كنت تعلقت بها وعرفتها حقَّ المعرفة وكانت امرأة فارس من فرسان الافرنج فقلت: اعطوني هذه. فاخذتها ومضيت الى خيمتي وقلت لها: اتعرفينني. قالت: لا. قلت انا صاحبكِ الذي كنت اتاجر في الكتان وقد جرى لي معكِ ما جرى واخذتِ مني الذهب وقلتِ: ما بقيت تنظرني الَّا بخمسمائة دينار. وقد اخذتكِ ملكًا بعشرة دنانير. فقالت: هذا سرّ دينك الصحيح انا اشهد ان لا اله الَّا الله واشهد ان محمدًا رسول الله. فأسلمتْ وحسن اسلامها. فقلت في نفسي: والله لا افضي اليها الَّا بعد عتقها واطلاع القاضي. فرحت الى ابن شدّاد وحكيت لهُ ما جرى وعقد لي عليها. ثم بعد ذلك رحل العسكر واتينا دمشق. فما كان الَّا ايام قلائل واتى رسول الملك يطلب الاسارى والسبي باتفاق وقع بين الملوك . فردَّ كل من كان اسيرًا من النساء والرجال ولم يبقَ الَّا المرأة التي عندي. فقالوا: ان امرأة الفارس فلان لم تحضر. وسألوا عنها وألحوا في السؤال والكشف فأُخبروا بانها عندي فطلبوها مني . فحضرت وانا في شدّة الوله وقد تغير لوني. فقالت

(الليلة الخامسة والتسعون بعد الثمانمائة) . واتفق الحال على ان يدفع لها خمسين دينارًا وتجيء اليهِ . فجهز الخمسين دينارًا وسلمها للعجوز . فلما اخذت الخمسين دينارًا قالت لهُ : هيِّئ لها موضعًا في بيتك وهي تجيء اليك في هذه الليلة . (ثم قال) فمضيت وجهزت ما قدرت عليهِ من مأكل ومشرب وشمع وحلوى . وكانت داري مطلةً على البحر وكان ذلك في زمن الصيف ففرشت على سطح الدار وجاءت الافرنجية فاكلنا وشربنا وجنَّ الليل . فنمنا تحت السماء والقمر يضيء علينا وصرنا ننظر خيال النجوم في البحر . فقلت في نفسي : اما تستحي من الله عزَّ وجلَّ وانت غريب وتحت السماء وعلى بحر وتعصي الله مع نصرانية وتستوجب عذاب النار . اللهمَّ اني اشهدك اني قد عففت عن هذه النصرانية في هذه الليلة حياء منك وخوفًا من عقابك . ثم اني نمت الى الصبح وقامت في السحر وهي غضبى ومضت الى مكانها . ومشيت انا الى حانوتي فجلستُ فيهِ . واذا هي قد عبرت عليَّ هي والعجوز وهي مغضبة وكأنها القمر . فهلكتُ وقلت في نفسي : من هو انت حتى تترك هذه الجارية هل انت السريّ السقطي او بشر الحافي او الجُنيد البغدادي او الفضيل بن عياض . ثم لحقتُ العجوز وقلت لها : ارجعي اليَّ بها . فقالت العجوز : وحقِّ المسيح ما ترجع اليك الَّا بمائة دينار . فقلت : اعطيكِ مائة دينار . ثم اعطيتها المائة دينارًا وجاءت اليَّ ثاني مرَّة . فلما صارت عندي رجعتُ الى تلك الفكرة فعففت عنها وتركتها لله تعالى . ثم مضيت ومشيت الى موضعي . ثم عبرت عليَّ العجوز وهي غضبى فقلت لها : ارجعي بها اليَّ . فقالت : وحقِّ المسيح ما بقيت تفرح بها عندك الَّا بخمسمائة دينـار وتموت كمدًا . فارتعدتُ لذلك وعزمتُ ان اغرم ثمن الكتان جميعه وافدي نفسي بذلك . فما شعرت الَّا والمنادي ينادي ويقول : يا معاشر المسلمين ان الهدنة التي بيننا وبينكم قد انقضت وقد امهلنا من هنا من المسلمين جمعة ليقضوا اشغالهم وينصرفوا الى بلادهم . فانقطعتْ عني واخذتُ في تحصيل ثمن الكتان الذي اشتراهُ مني الناس موَجلًا والمقايضة على ما بقي منهُ واخذت معي بضاعة حسنة وخرجتُ من عكاء وانا في قلبي من الافرنجية ما فيه

كتاب

الف ليلة وليلة

حكاية الصعيدي وزوجته الافرنجية

ومما يحكى ايضاً ان الامير شجاع الدين محمد متولي القاهرة قال : بتنا عند رجل من بلاد الصعيد فضيَّفنا واكرمنا . وكان ذلك الرجل اسمر شديد السمرة وهو شيخ كبير وكان لهُ اولاد صغار بيض بياضهم مشرَّب بحمرة . فقلنا : يا فلان ما بال اولادك هؤلاء بيضاً وانت شديد السمرة . فقال : هؤلاء امهم افرنجية اخذتها ولي معها حديث عجيب . فقلنا لهُ : أتحفنا بهِ . فقال : نعم . اعلموا اني قد كنت زرعت كتاناً في هذه البلدة وقلعتهُ ونفضتهُ وصرفت عليهِ خمسمائة دينار ثم اردت بيعهُ فلم يجئ لي منهُ شيء اكثر من ذلك . فقالوا لي : اذهب بهِ الى عكاء لعلَّك تربح فيهِ ربحاً عظيماً . وكانت عكاء ذلك الوقت في يد الافرنج . فذهبت بهِ الى عكاء وبعت بعضهُ صبراً الى ستة اشهر . فبينما انا ابيع اذ مرَّت بي امرأة افرنجية . وعادة نساء الافرنج ان تمشي في السوق بلا نقاب . فأتت لتشتري مني كتاناً فرأيت من جمالها ما بهر عقلي فبعت لها شيئاً وتساهلت في الثمن فأخذته وانصرفت . ثم عادت اليَّ بعد ايام فبعت لها شيئاً وتساهلتُ معها اكثر من المرة الاولى . فكرَّرت مجيئها اليَّ وعرفتْ اني احبُّها . وكان عادتها ان تمشي مع عجوز . فقلت للعجوز التي معها : اني قد شغفت بحبها فهل تتحيلين لي في الاتصال بها . فقالت : اتحيَّل لك في ذلك ولكن هـذا السرّ لا يخرج من بين ثلاثتنا انا وانت وهي ومع ذلك لا بدّ من ان تبذل مالاً . فقلت لها : اذا ذهبت روحي باجتماعي عليها ما هو كثير

ألف ليلة وليلة

الكتاب الخامس

قد هذَّبهُ وصحَّحهُ احد الآباء اليسوعيين

المطبعة الكاثوليكية
للآباء اليسوعيين في بيروت
١٨٩٠

برخصة معارف ولاية بيروت الجليلة ٣٧٢

ألف ليلة وليلة

الكتاب الخامس

قد هذّبهُ وصحّحهُ احد الآباء اليسوعيين

المطبعة الكاثوليكية

للآباء اليسوعيين في بيروت

١٨٨٩